

البفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف

أ. أحمد عبد الرزاق صريوس



التعريف بالمؤلف /

المحامي / احمد عبد الرزاق مريوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا
بتدائه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديره ذى سفال ثم
بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام (مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية
الشريعة والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعة وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعة اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهداء:

إلى الباحثين عن الحقيقة بين ثنايا الحروف**..
إلى كل روح تتوق لفهم أسرار "طس" وسرّ الطهارة والسماع..
أهدي هذا العمل المتواضع "المفاهيم القرآنية في سورة النمل"؛ ليكون نبراساً لنا في استكشاف تلك
القيم والمفاهيم التي صاغت منهجاً متكاملًا للحياة.
إلى كل من يسعى لامتلاك** "حكمة سليمان" **في التدبير، و**إخلاص الهدهد" **في التبليغ، و
**"إيجابية النملة" **في مواجهة التحديات.
إلى الذين يجمعون بين عظمة الروح ودقة العلم، ويؤمنون أن في كل آية "هدى وبشرى للمؤمنين".
أضع بين أيديكم هذه الثمرات القرآنية، لعلها تكون خطوة في طريق الهداية واليقين، ولبنة في صرح
العمل بهذا الكتاب المبين.

المولف احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

مدينه القاعده ذي سفال اب الجمهوريه اليمنيه

تلفون ٧٧٧٣٠٨٠٠٣

المذكرة التعريفية والاستراتيجية التي تبرز القيمة العلمية والتربوية لهذا العمل:

1. براعة الاستهلال: "همسة اليقظة"

يبدأ الكتاب باستهلال وجداني عميق يكسر الجمود بين القارئ والنص القرآني.
** نداء الروح: ** يستهل المؤلف تحليله لـ الحروف المقطعة) ** طس ** (بوصفها "همساً أزيلاً" يوقظ الروح قبل العقل.

** * التشويق الفكري: ** يضع القارئ في مشهد تخيلي) غرفة مظلمة صامتة (ليشرح أثر الحروف المقطعة في جذب الانتباه التام، مما يهيب القارئ لتلقي الرسائل الإلهية بذهن حاضر وقلب خاشع.
** * الربط المقاصدي: ** يربط مباشرة بين "الطاء" الطهارة والطور ("السين") السماع والدقة، موضحاً سر اختيارها في سورة تتحدث عن سليمان عليه السلام الذي جمع بين عظمة الملك ودقة العلم بفهم لغة النملة.

2. أسلوب المؤلف وما يتميز به

يتبع المؤلف منهجاً يمزج بين ** التحليل البلاغي والتدبر السلوكي **، ويتميز ب:
** * المخاطبة المباشرة: ** يستخدم لغة حوارية دافئة) تعال ... تأمل معي، كأنها رسالة خاصة إليك، مما يحول التفسير من نص جامد إلى تجربة شخصية.
** * العمق البلاغي والبياني: ** يغوص في دلالات الكلمات، مثل الفرق بين "يصلون" و"يقيمون"، وبين "يعطون" و"يؤتون"، موضحاً للمسات الجمالية في اختيار اللفظ القرآني.
** * الربط الواقعي: ** لا يكتفي بالشرح التاريخي، بل يطرح تساؤلات تطبيقية: "كيف تطبق هذا في يومك؟"، مما يجعل الآيات أدوات للإدارة والقيادة والتربية.

3. التميز والتجديد في الكتاب

ما يميز هذا الكتاب عن التفسير التقليدي هو ** "صناعة الإنسان المرجعي" **:
** * التحليل النفسي للمفاهيم: ** الكتاب لا يفسر الكلمات فقط، بل يحلل أثرها النفسي) مثل أثر "تلك" في تعظيم الكتاب في القلب).
** * المنهج الاستراتيجي: ** يقدم القرآن كـ "خريطة طريق" ومنهج حياة متكامل، ويربط بين العبادات (الصلاة، الزكاة) وبناء الحضارة والنظام المجتمعي.
** * تجديد لغة الخطاب: ** استخدام مفاهيم معاصرة مثل "منهجية الإتقان"، "التفوق الحضاري"، و "البناء العمراني للروح".

4. جوهر المحتوى وهيكل المفاهيم

يتمحور الكتاب حول بناء ثلاثية الإنسان المسلم:
** * البناء الروحي) الزاوية العمودية: ** من خلال إقامة الصلاة التي تبني النظام والخشوع.
** * البناء الاجتماعي) الزاوية الأفقية: ** عبر إيتاء الزكاة التي تطهر النفس وتبني مجتمعاً متكافلاً.
** * البناء العقائدي) الزاوية الباطنية: ** ترسيخ اليقين بالآخرة كمحرك للجوارح وضابط للسلوك.
** * الهيكل التدبري: ** ينتقل من "النور" صفات المؤمنين (إلى "الظلام") عواقب المنكرين (ليضع القارئ أمام خياراته المصيرية).

5. الجمهور المستهدف والمنهج المعتمد

** * الجمهور: ** المصلحون، الدعاة، المربون، القادة، وكل مسلم يبحث عن "الهدى والبشرى" في تفاصيل حياته اليومية.
** * المنهج: ** منهج استقرائي تحليلي يعتمد على) الكلمة - > اللمسة البلاغية - > الأثر النفسي - > التطبيق العملي).

6. لماذا يجب عليك قراءة هذا الكتاب؟

* لأنه يعيد صياغة علاقتك بالقرآن من "كتاب للتبرك" إلى "منهج للتحرك".
* يمنحك أدوات عملية للتعامل مع الأزمات الحياتية) القلق، الحيرة، الظلم (من خلال مفاهيم "الكتاب المبين" و"الهدى".
* يساعدك على اكتشاف "البشرى" المخبأة في الآيات، مما يملأ حياتك بالطمأنينة واليقين.

7. المخرجات المتوقعة) ما الذي ستخرج به؟

** * وعي تنظيمي: ** ستتعلم من قصة سليمان والنمل أن النظام والوضوح أساس النجاح الحضاري.
** * تغيير في العبادة: ** ستتحول صلاتك من "عادة" إلى "إقامة" لمشروع عمراني في حياتك.
** * بصيرة نافذة: ** القدرة على رؤية الحقائق خلف المظاهر، والتمييز بين الأعمال المزينة زيفاً وبين الحق المبين.

** * توازن الشخصية: ** بناء شخصية متوازنة روحياً، اجتماعياً، ونفسياً.
واخيراً يعد هذا الكتاب استثماراً حقيقياً لكل من يرغب في بناء "مجتمع واعي" لا ينخدع بالمظاهر، بل يبحث عن الحقائق والفضيلة في زمن تداخلت فيه المفاهيم.

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

تعد سورة النمل من السور المكية العظيمة التي زخرت بالدروس والعبر، وفيما يلي بطاقة تعريفية شاملة للسورة :-

1/ عدد آيات السورة:

* تتكون سورة النمل من 93 آية.**

2/ مكان نزولها:

* سورة النمل** مكية**النزول، نزلت على النبي ﷺ في مكة المكرمة قبل الهجرة.

3/ ترتيب السورة:

** في المصحف الشريف: **تأتي في الترتيب ال-27** ، وتقع في الجزء التاسع عشر.

** من حيث النزول: **نزلت سورة النمل بعد سورة الشعراء وقبل سورة القصص، وهي من السور "الطواسين" التي تبدأ بـ "طس" أو "طسم".

4/ أسماء السورة وسبب التسمية:

** الاسم المشهور: **"سورة النمل".

** أسماء أخرى: **تسمى أيضاً "سورة سليمان" لورود قصة نبي الله سليمان فيها بتفصيل لم يرد في غيرها.

** سبب التسمية: **سُميت بسورة النمل لورود قصة النملة التي نصحت قومها عند مرور جيش سليمان عليه السلام؛ حيث أبرزت السورة هذا المخلوق الصغير كنموذج للحكمة والقيادة وحسن التنظيم.

5/ خصائص السورة وما انفردت به:

* انفردت بذكر قصة نبي الله سليمان مع النملة، والهدد، وملكة سبأ بتفصيل فريد.
* تميزت بجمعها بين العلم الدقيق وعظمة الملك، كما في افتتاحيتها) طس (التي ترمز لسر الطهارة والسماع؛ سماع همس النمل وعلم ملك الملوك.

* هي السورة الوحيدة التي وردت فيها** البسملة مرتين** مرة في أولها، ومرة في ثنائها في رسالة سليمان إلى ملكة سبأ: {إته من سُلَيْمَانَ وَإته بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.}

6/ مناسبة السورة لما قبلها) سورة الشعراء:

* في سورة الشعراء، ذكرت قصص الأنبياء الذين كذبتهم أقوامهم) مثل هود وصالح ولوط (وكيف كانت عاقبتهم الهلاك، بينما جاءت سورة النمل لتعرض الجانب الآخر؛ جانب التمكين والنبوة والشكر و العلم الذي أوتيته داود وسليمان، وكأنها انتقل من مشهد الطفيلان إلى مشهد الحكمة والنور.

7/ مناسبة بداية السورة بخاتمها:

* بدأت السورة بوصف القرآن بأنه آيات مبينة وهدى وبشرى للمؤمنين { طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين.}

* انتهت السورة بالأمر بعبادة رب مكة وبتلاوة القرآن { وأن أتلو القرآن }، مع التأكيد على أن من اهتدى فلهداية نفسه ومن ضل فالله يحكم فيه، مما يربط الختام بالبداية في التأكيد على مركزية القرآن كمصدر للهداية والبيان.

8/ المواضيع والقضايا التي تناقشها السورة:

** العلم واليقين: **التأكيد على أن القرآن يتلقى من "حكيم عليم" وضرورة اليقين بالآخرة.

** القيادة والنظام: **عرض نماذج القيادة الحكيمة) سليمان عليه السلام، ملكة سبأ، وحتى النملة.)

** الصراع بين الحق والباطل: **من خلال قصص الأنبياء) موسى، صالح، لوط (مع أقوامهم الجاحدين.

** الأدلة الكونية: **لفت الأنظار إلى عظمة خلق الله في السماوات والأرض والمطر لبيان وحدانيته.

9/ مقاصد السورة:

** تثبيت النبي والمنهج: **إعلان الهوية الإيمانية والتمسك بالحق الواضح.

** بيان عاقبة الاستكبار مقابل الشكر: **المقارنة بين مصير المكذابين) قوم فرعون وثمود ولوط (ومصير الشاكرين) داود وسليمان.)

** بناء الإنسان والمجتمع: **غرس قيم الانضباط، الطهارة، التكافل) من خلال الزكاة(، والتوكل المطلق على الله.

المقطع الاول (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبین)

تعال ... تأمل معي هذه الآية وكأنها رسالة خاصة إليك

أولا {طس ...} همس أذلي أيقظ روعي قبل عقلي

تخيل أنك في غرفة مظلمة، صامتة، ثم سمعت طقطقة خفيفة على الباب ... طس قلبك وقف . انتباهك كله توجه . هذا ما تفعله هذه الآية بك .

**لماذا بدأ الله سورة النمل بـ {طس {وليس بـ {الم {مثلا ؟

لأن {طس {فيها سرّ الطاء ترمز إلي الطهارة والطور الجبل العظيم، والسين ترمز إلى السماع) كأن الله يقول: "أنا أسمع همس النملة، وأسمع أنت أيضاً".

هل تعلم لماذا اختار الله هذين الحرفين بالذات ليفتتح بهما سورة تتحدث عن سليمان والنمل؟

لأن سليمان جمع بين الطاء العظمة والملك والجبروت (والسين) العلم الدقيق الذي جعله يفهم لغة النملة الصغيرة . (وهكذا أنت: لديك عظمة أنك إنسان مكرم، ولديك دقة أنك تستطيع أن تسمع همس قلبك وهمس الآخرين .

**ماذا تفعل (طس) في نفسك؟

تجعلك تشعر أن القرآن ليس كتاباً عادياً . إنه يبدأ بحروف لا تفهمها، ليربيك على شيء مهم جداً: أن تسلم لله فيما لا تعلم، وأن تتدبر فيما تعلم . لو كنت تعرف كل شيء، لما كان للإيمان معنى .

**كيف نتعلم من هذا في دعوتنا وحياتنا؟

تذكر عندما تريد أن تتحدث مع شخص غافل، أو تريد أن تنصح ولدك العاصي، لا تبدأ بالصراخ أو الموعظة المباشرة . ابدأ بـ {طس {الخاصة بك: سؤال مفاجئ، قصة مشوقة، حكمة موجزة . اجذب انتباهه أولاً ، ثم قدم له رسالتك .

وهذا بالضبط ما تفعله هذه الآية بعقلك: تنمية . كيف؟ بأنها تضع أمامك لغزاً محفزاً {طس، فتبدأ بـ البحث والتساؤل والتفكير . هذه هي بداية العلم الحقيقي .

ثانياً: (تلك ...) لماذا هي بعيدة؟ وكأنها في السماء السابعة

تأمل معي: لو قال الله "هذه آيات القرآن" لكانت بين يديك، سهلة، قريبة . لكنه قال {تلك، كأنها في قمة العلو، وأنت مدعو لأن ترفع رأسك وتشمر عن ساعد الجد لتصل إليها .

*"ما الرسالة لك؟

أن تعظم هذا الكتاب . ألا تضعه على الرف كأبي كتاب . ألا تقرؤه وأنت مستلقٍ على الأريكة وكأنك تقرأ رواية . تلك تعني: استعد، توضع، اجلس بخشوع، كأنك تقف بين يدي ملك الملوك .

**كيف تطبق هذا في يومك؟

عندما تمسك المصحف، قل في نفسك: "أنا الآن أقرأ كلام من يقول للشيء كن فيكون" . لا تمر بالآيات مروراً سريعاً . وقف عند كل آية، وتأمل، وكأن الله يخاطبك بها شخصياً . عندما تمر بآية عن الصبر، اسأل نفسك: "يا رب، هل أنا صبور؟" . وعن الصدق: "هل أنا صادق؟" . وعن الغضب: "هل أنا غضوب؟" .

هكذا تجعل القرآن هو كل اهتماماتك . لا أن تمسكه 24 ساعة، بل أن كل حركة وسكنة تكون مسترشدة به .

ثالثاً: (آيات) القرآن لماذا قال "آيات" وليس "سور" أو "كلام"؟

لأن الآية هي العلامة . كل آية في القرآن هي علامة على صدق الله، ورحمته، وقدرته، وحكمته .

**ما الذي تفعله في نفسك؟

أنها تبني فيك الإنسان المرجعي، الذي لا يتشتت فكريًا. لماذا؟ لأنه كلما حارت به الدنيا، التفت إلى هذه الآيات فوجدت الجواب. الزواج؟ تجد آيات عن المودة والرحمة. المال؟ تجد آيات عن الربا و الزكاة. الحزن؟ تجد آيات عن "لا تحزن إن الله معنا".

المجتمع الذي يحكم بهذه الآيات هو مجتمع متماسك لا يعرف الفوضى.
رابعاً : (وكتاب مبين ..)الوضوح الذي يريح القلب

*ماذا يعني "مبين"؟
يعني واضح جداً، لا يحتاج إلى وسيط. أي مسلم يقرؤه يفهم أن الله واحد، أن الصلاة حق، أن الصدق خلق، أن الظلم محرم.

لماذا هذا مهم لك؟
لأنه يريحك من حيرة "ماذا أفعل؟". الكتاب المبين هو مصباحك في الظلام. عندما تمر بأزمة في عملك أو دراستك أو علاقاتك، لا تجلس حائرًا. افتح هذا الكتاب المبين. ستجد فيه:
. هل هذا القرار الذي أنا مقبل عليه حلال أم حرام؟ (يبيّن لك الحدود)
. هل هو عدل أم ظلم؟ (يبيّن لك معيار العدل)
. هل هو صدق أم كذب؟ (يبيّن لك علامات الصدق)

**كيف تطبق "الكتاب المبين" في حياتك اليومية؟
. في عملك: كن واضحًا، شفافًا، لا تغش، لا تخف عيوب البضاعة. هكذا تكون "كتابًا مبينًا" في أخلاقك.

. في بيتك: قواعدك مع أولادك وضوحًا مبكرًا، ولا تغيرها حسب مزاجك.
. في مجتمعك: إذا كنت مسؤولًا، اجعل قوانينك مبينة، لا لبس فيها، ليأمن الناس.
هذا يبني الثقة. وهذا هو أساس المجتمع المتماسك.

والآن... ما هي أهم الدروس العملية التي تأخذها معك من هذه الآية؟

الدرس الأول: منهجية الإتقان والوضوح والتعاون

الإتقان: "كتاب مبين" يعني كتابًا متقنًا لا خطأ فيه. فأنت أيضًا، إذا كنت طبيبًا، فأنت تشخيصك مهندسًا، فأنت تصميك معلمًا، فأنت شريك. هذا ليس كمالًا بشريًا، هذا عبادة. الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.

الوضوح: لا تكن غامضًا في تعاقداتك، وعودك، حتى نواياك. المجتمع الواضح هو المجتمع الآمن.
التعاون: النملة التي قالت "ادخلوا مساكنكم" كانت تتعاون مع أخواتها. أنت أيضًا، تعاون مع الآخرين بوضوح ودقة.

الدرس الثاني: استحضار عظمة القرآن في أدق تفاصيل حياتك
لا تظن أن عظمة القرآن فقط في المسجد أو في رمضان. لا. أنت في سيارتك، في عملك، في السوق، مع زوجتك، مع أصدقائك، القرآن معك. عندما توشك أن تكذب، تذكر "كتاب مبين". عندما توشك أن تأكل حرامًا، تذكر "تلك آيات القرآن". عندما تأس، تذكر أن القرآن يعدك بالنصر.
هذا هو التفوق الحضاري الذي يتحدثون عنه. ليس بالمال ولا بالسلاح وحده، بل بمنهج حياة متكامل.

الدرس الثالث: الالتزام بالقرآن ليس شعارات، بل نظام ودقة
انظر إلى قصة سليمان والنمل التي ستأتي بعد هذه الآية مباشرة. تجد فيها:
. نملة تلتزم بالنظام: "ادخلوا مساكنكم".

. هدهد يقدم تقريرًا دقيقًا عن سبأ.
. سليمان يدير مملكته بمنتهى الدقة.
إذا كنت فوضويًا في حياتك، متأخرًا عن مواعيدك، غير منظم في أوراقك، فواقف. اسأل نفسك: هل أنا حقًا أقرأ القرآن؟ لأن القرآن "كتاب مبين" يفترض أن يظهر في انضباطك.

الدرس الرابع: بناء الإنسان والمجتمع من هذه الآية
هذه الآية وحدها تبني فيك:

. عقلك: على التساؤل والبحث) من {طس.}
. قلبك: على التعظيم والخشوع) من {تلك.}
. سلوكك: على الوضوح والإتقان) من {كتاب مبين.}
ثم تبني مجتمعًا:

- . قوانينه واضحة لا لبس فيها.
 - . حقوقه مصونة لا ظلم فيها.
 - . أفراده متعاونون في خير.
- خاتمه:** وكأنها رسالة إليك وحدك

أنت الآن، بعد أن قرأت هذا، قد تغيرت قليلاً . لأنك عرفت أن {طس} ليست مجرد حرفين، بل همسة إلهية أيقظتك . وأن {تلك} ليست مجرد كلمة، بل تعظيم لربك . وأن {آيات القرآن} ليست مجرد جمل، بل علامات على الطريق . وأن {كتاب مبین} ليس مجرد وصف، بل منهج حياة .

اسأل نفسك الآن: هل ستقرأ الفاتحة بعد اليوم كما كنت تقرأها؟ هل ستتم على {الم} في البقرة وكأنها لا شيء؟ هل ستتعامل مع القرآن كأنه مجرد كتاب؟

أم أنك ستجعل من هذه الآية عهداً بينك وبين ربك: أن تكون قرآناً يمضي على الأرض، واضحاً في كلامك، متقناً في عملك، منظماً في حياتك، معظماً لكتاب ربك؟

الخيار لك . وأنا على يقين أنك ستختار الطريق الثاني .

المبحث الثاني

(هدى وبشرى للمؤمنين)

لا تتعجل . قبل أن ننطلق في هذه الرحلة، خذ نفساً عميقاً . أغمض عينيك للحظة . وتذكر شعورك عندما كنت تتوه في شارع لا تعرفه، وفجأة وجدت لافتة ترشدك . وتذكر تلك اللحظة التي كنت فيها حزيناً، ثم جاءك خبر فرح غير وجهك بالكامل . هذا هو بالضبط ما تريد هذه الآية أن تفعله بك . إنها ليست مجرد كلمات، إنها مشاعر تغمر كيانتك . لقد أخبرك ربك في الآية الأولى أن هذا القرآن هو "كتاب مبین" . والآن، في الآية الثانية، يكشف لك الغرض من هذا البيان ولمن هو . إنه ليس لأي شخص . إنه مخصص لك .

{هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}

تأمل في قول الحق تبارك وتعالى: {هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} .

اولاً: {هُدًى}... النور الذي يزيح ظلام روحك

*ماذا تعني "هدى" حقاً في أعماقك؟

"الهدى" في اللغة مشتق من "الهدى"، وهو الرفق واللطف . إنها ليست مجرد إعطاء عنوان، بل هي مرافقتك بلطف ورفق حتى تصل إلى بر الأمان . تخيل أنك في ظلام دامس، ثم يأتي شخص لطيف ويمسك بيدك ويقول: "تعال، سأمشي معك خطوة بخطوة حتى نخرج من هنا" . هذا هو "الهدى" . هذه هي علاقة الله بك .

**لماذا جعلها الله "هدى" فقط للمؤمنين؟

لأنك عندما تؤمن، تكون قد فتحت نافذة قلبك . تكون مستعداً لتلقي هذا النور . قال الله تعالى في آية أخرى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِقَاءٌ} . بمعنى أن القرآن هو الشفاء لقلبك، والدواء لروحك . ولكن لمن لا يؤمن، تبقى الآيات مجرد حروف، لا تجد طريقاً إلى قلبه .

**ما الذي تفعله كلمة "هدى" في أعماقك؟

. تمنحك الطمأنينة: عندما تضل طريقاً في حياتك، عندما تتحير في أمر زواج، أو عمل، أو دراسة، تجد في القرآن الإجابة . تجد فيه الخريطة الواضحة . كما قال السعدي رحمه الله: الآيات تهدي المؤمنين إلى "سلوك الصراط المستقيم وتبين لهم ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركوه" . تخيل أنك تقود سفينة في بحر عاصف، وفجأة تجد منارة قوية تنير لك الطريق . هذا هو القرآن لك .

. تنقذك من الحيرة: نحن نعيش في عصر تتزاحم فيه الأصوات، وتتصارع فيه الأفكار . كل يوم يأتيك رأي جديد، وفكرة جديدة، وإعلان جديد يحاول أن يسرق انتباهك . "الهدى" هو أن تجد مرجعاً ثابتاً لا يتغير . مرجعاً يخبرك بما هو حق وباطل، بما هو جميل وقبيح، بما هو نافع وضار .

**رحلة التدبر: "هدى" وعلاقتها بـ "طس" و"تلك"

تذكر معي الآية الأولى . بدأت بـ {طس} : همسة إلهية جذبت انتباهك . ثم قالت {تلك آيات القرآن} : رفعت من شأن هذا الكتاب في قلبك . ثم قالت {وكتاب مبین} : أخبرتك أنه واضح ومفهوم . والآن، تقول {هُدًى} : هذا الوضوح وهذا التعظيم وهذا الانتباه، الغرض منه هو إيصالك إلى بر الأمان . إنه تسلسل بديع: من الانتباه، إلى التعظيم، إلى الفهم، وأخيراً إلى الهداية .

ثانياً: {وَبُشْرَى}... الفرحة الذي لا يوصف

****ماذا تعني "بشرى" في حياتك اليومية؟**

"بشرى" هي "الخبر السار"، وهو مشتق من "البشرة" (ظاهر الجلد). لماذا؟ لأن الخبر السار يظهر على وجهك! تجده يتورد، وتتسع عينك، وتتفرج أساريرك. هذا هو تأثير البشري. قال العلماء: "سمي الخبر السار بشرى، لأن أثره يظهر على البشرة".

****كيف يكون القرآن "بشرى" لك الآن، في هذا الوقت بالذات؟**
ربما أنت تمر بضيق. ربما شعرت بالوحدة، أو الظلم، أو الخوف من المستقبل. هذه الآية تأتي لتقول لك: "لا تحزن. هذا القرآن هو بشرى لك".
- بشرى بالمغفرة: عندما تذنّب وتخطئ، وتشعر أنك أصبحت بعيداً عن الله، تأتي آيات الرحمة لتخبرك أن الله يغفر الذنوب جميعاً. أليس هذا خبراً ساراً؟
- بشرى بالجنة: عندما تتعب في الدنيا، وتجاهد نفسك، وتصبر على الأذى، تأتيك آيات الجنة لتخبرك أن هناك داراً لا تعب فيها ولا نصب. أليس هذا خبراً ساراً؟ كما قال الطبري: هي "بشارة لمن آمن به بالفوز العظيم في المعاد".
- بشرى بأنك لست وحدك: عندما تشعر أن العالم كله ضدك، تذكر أن الله معك. القرآن يبشرك بأن النصر قادم، وأن العاقبة للمتقين. أليس هذا هو أعظم خبر سار على الإطلاق؟

****لماذا قدم الله "الهدى" على "البشرى"؟**
هذا من روعة الترتيب الإلهي. أولاً، يهديك الله إلى الطريق الصحيح. يخرجك من الظلمات إلى النور. ثم، بعد أن تسير في هذا الطريق، يبشرك بالأجر والثواب. إنه ترتيب منطقي. أولاً العمل، ثم الجزاء. أولاً السير، ثم الوصول.

****سؤال: كيف تجعل القرآن بشرى لك كل يوم؟**
أن تقرأه ليس كمجرد واجب، بل كرسالة حب من الله إليك. أن تبحث فيه عن البشري. عندما تمر بآية عن الفرج، توقف عندها وقل: "يا رب، هذا وعدك، فأنجزه لي". عندما تمر بآية عن الرحمة، افتح قلبك وقل: "يا رب، أنا أولى الناس بهذه الرحمة". بهذه الطريقة، يصبح كل يوم لك عيداً، وكل آية لك بشرى.

ثالثاً: {للمؤمنين}... من أنت أيها المؤمن؟
هل الهدى والبشرى حكر على فئة معينة؟
نعم. الآية تقول: "للمؤمنين". ليس لأن الله بخيل، بل لأن المؤمن هو وحده الذي يفتح قلبه وعقله ليستقبل هذه الهداية والبشرى. القرآن مثل المطر ينزل على الأرض كلها، ولكن النباتات الطيبة وحدها هي التي تنمو وتثمر. أما الأرض السبخة، فلا تنبت شيئاً.
إذا كنت تريد أن تشعر بالهدى والبشرى، فعليك أن تؤمن.
قال ابن كثير رحمه الله: "إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقته وعمل بما فيه". أي أن الأمر ليس مجرد نطق بالشهادة. الإيمان الحقيقي هو الذي يتحرك في القلب ثم ينعكس على الجوارح.
دعني أخبرك بفرق كبير
الهداية نوعان:

1. هداية الإرشاد: وهي أن يبين لك الطريق، وهذا يشمل المؤمن والكافر. فالكافر أيضاً يفهم أن القرآن يدعو للتوحيد والأخلاق.
2. هداية التوفيق: وهي أن يوفقك الله للسير في هذا الطريق، وهذا خاص بالمؤمنين. وهي التي نتحدث عنها الآية.

****هل ترى الفرق؟**
الفرق بين أن ترى الطريق (هداية إرشاد)، وبين أن تمشي فيه (هداية توفيق). القرآن يريك الطريق، ولكن إذا أردت أن تسير فيه، فعليك أن تكون مؤمناً. الإيمان هو الذي يمنحك القوة لتحول ما تقرؤه إلى واقع في حياتك.
****والآن... تأمل معي هذا المشهد المتكامل**

تخيل أنك في صحراء قاحلة. الشمس تحرق رقبتك، والرمال تلسع عينيك. أنت تائه، حائر، خائف. وفجأة، تجد أمامك كتاباً. تفتحه. تجد فيه خريطة دقيقة جداً (هذا هو {هدى}). وتجد فيه أيضاً رسالة من صديقك العزيز يخبرك أن هناك واحة قريبة، وأنه سينتظرك هناك بكل ما لذ وطاب (هذا هو {وبشري}). ولكن، من يستطيع قراءة هذه الخريطة والرسالة؟ بالطبع، هو من يؤمن بهذا الكتاب ويصدق صاحبه.

هذا هو بالضبط ما تفعله الآية الثانية في حياتك. أنت كنت تائهاً في صحراء الحياة، تأتيك الآية لتمنحك الخريطة والرسالة.

*لحظة صفاء مع النفس

الآن، وبعد أن فهمت المعنى العميق لهذه الآية، أريدك أن تسأل نفسك بصدق:
· هل أشعر أن القرآن هو "هدى" لي حقاً؟ هل أتخذ قراراتي بناءً على توجيهاته، أم أن قلبي وعقلي يخبراني بشيء آخر؟
· هل أشعر أن القرآن هو "بشرى" لي؟ هل أشعر بالفرح والسعادة عندما أقرأه، أم أنه أصبح عبئاً ثقيلاً على كاهلي؟
· هل أنا من "المؤمنين" الذين تستحق قلوبهم هذه الهداية والبشرى؟ هل إيماني مجرد شعار، أم هو نور يضيء كل خطواتي؟

**تذكر دائماً...

أنت لست مجرد قارئ لهذه الآية. أنت هو المقصود بها. الله يناديك من فوق سبع سموات، ويهمهمس في أذنك: "يا عبدي، هذا القرآن هو هدى لك، وبشرى لك، فلماذا تبعد وقتك في غيره؟ تعال، اقرأ، تدبر، وانتفع".
اجعل هذه الآية عهداً بينك وبين ربك. عاهد نفسك أن لا تمر على أي آية من القرآن مرور الكرام، بل أن تقف عندها، وتتأملها، وتسالها: "يا آية، كيف تكونين هدى لي اليوم؟ وكيف تكونين بشرى لي في هذا الوقت؟"
بهذا، ستتحول حياتك من مجرد حياة عابرة، إلى حياة مليئة بالهدف والنور والفرح.

{هَدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ}

المبحث الثالث

الَّذِينَ يَتَّقُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

قبل التفسير

تعال... اجلس معي قليلاً. اسمح لي أن أهمس في أذنك بشيء قد يغير نظرتك لكل شيء.
لقد أخبرك ربك في الآية الأولى أن هذا القرآن "كتاب مبين". وفي الآية الثانية أخبرك أنه "هدى وبشرى للمؤمنين". والآن، في الآية الثالثة، يريد أن يريك صورة هؤلاء المؤمنين. كأنه يقول لك: "هل تريد أن ترى نموذجاً حياً لمن يهتدي بهذا الكتاب وتبشر به؟ ها هم ذا."

{الَّذِينَ يَتَّقُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}
هذه ليست مجرد صفات. هذا هو البصمة التي يتركها الإيمان على الروح. هذا هو الأثر العملي لـ {هدى وبشرى}. هذا هو عنوان النجاح في الدنيا والآخرة.

دعني آخذ بيدك في رحلة داخل هذه الآية، وكأنها المرآة التي تنظر فيها إلى نفسك.

المقدمة: لماذا هذه الآية بعد التي قبلها؟

تذكر معي. الآية الثانية قالت: هذا القرآن هدى وبشرى للمؤمنين. مباشرة جاءت الآية الثالثة لتصف من هم هؤلاء المؤمنون الذين استحقوا هذه الهداية والبشارة. إنها كأنها إجابة لسؤال يخطر ببالك: "من هم يا رب؟ وكيف أعرف أنني واحد منهم؟"

فجاء الجواب: هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة. ثلاث صفات، لو تمعننا فيها، وجدتها تجمع عمارة القلب (الإيقان بالآخرة)، وعمارة البدن (الصلاة)، وعمارة المجتمع (الزكاة). إنها منظومة متكاملة لبناء الإنسان والحضارة.

أولاً: {الَّذِينَ يَتَّقُونَ الصَّلَاةَ}... لاحظ كلمة "يقيمون" وليس "يصلون"

1/ ما الفرق بين "يصلون" و"يقيمون"؟

هنا لمسة بيانية دقيقة جداً. لو قال "يصلون" لكان المعنى أنهم يفعلون فعل الصلاة كحركات وأقوال. لكنه قال {يَتَّقُونَ}. الإقامة تعني: إقامة أركانها وحدودها، وإقامتها في أوقاتها، وإقامة قلوبهم معها بخشوع وحضور. وكان الصلاة هي بناء، والمؤمن هو من يشيد هذا البناء، لا مجرد زائر يمر عليه.
يقول ابن كثير: "إقامتها: المحافظة عليها في أوقاتها، وحدودها، وركوعها، وسجودها، وخشوعها". ويقول القرطبي: "إقامتها: أداؤها كاملة بشروطها وأركانها وواجباتها".

2/ ماذا تشعر وانت تقرأ "يقيمون"؟

تشعر أن الصلاة ليست مجرد عادة، بل مشروع عمراني في حياتك. إنها علاقة وثيقة بالله، تبني فيك النظام والانضباط. المؤمن الحق هو من لا يفرط في صلاته، ولا يتهاون في خشوعها. إنه يقيمها في السر والعلن، في السفر والحضر، في الصحة والمرض.

التجويد والبلاغة:

. نلاحظ هنا حرف الياء في "يُقيّمون" مدًا طبيعيًا، كأنه يمد في إقامة الصلاة، ليشعرك باستمرارية هذا البناء.

. حرف القاف مفخم، يعطي إحساسًا بالقوة والثبات في إقامة الصلاة.

. تكرار النون في "يقيمون" يدل على الجمع والتكثير، أي جماعة المؤمنين كلهم متعاونون على إقامتها.

3/كيف تطبق "الإقامة" في واقعك؟

. إقامة وقتية: التزم بالصلاة في أول وقتها، كما كان الصحابة يبادرون إليها. لا تؤخرها أبدًا.

. إقامة خشوعية: اجعل عقلك وقلبك حاضرين مع الله. لا تكن صلاتك حركات جوفاء. تخيل أنك واقف بين يديه.

. إقامة جماعية: صل في المسجد جماعة، فهذا من أعظم مظاهر إقامتها.

. إقامة تربوية: ربِّ أولادك على الصلاة من سن السابعة، واضربهم عليها لعشر. كن قدوة لهم في إقامتها.

4/سؤال إلى نفسك: هل صلاتك "إقامة" أم مجرد "صلاة" عادية؟ هل تشعر بأنك تبني علاقة مع الله كلما كبرت، أم أنها أصبحت روتينًا ثقيلًا؟

ثانياً: {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}... العطاء الذي يطهر الروح والمجتمع

1/لماذا الزكاة بعد الصلاة؟

الصلاة حق الله على العبد، والزكاة حق العباد في مال العبد. جمع الله بينهما في أكثر من موضع في القرآن، لأنهما جناحا الإيمان. فمن أقام الصلاة وأتى الزكاة، فقد جمع بين خشوع القلب وسماحة اليد.

2/ماذا تعني "يؤتون"؟

"يؤتون" مأخوذة من "الإيتاء"، وهو الإعطاء. لكن الإيتاء هنا ليس مجرد إخراج المال، بل إعطاؤه بسماحة نفس، وطيب قلب، واحتساب للأجر عند الله. قال تعالى: {خَذَّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}. فالزكاة تطهر المال من شوائب الحرام والبخل، وتزكي النفس من حب المال والشح.

3/اللمسة البيانية: "يؤتون" وليس "يعطون"

"يعطون" قد تكون لأي عطاء، لكن "يؤتون" تفيد الإعطاء على وجه الإحسان والاستحقاق، كأنه واجب يؤديه المؤمن عن طيب خاطر. والزكاة مفعولها الأول محذوف تقديره "يؤتونها"، أي يعطون الزكاة لأهلها.

4/التطبيق العملي في حياتك:

. الزكاة المالية: إذا بلغ مالك النصاب وحال عليه الحول، أخرج 2.5% منه للفقراء والمساكين وغيرهم من الأصناف الثمانية. لا تتهاون، فهي ركن من أركان الإسلام.

. زكاة العلم: تنشر علمك للناس، تعلم الجاهل، تنصح الضال.

. زكاة الجاه: تستخدم نفوذك ومنصبك لمساعدة الضعفاء وقضاء حوائج المحتاجين.

. زكاة القوة: تساعد بجسمك من يحتاج عونًا، تحمل أثقال الضعفاء.

. زكاة الخلق: تبسم في وجه أخيك، فتبذل خلقًا حسنًا.

5/كيف تبني الزكاة المجتمع؟

لو طبق كل مسلم الزكاة بوعي، لما بقي فقير في المجتمع. الزكاة تعيد توزيع الثروة، وتزيل الحقد و الضغائن من قلوب الفقراء، وتطهر نفس الأغنياء من حب المال. إنها نظام اقتصادي واجتماعي عادل.

شعور داخلي: عندما تخرج الزكاة، اشعر أنك تخرج جزءًا من مالك لله، وأن هذا المال الذي أعطاك إياه، جعله وسيلة لاختبار سخائك. لا تنتظر الشكر من الناس، بل انتظر الأجر من الله.

ثالثاً: {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}... اليقين الذي يحرك الجوارح

1/لماذا كرر "هم"؟

قال تعالى: {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}. ذكر "هم" مرتين، وهذا من باب التوكيد والحصص. كأنه يقول: هم وحدهم الذين يوقنون، وهم وحدهم الذين يستحقون الوصف. وغيرهم ليسوا على يقين بل هم في شك وريبة.

2/ ما هو اليقين؟

اليقين هو العلم التام الذي لا يشوبه شك، ويصل إلى القلب فيسكن إليه، ثم يظهر على الجوارح في العمل الصالح. اليقين بالآخرة يعني: أن تؤمن بأن هناك يومًا يبعث الله فيه الخلق، ويحاسبهم على أعمالهم، فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار. هذا الإيمان ليس مجرد معرفة عقلية، بل يقين يغير طريقة عيشك.

3/ أثر اليقين بالآخرة على حياتك:

- عندما تعمل: تعمل كأنك ترى ثواب الآخرة، فلا تحتقر مثقال ذرة من خير.
- عندما تذنب: تكف عن الذنب خوفًا من عقاب الآخرة، وتتوب إلى الله.
- عندما تصاب بمصيبة: تصبر وتحسب، لأنك تعلم أن الأجر في الآخرة.
- عندما ترى ظلمًا: لا تغضب كثيرًا، لأنك تعلم أن الله سيأخذ حَقك يوم القيامة.

4/ اللمة البلاغية: تقديم "بالآخرة" على "هم يوقنون"

قدم الجار والمجرور "بالآخرة" على الفعل "يوقنون" للاهتمام والاختصاص. كأنه يقول: إيقانهم خاص بالآخرة، وهم يوقنون بها دون غيرهم. أما الكفار فلا يوقنون، بل هم في شك وتردد.

التجويد: كلمة "يُوقِنُونَ" فيها مد عارض للسكون عند الوقف، ويمكن الوقف على "يوقنون" أو الوصل. تعطي شعورًا بالثبات والقوة.

5/ التطبيق العملي لليقين:

· كل صباح: ذكر نفسك بأن هذه الدنيا دار فناء، وأن الآخرة هي دار القرار. لا تتعلق بالدنيا تعلق الأبدى.

· كل قرار: اسأل نفسك: هل هذا القرار يقربني من الآخرة أم يبعديني؟ هل يرضي الله أم يغضبه؟

· كل خطيئة: تذكر أن الله يراك، وأن هناك يومًا تفضح فيه السرائر. استحي من الله.

رابعاً

***والآن... ما هي المواضيع والمفاهيم الرئيسية التي تبنيها هذه الآية؟

المفهوم الأول: منهجية البناء المتكامل للإنسان

هذه الآية تبني الإنسان من ثلاث زوايا:

1. الزاوية العمودية (الصلاة): علاقة العبد بربه. تبنيه روحانيًا.

2. الزاوية الأفقية (الزكاة): علاقة العبد بالمجتمع. تبنيه اجتماعيًا وأخلاقيًا.

3. الزاوية الباطنية (اليقين بالآخرة): علاقة العبد بمصيره. تبنيه نفسيًا وعقائديًا.

الإنسان المتوازن هو من يجمع هذه الثلاثة.

المفهوم الثاني: الإيمان ليس شعارًا، بل سلوكًا
الإيمان الحقيقي هو ما ترجمته الجوارح إلى أفعال. لا يكفي أن تقول "أنا مؤمن"، بل لا بد أن تثبت إيمانك بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ويقينك بالآخرة.

المفهوم الثالث: التنمية والبناء الحضاري

- الصلاة تنظم وقتك وتعلمك الانضباط.
- الزكاة تنمي مالك وتزكيه وتنعش الاقتصاد.
- اليقين يحفزك على العمل الجاد والإتقان، لأنك تعلم أن الله سيجازيك.

مجتمع يقوم على هذه الأسس هو مجتمع متطور حضاريًا، آمن، متماسك، عادل.

خامساً

ما هي القيم التي تغرسها هذه الآية؟

1. الانضباط: من إقامة الصلاة في أوقاتها.

2. السماحة: من إيتاء الزكاة طيبة بها النفس.

3. اليقين: من الإيمان الراسخ بالآخرة.

4. المسؤولية: لأنك مسؤول عن صلاتك وزكاتك وأعمالك أمام الله.

5. التكافل الاجتماعي: من خلال الزكاة التي تسد حاجة الفقراء.

6. الطهارة المالية والنفسية: فالزكاة تطهر المال والقلب.

7. الرغبة في الآخرة: وهي أعلى درجات الزهد في الدنيا.

سادسا

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي؟

في علاقتك مع الله:

- صلي الفروض في أوقاتها بخشوع، وزد عليها النوافل.
- أخرج زكاتك المفروضة، وتصدق بصدقة كل يوم ولو قليلة.
- أكثر من ذكر الآخرة والجنة والنار، حتى يصبح اليقين راسخاً في قلبك.

**في بيتك وأسرتك:

- علم أبناءك الصلاة، واجعل لهم جوائز على الالتزام بها.
- غرس فيهم قيمة العطاء، علمهم أن يخرجوا جزءاً من مصروفهم للفقراء.
- حدثهم عن الآخرة بأسلوب مشوق، لا مخيف.

**في عملك ودراستك:

- لا تؤجل عملك لأجل الصلاة، بل صل في وقتها وأكمل عملك.
- كن أميناً في عملك، لا تأخذ حق غيرك، ولا تغش.
- تذكر أن نجاحك الحقيقي هو في الآخرة، فلا تظلم أو تغش من أجل ترقية دنيوية.

**في مجتمعك:

- شجع على بناء المساجد وإقامة الصلاة فيها.
- نظم حملات لجمع الزكوات وتوزيعها على مستحقيها.
- انشر ثقافة اليقين بالآخرة، وذكر الناس بأن الدنيا فانية.

سابعا

دور هذه الآية في بناء الشخصية المسلمة والمجتمع

بناء الشخصية المسلمة:

- عقلياً: تدرك أن الإيمان ليس أمانى، بل حقائق يصدقها العمل. فتفكر في علاقة الأسباب بالمسببات.
- نفسياً: تطمئن بالصلاة، وتزكو نفسها بالزكاة، وتستقر بيقين الآخرة. فتصبح نفساً مطمئنة.
- سلوكياً: تنتظم حياتها، وتصبح كريمة سمحة، لا تبخل ولا تتأخر عن الخير.
- اجتماعياً: تصبح عضواً نافعاً في مجتمعه، يساعد المحتاج، ويشارك في بناء الخير.

بناء المجتمع:

- مجتمع مقيم للصلاة: مجتمع متعبد لله، تشيع فيه الطمأنينة والروحانية.
 - مجتمع مؤث للزكاة: مجتمع متكافل، لا يببب فيه جائع، ولا حاقد.
 - مجتمع موقن بالآخرة: مجتمع عادل، لا يظلم، لأنه يعلم أن هناك يوم حساب.
- هذا هو المجتمع الإسلامي القوي الذي ينافس الأمم، لا بالسلاح فقط، بل بالأخلاق والنظام والعدل.

ثامنا

ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن؟

تدعوك إليها الحبيب إلى التوقف لحظة، ومراجعة نفسك:

- صلاتك: هل هي "إقامة" حقاً؟ هل تصلّيها في أوقاتها بخشوع؟ هل تركت يوماً صلاة بلا عذر؟ عاهد الله اليوم أن تقيمها أحسن إقامة.
 - زكاتك: هل تخرجها كما أمرك الله؟ هل تحاسب نفسك على أموالك؟ هل تتصدق ولو بالقليل؟ ابدأ اليوم، ولو بصدقة صغيرة، فالحسنات يذهبن السيئات.
 - يقينك بالآخرة: هل أنت موقن حقاً؟ هل يظهر أثر هذا اليقين على أعمالك؟ أم أنك تعيش كأنك مخلد في هذه الدنيا؟ فكر في الموت، في القبر، في القيامة. هذا التفكير يوقظ اليقين.
- تذكر: هذه الآية هي وصفة النجاة. من جمع هذه الصفات، فقد استحق أن يكون من "المؤمنين" الذين لهم الهدى والبشرى في الدنيا والآخرة.
- لا تكن ممن يقرؤون القرآن ولا يطبقونه. كن من "الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون".

القسم الثاني

. في رحلتنا مع آيات القسم الاول، كنا نتأمل الآيات الأولى: {طس} الهمسة الإلهية التي أيقظتك، ثم {تلك آيات القرآن وكتاب مبين} التي عظمت في قلبك هذا الكتاب، ثم {هدى وبشرى للمؤمنين} التي أخبرتك عن غايته، ثم {الذين يقيمون الصلاة...} التي صورت لك المؤمنين الذين قبلوا الهدى فاستنارت قلوبهم.

والآن... تأهب.

لأن الآيات القادمة ستقلب الطاولة. ستريك الصورة المعكوسة. ستريك من أعرض عن هذا الكتاب،

فكان مصيره الظلام ثم الخسران المبين.

تعال... لنقف معاً على حافة هذه الصورة، وننظر إليها بعين قلبك قبل عين رأسك.

المقدمة: لماذا هذا الانتقال المفاجئ؟

تخيل أنك في قاعة مزدحمة. شخص يوزع هدايا ثمينة، وضوء ساطع يملأ المكان. ثم فجأة، ينطفئ النور في زاوية، وتسمع صرير أسنان، وترى وجوهاً عبوسة. هذا ما تفعله هذه الآيات. الآيات الثلاث الأولى كانت عن النور: {طس}، {كتاب مبین}، {هدى وبشرى}، {يقيمون الصلاة...}. والآن، الآيتان الرابعة والخامسة تأتيان لتريككم من أطفأ نور قلبه بنفسه.

لماذا؟ لكي تختبر نفسك. لكي ترى الفرق بين الفريقين. وكأن الله يقول لك: "هذا طريق المؤمنين، وهذا طريق الكافرين. فاختر أيهما تسلك."

دعنا نبدأ رحلتنا في هاتين الآيتين، وكأنني أهماس بهما في أذنك، وكأن الله يخاطبك بهما مباشرة.

الآية الرابعة: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ} **أولاً:** {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ}... من هم؟

أنت تعرف شعور الإنسان الذي يصدق أن هناك يوم حساب، وبعثاً، وجنة ونارا. هذا هو المؤمن بالأخرة. وهناك من ينكر ذلك. لا يصدق أن هناك حياة بعد الموت. يظن أن الدنيا هي البداية والنهاية، وأن الموت هو نهاية كل شيء.

هؤلاء هم الذين نتحدث عنهم الآية. لاحظ قوله {لَا يُؤْمِنُونَ}: ليسوا فقط غير مصدقين، بل هم في حالة إنكار وجحود. لقد أتتهم الأدلة والبراهين، لكنهم رفضوا. أتتهم الرسل، لكنهم كذبوهم.

اللمسة البلاغية: بدأ الآية بـ {إن} التي تفيد التوكيد، ثم {الذين} للتعريف بصفاتهم، ثم {لا يؤمنون} بـ الفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار. أي أنهم مستمرين في عدم الإيمان، كل يوم يجددون كفرهم وإنكارهم.

ثانياً: {زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ}... هذا هو الخطر العظيم

توقف هنا. تأمل هذه الكلمة: {زَيَّنَّا}.

ماذا تعني؟ تعني أن الله جعل أعمالهم تبدو في أعينهم جميلة، حسنة، مرضية، حتى ولو كانت قبيحة في حقيقتها.

الزينة هي ما يزين الشيء ويجمله. فالله يقول: نحن زيننا لهم أعمالهم. أي جعلنا سيئاتهم تبدو لهم حسناً. جعلنا كفرهم يبدو لهم إيماناً. جعلنا ظلمهم يبدو لهم عدلاً. جعلنا فسادهم يبدو لهم صلاحاً. ****كيف يتم ذلك؟**

إنها سنة الله في الابتلاء. عندما يعرض الإنسان عن الحق، يختم الله على قلبه، فلا يرى الحق حقاً، ولا الباطل باطلاً. بل يرى الباطل حقاً. قال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}. هذا هو الجزاء من جنس العمل. هم لم يريدوا أن يؤمنوا، فمنعهم الله من الإيمان.

****المشهد في خيالك:**

تخيل شخصاً يشرب سماً، وهو يظنه شراباً حلواً. ينتسم وهو يشرب. يشعر بلذة في أول جرعة. ثم يبدأ السم في قتله من الداخل. هذا هو حال من زين الله له عمله السيئ. يظن أنه على صواب، وهو في قرارة نفسه على خطأ. يظن أنه يسعد، وهو يشقى نفسه.

اللمسة البيانية: "زيننا" بصيغة المتكلم الجمع (نحن) للتعظيم.

الله العظيم، القادر، الحكيم، هو الذي يزين لهم أعمالهم. ليس لأن الله يحب لهم الضلال، بل لأنهم استحقوا ذلك بعد أن كفروا بالآخرة واستكبروا عن آياته. إنه عدل منه وعقاب.

ثالثاً: {فَهُمْ يَعْمَهُونَ}... التيه الذي لا نهاية له

"يعمهُون" من "العَمَه"، وهو التردد والحيرة والضياع في الظلام. كأنهم يسيرون في صحراء مظلمة، لا يبصرون طريقاً، يتحيرون يمناً ويسرة، كلما تقدموا ازدادوا ضلالاً.

الصورة في ذهنك:

تخيل رجلاً في غرفة مظلمة تماماً، لا نافذة فيها ولا باب، وهو يبحث عن مخرج. يدور ويدور، يصطدم بالجدران، يجرح جبهته، لكنه لا يجد طريقاً. هذا هو "يعمهُون". حائرون، تائهون، لا يهتدون إلى الحق.

الفرق بين "يعمهُون" و"يتيهون": "التيه" قد يكون في مكان معين، أما "العَمَه" فهو في البصيرة والقلب.

إنه تيه روحي وفكري. إنهم يعمهون في ضلالهم، لا يعرفون أين يتجهون.
اللمسة البلاغية والتجويدية:

. كلمة {يَعْمَهُونَ} فيها حرف العين، وهو من حروف الحلق، يعطي إحساساً بالغليان والاضطراب. هم في حالة من الاضطراب النفسي والفكري.
. المد في "يعمهون" يعطي إحساساً بطول التيه واستمراره.

****خلاصة الآية الرابعة في مشهد واحد:**

أنت تقف على تل عال، تنظر إلى أسفل. ترى مجموعة من الناس يسيرون في وادٍ مظلم، وقد وضعوا عصابات على أعينهم. وهم يظنون أنهم يسيرون في طريق مشرق نحو الجنة، لكنهم في الحقيقة يسيرون نحو الهاوية. وكلما تقدم أحدهم، ضحك وظن أنه يقترب من النجاة، وهو في الحقيقة يقترب من الهلاك. هذا هو حال من لا يؤمن بالآخرة. زين الله له عمله، فهو يمشي في الظلام بكل ثقة، وهو في حيرة وضياع.

والسؤال الذي تهمس به في نفسك: هل أنا علي يقين من طريقي؟ هل أعمالي مزينة في عيني بينما هي عند الله قبيحة؟ أم أسيء دائماً أن يريني الحق حقاً ويرزقني أتباعه، والباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه؟

الآية الخامسة: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ}
اولاً: {أُولَئِكَ}... اسم إشارة للبعيد

تذكر عندما قلنا في {تلك} أنها للتعظيم. هنا {أولئك} للإشارة إلى البعد أيضاً، لكنه بعد التحقير والإبعاد. كأن الله يقول: "هؤلاء الذين زينا لهم أعمالهم وهم يعمهون، أولئك -أي أولئك الأبعد عن رحمتي- لهم سوء العذاب". إنه تحقير لهم، وإبعاد لهم عن كرامة الله.

اللمسة البلاغية: "أولئك" تعيد الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالآخرة، وتفيد الحصر. أي هم وحدهم الذين لهم سوء العذاب، وهم وحدهم الآخسون.
ثانياً: {الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ}... العذاب السيئ

"سوء العذاب" يعني: أسوأ أنواع العذاب، وأشدّه، وأقبحه. ليس عذاباً عادياً، بل هو عذاب مؤلم، مهين، فظيع. قال بعض المفسرين: هو العذاب الدائم المستمر، أو العذاب الذي يخزيهم ويفضحهم أمام الخلائق.

الصورة في خيالك:

تخيل شخصاً وقع في حفرة من نار، وكلما حاول الخروج، زادت النار اشتعالاً. وتخيل أن هناك عقارب وحيات تلتف حوله، وأغلال من حديد في يديه ورجليه. وتخيل أن وجهه يسود، وجلده يحترق، ويتجدد كلما احترق. هذا هو "سوء العذاب". عذاب لا يوصف، ولا يمكن لأي إنسان أن يتصوره.

ثالثاً: {وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ}... الخسران المبين
تأمل: "في الآخرة همُ الآخِسُونَ". لم يقل "هم خاسرون" بل "الآخِسُونَ" بصيغة أفعل التفضيل. يعني أنهم أكثر الناس خسراناً، لا يخسر أحد مثل خسرانهم.
****ما هو خسرانهم؟**

- . خسروا أنفسهم: باعوا أنفسهم للشيطان، وأهلكوها بالنار الأبدية.
- . خسروا أموالهم: أنفقوها في المعاصي، وتركوها لأعدائهم.
- . خسروا أولادهم: لم ينتفعوا بهم في الدنيا ولا في الآخرة.
- . خسروا أعمالهم: كانت أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبها الظمآن ماء.
- . خسروا الجنة: ضيعوا الفرصة العظيمة لدخول الجنة.
- . خسروا رضا الله: وهو أعظم خسارة.

****لماذا كرر "هم"؟**

قال {وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ}، كرر "هم" للحصر والتوكيد. أي هم وحدهم الآخسون، لا يشاركونهم في هذا الخسران أحد. حتى الكفار السابقون، لكل منهم درجة من الخسران، لكن هؤلاء هم الآخسون لأنهم كفروا بالآخرة بعد أن جاءتهم الآيات البينات.
****اللمسة البلاغية والتجويدية:**

. كلمة {الْآخِسُونَ} فيها حرف الخاء (مفخم (والسين) مهموس)، والراء مكررة، تعطي إحساساً بالخشونة والمرارة. الخسران مرير.

. الوقف على "الآخسون" يعطي إحساساً بالنهاية المحتومة. لا مفر لهم من هذا الخسران.

****خلاصة الآية الخامسة في مشهد واحد:**

تخيل أن هناك سوقاً كبيراً، كل الناس يتاجرون. بعضهم يربح، وبعضهم يخسر قليلاً، لكن هناك شخصاً واحداً خسر كل شيء. خسر ماله، بيته، أولاده، صحته، وعقله، بل خسر نفسه. ثم علم أن لو اتبع الطريق الآخر، لكان ربح الجنة كلها. هذا هو الأخسرون. هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، في الدنيا يظنون أنهم رابحون، لأنهم جمعوا أموالاً، وشبعوا شهواتهم. لكن يوم القيامة، تنكشف الحقيقة. يرون أنفسهم في أسفل السافلين، ويرون المؤمنين في أعلى عليين. هناك يدركون أنهم الخاسرون حقاً.

رابعاً

الآن... ما هي المواضيع والمفاهيم الرئيسية من هاتين الآيتين؟

المفهوم الأول: الإيمان بالآخرة هو الفارق الأكبر بين الناس كل شيء يتوقف على هذا الإيمان. من آمن بالآخرة، عمل صالحاً، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، واجتنب المحرمات. ومن لم يؤمن بها، زين الله له عمله السيئ، فبقي في تيهه حتى يلقي سوء العذاب.

المفهوم الثاني: الزينة قد تكون نقمة ليس كل ما يزين لك تحبه. قد تكون شهوة محرمة مزينة لك، وقد تكون بدعة مزينة لك، وقد يكون كفر مزين لك. أحب الأعمال إلى الإنسان هي التي يجد فيها لذته، ولكن اللذة الحقيقية هي ما يوصل إلى رضا الله، وليس ما يوصل إلى نار جهنم.

المفهوم الثالث: الحيرة والضياغ نتيجة طبيعية للإنكار من أنكر الآخرة، حار في دنياه. لأنه لا يعرف لماذا يعيش؟ ما هدفه؟ أين مصيره؟ فيتخبط بين شهواته، ويظن أنه سعيد، وهو في أعماقه تعيس.

المفهوم الرابع: الخسران ليس مادياً فقط الخسران الحقيقي هو خسران النفس والجنة ورضا الله. يمكن أن تجمع الدنيا كلها، ولكن إذا خسرت آخرتك، فأنت الأخسرون.

خامساً

- ما هي القيم التي تغرسها هاتان الآيتان؟
1. قيمة الإيمان بالغيب: أن تؤمن بما لا تراه من بعث وجنة ونار، فهذا هو جوهر الإيمان.
 2. قيمة الحذر من تزيين الشيطان: أن تعلم أن الشيطان يزين لك المعاصي، فتحذر من نفسك وتستعيز بالله.
 3. قيمة التقويم الذاتي: أن تراجع أعمالك دائماً، هل هي حقاً صالحة أم أنها مزينة لك؟
 4. قيمة العاقبة: أن تفكر دائماً في عاقبة أمرك، لا في لذته العاجلة.
 5. قيمة التواضع: ألا تتعق برأيك ونفسك كثيراً، بل تسأل الله الثبات على الحق.

سادساً

كيف تطبق هاتين الآيتين في واقعك العملي؟

- في علاقتك مع نفسك:
- . كل ليلة قبل النوم: راجع يومك. هل هناك عمل كنت تظنه حسناً، ولكن قد يكون عند الله سيئاً؟ استغفر منه.
 - . اسأل الله دائماً: "اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه." هذا الدفع هو الذي حمى الصحابة من الفتن.
 - . لا تعجب بعملك: إذا أعجبت بطاعتك، تذكر أن الله هو الذي وفقك. وإذا أعجبت بذنبك، تذكر أن الله هو الذي ستخاف عقابه.

- في علاقتك مع الآخرين:
- . لا تحكم على الناس بطواهرهم: قد ترى شخصاً يعمل معصية، وهو يظن أنها طاعة. لا تستهزئ به، بل ادع الله أن يهديه.
 - . انصح من ترى أنه على ضلال: بلطف وحكمة، ذكره بالآخرة. قد يكون تائباً غداً.

- في مواجهة الشهوات والشبهات:
- . عندما ترى ذنباً وتشتهيه: تذكر قوله { زَيَّنَا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ }. (قد يكون هذا التزيين من الشيطان. فاستعد بالله).
 - . عندما تأتيك شبهة: اسأل أهل العلم، ولا تتبع هواك. لأن الشبهة قد تكون مزينة لك من قبل الشيطان.

- في التخطيط لحياتك:
- اجعل الآخرة هي همك الأكبر: لا تخطط لمستقبلك الدنيوي فقط، بل خطط لآخرتك. كم ستحفظ من القرآن؟ كم ستصدق؟ كم ستصلي من قيام ليل؟
- لا تغتر بالمال والبنين: زينة الدنيا قد تكون فتنة لك. تذكر أن الأخسرون هم من خسروا الآخرة.

سابعاً

دور هاتين الآيتين في بناء الشخصية المسلمة والمجتمع

بناء الشخصية المسلمة:

- تجعلك يقظاً: لا تغتر بنفسك أبداً. تظل في حالة مراقبة ذاتية.
- تجعلك متواضعاً: لا تحتقر أحداً، لأنك لا تدري ما في قلبه.
- تجعلك بصيراً: ترى العواقب، لا تفرك اللذة العاجلة.
- تجعلك أملاً: لأن المؤمن بالآخرة يرجو رحمة الله، مهما أذنب.

بناء المجتمع:

- مجتمع واع: لا يندفع بالمظاهر، بل يبحث عن الحقائق.
- مجتمع متسامح: لا يحاكم الناس بظواهرهم، بل يدعوهم بالحكمة.
- مجتمع منضبط: لأنه يخاف يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
- مجتمع متكافل: لأن المؤمن بالآخرة يدرك أن المال فانية، فيبذله في الخير.

ثامناً

ما الذي تدعوك إليه هاتان الآيتان الآن، في هذه اللحظة؟
أيها الحبيب الذي تتدبر هذه الآيات،

اسأل نفسك بكل صدق:

هل أنت مؤمن بالآخرة حقاً؟ لا يكفي أن تقول "نعم". هل تظهر آثار هذا الإيمان على حياتك؟ هل تخاف من عذاب القبر؟ هل ترجو الجنة؟ هل تذكر الموت كل يوم؟

هل هناك أعمال في حياتك تظنها حسنة، وقد تكون سيئة؟ ربما أنت مقصر في صلاتك وتظن أنك مشغول، أو تأكل الربا وتظنه تجارة، أو تغتاب وتظنها فضفضة. توقف. فكر. اسأل الله الهداية.

هل أنت في حيرة وضياح في بعض أمور حياتك؟ ربما لأنك لا تفكر في الآخرة عند اتخاذ قراراتك.

هل أنت مستعد لأن تكون من "الأخسرين"؟ تخيل نفسك يوم القيامة، وأنت ترى المؤمنين يدخلون الجنة، وأنت تدفع إلى النار. كيف سيكون شعورك؟ هذه الآية تذكرك قبل فوات الأوان.

فما العمل؟

- تب إلى الله الآن من كل ذنب تظنه صغيراً أو كبيراً.
- جدد إيمانك بالآخرة كل يوم بقراءة آياتها والتفكير فيها.
- اسأل الله الثبات حتى الممات.
- اعمل صالحاً لعلك تكون من الفائزين، لا من الخاسرين.
- تذكر: الدنيا قصيرة، والآخرة هي دار القرار. لا تكن ممن زين لهم عملهم السيئ، فإذا بهم يوم القيامة يندمون حيث لا ينفع الندم.

المبحث الثاني

سناخذك في رحله نبحت فيها عن أسرار الخطاب الإلهي. (وانك - لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) نحن الآن على أعتاب آية مختلفة تماماً. الآيات السابقة كانت تتحدث عن المحتوى (القرآن هدى وبشرى)، وعن المتلقين (المؤمنين والكافرين). أما هذه الآية، فتتحدث عن المصدر ذاته. تخيل أنك تستمع إلى خطاب مهم. في البداية تحدث المذيع عن أهمية الخطاب. ثم تحدث عن الجمهور الذي سيستمع. ثم فجأة... يلتفت إليك ويقول: "أتعلم من يرسل لك هذا الكلام؟ إنه الملك نفسه، الحكيم العليم."

هذا هو ما تفعله الآية السادسة. إنها توقفك عند عتبة المصدر، لتجعل قلبك يخفق بخشوع قبل أن تسمع ما سيأتي بعدها من قصص وعبر.

تعال... دعني آخذ بيدك إلى هذه الآية.

المقدمة: لماذا هذا الانتقال من الحديث عن الخاسرين إلى خطاب النبي ﷺ؟

في الآية الخامسة، رأيت مصير من لا يؤمن بالآخرة: سوء العذاب والخسران المبين. ربما تساءلت:

"لماذا يصر هؤلاء على الكفر؟ لماذا لا يؤمنون؟"

ثم تأتي الآية السادسة لترد على تساؤلك الخفي: لأنهم لم يتلقوا القرآن كما ينبغي. لم يشعروا أن هذا الكلام يصدر عن حكيم عليم. ولهذا، يأمر الله نبيه ﷺ وأنت معه- أن تستشعر هذا المصدر العظيم.

الآية السابقة كانت عن الغافلين الذين زين لهم سوء أعمالهم. وهذه الآية عن الواعين الذين يتلقون القرآن من لدن حكيم عليم، فتشرح صدورهم، وتهدى قلوبهم، وتصنع منهم بشراً صالحين.

إنه انتقال من وصف الداء (خسارة الغافلين) إلى وصف الدواء (تلقى القرآن من الحكيم العليم).

الآية السادسة: {وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ}

اولاً : {وَإِنَّكَ}... التفات إلهي يوظفك من غفلتك

تأمل في هذه الالتفاتة العجيبة. الله كان يتحدث بضمير الغائب عن "الذين لا يؤمنون بالآخرة". ثم فجأة، يلتفت إليك أنت أيها النبي، ويقول: "وَإِنَّكَ". كأنما يخرجك من الصف ويضع يده على كتفك.

**هذا الالتفات يفيد شيئين:

1. التشريف والتكريم: أنت لست كسائر الناس. أنت الذي يتلقى هذا القرآن مباشرة.
2. التنبيه على شرف التلقي: ليس كل من يسمع القرآن يتلقاه. بل التلقي له شروط وآداب.

**ماذا تشعر وأنت تقرأ "وَإِنَّكَ"؟

تشعر أن الله يناديك أنت أيضاً. لأن خطاب النبي ﷺ خطاب لأمته ما لم يرد دليل على الخصوصية. فالقرآن الذي تتلوه اليوم، هو نفس القرآن الذي تلقاه النبي ﷺ. فأنت -أيها القارئ- أيضاً مدعو لأن تتلقى هذا القرآن من لدن حكيم عليم، ليس بوساطة بشرية فقط، بل بقلبك وعقلك.

ثانياً: {تلقى القرآن}... التلقي ليس مجرد قراءة

1/ **ما الفرق بين "تقرأ" و"تلقى"؟

"تقرأ" تعني أن تنظر في المصحف وتلفظ الحروف. أما "تلقى" فتعني أن تستقبله من مصدره الأول بقلبك وروحك، كأنه يُلقى إليك إلقاءً. وكان النبي ﷺ ليس قارئاً فقط، بل مستقبل لوحي من السماء.

2/ اللمسة البلاغية: الفعل "تلقى" مبني للمجهول (تلقى)؟

لم يقل "إنك تتلقى"، بل قال "تلقى" بصيغة المبني للمجهول. وهذا يدل على أن المصدر هو الله وحده. أي أن الله هو الذي يلقي القرآن على قلبك إلقاءً. ليس النبي هو الفاعل، بل الله هو الفاعل. وهذا من أعظم درجات التكريم، وأعظم درجات التواضع للنبي ﷺ: أنت تتلقى ولا تبندئ.

3/ تطبيق على حياتك:

عندما تمسك المصحف، لا تقل: "سأقرأ القرآن". بل قل في قلبك: "سأتلقى هذا القرآن من ربي". اشعر أن الله هو الذي يلقيه إليك الآن، في هذه اللحظة. هذا الشعور سيغير علاقتك مع الكتاب العزيز.

ثالثاً : {من لدن}... من عنده مباشرة، لا واسطة

"من لدن" تعني: من عنده، من عنده هو، مباشرة بلا واسطة. هذه اللفظة تفيد القرب والحضور الخاص. كأن الله يقول: هذا القرآن ليس من عند جبريل فقط، بل من عندي أنا. جبريل وسيط، لكن المصدر أنا.

2/ الصورة في خيالك:

تخيل أنك تريد أن تسمع كلاماً من ملك عظيم. لو أخبرك به وزيره، لكان له وقع. لكن لو أتاك الملك بنفسه وهمس في أذنك، لكبر وقعه. هكذا "من لدن". الله بنفسه -بمعنى قدرته وكلامه- هو الذي يلقي هذا القرآن. إنه قريب منك، يسمع تلاوتك، ويرى خشوعك.

رابعاً : {حكيم عليم}... لماذا قدم الحكيم على العليم؟

*1 هذا من أدق اللمسات البيانية في الآية.

. الحكيم: هو الذي يضع كل شيء في موضعه. يضع الأمر في مكانه، والنهي في مكانه، والترغيب في مكانه، والترهيب في مكانه. حكمته تقتضي أن هذا القرآن يصلح لكل زمان ومكان.

. العليم: هو الذي يعلم كل شيء. يعلم ما في قلوب عباده، وما يصلح لهم، وما يفسدهم.

2/ لماذا قدم الحكيم على العليم؟

لأن الحكمة هي غاية العلم. ليس كل عالم حكيمًا، لكن كل حكيم لا بد أن يكون عالمًا. فالعلم قد يكون بلا حكمة (مثل من يعلم السم لكنه يضعه في غير موضعه). أما الحكيم، فهو الذي يوظف علمه

في وضع الأشياء مواضعها.

الرسالة لك:

هذا القرآن صادر من حكيم عليم. فهو حكيم في تشريعاته، عليم بحالك أنت شخصياً. تعال إلى القرآن تجد فيه دواء لدائك، وحلاً لمشكلتك، وإجابة لسؤالك. لأنه صادر من من يعلم ما في نفسك، ومن يحكم بوضعه في القلب.

الموضوع الأول 1

والآن: ما الذي توجهه علينا هذه الآية؟ (شروط التلقي وآدابه) بعد أن عرفت أن القرآن يتلقى من لدن حكيم عليم، يجب أن تتعامل معه كضيف عزيز. هناك شروط للتلقي، وشروط للاستقبال، وشروط للسمع.

أولاً: شروط التلقي (قبل أن تقرأ):

1. الإخلاص: لا تقرأ القرآن رياءً أو سمعة. تلقه ليهديك، لا ليقول الناس عنك قارئ.
2. الطهارة المعنوية: لا تأت القرآن وقلبك مليء بالحقد أو الكبر أو الحسد. تظهر قبل أن تتلقى كلام الحكيم العليم.
3. الاستعداد للتغيير: لا تقرأ القرآن وأنت عازم على البقاء على معصيتك. تلقه بنية أن تطيعه.

ثانياً: شروط الاستقبال (أثناء القراءة):

1. الخشوع: استشعر أنك بين يدي الحكيم العليم. ارتجف فرحاً وخوفاً.
2. التدبير: لا تمر الآيات مروراً سريعاً. قف عند كل آية، واسألها: "ماذا تريد مني؟"
3. التفاعل: إذا مررت بآية رحمة، فاسأل الله من فضله. وإذا مررت بآية عذاب، فاستعذ بالله. هكذا كان النبي ﷺ.

ثالثاً: شروط السمع (عند الاستماع للقرآن):

1. الإنصات: قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا}. لا تتحدث أثناء التلاوة.
2. حضور القلب: لا تكن أذنك حاضراً وقلبك ساهياً.
3. التأثر: حاول أن تبكي، أو أن تبكي نفسك. فإذا لم تبك، فتباك.

الموضوع 2

- 1/ ما علاقة طالب العلم بهذه الآية؟
- 2/ طالب العلم الشرعي، أو حتى طالب أي علم نافع، يجب أن يكون متأدباً بهذه الآية.
- 2/ كيف يكون متأدباً؟

1. يتلقى العلم من مصادره الموثوقة: كما تلقى النبي القرآن من لدن حكيم عليم، لا من الكهان و العرافين. فطالب العلم يتلقى العلم عن الثقات، لا عن كل ناعق.
 2. يستشعر أنه يتلقى من الله: كل علم نافع هو من الله. فلا يتكبر على من هو دونه، ولا يحسد من هو فوقه.
 3. يوقر معلمه: لأنه وسيلة من وسائل الله في إيصال العلم إليه. لكن لا يغلو فيه، فالموصول هو الله.
 4. يتأدب بآداب طلب العلم: من الطهارة، والإنصات، وحسن الاستماع، وعدم مقاطعة الشيخ، والعمل بالعلم.
- الخلاصة: هذه الآية تؤسس لمنهجية التلقي في الإسلام: العلم يتلقى بتواضع، وخشوع، وإخلاص، لا بتكبر وعنجهية.

الموضوع 3

1/ كيف تشعر أنك بحضرة الحكيم العليم سبحانه؟

تخيل هذا المشهد:

أنت جالس في غرفة هادئة. أمامك مصحف مفتوح. لا ترى أحداً. لكنك تشعر بحضرة جليلة. كأن هناك من ينظر إليك، يسمع دقات قلبك. تعلم أن الذي تسمع كلامه هو من خلق السماوات والأرض، من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

هذا الشعور هو الإحسان الذي قال عنه النبي ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

2/ أثر هذا الشعور على سلوكك:

· ستعظم القرآن: لا تضع قدميك على المصحف، ولا تضعه في مكان وضيع.

- ستتدبره: ستسأل كل آية: "يا رب، ماذا تريد مني بهذه الآية؟"
- ستحب العلماء: لأنهم ورثة الأنبياء، وهم الذين يعرفون أسرار كلام الحكيم العليم.
- ستشكر الله على العلم: ستكثر من قول: "الحمد لله الذي علمني ما لم أكن أعلم".

الموضوع 4

كيف نستفيد من هذا في حياتنا اليوم؟
أولاً: لإخراج الأمة من تخلفها:

لن تخرج الأمة من تخلفها إلا بإعادة القرآن إلى مكانته. ليس مكانته على الرفوف، بل مكانته في القلوب والسلوك. عندما يعود المسلمون إلى تلقي القرآن من لدن حكيم عليم، بكل آدابه، سيعودون قادة للعالم.

ثانياً: في عملنا ودراستنا:

- في العمل: تعامل مع مشاريعك كأنها قرآن. أي اتقنها، وضع كل شيء في موضعه (حكيم)، واطلب العلم الكافي لإنجازها (عليم).
- في الدراسة: لا تدرس لتنجح فقط، بل لتكون حكيماً عالماً. فالحكيم من يضع العلم في موضعه، و العليم من يسعى لمعرفة الحقائق.

ثالثاً: في علاقاتنا:

- استمع للآخرين بإنصات: كما تنصت للقرآن. فربما يكون في كلامهم حكمة.
- تأدب مع من يعلمك: كما تتأدب مع الحكيم العليم.

الموضوع 4

هذه الآية تؤسس لمفهوم: "القرآن يخرج إنساناً صالحاً"

كيف؟

- من تلقى القرآن من لدن حكيم عليم، صار حكيماً عليماً. أي صار يضع الأمور في مواضعها، ويسعى للعلم النافع.
- كلما اقتربت من القرآن، زدت حكمة وعلماً. لأنك تتصل بمصدر الحكمة والعلم.
- القرآن يدفعك للتعلم في مختلفات الحياة. فهو الذي يأمرك بالنظر في خلق السماوات والأرض، وبالتفكير في قصص الأولين، وبالاجتهاد في طلب الرزق الحلال.

مثال حي: الصحابة الكرام. كانوا أمة أمية، فلما تلقوا القرآن من لدن حكيم عليم، أصبحوا قادة في العلم والحكمة. سلمان الفارسي يبحث عن الحقيقة في بلاد فارس، ويجدها في القرآن. ابن عباس يصبح ترجمان القرآن وعالم الأمة.

الموضوع 6

ما علاقة هذه الآية بقصة سليمان عليه السلام التي ستأتي؟

السورة بعد هذه الآية ستحكي قصة سليمان مع النمل والهدد وبلقيس. وستلاحظ أن سليمان عليه السلام كان يمتاز بصفة الحكمة والعلم:

- حكمة: في إدارة مملكته، وفي دعوة بلقيس إلى الله والتي هي أحسن.
- علم: في فهم لغة النمل، وفي علمه بأسرار الملك.

هذه الآية {من لدن حكيم عليم} هي تمهيد لهذه القصة. كأن الله يقول: "يا محمد، أنت تتلقى القرآن من حكيم عليم. واسمع الآن قصة عبد صالح (سليمان) الذي آتاه الله الحكمة والعلم أيضاً. فاستفد من قصته".

الموضوع 7

الربط مع الآيات السابقة:

- الآية الخامسة: الكافرون لا يؤمنون بالآخرة، فهم خاسرون.
- الآية السادسة: المؤمنون يتلقون القرآن من لدن حكيم عليم، فهم فائزون بالحكمة والعلم.
- ما بعدها: قصص الأنبياء (سليمان، صالح، لوط، شعيب) لتثبيت هذه الحقيقة.

الموضوع الثامن 8

والآن... ما هي المواضيع والمفاهيم الرئيسية من هذه الآية؟

المفهوم الأول: شرف التلقي القرآني

القرآن ليس كلاماً عادياً. هو كلام يُتلقى من رب العالمين مباشرة (من لدنه). لذلك، على المسلم أن يتعامل معه بكل إجلال وتقدير.

المفهوم الثاني: صفة الحكيم والعليم
هاتان الصفتان أساسيتان لفهم القرآن. الحكيم يضع الأمور مواضعها، والعليم يعلم بواطن الأمور. ومن تخلق بهما، فقد تخلق بأخلاق القرآن.

المفهوم الثالث: آداب التلقي والاستماع
الآية تؤسس لثقافة السماع المحترم. لا يليق بمن يتلقى كلام الملك أن يتحدث أو يلهو أو ينشغل.

المفهوم الرابع: بناء الإنسان الصالح
القرآن يبني إنساناً صالحاً إذا تلقاه من مصدره الصحيح، بأدابه الصحيحة، وعمل به.

المفهوم الخامس: العلم والحكمة أساس القيادة
القرآن يقود إلى العلم والحكمة، ومن يمتلكهما يقود الأمم. هذا ما رأيناه في سليمان.

الموضوع 9

القيم التي تفرسها هذه الآية:

1. قيمة تعظيم المصدر: أن تعظم القرآن لأنه من لدن حكيم عليم.
2. قيمة الأدب مع النص: ألا تتعامل مع القرآن ككتاب عادي.
3. قيمة الإنصات: أن تنصت لمن يتكلم، وخاصة إذا كان المتكلم هو الله.
4. قيمة الحكمة: أن تسعى لوضع كل شيء في موضعه.
5. قيمة العلم: أن تسعى للعلم النافع، وتشكر الله عليه.
6. قيمة التواضع: من تلقى العلم عن الحكيم العليم لا يتكبر، بل يزداد تواضعاً.

الموضوع 10

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي؟
في صلاتك وتلاوتك:

- قبل أن تبدأ: توضاً، واستقبل القبلة، وقل بقلبك: "سألتقى القرآن من لدن حكيم عليم".
- أثناء القراءة: تخيل أن الله يلقي إليك هذه الآيات الآن. استشعر هيئته. لا تتعجل.
- بعد القراءة: اشكر الله أن جعلك من أمة تتلقى كلامه. وقل: "رب زدني علماً وحكمة".

في دراستك:

- عند دخول الفصل: استشعر أنك تتلقى العلم من معلمك، والمعلم وسيلة من الله. فلا تتكبر، ولا تتشاءب، ولا تنشغل.
- عند المذاكرة: لا تحفظ فقط، بل حاول أن تفهم الحكمة من كل معلومة. أين توضع؟ كيف تستخدم؟
- عند النجاح: احمد الله، وتذكر أنه هو العليم الحكيم الذي علمك.

في عملك:

- إذا كنت مديراً: كن حكيماً في توزيع المهام، عالماً بأحوال موظفيك. ضع كل شخص في موضعه.
- إذا كنت موظفاً: تلقّ تعليمات مديرك بإنصات وأدب، كما تتلقى القرآن. نافذ ولا تعاند.

في حياتك الأسرية:

- عندما تحدث زوجتك أو أولادك: كن حكيماً في اختيار ألفاظك، عالماً بظروفهم. لا تتكلم وأنت غاضب.
- عندما يستمعون إليك: لا تثرثر. اجعل كلامك ذا قيمة، كما أن كلام الله ذو قيمة.

في تربيتك لنفسك:

- مراقبة ذاتية: اسأل نفسك كل يوم: "هل وضعت اليوم أموري في مواضعها؟ (حكيم) وهل تعلمت شيئاً جديداً نافعاً؟ (عليم)"
- شكر النعمة: أكثر من قول: "الحمد لله الذي علمني القرآن وجعلني من أمة محمد ﷺ".

الموضوع 11

دور هذه الآية في بناء الإنسان والمجتمع

بناء الإنسان (الشخصية المسلمة):

- عقلياً: يدرك أن القرآن مصدر كل علم وحكمة. فيسعى للتعلم طوال حياته.
- نفسياً: يشعر بالأمان لأنه يتصل بمصدر الحكمة المطلقة. لا يخاف من الفتن، لأنه معه كلام الحكيم العليم.
- سلوكياً: يضع الأمور في مواضعها. يعرف متى يغضب ومتى يصبر، ومتى يعطي ومتى يمنع.
- روحياً: قلبه معلق بالله. كلما قرأ القرآن، شعر أنه في حضرته.

بناء المجتمع:

- مجتمع متعلم: أفراده يطلبون العلم النافع، ويحترمون العلماء.
- مجتمع حكيم: قاداته يضعون السياسات بحكمة، لا بجهل ولا هواية.
- مجتمع متأدب: الناس فيه يستمعون لبعضهم باحترام، ويتلقون التعليمات بإنصات.
- مجتمع قوي: لأنه يطبق القرآن، والقرآن من لدن حكيم عليم. فقوانينه عادلة، وعلومه نافعة.

الموضوع 12

ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن، في هذه اللحظة؟

أيها الحبيب الذي تتدبر القرآن،

هذه الآية تناديك: "تلق القرآن من لدن حكيم عليم". لا تكن ممن يقرؤه بلا حضور قلب. لا تكن ممن يسمعه بلا إنصات.

اسأل نفسك:

- هل تشعر وأنت تقرأ "قل هو الله أحد" أن الله يلقيه إليك؟ أم أنك تقرؤها كعادتك؟
- هل تأديت مع القرآن فتوحات واستقبلت القبلة وترتيله؟
- هل تدبر آياته فتتقف عند كل آية وتسالها: "ماذا تريد مني؟"
- هل تشكر الله على نعمة القرآن كل يوم؟
- هل طلبت العلم النافع الذي يقودك إلى الحكمة؟

إذا كانت الإجابة "لا"، فما الذي يمنعك؟

القرآن بين يديك. الحكيم العليم يخاطبك. قلوب المؤمنين تتلقى هذا الكلام فتهتدي. لماذا تبقى أنت بلا تغيير؟

عاهد الله اليوم على أمرين:

1. أن تتلو القرآن بخشوع وحضور، كأنك تتلقاه من لدنه.
2. أن تطلب العلم النافع لتصبح حكيماً عالماً، تنفع به نفسك وأمتك.

تذكر: من تلقى القرآن من لدن حكيم عليم، صار حكيماً عليماً. ومن أعرض عنه، بقي في الظلام والجهالة.

المقطع الثاني

لقد كنا في الآية السادسة نتأمل لحظة عظيمة: أن النبي ﷺ يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم. وكأن السماء فتحت، وألقي الكتاب على قلبه الشريف. ثم فجأة، ودون مقدمات، ينتقل السياق القرآني إلى مشهد مختلف تماماً: مشهد موسى عليه السلام في ظلمة الليل، وهو يرى ناراً من بعيد.

لماذا هذا الانتقال؟ ولماذا بعد أن أخبرنا الله عن شرف تلقي القرآن، يذهب بنا إلى قصة موسى مع النار؟

تعالم... تأمل معي. الله يريد أن يقول لك: "لقد أخبرتك يا محمد أنك تتلقى القرآن من حكيم عليم. وهذه سنة الله في جميع رسله. فموسى أيضاً، حين ذهب يطلب خبراً أو ناراً لأهله، تلقى مني أعظم خبر وأعظم نور. فأنت لست بدعاً من الرسل."

هذه الآية هي جسر بين المقام المحمدي والمقام الموسوي. إنها تؤسس لقاعدة: كل نبي تلقى الوحي من لدن حكيم عليم، وكل نبي كانت بداية رسالته مفاجئة، تأتيه من حيث لا يحتسب.

والآن، دعنا نقترّب من هذا المشهد الخالد، وكأننا نراه بأعيننا.

الآية السابعة: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سأتيكم مِّنْهَا بَخْبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ مَّسْ لَعَلَّكُمْ

تصطلون﴾. **اولا** : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِهِ﴾... كلمة "إذ" تحملك إلى الزمن القديم

1/ "إذ" هنا تسمى "ظرف للماضي المفاجئ". كأن الزمن يطوى، وأنت تنتقل فجأة إلى تلك الليلة الباردة، في أرض مدين. موسى عليه السلام، الرجل الغريب، الهارب من فرعون، يمشي في الظلام مع أهله. 2/ الصورة في خيالك:

تخيل ليلاً حالكاً، وريحا باردة، وأرضا مجهولة. موسى يمشي، وزوجته ترتجف من البرد. لقد ضل الطريق. لا يرى شيئا. وفجأة... يلمع ضوء من بعيد. قلب موسى يقفز: "نارا أخيرا!" هذه ليست مجرد نار. إنها نقطة تحول التاريخ. فمن هذه النار سينطلق نبي يكلم الله، وتنقسم به البحار، وتضرب به العصا.

ثانيا : ﴿إِنِّي آنستُ نارا﴾... الإحساس قبل الرؤية

1* لاحظ كلمة "آنست". لم يقل "رأيت". "آنست" تفيد الإحساس بالشيء مع الشعور بالأُنس والطمأنينة. فهو لم ير النار بوضوح، بل أحس بها، أبصرها من بعيد، فاستأنس بها في وحشة الليل.

2* اللمسة البيانية: الفعل "آنست" يدل على أن موسى كان يشعر بالوحدة والغربة، فالنار كانت مؤنسا له. ولهذا ستكون النار بعد قليل مؤنسا له بالوحي الإلهي.

3* ماذا تشعر وأنت تقرأ "آنست نارا"؟

تشعر أن الله يرى قلب موسى. يعلم أنه خائف، حزين، ضائع. فيرسل له النار ليس فقط ليدفأ بها، بل ليؤنس بها وحشته. كذلك الله يراك في ظلماتك، ويرسل لك نورا من حيث لا تحتسب.

ثالثا : ﴿سَأَتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبْرٍ﴾... البحث عن العلم قبل الدفاء

1* موسى لم يقل فقط "سأتيكم بنار"، بل قال "بخبر". قدم الخبر على الشهاب. هذا يدل على أن موسى كان يبحث عن علم، عن هداية، عن طريق. كان في أرض مدين، وربما كان يريد أن يسأل عن الطريق، أو يسمع أخبارا تفيده.

2* الدرس لك: المؤمن الحقيقي إذا وجد ضوءا، لا يبحث فقط عن منفعة دنيوية، بل يبحث عن خبر نافع، عن علم يهديه. موسى كان نبيا يبحث عن الهدى، وأنت أيضا عندما ترى نور الحق، ابحث فيه عن هداية لقلبك.

رابعا : ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ مَّسْ﴾... تفاصيل دقيقة تبين اهتمامه بأهله

1* "شهاب" هو ما يضيء من النار. "قبس" هو شعلة مقبوسة، أي مأخوذة من أصل النار. موسى يريد أن يأتي بشعلة متقدة، ليضيئوا بها ويستدفئوا.

2* اللمسة البلاغية: كلمة "شهاب" فيها قوة، وكلمة "قبس" فيها سرعة. إنه يريد نارا قوية، ويأخذها بسرعة. هذا يدل على غيرته على أهله، وحبهم لهم.

3* التطبيق العملي: عندما تهتم بأهلك، وتريد قضاء حوائجهم، لا تكن فاترا. كن كالموسى: ابحث لهم عن خير دنيوي وأخروي. انتهم بخبر، وانتهم بنور.

خامسا : ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾... الغاية النهائية

1* "تصطلون" أي تستدفئون. هذه هي حاجتهم العاجلة: الدفاء. لكن الله سيأتي بما هو أعظم: الوحي. سيحول نار الدنيا إلى نور الآخرة.

2* اللمسة التجويدية: حرف الصاد في "تصطلون" مفخم، يعطي إحساسا بشدة البرد والحاجة إلى النار. ثم المد في الواو يعطي امتدادا للأمل.

اهم ما في الآية من أمور

الأمر الأول

ما الذي يريده الله منا بهذه القصة قبل قصة الوحي؟

هذه الآية هي مقدمة للوحي الذي سيأتي في الآيات التالية. لكنها تحمل في طياتها دروسا عظيمة:

الدرس الأول: البدايات المتواضعة لا تقل أهمية عن النهايات العظيمة

موسى يخرج يطلب نارا لأهله، فيعود نبيا مرسلا. لا تحترق لحظات ضعفك وحاجتك. فقد تكون تلك اللحظة التي يلتقطك الله فيها لاصطفائك.

الدرس الثاني: الاهتمام بالأسرة هو طريق النبوة

موسى لم يخرج متنزها، بل خرج لأجل أهله. من يخدم أهله، يرفعه الله. النبي ﷺ قال: "خيركم

خيركم لأهله".

الدرس الثالث: الجمع بين العبادة والعمل
موسى يبحث عن نار دنيوية (الدفء) وخبر دنيوي (المعرفة). وهذا لا يتعارض مع النبوة. بل النبوة تأتي لمن يعمر الأرض ويهتم بحياة الناس.

الامر الثاني

العلاقة بين هذه الآية والآية السابقة (من لدن حكيم عليم)

الآية السابقة أخبرتك أن النبي ﷺ يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم. وهذه الآية تأتي لتريك نموذجاً عملياً لرسول آخر تلقى الوحي في ظروف صعبة.

*وجه الشبه بين محمد وموسى:

- . كلاهما هاجر من أرض الظلم (محمد من مكة إلى المدينة، وموسى من مصر إلى مدين).
- . كلاهما كان في غربة ووحشة.
- . كلاهما جاءت رسالته رسالة الله فجأة، من حيث لا يحتسب (محمد في غار حراء، وموسى عند النار).
- . كلاهما تلقى كلام الله مباشرة من لده.

*الهدف من الانتقال:

لتثبيت قلب النبي ﷺ، ولإعلامك أنت أيضاً أن سنة الله واحدة في أنبيائه. وأن القرآن الذي بين يديك هو من نفس المصدر الذي كلم موسى منه.

الامر الثالث

ما هي الدلالات والمقاصد والأهداف من هذه الآية؟

**الدلالات:

1. دلالة على بشرية الأنبياء: موسى يعاني من البرد والضياع مثل أي إنسان. وهذا يجعله قريباً منك.
2. دلالة على فضل العلم: قدم الخبر على النار، لأن العلم أهم من المال والدفء.
3. دلالة على الرحمة: الله لم يرسل النار لموسى فقط، بل لأهله أيضاً. هو رحيم بالعباد.

**المقاصد:

1. إثبات نبوة موسى: من خلال إظهار كرامته قبل النبوة.
2. التمهيد لذكر قصة موسى كاملة: لأن السياق سيذكر تكليم الله له وإرساله إلى فرعون.
3. تعليم الأمة آداب طلب الحوائج: أن تطلب العلم والدفء معاً.

**الأهداف:

1. تربية الأمة على الاهتمام بالأسرة: موسى لم يترك أهله في البرد.
2. تربية الأمة على الجمع بين العبادة والمعاش: موسى يبحث عن نار، والله يكلمه.
3. تربية الأمة على التوكل مع الأخذ بالأسباب: موسى سعى، فجاءه الله.

الامر الرابع

ما هي المواضيع والمفاهيم الرئيسية في هذه الآية؟

المفهوم الأول: الاهتمام بالأسرة أساس القيادة
من لا يهتم بأسرته، لا يصلح لقيادة أمة. موسى كان قائداً عظيماً لأنه بدأ بأهله.

المفهوم الثاني: البحث عن النور والدفء

النار ترمز للعلم النافع الذي يدفئ القلب، وللطاقة التي تدفع للحياة. اطلب العلم، واطلب العمل.

المفهوم الثالث: التدرج في الدعوة

موسى لم يبدأ بمعجزة، بل بدأ بحاجة إنسانية. الدعوة تبدأ من حيث الناس يعيشون.

المفهوم الرابع: الله يسمع ويرى

موسى لم يدع الله صراحة، لكن الله رأى حاجته، فأرسل له النار ثم الوحي.

الامر الخامس

القيم التي تغرسها هذه الآية:

1. قيمة المبادرة: موسى لم ينتظر، بل قال "سأتيكم".
2. قيمة خدمة الأهل: خرج من أجلهم.
3. قيمة طلب العلم: قدم الخبر على النار.

4. قيمة التواضع: موسى لم يستنكف أن يطلب ناراً لأهله.

5. قيمة الأمل: حتى في الظلمة، رأى ناراً.

الامر السادس

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي؟

في حياتك الأسرية:

- لا تكن أنانياً؛ اهتم باحتياجات أهلك، ولو كانت صغيرة. ائتهم بالخبر السار، وبما يدفئهم.
- شاركهم أحلامك ومخاوفك: موسى قال لأهله "إني أنست ناراً". كن شفافاً مع عائلتك.

في عملك:

- ابحث عن حلول: موسى وجد النار في الظلام. عندما تواجه مشكلة، لا تيأس، ابحث عن أي بصيص نور.
- اهتم بزمالك: موسى فكر بأهله أولاً. اهتم بمن حولك في العمل.

في طلب العلم:

- اطلب العلم النافع: الذي يدفع قلبك ويضيء عقلك.
- لا تستهين بأي معلومة: النار بدأت بجمرة صغيرة، والعلم يبدأ بمسألة صغيرة.

في علاقتك مع الله:

- توقع المفاجآت الإلهية: قد تكون في أحلك لحظات حياتك، ويأتيك الله من حيث لا تحتسب.
- لا تيأس من رحمة الله: موسى كان ضالاً في الظلام، فهداه الله.

الامر السابع

دور هذه الآية في بناء الإنسان والمجتمع

بناء الإنسان (الشخصية المسلمة):

- عقلياً: يدرك أن الاهتمام بالأسرة وطلب العلم من صفات الأنبياء.
- نفسياً: يشعر بالأمل، فحتى موسى عليه السلام كان في ظلمة ثم أضاء الله له.
- سلوكياً: يبدأ بنفسه وأهله، ثم يمتد إلى مجتمعه.
- عملياً: يجمع بين العبادة والعمل، بين طلب الخبر الدنيوي والديني.

بناء المجتمع:

- مجتمع متماسك أسرياً: لأن أفراداه يهتمون بأهليهم.
- مجتمع يقدر العلم: يبدأ أفراداه بالبحث عن الخبر النافع.
- مجتمع لا ييأس: لأن الله معهم حتى في الظلمات.
- مجتمع متوازن: يجمع بين الروحانيات والماديات.

الامر الثامن

ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن، في هذه اللحظة؟

أيها الحبيب الذي يقرأ هذه الكلمات،

لقد أخبرك الله عن موسى في أضعف لحظاته: ضائع، بارد، يبحث عن نار لأهله. وفي تلك اللحظة بـ الذات، اختاره الله لنبوته العظيمة.

اسأل نفسك:

- هل أنت في ظلمة الآن؟ في حيرة من أمرك؟ في برد عاطفي أو روحي؟
- هل تبحث عن نار تدفئك؟ عن علم يغير حياتك؟ عن خبر يغير حياتك؟
- هل تظن أن الله لا يراك؟

تذكر: النار التي رآها موسى كانت بداية النور. قد تكون مشكلتك الحالية هي بوابة حلك. قد يكون تعاستك اليوم هي بداية سعادتك غداً.

ماذا تفعل الآن؟

1. اهتم بأهلك. اخرج من عزلتك. اسألهم: بماذا تخدموني؟ وكيف أخدمكم؟
2. اطلب الخبر النافع. اقرأ كتاب الله. ابحث عن كلمة تدفئ قلبك.
3. لا تيأس. الله يسمع أذنك، ويرى دموعك. هو حكيم عليم، يعلم متى وكيف يرسل نوره.

عاهد الله اليوم على أن تكون مثل موسى:

- . مبادراً لأهلك.
- . باحثاً عن العلم.
- . مؤمناً أن النور قادم ولو بعد حين.

اللهم إنا نعوذ بك من ظلمات الجهل والوحدة، ونسألك ناراً تدفئ قلوبنا، وخبراً يهدي أرواحنا، وشهاباً ينير دروبنا. اللهم اجعلنا ممن آنسوا نورك فاهتدوا، وآمنوا برسلك فسعدوا. إنك على كل شيء قدير.

المبحث الثاني

أيها القلب المتعطش لأسرار الوحي. نحن الآن على أعتاب مشهد مهيب، من أعظم المشاهد في القرآن. تخيل معي: ليلة حالكة، برد شديد، رجل ضائع (موسى) يمشي نحو نار رآها من بعيد. يظنها ناراً عادية، فيذهب ليأتي بقبس لأهله. لكن عندما يصل... تتغير القوانين. السماء تتدلى، والأرض تهتز، والشجرة تتحدث، والله تعالى يجهر بالنداء.

هذه ليست ناراً. هذه نار مقدسة. وهذا ليس وادياً عادياً. هذا وادٍ مطهر. وهذه ليست لحظة عابرة. إنها لحظة التكليف الإلهي الأولى.

الآيات السابقة كانت تحكي عن رحلة موسى في طلب النار والآن، بعد أن وصل، نصل معه إلى قلب الحدث. كأننا كنا نركض معه، والآن نتوقف جميعاً مذهولين مما نرى ونسمع.

تعال... أقترب أكثر. خفف صوتك. واسمع معي هذا النداء الذي نودي به موسى، وهو يهمس في أذنك أنت أيضاً!

الآية العامية: {فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}
أولاً: {فَلَمَّا جَاءَهَا}... الوصول إلى نقطة التحول

*1"فلما" تفيد المفاجأة بعد ترقب. موسى كان يسير نحو النار بخطى متعبة، كلما اقترب ازدادت دهشة النار لا تحرق؟ النار في شجرة؟ النار تتحدث؟ هنا تنتهي قوانين الفيزياء التي يعرفها، وتبدأ سنن الله في كلماته.

*2"اللمسة البلاغية: لو قال "فأتاها" لكان عادياً. لكن قال "جاءها"، والقدوم يكون بجهد وتعب. موسى جاءها متعباً، خائفاً، محتاجاً. وهذه هي أفضل لحظة للقاء الله: لحظة الفقر والحاجة.

*3"ماذا تشعر وأنت تقرأ "فلما جاءها"؟
تشعر أنك تقترب من منطقة لا يحترق فيها من يقترب، بل يبارك. تشعر أن الله يراقب خطواتك، وأنت على موعد مع شيء أكبر من خيالك.

ثانياً: {نُودِيَ}... نداء بلا وسيط

*1"لم يقل "ناداه جبريل"، ولا "ناداه ملك". قال "نودي" بصيغة المبني للمجهول، ليهول الموقف ويعظم المهم هو النداء نفسه، وليس من نادى. لكننا نعلم أن الله هو المنادي. نداء مباشر من رب العزة لموسى، دون واسطة. هذا من أعلى درجات التكريم.

*2"اللمسة التجويدية: كلمة "نودي" فيها حرف الدال والياء، صوتها يخرج لنا كأنه الهمس المهيب. ليس صراخاً، بل نداء يملأ الوجدان.

*3"الدرس لك: الله ينادي عباده بطرق كثيرة. قد يناديك بأية تقرأها، أو موقف يغير حياتك، أو شخص يهديك. كن متيقظاً لنداء الله لك.

ثالثاً: {أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا}... سر البركة العظيم

1*

"بورك" من البركة، وهي ثبوت الخير الإلهي وكثرته. عندما يبارك الله شيئاً، يصبح مصدراً للخير، ولا ينفد.

من "من في النار"؟ العلماء اختلفوا. هل النار هي نفسها النار التي رآها موسى؟ أم هي نور إلهي؟ و الراجح أن المقصود هو الله سبحانه وتعالى، فهو "من في النار" بمعنى من في مكان النار، وهو المبارك نفسه. وقيل: "من في النار" هو موسى نفسه حين دخل إلى منطقة النور فصار مباركاً. وقيل:

هي الشجرة المباركة.

الأهم: الآية تعلن أن النار لم تعد نار عذاب، بل صارت بركة. المكان الذي كان يظن موسى أنه سيجد فيه دفناً، وجد فيه أعظم دفاء: دفاء القرب الإلهي.

"ومن حولها" من الملائكة، أو من المكان كله. البركة تشمل كل من حضر هذا المشهد العظيم.

*2المسة البيانية: قال "بورك من في النار ومن حولها" وليس "بوركت النار ومن حولها". ليؤكد أن البركة لمن هم في النار وحولها، وهم الأنفس المباركة، وليس الجماد.

*3الرسالة لك: الله يقلب الموازين. ما كنت تخافه (نار) قد يصير بركة. ما كنت تظنه عذاباً قد يصير نوراً. لا تحكم على الأشياء بظاهرها.

رابعا: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾... التسبيح الذي يلي البركة

بعد أن أخبر عن البركة، أتبعها بالتسبيح. "سبحان الله" تنزيه لله عن كل سوء، وعن كل ما لا يليق بجلاله. وهنا التسبيح للدلالة على أن هذا البركة كلها من الله، وأنه منزه عن الشريك والنقص.

"رب العالمين" أي مالك الخلق كلهم، مدبرهم، مربيهم. فهو الذي يبارك من يشاء، ويصطفي من يشاء.

*2لماذا التسبيح هنا؟

لأنه بعد كل مشهد مهيب، يرجع الإنسان إلى تحميد ربه وتسبيحه. عندما ترى عظمة الله، لا تجد كلا ما إلا "سبحان الله". وكان الآية تقول لك: "إذا رأيت هذه البركات، فقل: سبحان الله رب العالمين".

*3المسة التجويدية: كلمة "سُبْحَانَ" فيها حرف الباء، وهو من حروف الشدة، يعطي إحساساً بقطع الكلام وتأكيد التنزيه. والمد في "العالمين" يعطي امتداداً لربوبيته التي تشمل كل الخلق.

الآية التاسعة: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

اولا: ﴿يَا مُوسَىٰ﴾... نداء الحبيب

*1بعد التسبيح، يأتي النداء المباشر: "يا موسى". كأن الله يريد أن يخرج من صدمة الموقف، فيناديه باسمه، باسمه الذي يعرفه، باسمه الذي نادته به أمه. هذا النداء فيه حنان، وفيه خصوصية، وفيه تكريم.

*2المسة البلاغية: حرف النداء "يا" يفيد البعد، لكنه هنا للتنبيه والتكريم. وكأن الله ينادي موسى من عليائه، لكن يصل الصوت إلى قلب موسى دون أذنيه.

*3ماذا تشعر وأنت تقرأ "يا موسى"؟

تشعر أن الله يعرفك باسمك. هو يعرف حاجتك، يعرف ضعفك، يعرف أنك خائف. يناديك قائلاً: "يا عبيدي، لا تخف، أنا معك".

ثانياً: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾... الهوية الإلهية المطلقة

*1"إنه" ضمير الشأن، أي الأمر والشأن العظيم. "أنا الله" هذا هو الخبر. كأن الله يقول: "الشأن العظيم، الذي يناديك، أنا الله وحدي. ليس جبريل، ليس ملكاً، ليس شجرة. أنا الله".

هذه الآية هي خلاصة التوحيد. موسى يعرف أن هناك إلهاً، لكنه الآن يسمعه يتكلم معه مباشرة. الإيمان أصبح مشاهدة.

*2لماذا قال "أنا الله" ولم يقل "أنا الرب"؟

"الله" هو الاسم الجامع لكل صفات الجمال والجلال. فيه إشارة إلى الألوهية والعبودية. أي "أنا الذي تستحق العبادة وحدي".

ثالثاً: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾... صفتان بعد الاسم

*1العزيم: الذي لا يغالب، القوي الذي لا يقهر، العزيز الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء. لموسى وهو هارب من فرعون، هذه الصفة تطمئنه: "لا تخف فرعون، أنا العزيز، من يعزني لا يذله أحد".

2*الحكيم: الذي يضع الأمور في مواضعها. لموسى، هذا يعني أن ما يحدث الآن ليس عبثاً. أن اختيار الله له، وتكليمه إياه، ووقت هذا التكليم، ومكانه، كل ذلك بحكمة بالغة.

3*لماذا قدم العزيز على الحكيم؟

لأن المقام مقام قوة وسطوة. موسى يحتاج إلى أن يعلم أن الذي يكلمه هو القوي العزيز الذي يحميه من فرعون. ثم يأتي الحكيم ليؤكد له أن أفعال الله كلها مبنية على حكمة.

4*العلاقة بأية "من لدن حكيم عليم":

في الآية السادسة قيل "حكيم عليم"، وهنا "عزيز حكيم". هناك تناسب. هناك كان الكلام عن تلقي القرآن، فالمناسب أن يقال "عليم" لأن العلم صلة بالوحي. وهنا مقام البطش بفرعون، فالمناسب أن يقال "عزيز". لكن الحكمة مشتركة بين المقامين.

اهم الامور التي سوف نقف عندها

الامر الاول

ما العلاقة بين هذه الآيات وما قبلها (قصة موسى) وما بعدها (قصة سليمان)؟

هذا المشهد هو نموذج للقاء الإلهي بالرسول. موسى تلقى التكليف عند الوادي المقدس، ومحمد تلقى القرآن في غار حراء، وسليمان تلقى العلم والحكمة والملك. الهدف واحد: إقامة رسالة التوحيد على الأرض.

الانتقال من موسى إلى سليمان في السورة ليس اعتباطياً بل هو تأكيد أن الله يصطفي من يشاء، ويكلم من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء. الكل يتلقى من لدن عزيز حكيم.

الامر الثاني

المواضيع والمفاهيم الرئيسية في هاتين الآيتين:

المفهوم الأول: البركة الإلهية تحول الأشياء

النار التي تحرق صارت بركة. المكان العادي صار مقدساً. الإنسان الضائع صار نبياً. إذا بارك الله شيئاً، تغيرت طبيعته.

المفهوم الثاني: التوحيد الخالص

"أنا الله" لا شريك له، لا وسيط بينه وبين عباده. نداء مباشر، تكليم مباشر، بلا واسطة.

المفهوم الثالث: العزة والحكمة صفتان متلازمتان

الله عزيز فلا يغلبه أحد، حكيم فلا يضع شيئاً إلا في موضعه. هذه الصفتان تطمئنان المؤمن: العزة تحميه، والحكمة ترعاه.

المفهوم الرابع: القداسة مرتبطة بالطاعة

الوادي ليس مقدساً بذاته، بل لأنه مكان تلقي الوحي. القداسة الحقيقية لمن يطبع الله، وليس لبقعة جغرافية.

الامر الثالث

القيم التي تغرسها هاتان الآيتان:

1. قيمة الخشية مع الحب: موسى خاف لكن الله طمأنه.
2. قيمة البركة: أن تسعى لأن تكون مباركاً أينما كنت.
3. قيمة التوحيد: أن لا تشرك بالله شيئاً.
4. قيمة الثقة بالله العزيز الحكيم: فهو القوي الحكيم في تدبيره.
5. قيمة التسبيح بعد كل مشهد عظيم: سبحان الله رب العالمين.

الامر الرابع

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي؟

في علاقتك مع الله:

- عندما تمر بأزمة وتشعر أنك في "نار" (حرج، ضيق، مرض)، تذكر أن هذه النار قد تكون بركة إذا صبرت واحتسبت. الله يقلب المواقف.
- قل دائماً "سبحان الله رب العالمين" كلما رأيت عجباً أو نعمة. هذا يثبت في قلبك التوحيد.
- ناد الله باسمه: قل "يا الله"، "يا عزيز"، "يا حكيم". اشعر أنه يناديك أيضاً.

في حياتك الأسرية:

- اجعل بيتك مكاناً مباركاً: ليس بالتمائم، بل بتلاوة القرآن، والصلاة، والصدقة.

· كن لموسى مع أهلك: اهتم بهم، اخرج لهم في البرد والحر، واطلب لهم الخير.

في عملك ومجتمعك:
· لا تحتقر الأماكن أو الأشخاص: قد تكون البقعة التي تحتقرها هي واد مقدس عند الله. قد يكون الشخص الذي تظنه ضعيفاً هو ولي لله.
· اطلب البركة في عملك: بالإخلاص، والإتقان، والصدق. العمل المبارك هو الذي ينفعك وينفع غيرك.

في تربيته لنفسك:
· درّب نفسك على التسبيح: كلما رأيت آية من آيات الله (غروب شمس، مطر، طفل يبتسم)، قل "سبحان الله رب العالمين".
· تذكر صفات الله: عندما تخاف من أحد، تذكر أن الله هو العزيز. عندما تتحير في أمر، تذكر أنه الحكيم.

الامر الخامس

دور هذه الآيات في بناء الإنسان والمجتمع:

بناء الإنسان:
عقلياً: يوقن أن الله يتحكم في قوانين الطبيعة، فيستعد للمعجزات.
نفسياً: يطمئن بأن الله قريب منه، يناديه باسمه.
سلوكياً: يتطهر، لأنه يعلم أن مكان الوحي كان مقدساً، وقلبه هو مكان وحي الله بالتلاوة.
روحياً: يسبح الله دائماً، فيمتلئ قلبه نوراً.

بناء المجتمع:

· مجتمع يقدس القيم، لا الأماكن: يهتمهم تطبيق شرع الله، لا التبرك بالأحجار.
· مجتمع يعرف الله بأسمائه وصفاته: فيعز الله من بطيعه، ويذل من يعصيه.
· مجتمع مبارك: أفراده مباركون، وأعمالهم مباركة، وأموالهم مباركة.

الامر السادس

ما الذي تدعوك إليه هاتان الآيتان الآن، في هذه اللحظة؟

أيها الحبيب الذي تتدبر كتاب ربه،
لقد وصل موسى إلى النار فوجد الله. وأنت، عندما تصل إلى القرآن، هل تجد الله؟ عندما تدخل المسجد، هل تشعر أنك في أرض مقدسة؟ عندما ترفع يديك بالدعاء، هل تشعر أن الله يناديك باسمك؟

أسأل نفسك بصدق:
· هل أنت في نار الآن؟ هل تمر بأزمة تحرق روحك؟ لا تخف. هذه النار قد تكون مباركة. قد تكون بداية اصطفاء الله لك.
· هل تسمع الله يناديك؟ انتبه. نداء الله يأتي عبر آياته، وعبر المواقف، وعبر الخواطر. لا تكن أصم القلب.
· هل تعرف الله بأنه العزيز الحكيم؟ إذا كنت تعرفه عزيزاً، فلا تخف أحداً سواه. وإذا كنت تعرفه حكيماً، فارض بقضائه.

عاهد الله اليوم:

· أن تبحث عن بركته في كل شيء. لا تيأس من رحمته.
· أن تكثر من قول "سبحان الله رب العالمين" حتى يختم على قلبك بالتوحيد.
· أن تعيش حياتك كأنك في واد مقدس. لأن الأرض كلها لله، وأنت تتنفس في ملكوته.

المبحث الثالث

أهلاً بك أخى القارئ الحبيب، مازلنا في. هذه الرحلة التدبرية لنغوص في أعماق الكلمات حتى يصل إلى الجوهر. فنحن الآن في قلب مشهد التكليف. لقد سمع موسى النداء: "يا موسى، إني أنا الله العزيز الحكيم". لحظة صعبة، لحظة هيبية. ثم يأتي الأمر الأول، الأمر الذي سيكون اختباراً للإيمان قبل أن يبدأ الطريق.

تخيل معي: أنت واقف في واد مقدس، تسمع صوتاً من شجرة، وأنت مرعوب، ثم يأتي الأمر: "ألق عصاك". عصاك؟ هذه العصا التي كنت تتوكأ عليها، تهش بها على غنمك، تأمن بها في وحدتك. يطلب منك أن ترميها.

لماذا؟ لأن أول خطوة في طريق القيادة النبوية هي أن ترمي ما تأمن به، وتستبدل أمك بالله. أول درس في مدرسة النبوة: ألقِ سنك المادي، وتمسك بسندي أنا.

ثم تنظر... فإذا العصا ليست عصاً. تتحرك، تهتز، تنساب، كأنها جان (أفعى سريعة). الخوف يدب في قلب موسى، فيولي مدبراً، لا يلتفت.

وهنا يأتي النداء الثاني: "يا موسى، لا تخف". طمأنة بعد صدمة. ثم استثناء: "إني لا يخاف لدي المرسلون * إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم".

هذه الآيات هي دستور القيادة الربانية. من يريد أن يقود الناس إلى الله، لا بد أن يمر بهذه المراحل: إلقاء العصا (ترك الاعتماد على الذات)، ثم مواجهة الخوف، ثم تلقي الأمان الإلهي، ثم معرفة أن الخوف الوحيد هو من الظلم، وأن باب التوبة مفتوح.

دعنا نفوض معاً في هذا البحر.

الآية العاشرة: {وَأَلْقَ عَصَاكَ ۗ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۗ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} **اولا** : {وَأَلْقَ عَصَاكَ}... الأمر الأول: تخلّ عن سنك

موسى يحب عصاه. إنها صديقة دربه. قال عنها في سورة طه: {هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}. كانت سنده في الوحدة، وسلاحه في الدفاع، وألته في رعي الغنم. فجأة يأتي الأمر: "القها". ليس لأنها حرام، بل لأنك الآن في مقام آخر. كنت تعتمد على العصا، الآن اعتمد علي. هذه بداية التحرر من الأسباب إلى مسبب الأسباب.

اللمسة البلاغية: فعل الأمر "ألق" جاء مجزوماً، قاطعاً. لا نقاش، لا تأخير. إلقاء فوري. لأن مرحلة التردد انتهت.

الرسالة لكل قائد: كلنا نملك عصا. قد تكون المال، المنصب، العلاقات، الذكاء، الخبرة. أول خطوة للقيادة الربانية هي أن تلقي هذه العصا، أي أن تخرج من عُجْبِكَ بقدراتك، وتعلن افتقارك إلى الله. لا يعني أن تترك العمل بالأسباب، بل أن تتيقن أن النتيجة بيد الله.

ثانياً: {فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ}... المفاجأة التي تهز الكيان

"تهتز": الفعل المضارع يدل على الاستمرار والحركة الدائمة. العصا لم تتحرك مرة واحدة، بل ظلت تهتز، كأن فيها حياة.

"جان": هو نوع من الأفاعي السريعة الخفيفة. شبهها بالجان، لأن الجان أخف الأفاعي حركة، وأسرعها انساباً. المشهد مربع: عصا جامدة تتحول إلى كائن حي يتحرك كالنار في الهشيم.

اللمسة البيانية والتجويدية: كلمة "تهتز" فيها تاء مخفية، تعطي إحساساً بالاهتزاز الصامت. وحرف الجيم في "جان" مفخم، يعطي إحساساً بالغلظة والقوة.

*ما الذي حدث في نفس موسى؟

الخوف الطبيعي. موسى بشر. يرى ما لم يره من قبل. قوانين الطبيعة انقلبت أمام عينيه. هذه هي وظيفة المعجزة: أن تزلزل اليقين المادي، لتحل محله اليقين الإلهي. **ثالثاً** : {وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ}... الفرار الذي لا يعيبه

"ولى مدبراً": أي رجع هارباً على وجهه، لم يلتفت. "ولم يعقب": أي لم يرجع، ولم ينتظر، ولم يلتفت وراءه. كان فراراً كاملاً.

وهنا اللمسة الإنسانية العظيمة. موسى نبي، يكلمه الله، لكنه يخاف من أفعى. هذا لا ينقص من قدره. الخوف غريزة. النبوة لا تعني انعدام الخوف، بل تعني أن يطمئنك الله بعد الخوف.

الدرس التربوي: لا تعيب على نفسك الخوف. الخوف بشري. المهم أن يأتي النداء الإلهي بعد الخوف: "لا تخف". لو لم يخف موسى، لما قيل له "لا تخف". الخوف كان تمهيداً للطمأنينة.

رابعة : ﴿يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ... الطمأنينة الإلهية

كرر النداء باسمه "يا موسى"، ليؤكد له أنه يعرفه، وأن الكلام موجه له شخصياً. ثم "لا تخف". هذه الكلمة قالتها الله لموسى، وقالها لنبينا محمد في غار حراء، ويقولها لكل مؤمن يمر بظروف صعبة.

****لماذا لا تخف؟ سيجيب في نهاية الآية.**

خامسا : ﴿إِنِّي لَأَخَافُ لَدَيْكَ الْمُرْسَلُونَ... قاعدة الأمان للرسول

"الذي" أي في حضوري ومقامي. هناك نوعان من الخوف: خوف طبيعي من خطر مادي (وهذا جائز في حق المرسلين كما حدث مع موسى). وخوف مقامي، وهو الخوف من الله بخشية التعظيم. أما الخوف من المخلوقين في حضرة الله، فلا ينبغي أن يكون للمرسلين.

المعنى: عندما تكون في مقام القرب مني، وحضوري معك، فلا تخف من أحد. لأن الذي معك هو العزيز الحكيم.

اللغة البلاغية: استخدام "لا يخاف" بصيغة المضارع، ليفيد الاستمرار والتجدد. أي أن هذه صفة دائمة للمرسلين: هم في حضرة الله لا يخافون.

الآية الحادية عشرة: ﴿إِذَا مَنِ الظَّمِّ تَمَّ بَدَلَ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

هذا استثناء من قاعدة "لا يخاف المرسلون". الاستثناء هنا مفهومه خلاف الظاهر. بعض المفسرين قال: الاستثناء منقطع، أي لكن من ظلم من غير المرسلين، فله حكم آخر. لكن الأقرب أن المعنى: أنه لا يخاف لدي المرسلون، إلا إذا ظلم أحدهم نفسه بذنب، فهنا يخاف مقامي، لكني غفور رحيم لمن تاب.

المشهد: بعد أن طمأن الله موسى من الخوف الخارجي (الأفعى)، يطمئنه من الخوف الداخلي (الذنب). وكأنه يقول: حتى لو أخطأت، فباب التوبة مفتوح.

اولا : ﴿إِذَا مَنِ الظَّمِّ... الخوف الوحيد الباقي

الظلم هنا يشمل الذنب والمعصية، وخصوصاً ظلم النفس. المرسلون معصومون من الكبائر، لكن قد تصدر منهم صفائر أو زلات، فيخافون منها. الخوف الوحيد الذي يبقى في حضرة الله هو خوف التقصير والذنب. لكن...

ثانيا: ﴿تَمَّ بَدَلَ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ... التوبة ليست مجرد ندم

"بدل": أي سيئته حسنة، أي تاب وندم وأصلح وعمل صالحاً. "حسناً بعد سوء": الحسنات تمحو السيئات. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

اللغة البيانية: لم يقل "تاب"، بل قال "بدل حسناً بعد سوء". التبديل أقوى من مجرد الترك. يعني استبدال العمل السيء بالعمل الصالح، واستبدال الحالة النفسية السيئة بالحالة الحسنة.

ثالثا : ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ... الباب مفتوح

غفور : يستر الذنب ويتجاوز عنه. رحيم : يفيض بالخير والإحسان بعد المغفرة.

التقديم: بدأ بغفور لأن المقام مقام طلب المغفرة من الذنب. ثم رحيم ليشمل كل أنواع الرحمة بعد التوبة.

الرسالة العظيمة: مهما أخطأت، مهما ظلمت نفسك، تب إلى الله، يغفر لك ويرحمك. هذه الآية نزلت في حق موسى بعد هروبه وقتل القبطي؟ أم هي عامة لكل من يريد القيادة؟ بل هي عامة، ولكنها في هذا السياق تحديداً طمأنة لموسى وللنبي ﷺ وللأمة: لا تخف من المخلوقين، ولكن خف من ذنبك، وإذا أذنبت فتب، فأنا غفور رحيم.

اهم الامور التي تتعلق بالآيات

الامر الاول

العلاقة بين الآيتين وما قبلهما وما بعدهما:

هاتان الآيتان تمثلان مرحلة التأهيل القيادي لموسى عليه السلام:

1. التعريف بالله (الآية 9: أنا الله العزيز الحكيم).

2. كسر التعلق بالأسباب (إلقاء العصا).

3. مواجهة الخوف (فرار موسى).

4. الطمأنينة الإلهية (لا تخف).
5. معرفة مصدر الخوف الحقيقي (الذنب).
6. فتح باب التوبة (غفور رحيم).

بعد هذه المراحل، سينتقل موسى إلى مرحلة الإرسال إلى فرعون. نفس المنهج سيُطبق مع النبي محمد ﷺ في بداية البعثة، ومع كل قائد رباني. الربط بقصة سليمان عليه السلام في نفس السورة: سليمان أيضاً أوتي ملكاً عظيماً، لكنه لم يخفه، ولم يتعلق بالأسباب، بل قال: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}. وهذا هو عين ما تعلمه موسى في الوادي: لا تخف، وتوكل على العزيز الحكيم.

الأمر الثاني
الأبعاد المطلوبة في هذه الآيات (لبناء الإنسان وإعداده للقيادة):

أولاً: البعد التربوي
• تربية النفس على التخلص من التعلق بالماديات: العصا رمز للأسباب. القائد الرباني يستخدم الأسباب ولا يتعلق بها. يتعلق بالله.
• تربية النفس على مواجهة المخاوف: لا إنكار للخوف، لكن تجاوزه بالإيمان. موسى خاف ثم تجاوز.
• تربية النفس على التوبة السريعة: بعد أي خطأ، بادر بالتبديل (سيئة بحسنة).

كيف نطبق؟ درّب نفسك وأولادك على أن الأسباب ليست هي الحقيقة النهائية. تعطلت السيارة؟ تذكر أن الله هو المسير. خفت من امتحان؟ تذكر أن الله معك. أخطأت؟ تب فوراً واعمل حسنة.

ثانياً: البعد الفكري
• إدراك أن المعجزات تخالف قوانين الطبيعة المادية: وهذا يوسع الأفق الفكري، ويجعل الإنسان لا يحصر الحقيقة في ما يراه فقط.
• إدراك أن الخوف نوعان: خوف طبيعي (لا يؤاخذ عليه)، وخوف مقامي (خوف من الله). هذا التفريق يحمي من الوسواس.
• إدراك أن التوبة تبدل الهوية: من "ظالم" إلى "حسن".

كيف نطبق؟ في تحليلك للأحداث، لا تكن سطحياً. اسأل: هل خوفي هذا مادي أم معنوي؟ هل أستطيع تحويل خطأي إلى فرصة للتعلم والعمل الصالح؟

ثالثاً: البعد العقلي (النفسي)
• تدريب العقل على احتمال المفاجآت: العصا تتحول إلى أفعى. الحياة مليئة بالمفاجآت. القائد يعد عقله لاحتمال غير المتوقع.
• التفريق بين الانفعال والفعل: موسى خاف (انفعال)، ثم فر (فعل). لكنه لم يشل. القائد يتعامل مع انفعالاته، ثم يتخذ قراراً. ثم يأتي التوجيه الإلهي ليصحح المسار.
• بناء اليقين: اليقين أن الله معي يزيل الخوف. تكرر قول "لا تخف" في القرآن يبني مناعة نفسية.

كيف نطبق؟ تمرن على تقبل المفاجآت. عندما يحدث أمر غير متوقع، قل: "هذا من عند الله، سأتعامل معه". درب نفسك على أن أول رد فعل قد يكون الخوف، لكن لا تدعه يسيطر عليك.

رابعاً: البعد السياسي (القيادي)
• أول درس في القيادة: تخلّ عن سلطتك المزيفة: القائد الذي يتعلق بعصاه (منصبه، ماله، جاهه) يسقط. القائد الذي يتعلق بالله يثبت.
• القائد يحتاج إلى "معجزة" تثبت صدقه: موسى أعطي العصا معجزة. القائد الرباني يحتاج إلى تأييد إلهي، سواء كان علماً أو خلقاً أو فهماً.
• القائد يواجه الخوف من شعبه ومن أعدائه: لا بد من طمأننة داخلية قبل مواجهة الخارج. طمأننة موسى كانت قبل زهابه إلى فرعون.
• العدل والرحمة أساس الحكم: الاستثناء "إلا من ظلم" يضع قاعدة: الظلم هو الخوف الحقيقي. القائد العادل لا يخاف أحداً إلا الله. والقائد الرحيم يفتح باب التوبة للمخطئين.

كيف نطبق في الإدارة والقيادة؟ لا تتعلق بكرسيك. كن مستعداً لتركه إذا تعارض مع الحق. امنح فريقك فرصة للتصحيح بعد الخطأ. كن غفوراً رحيماً لمن يبذل سيئته بحسنة.

خامساً: البعد الثقافي والحضاري
• ثقافة التوبة والتبديل: ثقافتنا لا تقدر المعصوم، بل تقدر من يذنب ثم يتوب. هذا يخلق مجتمعاً

لا ييأس، بل يتطور باستمرار.
ثقافة عدم الخوف إلا من الله: تنتج أمة لا تخاف جيوشاً ولا إعلاماً ولا حصاراً. أمة تقول كما قال مؤمن آل فرعون: {إني أخافُ الله}.
ثقافة المعجزة كدليل على صدق الرسالة: تؤسس لمنهج علمي: الدليل قبل الدعوى. القائد الحضاري يقدم دليلاً على صلاحيته.

كيف نطبق في مجتمعنا؟ نربي أبناءنا على ألا يخافوا إلا من الله، وألا ييأسوا من رحمته، وأن يطلبوا الآيات (البيانات) قبل أن يتبعوا أي قائد.

سادساً: البعد في التنمية وبناء الإنسان
تنمية الذات: تبدأ بخلع التعلقات (ألق عصاك). لا يمكنك أن تتطور وأنت متعلق بعصا عتيقة.
إدارة الأزمات: بعد الصدمة (الأفعى) تأتي مرحلة التماسك (لا تخف). التنمية الحقيقية تعرف كيف تتعامل مع الأزمات.
التنمية المستدامة: باب التوبة مفتوح (غفور رحيم). المؤسسات والأفراد يتطورون بتصحيح أخطائهم، لا بتغطيتها.

كيف نطبق في مشاريعنا التنموية؟ أي مشروع ناجح يبدأ بمراجعة الذات (خلع العصا القديمة). أي مؤسسة ناجحة تواجه أزماتها بشجاعة (لا تخف). أي مجتمع ناجح يسمح بالتصحيح والمراجعة (بدل حسناً بعد سوء).

الامر الثالث

ما الذي تدعوك إليه هاتان الآيتان الآن؟

أيها الساعي إلى القيادة، إلى النهضة، إلى التغيير،

هل ما زلت متعلقاً بعصاك؟ عصاك هي وظيفتك الآمنة، هي رأس مالك، هي علاقاتك، هي شهادتك. ألقها. لا تتركها، بل ألقها في يد الله. استخدمها لكن لا تتعلق بها.

هل أنت خائف؟ من ماذا؟ من الناس؟ من المستقبل؟ من الفشل؟ اسمع النداء: "لا تخف". الذي معك هو العزيز الحكيم.

هل أخطأت؟ هل ظلمت نفسك؟ هل فشلت في قيادة؟ هل خنت الأمانة؟ تب. بدل. أبدل السيئة بالحسنة. اذهب واعمل صالحاً مكان الخطأ. الله غفور رحيم.

هذه الآيات هي برنامج تدريبي مكثف للقادة. أنت مدعو للالتحاق بهذا البرنامج.

عاهد الله اليوم:

1. أن تلقي عصاك: أي أن تتوكل على الله حق التوكل، وأن تستخدم الأسباب دون تعبد لها.
2. أن تواجه خوفك: أي أن تعترف به، ثم تتجاوزه بالإيمان.
3. أن تبادر إلى التوبة: أي أن تجعل بينك وبين الله باباً مفتوحاً للرجوع والتصحيح.

اللهم إنا نسألك أن تعلمنا من أسرار هذه الآيات ما يؤهلنا لقيادة أنفسنا ثم أمتنا. اللهم ألق في قلوبنا الطمأنينة، وامن علينا بالتوبة النصوح، واجعلنا ممن لا يخافون إلا إياك. إنك أنت العزيز الحكيم الغفور الرحيم.

المبحث الرابع

لقد قطعنا شوطاً مع موسى عليه السلام. علمناه أن يلقي عصاه، فإذا هي ثعبان مبيّن. علمناه ألا يخاف من المخلوقين، وأن الخوف الحقيقي هو من الذنب، مع باب التوبة مفتوحاً. والآن، يأتي الدرس التالي في مدرسة القيادة الربانية: الدرس الأعمق، درس تحويل ما هو مظلم فيك إلى نور مبيّن.

تأمل معي. الآية السابقة كانت عن شيء خارجي: العصا التي في يدك. هذه الآية عن شيء داخلي: يدك التي هي جزء من جسدك. العصا تتحول إلى ثعبان، واليد تتحول إلى قمر. الآية الأولى كانت لإخافة الأعداء (الثعبان)، وهذه الآية لجذب القلوب (النور). والائتنان معاً هما آيتان عظيمتان من تسع آيات سيؤيد الله بهما موسى أمام فرعون.

لكن الأهم.. ماذا يعني هذا لك أنت؟ أنت لست موسى، ولن تذهب إلى فرعون. لكن كل واحد منا لديه "يد" يدخلها في "جيبه". جيبك هو ما تخفيه من طاقات، مواهب، دعوات، أخلاق. عندما تأمرها

الله، تخرج بيضاء من غير سوء، تدهش العالم.

تعال... دعنا نفتح هذا الجيب معاً.
الاية الثانية عشرة: {وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}
اولا: {وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ}... الغوص إلى الكنز الداخلي

*1"أدخل" أمر. ليس اقتراحاً، وليس استئذاناً. الله يأمر موسى أن يدخل يده في جيبه. وجيب موسى: هو فتحة قميصه عند صدره أو جنبه. المكان القريب من القلب.

*2"اللمسة البيانية: اختار اليد دون غيرها. اليد آلة الأخذ والعطاء والبطش والكسب. عندما تدخلها في جيبك، كأنك تخفيها، تختفي عن الأنظار. ثم...

*3"ماذا يعني لك؟
أنت تملك يداً خفية. يداً من طاقة، من إخلاص، من سر مع الله. عندما تأمرها الله أن تخرج من جيبك، لا تخرج كأي يد. تخرج بيضاء، مشرقة، مبهرة. بعض الناس لديهم يد بيضاء في الكرم، في العلم، في الصبر، في الدعوة. لكنهم لا يدخلونها في الجيب أولاً. لا بد من مرحلة الخفاء، ثم مرحلة الظهور بالنور.

*4"الدرس التربوي للقائد: لا تظهر كل ما لديك في البداية. اختبئ. أدخل يدك في جيبك. تمرن في الخفاء. تهباً. فإذا أذن الله، أخرجها بيضاء، لا كدر فيها، لا سوء فيها.
ثانياً: {تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}... المعجزة النقية

"تخرج" جواب الأمر. بمجرد إدخالها، تخرج بيضاء.

*"ما معنى "بيضاء"؟

ليست بياض البرص، بل بياض النور والإشراق. قال المفسرون: كانت يد موسى سوداء كبقية الناس، فإذا أدخلها جيبه ثم أخرجها، تخرج بيضاء كأنها قطعة قمر، تشع نوراً يغشى البصر، ثم تعود إلى طبيعتها بعد ذلك.

"من غير سوء": أي ليس بها برص ولا عيب ولا مرض. هذا تأكيد أنها معجزة، ليست مرضاً. ولو كانت برصاً لقال الأعداء: هذا أبلاه الله بمرض. لكنها خارجة للعادة، نقية، كاملة.

*"اللمسة النفسية: الله يختار اللون الأبيض. الأبيض يرمز إلى النقاء، السلام، الإشراق، الصفاء. في حضرة فرعون الذي يرمز إلى الظلام والفساد والدم، يأتي موسى بيد بيضاء. هذا هو المواجهة بالنور لا بالظلام.

*"ما الذي تخرجه أنت من جيبك؟

قد تخرج غضباً، فيكون أحمر. قد تخرج حسداً، فيكون أسود. قد تخرج كذباً، فيكون رمادياً. الله يريد منك أن تدخل يدك في جيب قلبك، فتخرج "بيضاء": نقية السريرة، بيضاء الصحة، مشرقة الأخلاق. هذا هو أعظم آية للمؤمن في مجتمعه.

ثالثاً: {فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ}... العدد الذي يحمل حكمة

*1"في تسع آيات" أي اجعل هذه اليد مع العصا وغيرها ضمن تسع آيات (معجزات) أرسلك بها إلى فرعون. التسع الآيات ذكرت مفصلة في سور أخرى: العصا، اليد، الطوفان، الجراد، القمل، الضفادع، الدم، وغيرها.

*2"لماذا تسع؟

العدد تسع له دلالة. هو قريب من العشرة، أي الكمال. ولكن ناقص واحد، إشارة إلى أن الكمال المطلق لله وحده. أو لأن فرعون وقومه كانوا يعبدون تسعة آلهة مع الفرعون نفسه عاشرهم، فجاءهم بتسع آيات تنقض آلهتهم.

*3"إلى فرعون وقومه": الهدف محدد. الآيات ليست للعرض، بل لإيصال رسالة إلى طاغية وقومه. القائد الرباني لا يصنع المعجزات تفاخراً، بل هداية للناس.

"إنهم كانوا قوماً فاسقين": الفسق هو الخروج عن الطاعة. وصفهم بالفسق قبل أن يبدأ موسى دعوته، لأنه يعلم غيبهم. وهذا ليس معناه أنهم لا يستحقون الدعوة، بل أن حالهم يستدعي الآيات.

*4الملمسة البلاغية: تقديم الفعل "كانوا" يدل على أن الفسق صفة ثابتة راسخة فيهم. ليس طارئاً.

اهم الامور التي سوف نقف عليها

الامر الاول

ما الذي تريد هذه الآية أن تزرعه فيك؟
اولاً: الإيمان بأن النور يخرج من الظلمة

موسى يدخل يده (وهي لونها عادي) في جيبه، فتخرج بيضاء. كذلك أنت، قد تكون حياتك عادية، مظلمة بعض الشيء، مليئة بالهموم. لكن إذا "أدخلتها" في جيب القرب من الله، تخرج بيضاء مشرقة. لا تياس من حالك.

ثانياً: أهمية الخفاء قبل الظهور

السر في "أدخل". لا تخرج يدك البيضاء قبل أن تدخلها. كثير من الناس يريدون أن يكونوا بيضاً مشرقين، لكنهم لم يدخلوا أيديهم في الجيب. الجيب هو الخلو، هو التهيؤ، هو كتمان الطاعة. من أسر صدقة فأخرجها، فهي بيضاء. من أسر دعاء في جوف الليل، ثم نطق به في النهار، فهو بيضاء. لا تتعجل الظهور.

ثالثاً: الفرق بين "آية" و"معجزة"

الآية هي العلامة التي تدل على صدق الرسول. العصا واليد آيتان، لكنهما داخل تسع آيات. ليس المطلوب كثرة الآيات، بل قوة الدلالة. قد تكون آيتك أنت: خلقاً عظيماً، أو علماً نافعاً، أو صدقاً لافتاً. يكفي أن تكون "آية" للناس على صدق إيمانك.

الامر الثاني

الأبعاد المطلوبة لهذه الآية (لبناء الإنسان وإعداده للقيادة):

أولاً: البعد التربوي

. تربية النفس على الكتمان ثم الإفصاح: لا تبح بكل فضائلك. اخبأ حسناتك. ثم إذا أذن الله، أخرجها على قدر الحاجة.
. تربية النفس على النقاء: "من غير سوء". أي اجعل عملك خالصاً لله، لا شائبة فيه من رياء ولا سمعة.

كيف نطبق؟ إذا تبرعت، فبيدك اليمنى لا تعلم شمالك. إذا تعلمت، فاحباً تعلمك حتى يظهر ثمره. إذا صمت، فلا تخبر الناس. إذا ساعدت، فاستر المساعدة.

ثانياً: البعد الفكري

. إدراك أن المعجزات ممكنة: وهذا يوسع الأفق. لا تحصر العلم بما يراه الناس. قد يكون هناك علماء خفياً، أو قدرة خفية، تخرج من جيبك عندما تأمرها الله.
. إدراك أن التحدي يكون بأحسن ما عندك: موسى تحدى فرعون بأحسن ما عنده: عصاه ويده. أنت تحدى مجتمعك الفاسد بأخلاقك البيضاء، وليس بشركته في الفساد.

كيف نطبق؟ لا تحاول مجارة الفاسدين في فسادهم لتثبت وجودك. أثبت وجودك بفضيلتك، كما أثبت موسى وجوده بيده البيضاء.

ثالثاً: البعد النفسي (العقلي)

. بناء الثقة الداخلية: موسى كان يخاف من فرعون، لكن الله أعطاه آية يده البيضاء لتعزز ثقته. عندما تعلم أن لديك "يداً بيضاء" تميزك، يقل خوفك من الناس.
. التدريب على الطلاقة الإيجابية: اليد البيضاء ترمز للانطلاق. بعض الناس عقولهم "يد سوداء" متشائمة. أدخل يدك في جيب التفكير الإيجابي، تخرج بيضاء.

كيف نطبق؟ اكتب قائمة بنقاط قوتك (يدك البيضاء). أدخلها في جيبك (أي لا تتفاخر بها)، لكن عندما يحين وقت الحاجة، أخرجها بثقة.

رابعاً: البعد السياسي (القيادي)

- . القائد يحتاج إلى "أوراق قوة" متعددة: موسى أعطى عصا ويدا. القائد لا يعتمد على وسيلة واحدة. طور نفسك في عدة مجالات.
- . القائد يقدم أدلة عقلية وحسية: العصا تخيف، اليد تجذب. القائد الناجح يجمع بين القوة (الردع) و الجمال (الإقناع).
- . مواجهة الفسق بالآيات وليس بالصخب: فرعون وقومه فاسقون. كيف واجههم موسى؟ بالآيات. لم يوجه لهم إهانات، بل أقام الحجج. القائد الرباني يقدم حلولاً عملية (آيات) لا شعارات جوفاء.
- . كيف نطبق في القيادة؟ إذا كنت مديراً وواجهت فساداً في فريقك، لا تصرخ. قدم آياتك: أداء متميزاً، نظاماً واضحاً، مثلاً شخصياً ناصعاً (بدأً ببيضاء).

خامساً: البعد الثقافي والحضاري

- . ثقافة الإعجاز: أن تؤمن أن الحق قادر على اختراق قوانين الطبيعة المادية. هذه الثقافة تنتج حضارات تسبح في الفضاء وتشق الذرة.
- . ثقافة البياض كرمز للخير: في مقابل ظلام فرعون. ثقافتنا ترفع راية البياض: الصدق، الطهارة، الإ شراق.
- . ثقافة التسع آيات: أي الاستعداد المتكامل. لا ترسل قائداً إلا وقد زودته بعبدة كاملة.
- . كيف نطبق في مجتمعنا؟ نروج للقيم البيضاء في الإعلام والتربية. نصنع قادة مدربين على "تسع آيات" من المهارات، لا على مهارة واحدة.

سادساً: البعد في التنمية وبناء الإنسان

- . تنمية المهارات الخفية: اليد البيضاء لم تكن ظاهرة. طور مهارتك التي لا يراها الناس (القراءة، التفكير، اللياقة النفسية). ثم أخرجها عند الحاجة.
- . تنمية القدرة على المفاجأة الإيجابية: المجتمع يحب من يدهشهم بإشراقه. كن موظفاً يده ببيضاء في الإتيقان، رب أسرة يده ببيضاء في الحنان، معلماً يده ببيضاء في الإخلاص.
- . كيف نطبق في مشاريعنا؟ ادعم الابتكارات التي تنمو في الخفاء ثم تظهر فجأة. شجع العمال على تطوير أنفسهم في "جيبهم" (أوقات فراغهم). ستخرج المشاريع ببيضاء.

الامر الثالث

القيم التي تفرسها هذه الآية:

1. قيمة الخفاء: لا تظهر كل شيء.
2. قيمة النقاء: العمل بلا شائبة.
3. قيمة الإعجاز: لا تستبعد قدرة الله.
4. قيمة التعددية في الأدوات: لا تعتمد على وسيلة واحدة.
5. قيمة المواجهة بالحسنى: قدم البياض، لا السواد.
6. قيمة التشخيص الصحيح للخصم: "قوماً فاسقين" فتعامل معهم بآيات.

الامر الرابع

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي اليوم؟

في عبادتك وعلاقتك بالله:

- . أدخل يدك في جيب الخلو: صل قيام الليل في خفاء. تصدق بسرية. اذكر الله في نفسك. ثم عندما يحين الوقت، أخرج هذه العبادة نوراً في حياتك.
- . اطلب من الله أن يجعل يدك ببيضاء: في دينك، في أخلاقك، في تعاملك.

في بيتك وأسرتك:

- . أدخل يدك في جيب الحلم قبل أن تخرجها غضباً: عندما تغضب من ولدك، أدخل يدك في جيب الصبر لحظة، ثم أخرجها ببيضاء بالحكمة والعفو.
- . كن لزوجتك "يداً ببيضاء": أخرج كرمك، حنانك، تفهمك، من غير سوء (من غير من ولا أذى).

في عملك:

. طور مهارة خفية: تعلم لغة جديدة، برنامجاً جديداً، مهارة تواصل، في سر. ثم فاجئ مديرك بها في الوقت المناسب.
. كن زميلاً "أبيض اليد": لا تأخذ حقوق الآخرين، لا تغش، لا تظلم. نظافة يدك هي آيتك.

في مجتمعك:

. إذا رأيت فساداً: لا تصرخ وتشتتم. قدم يدك البيضاء. قدم مشروعاً ناجحاً، سلوكاً راقياً، حلاً عملياً. هذه هي آيتك على صدق إصلاحك.
. لا تياس من قوم فاسقين: فرعون كان فاسقاً، ومع ذلك أرسل الله إليه موسى. لا تترك الدعوة إلى الخير بحجة أن الناس فاسدون.

الامر الخامس

ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن، في هذه اللحظة؟

أيها الحبيب الذي يقرأ هذه الكلمات،

أنت تملك يداً. قد تكون يد كسب، يد عطاء، يد دعاء، يد أخلاق. هذه اليد الآن في جيبك. جيب الغفلة؟ جيب الخوف؟ جيب التسويف؟

أدخلها الآن في جيب القرب من الله. اختبئ مع الله قليلاً. تب. استغفر. ادع. تصدق. اقرأ. فإذا أذن الله، ستخرج يدك بيضاء، مشرقة، لا يشوبها سوء.

قد تتعجب: "كيف أكون أبيض والناس من حولي فراعنة؟" الجواب: البياض لا يخاف من الظلام، بل الظلام يخاف من البياض. أخرج يدك البيضاء في وجه فرعون داخلك (شهواتك)، وفي وجه فرعون خارجك (المجتمع الفاسد). لا تخف.

وتذكر: أنت لست وحدك. هذه اليد هي نفس اليد التي أخرجها الله لموسى. نفس الإله، نفس الوعد. أدخل يدك في جيب الإخلاص، تخرج بيضاء بإذن الله.

عاهد الله اليوم:

1. أن تدخل يدك في جيب الطاعة السرية: بعيداً عن أعين الناس.
2. أن تخرجها بيضاء: عملاً نقياً، خلقاً عالياً.
3. أن تجعل هذه اليد آية: على صدق إيمانك، لا سلاحاً تؤذي به.

المبحث الخامس

. نحن الآن على أعتاب مشهد يفيض بالتناقض الإنساني العميق. لقد رأينا كيف أعَدَّ الله موسى بالآيات البينات: العصا، اليد البيضاء. ثم كيف جاء بها إلى فرعون وقومه. والآن نرى الرد. لكنه ليس رداً عادياً. إنه رد يفضح أعماق النفس البشرية حين تتمرد على الحق.

تأمل. لقد جاءتهم الآيات "مبصرة"، أي تنير البصائر وتكشف الحقائق. فماذا كان ردهم؟ اتهموها بالسحر. ثم لم يكتفوا بذلك، بل جحدوا بها، وفي اللحظة نفسها، استيقنتها أنفسهم. هذا هو الكبر بعينه. هذا هو الظلم الذي يبدأ من الداخل.

هاتان الآيتان ليستا قصة فرعون فقط. إنهما مرآتك أنت. كم من مرة عرفت الحق واستيقنته، ثم جحدته بسبب مصلحة أو هوى أو خوف أو كبر؟ كم من مرة رأيت "آية مبصرة" في حياتك، ثم قلت في نفسك "هذا سحر" أو "هذا حظ" أو "هذه مصادفة"؟ الآية هنا تعالج أخطر داء بشري: انفصال اليقين الباطن عن الإقرار الظاهر.

تعال... لنقترب من هذا المشهد، وننظر في أعماقنا معاً.

الايه الثالثه عشره : {فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبین}

أولاً : {فلما جاءتهم آياتنا مبصرة}... النور يطرق الأبواب المغلقة

"فلما" هنا تفيد الترتيب السريع والمفاجأة. كأنما بمجرد أن أتم الله تجهيز موسى، ذهب بالآيات، فإذا هم يواجهون بها. "آياتنا" إضافة إلى الله، فيها تشريف عظيم لهذه الآيات، وتذكير بأنها ليست من عند

موسى، بل من مالك الكون.

"مبصرة": هذه صفة عجيبة. لم يقل "واضحات" أو "بينات". قال "مبصرة". أي أنها تجعل من يراها مبصراً. إنها ليست مجرد آيات ترى، بل هي آيات تُبصر، أي تعطي البصيرة. كالنور الذي لا يضيء فقط ، بل يكشف ما حوله. العصا تتحول إلى ثعبان فتبصر القلب بعظمة الله. اليد تخرج بيضاء فتبصر القلب بقدرة الله على قلب الألوان والأشياء.

اللمسة البلاغية والتجويدية: كلمة "مُبصرة" فيها حرف الصاد، وهو من حروف الإطباق، يعطي إحساساً بالإحكام والإتقان. وكأن الآيات محكمة الصنع، لا غبار عليها. والمد في "آياتنا" يعطي إحساساً بكثرة الآيات وتتابعها. عندما تنطقها، كأنك ترى النور يترى أمام عينيك.

ما الذي تشعر به؟ تشعر أن الله لا يترك حجة لأحد. يأتي بالآيات واضحة، كاشفة، لا تحتاج إلى تأويل. وحينها، لا يبقى للإنسان عذر إلا أن يكون في قلبه مرض.

ثانياً: {قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}... الاتهام السهل الدائم

هذا هو الرد. آيات مبصرة، قاطعة، فاصلة. لكنهم لم يقولوا "هذا حق"، بل قالوا "هذا سحر". وليس أي سحر، بل "سحر مبين" أي واضح في كونه سحراً. هم يتهمونه بأشنع تهمة، ويصرّون على أن الأمر واضح.

لماذا قالوا سحراً؟ لأنهم يريدون صرف الناس عن اتباع موسى. التهمة جاهزة لكل نبي: ساحر، مجنون ، كذاب. لأنهم لا يريدون الخضوع للحق، فيحتالون عليه بتسميته سحراً. والعجيب أنهم يعرفون أن السحر له حقيقة، لكنهم يتهمون به موسى مع أن آياته تختلف عن السحر تماماً.

اللمسة البيانية: قدموا "هذا" للإشارة إلى الآيات المشهودة أمامهم، ثم وصفوها بالسحر. أي أنهم اعترفوا بوجود شيء خارق، لكنهم أخطأوا في تفسير مصدره. هذا اعتراف ضمني بالمعجزة، لكنه جحود لمصدرها. وهذا أسوأ من الإنكار التام.

التجويد: "سحرٌ مبينٌ" فيها إدغام صغير، والراء في "سحر" مفخمة، تعطي خشونة في اللفظ توحى بخشونة اتهامهم الباطل. كأن اللفظ نفسه يفضح ظلمهم.

الدرس العظيم: كلما جاء الحق في صورة جديدة، اتهمه أهل الباطل بأنه "سحر" أو "وهم" أو "دجل". هذه سنة. فلا تحزن إذا اتهمك الناس بالسحر أو الجنون وأنت تدعو إلى الله. هذا طريق الأنبياء. **الايه الرابعه عشره:** {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}

أولاً: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ}... انفصام الشخصية الإيمانية

هذه هي أخطر جملة في المشهد. إنها تصف حالة نادرة لكنها موجودة: الجحود مع اليقين.

"جحودوا بها": أي أنكروها بألسنتهم، وأظهروا خلاف ما أبطنوا.

"واستيقنتها أنفسهم": أي تيقنتها قلوبهم وعقولهم يقيناً لا شك فيه. "استيقنت" صيغة مبالغة، تفيد أنهم وصلوا إلى أعلى درجات اليقين.

ما معنى "أنفسهم" هنا؟ في القرآن، تطلق "النفوس" على عدة معان:

- النفس بمعنى الروح والذات: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ}
- النفس بمعنى القلب والوعي والضمير: {وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ} هنا. أي وعيهم الداخلي.
- النفس الأمانة بالسوء: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}
- النفس اللوامة: {وَلَا تُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}

في هذه الآية، النفس هي مركز الإدراك والوعي. هي التي تستيقن الحق. لكن صاحبها يكتنم هذا اليقين ويجحد به. إنه انفصام بين الباطن والظاهر، بين ما يعتقده القلب وما ينطق به اللسان.

لماذا استيقنت أنفسهم؟ لأن الآيات كانت "مبصرة". قوية جداً لدرجة أن عقولهم لم تستطع إنكارها. فاضطرت قلوبهم إلى التصديق، لكن ألسنتهم تمرت.

هذا هو الكفر العنيد. ليس كفر الجاهل، بل كفر العالم. إنه أقبح أنواع الكفر، وأشدّها عقاباً. لأن صاحبه يقاتل الحق وهو يعلم أنه حق.

ثانياً: {ظُلماً وَعُلُوًّا}... الدافعان القاتلان

لماذا يفعل الإنسان هذا التناقض؟ لماذا يجحد ما يعلم يقيناً؟ الآية تجيب: بدافع الظلم والعلو.

1. الظلم: وضع الشيء في غير موضعه. الحق وضعه موضع الباطل، والصدق وضعه موضع الكذب، والرسول وضعه موضع الساحر. وهو ظلم لأنفسهم أولاً، لأنهم حرّموا من نور الإيمان. وهو ظلم للناس، لأنهم صدوهم عن سبيل الله.
2. العلو: الكبر والتعالي والاستكبار. هم استكبروا عن اتباع موسى. قالوا: كيف نتبع هذا الرجل الهارب، الفقير، الذي لا مال له ولا جاه؟ اتباعه يعني الخضوع، وهذا يجرح كبرياءهم كفراعنة. العلو يمنع الإنسان من الانحناء لله، ويمنعه من الاعتراف بالخطأ.

اللغة البلاغية: نصب "ظلماً وعلواً" على أنهما مفعول لأجله. أي جحدوا بسبب الظلم والعلو. وهما مصدران مؤكدان لمعنى الجحود. كأنما الظلم والعلو هما الأصل، والجحود فرع عنهما.

تطبيق على واقعنا: كم من الناس يعرفون الحق ويوقنون به، لكنهم يجحدون بسبب:

- . ظلمهم لأنفسهم (حب الذات، اتباع الهوى، الحرص على المصالح الدنيوية).
- . علوهم وكبرهم (لا أريد أن أبدو ضعيفاً، لا أريد أن أتراجع عن موقفي، أنا أكبر من أن أتبع فلاناً).
- . الخوف من الناس (ماذا يقولون عني إذا أمنت؟ سيضحكون علي).

ثالثاً: {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}... دعوة للاعتبار والتأمل

"فانظر" أمر للنبي ﷺ ولكل قارئ إلى يوم القيامة. انظر بعين الاعتبار والتفكير، لا بعين الغفلة. "كيف" تفيد التعجب والاستفهام للتقرير. "كان عاقبة" أي النهاية السيئة التي حلت بهم. "المفسدين" وصفهم بدل "الكافرين" أو "الظالمين". لأن فسادهم كان متعبداً: أفسدوا عقائد الناس، وأرضهم، وأنفسهم، ومجتمعهم.

ما هي عاقبتهم؟ في قصة موسى: الفرق في البحر. وفي كل زمان: الذل والهوان والنكال. وفي الآخرة: النار وبئس المصير.

"المفسدين" هم الذين يفسدون في الأرض بعد إصلاحها. وفسادهم يبدأ من فساد قلوبهم بالظلم والعلو، ثم يمتد إلى فساد الأخلاق والاقتصاد والسياسة. وعاقبتهم حتمية: الدمار.

اللغة البيانية والتجويدية: "فانظر" فيها حرف النظر، والراء مفخمة، كأنها دعوة للتأمل العميق. "كيف" تفيد التعجب، كأن العاقبة تستحق التعجب من شدتها. "عاقبة" فيها قاف مفخمة، تدل على الثقل والجدية. "المفسدين" فيها كسر تحت الصاد، ومد في الياء، كأنها تمد العبرة إلى كل زمان ومكان.

الدرس: لا تغتر بقوتك أو مكرك. الظالم وإن طال أمده، فالله يأخذه أخذ عزيز مقتدر. انظر في تاريخ الطغاة: فرعون، هتلر، صدام، وغيرهم. أين هم اليوم؟ عبرة لمن يعتبر.

**اهم الامور التي سوف نقف عليها بما هو متعلق بهذه الآيات
الامر الاول**

العلاقة بين هاتين الآيتين والآيات السابقة:

الآيات السابقة كانت عن إعداد الله لموسى: العصا، اليد البيضاء، التسع آيات. ثم كانت الآية السادسة عن تلقي النبي ﷺ القرآن من لدن حكيم عليم. والآية السابعة عن رحلة موسى إلى النار. والثامنة والتاسعة عن النداء والتكليف. والعاشر والحادية عشرة عن إلقاء العصا والخوف والطمأنينة. والثانية عشرة عن اليد البيضاء.

والآن، هاتان الآيتان عن لحظة المواجهة الأولى مع فرعون وقومه. إنها المعادلة الأبدية:

- . الله يرسل الآيات مبصرة.
- . الفاسقون يقولون "سحر مبين".

. فيجحدون مع اليقين بدافع الظلم والعلو.
. فتكون العقابة الدمار.

وهذا يحدث مع كل رسول، ومع كل داعية إلى الله، بل مع كل من يأتي بالحق في مجتمع فاسد.
يأتي بالنور، فيقابل بالاتهام والجحود، ثم يرى العقابة.

الامر الثاني

المواضيع والمفاهيم الرئيسية في هاتين الآيتين:

المفهوم الأول: الجحود بعد اليقين (أخطر مرض نفسي وروحي)

أن يعرف الإنسان الحق بقلبه وينكره بلسانه. هذا ليس كفراً عادياً، بل كفر "العلماء" و"المستكبرين".
وهو الذي يستحق أشد العذاب. إنه انفصام في الشخصية، ومرض في الإرادة.

المفهوم الثاني: الظلم والعلو هما جذور الكفر والعناد

ليس الجهل هو السبب الوحيد للضلال، بل في كثير من الأحيان يكون الظلم (وضع الشيء في غير موضعه) والعلو (التكبر عن الخضوع لله) هما الدافعان الأساسيان. من تواضع لله اهتدى. من تكبر ضل.

المفهوم الثالث: الآيات "مبصرة" لكن العيون عمى

العبرة ليست بوجود الدليل، بل باستعداد النفس لقبوله. الآية قد تكون قاطعة كالشمس، لكن القلب الأعمى لا يراها. والعين التي يغطيها غشاء الكبر لا تبصر النور.

المفهوم الرابع: عقابة المفسدين سنة إلهية لا تتخلف

الفساد ينتهي بالدمار سواء في الأمم السابقة أو في حاضرتنا. من يفسد في الأرض، وينشر الظلم و العلو، مصيره الهلاك. هذه سنة كونية، يمكن ملاحظتها في التاريخ والواقع.

المفهوم الخامس: معنى "النفس" في القرآن

النفس ليست شيئاً واحداً. يمكن أن تكون مطمئنة، لوامة، أمارة، أو مستيقنة. وفي هذه الآية، النفس هي مركز الوعي واليقين. وهي التي تشهد على صاحبها يوم القيامة.

الامر الثالث

القيم التي تغرسها هاتان الآيتان:

1. قيمة الصدق مع النفس: ألا نكابح الحق الذي نعرفه في أعماقنا.
2. قيمة التواضع: العلو هو أم الأمراض، والتواضع مفتاح كل خير.
3. قيمة العدل: ألا نضع الحق في غير موضعه، وألا نظلم أنفسنا أو غيرنا.
4. قيمة الاعتبار بالعاقبة: التفكير في نهاية الظالمين قبل أن نبدأ طريقهم.
5. قيمة تحمل المسؤولية: الظلم ليس فقط بحق الآخرين، بل بحق النفس أولاً.
6. قيمة عدم اليأس من الطغاة: فرعون طغى، لكن الله أرسل إليه موسى. لا تيأس من هداية أحد.

الامر الرابع

الأبعاد المطلوبة (تربوية، نفسية، فكرية، سياسية، تنموية):

أولاً: البعد التربوي

. تربية النفس على قبول الحق: مهما كان مصدره، ومهما كلفها من جهد أو ثمن. علم أولادك أن الاعتراف بالخطأ فضيلة، لا عيب.
. تربية النفس على مراجعة دوافع الجحود: قبل أن ترفض فكرة، اسأل نفسك: هل أنا أرفضها لأنها خاطئة حقاً، أم لأنها تجرح كبريائي أو مصلحتي؟
. تربية النفس على التواضع: الخضوع لله وللحق يرفع الإنسان، لا يذله. أعظم الناس عند الله أتواضعهم.

كيف نطبق في تربية الأبناء؟ علمهم أن الخطأ ليس عيباً، والعناد هو العيب. إذا أخطأ، فليعترف ويصحح. علمهم أن يقولوا "أنا مخطئ" و"أنت على حق" دون أن يشعروا بجرح كرامتهم. هذا هو عكس "العلو".

ثانياً: البعد النفسي

. الوعي بميكانيزمات الدفاع النفسي: الجحود هو آلية دفاعية لتجنب الشعور بالذنب. الشخص يعرف أنه على خطأ، لكنه ينكر ليهرب من الألم. هذه الآلية تكشف هذه الآلية.
. علاقة اليقين بالسلوك: اليقين الحقيقي هو ما يتحول إلى إيمان وعمل. أما اليقين الذي يبقى في النفس ويجحد به اللسان، فهو مرض يحتاج إلى علاج.
. الكبر (العلو) كعائق معرفي: الكبر يحجب الرؤية. المتكبر لا يرى الحق حتى لو كان أمام عينيه. الكبر هو حجاب القلب الأكبر.

كيف نطبق في حياتنا؟ عندما تجد نفسك ترفض فكرة ما بعنف، أو تغضب من نقد وجه إليك، توقف واسأل: هل أنا مقتنع حقاً أن الطرف الآخر مخطئ، أم أن كبريائي هو الذي يمنعني من قبول الحق؟ درب نفسك على "الاستيقان" ثم "الإقرار".

ثالثاً: البعد الفكري

. فهم ظاهرة الجحود التاريخية: لماذا كذب السابقون رسلكم؟ ليس لضعف الدليل، بل لوجود حاجز نفسي (ظلم وعلو). هذا يساعدنا في تحليل واقعنا. كلما رأيت شخصاً يعاند الحق بعنف، اعلم أن في داخله ظلماً وعلواً.
. التمييز بين العلم والإيمان: يمكن أن يعلم الإنسان الشيء (استيقنت أنفسهم) لكنه لا يؤمن به (جحدوا). الإيمان يحتاج إلى خضوع وإرادة، ليس فقط معرفة. هذا يفسر لنا كيف يعيش الملحدون وهم يعلمون الحق في أعماقهم.

كيف نطبق؟ في دعوتنا، لا نركز فقط على إقامة الأدلة، بل أيضاً على كسر حاجز الكبر والظلم الداخلي. أحياناً يحتاج الشخص إلى معالجة نفسية قبل فكرية.

رابعاً: البعد السياسي والقيادي

. تحليل سلوك الطغاة: فرعون لم يجهل صدق موسى، لكنه جحد ظلماً وعلواً. هذا نموذج لكل طاغية يعرف الحق ويحاربه لحماية عرشه وسلطته. الطغاة ليسوا جهلة، بل هم ظلمة متكبرون.
. القائد العادل يقبل النقد: أما القائد الظالم المتكبر، فيرفض الحق حتى لو أيقن به، لأنه يرى فيه تهديداً لسلطته. المؤسسات التي تقودها شخصيات متكبرة محكوم عليها بالفشل.
. العاقبة المحتومة للمفسدين: هذا يطمئن القائد الرباني: لا بد أن يأتي يوم يرى فيه العاقبة. لا تظن أن الظلم يفلت. سنة الله لا تتخلف.

كيف نطبق في الإدارة؟ عندما يوجه لك نقد من مرؤوس أو زميل، لا تردده بدافع الكبر. افحصه بموضوعية. ربما يكون حقاً، وكبرياؤك هو الذي يمنعك من قبوله. القائد العظيم هو من يقول "شكراً على النقد، سأفكر فيه".

خامساً: البعد التنموي والحضاري

. الفساد يبدأ من النفس ثم يمتد: الظلم والعلو يفسدان الفرد، ثم الأسرة، ثم المجتمع. التنمية الحقيقية تبدأ بتطهير النفس من هاتين الآفتين. لا يمكن بناء حضارة على قلوب مليئة بالكبر والظلم.
. المجتمع الذي يعرف الحق ويجحد به هو مجتمع مفسد: لا يمكن بناء مجتمع قوي على جحود واستكبار. الحضارة تحتاج إلى تواضع للحق، وقبول للنقد، واعتراف بالخطأ.
. النظر في العاقبة كأداة للتخطيط الاستراتيجي: "فانظر كيف كان عاقبة المفسدين" درس استراتيجي. قبل أن تقدم على فساد، فكر في العاقبة. أي مشروع أو سياسة قائمة على الظلم والعلو، مصيرها الفشل والدمار.

كيف نطبق في مشاريعنا؟ أي مشروع تنموي يحتاج إلى ثقافة الشفافية والاعتراف بالأخطاء. المؤسسات التي تقبل الحق ولو كان مراراً هي التي تنجو وتتطور. شجع ثقافة "المراجعة الذاتية" و"النقد البناء" في مؤسستك.

سادساً: البعد في بناء الإنسان (الشخصية المسلمة)

هاتان الآيتان تبينان شخصية مسلمة:

- تعرف الحق وتتبعه: لا تجحد ما استيقنته.
- متواضعة: لا علو فيها.
- عادلة: لا ظلم فيها.
- معتبرة: تتعلم من عاقبة المفسدين.
- مصلحة: وليست مفسدة.

الامر الخامس

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي اليوم؟

في علاقتك مع الله ومع نفسك:

- اسأل نفسك بصدق: هل هناك حق أعرفه، لكنني أجاهد نفسي لأجحده؟ ربما تعلم أن الصلاة خير، لكنك تؤخرها. هذا جحود عملي. ربما تعلم أن الغيبة حرام، لكنك تفعلها. هذا جحود.
- تب من "الظلم والعلو" الصغيرين: كل يوم، راجع موافقك. هل ظلمت أحداً بقول أو فعل؟ هل تكبرت على أحد؟ تب واطلب السماح.
- استحضر أن الله يعلم استيقانك وجحدك: لا يمكن أن تخفي عنه يقين قلبك. إذا كنت تعرف أن أمراً حق، فاتبعه.

في بيتك وأسرتك:

- إذا نقدك أحد أفراد أسرتك: لا تقل "أنت صغير ولا تفهم" (علو). استمع، واعترف بالخطأ إذا كان حقاً.
- لا تظلم زوجتك أو أولادك: لا تضع حقوقهم في غير موضعها. كن عادلاً، وتواضع لهم.

في عملك:

- إذا قدم لك زميل فكرة أفضل من فكرتك: لا تجحدها بدافع الكبر. قل "فكرة رائعة" وادعمه.
- إذا أخطأت في قرار: لا تتماذى في الخطأ بدافع "العلو". اعترف بالخطأ، وعدل مسارك.
- انظر في عاقبة المفسدين في شركتك: أولئك الذين يظلمون زملاءهم، أو يسرقون، أو يتكبرون. أين هم اليوم؟ العاقبة غالباً الفصل أو الكراهية أو الفشل.

في مجتمعك:

- لا تطلق تهمة "سحر" على كل ما تخالفه: ليس كل إصلاح سحراً، وليس كل فكرة جديدة بدعة. كن منصفاً.
- لا تجحد حقاً تعرفه خوفاً من الناس: إذا عرفت أن مرشحاً معيناً هو الأفضل، فادعمه، ولا تخف من كلام الناس.
- انظر في عاقبة المفسدين في تاريخ أمتك: ادرس تاريخ الذين استكبروا وجحدوا الحق من الفراعنة والبطاغاة. كيف انتهى بهم الأمر؟ هذا يعطيك بصيرة في واقعك.

الامر السادس

ما الذي تدعوك إليه هاتان الآيتان الآن، في هذه اللحظة؟

أيها القلب الذي يقرأ هذه الكلمات،

توقف. خذ نفساً عميقاً. واسأل نفسك بكل صدق: هل هناك حق تعرفه، لكنك تجحده؟

قد يكون حقاً في دينك تؤمن به لكن لا تطبقه (جحود عملي). قد يكون حقاً في أخلاقك تعرفه لكنك تكابر فيه. قد يكون حقاً في نقد وجه إليك من شخص تعرفه، ويقيني أنك أنه صحيح، لكنك ترفضه بسبب الكبر.

قد يكون الأمر أبسط: تعلم أن الصدق ينجي، لكنك كذبت اليوم. تعلم أن العفو خير، لكنك أصرت على الخصومة. تعلم أن المال الحرام لا بركة فيه، لكنك أخذته.

هاتان الآيتان تقولان لك: هذا هو طريق المفسدين. هذا هو الذي أغرق فرعون. لا تكن مثله.

· لا تكن ممن "جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم". كن صادقاً مع نفسك أولاً. كن متواضعاً مع الحق.

لا تجعل الكبر والظلم يحجزان بينك وبين الهدى.
· لا تكن ممن يرى الآيات المبصرة فيقول "سحر مبین". كن من يقول "أمنأ بها". كن من يرى نعم الله وأياته في الكون وفي نفسه وفي كتابه، فيشكر ويسجد.
· تذكر أن العاقبة لمن أصلح، لا لمن أفسد. العاقبة للمتقين، لا للمتكبرين. العاقبة للعاديين، لا للظالمين.

عاهد الله اليوم على ثلاثة أشياء:

1. أن تتصلح مع الحق: أينما كان، ومهما كلفك. اكتب ورقة: "أنا أومن بأن الحق كذا، وسأأخذ منهجاً لي".
2. أن تتخلص من الظلم والعلو في قلبك: بالتواضع، والاعتراف بالخطأ، ورد المظالم.
3. أن تتفكر في عاقبة المفسدين: قبل أن تسلك طريقهم. اقرأ التاريخ، وانظر في واقفك، واستفد.

المقطع الثالث

لقد كنا في الآيات الماضية نفوص في ظلام فرعون وجحوده وظلمه وعلوه. رأينا كيف استيقنت نفسه بالحق ثم جحد به، فكانت عاقبته الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة. والآن، وبعد أن انتهى مشهد الطفبان والفساد، يأتي الله بمشهد آخر: مشهد النبوة والحكمة والشكر. كأنه يقول: "هذا طريق المفسدين، وهذه عاقبتهم. والآن أريكم طريق آخر، طريق المصلحين، طريق الأنبياء الذين أتيتهم العلم فشكروني، وتواضعوا لي، فعظمتهم."

إنها الآية الخامسة عشرة من سورة النمل. انتقال مذهل من فرعون الذي استيقن فجحد، إلى داود وسليمان اللذين آتاهما الله علماً فحمداه وشكرا. بينما فرعون ظلم وعلأ، ففرق. داود وسليمان شكرا وتواضعاً، فضلاً. الفرق شاسع. والدرس عميق.

تعال... لنعيش هذه اللحظة المباركة مع نبيين كريمين، أب وابنه، جمعتهما النبوة والحكم والملك، وجمع قلوبهما على حمد الله وشكره. إنها لحظة تستحق أن نقف عندها طويلاً عند هذه البدايه التي انطلقت منها قصة نبي الله سليمان **قال تعالى** (**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا**) **وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَيَّ كَثِيرٌ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ** }

أولاً : { **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا** }... {الإيتاء الإلهي للعلم

"ولقد": الواو للعطف على ما سبق) قصص الأنبياء، واللام للقسم، وقد للتحقيق. الله يقسم: لقد أعطى داود وسليمان علماً. القسم هنا لبيان عظمة هذه النعمة، ولتأكيد أن العلم ليس مجرد كسب بشري، بل هو إيتاء إلهي. الله هو المعطي، يمن به على من يشاء من عباده.

"آتيناً": فعل ماضٍ بصيغة الجمع للتعظيم، يفيد الامتنان والكرم. الإيتاء إعطاء مع التمكين والتبسط. ليس مجرد إلقاء المعلومة، بل تمكينهم من فهمها واستيعابها والعمل بها.

"داوود وسليمان": ذكر الأب ثم الابن. وداود هو أبو سليمان، نبي الله وملك بني إسرائيل، أوتي الزبور والملك والحكمة. وسليمان ورث النبوة والملك والحكمة، وزاده الله تسخير الريح والجن وفهم منطق الطير.

"علماً": نكرة في سياق الإثبات، تفيد التعظيم والكثرة. علماً عظيماً، متنوعاً، شاملاً. علم الشرع، علم القضاء، علم اللغة) فهم منطق الطير، علم تسخير المخلوقات، علم السياسة، علم الإدارة. علماً لم يؤته أحد من قبل.

اللمسة البيانية والتجويدية: كلمة "آتيناً" فيها مد، كأنه مد العطاء. وحرف الطاء مفخم، يعطي إحساساً بقوة الإيتاء وتمكينه. كلمة "داوود" فيها حرف الواو والمد، تناسب ملكه. "سليمان" فيها سين مهموسة، تعطي انسيابية تتناسب مع حكمته. والوقف على "علماً" يترك في النفس أثراً. أي علماً عظيماً لا يعلم مداه إلا الله.

ثانياً: { **وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ** }... {رد فعل الأنبياء: الشكر لا الكبر

بعد أن أعطاهم الله هذا العلم العظيم، ماذا قالوا؟ لم يقل أحدهما: "أنا أعلم الناس"، ولم يفاخرا، ولم يستكبرا. بل قالوا: "الحمد لله". هذا هو الفرق بين النبي والمتكبر. فرعون لما أوتي ملكاً قال: {أنا ربكم الأعلى}. داود وسليمان لما أوتيا علماً قالوا: الحمد لله.

"الحمد": هو الثناء على الله بصفات الكمال، مع المحبة والتعظيم. وهو أعم من الشكر. الشكر يكون على النعم، والحمد يكون على الذات والصفات والنعم. هنا حمداه على نعمة العلم، وعلى سائر نعمه.

"لله": حصر أي الحمد كله لله وحده، لا شريك له. لم يحمدا أنفسهما، ولا علماً آخر، ولا سبباً بشرياً. ردوا الفضل كله إلى الله.

اللمسة البلاغية: حذف المفعول به. لم يقل "الحمد لله على العلم"، بل قال "الحمد لله" مطلقاً، ليشمل كل أنواع الحمد، وعلى كل النعم. وهذا من فصاحتها. فالعلم نعمة عظيمة، لكنهما حمدا الله مطلقاً ليشمل النعمة وغيرها.

ثالثاً: { **الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَيَّ كَثِيرٌ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ** }... {الاعتراف بالفضل مع التواضع

"الذي فضلنا": وصف الله بالفضل. والفضل هو الزيادة والعطاء الزائد. لم يقلوا "أعطانا"، بل

"فضلنا". لأن العلم الذي أوتياه كان فضلا ً زائداً على غيرهما من المؤمنين.

"على كثير من عباد المؤمنين": هذه لمسة دقيقة جداً في التواضع. لم يقلوا "على جميع الناس"، ولا "على جميع المؤمنين"، بل "على كثير من عباده المؤمنين". تركا الباب مفتوحاً أن هناك من هو أفضل منهما من المؤمنين. مع أن داود وسليمان من أعظم الأنبياء، لكن تواضعهما جعلهما لا يدعيان التفضيل على كل المؤمنين، بل على كثير منهم. وهذا من كمال أدبهما.

"عباده المؤمنين": أضافهم إلى الله بقوله "عباده" تشريراً لهم. ثم وصفهم بالإيمان. أي أن التفضيل لم يكن على الكافرين) فذاك واضح، بل على المؤمنين أنفسهم. فهذا تفضيل في الدرجات داخل الإيمان.

اللمسة البيانية: تكرار حرف الجر "على" في "فضلنا على" و"على كثير" يفيد الاستعلاء المعنوي، أي أن فضلهم أعلى من فضل كثير من المؤمنين. لكنه فضل بالعلم لا بالذات، فهم متواضعون.

التجويد: "فُضِّلْنَا" فيها حرف الضاد مفخم، وشدته تدل على كثرة التفضيل. "عباده" فيها كسر للدال، ومد في الهاء، كأنها تخرج برقة. "المؤمنين" فيها همزة وصل ومد، ووقف عليها يعطي إحساساً بالشمولية.

وبالوقوف والتأمل على الآيه والتدبر نجد الآتي الامر الاول

ما الذي تريده هذه الآية أن نتعلمه؟
أولاً: العلم نعمة إلهية، لا مكتسب بشري محض

نحن نتعلم ونجتهد، لكن التوفيق والفهم والإلهام من الله. "آتيناً" وليس "تعلموا". هذا يزرع التواضع في قلوب العلماء. لا تفخر بعلمك، فهو هبة من الله.

ثانياً: رد فعل العلم هو الحمد، لا الفخر

كلما ازدت علماً، ازدت حمداً لله. لا تزداد عجباً بنفسك. انظر إلى أعلم الخلق) داود وسليمان (كيف قالوا "الحمد لله". من ترك الحمد إلى الفخر، فقد خالف سنة الأنبياء.

ثالثاً: الاعتراف بالتفضيل مع عدم الادعاء بالكمال

يجوز للمؤمن أن يعترف بأن الله فضله على غيره في بعض الأمور، لكن بتواضع. قالوا "على كثير" وليس "على كل". هذا يقي من الحسد والكبر. أنت قد تكون أفضل من غيرك في شيء، لكن غيرك أفضل منك في شيء آخر.

رابعاً: المؤمنون عباد الله، وهم متفاوتون في الدرجات

الآية تؤكد أن التفضيل داخل صفوف المؤمنين. ليس كل المؤمنين في درجة واحدة. هناك علماء، هناك شهداء، هناك صديقون. هذا يحفز على المسابقة في الخيرات، ويمنع الكسل.

الامر الثاني

الخصوصيات التي تميز هذه الآية:

1. الجمع بين نبيين في آية واحدة: نادر أن يذكر نبيان معاً بهذا الشكل، ليظهر التوارث في العلم والحكمة.

2. تقديم داود على سليمان مع أن قصة سليمان ستأتي مطولة في السورة: وذلك لأن داود هو الأصل، وسليمان فرع عنه. ولأن داود أوتي الزبور أولاً.

3. قول "قالا" وليس "قال" مع أن لكل واحد مقامه: لأنهما اتفقا على الحمد، واتحد قلبهما على الشكر. وهذا يدل على تربيتهم الرائعة.

4. الاستثناء "على كثير" وليس "على جميع": تواضع نادر من نبيين عظيمين.

5. إضافة العباد إلى الله: "عباده المؤمنين": تشریف للمؤمنين، وتذكير بأنهم عباد الله، لا أنداد له.

الامر الثالث

العلاقة بين هذه الآية والآيات السابقة واللاحقة:

. العلاقة بالآيات السابقة) فرعون(فرعون أوتي ملكاً وجنوداً، فكفر واستكبر. داود وسليمان أوتيا علماً، فشكرا وتواضعاً. مقارنة بين طريق المفسدين وطريق المصلحين.

. العلاقة بالآيات اللاحقة) قصة سليمان مع النمل والهدد وبلقيس(هذه الآية هي تمهيد لقصة سليمان التي ستبدأ من الآية 16 فهي تذكرنا أن سليمان أوتي علماً، وأنه كان من الشاكرين. لذلك،

عندما سنقرأ قصته، سنستوعب أن كل ما يفعله من حكم وعلم هو من فضل الله، وأنه لم يتكبر بل شكر.

الامر الرابع

المواضيع والمفاهيم الرئيسية في هذه الآية:

المفهوم الأول: العلم نور، والشكر حفظة

العلم بلا شكر يؤدي إلى الكبر (كما في قارون وفرعون). (العلم مع الشكر يؤدي إلى مزيد العلم و الفضل. قال تعالى: {لئن شكرتم لأزيدنكم}).

المفهوم الثاني: التواضع علامة العلماء الربانيين

أعلم الناس هم أتواضعهم. لا يزعمون أنهم أفضل من كل الناس. يقولون كما قال سليمان: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}.

المفهوم الثالث: الحمد لله هو خاتمة كل نعمة

كل نبي حمد الله، وكل مؤمن شاكر يحمد الله. الحمد يثبت النعمة، ويزيدها، ويبقي من الزوال.

المفهوم الرابع: التفاضل بين المؤمنين سنة إلهية

لا تستوي درجات المؤمنين. هذا يخلق روح التنافس في الخير، ويمنع الكسل والاتكال.

الامر الخامس

القيم التي تفرسها هذه الآية:

1. قيمة الشكر: شكر الله على كل نعمة، خاصة نعمة العلم.
2. قيمة التواضع: عدم الادعاء بالفضل على جميع الناس.
3. قيمة الحمد: جعله لسان الحال والمقال.
4. قيمة العلم: كأعظم نعمة بعد الإيمان.
5. قيمة النسب المبارك: داود وسليمان أب وابن، كلاهما نبي، وهذا يربي على أهمية التربية الصالحة لأبناء.
6. قيمة الإخاء في الإيمان: "عبادة المؤمنين" تجمع كل المؤمنين في أخوة واحدة.

الامر السادس

الأبعاد المطلوبة) تربوية، نفسية، فكرية، سياسية، تنموية):

أولاً: البعد التربوي

. تعليم الأبناء الحمد عند تلقي العلم: بدل أن يقول الطفل "أنا ذكي" أو "أنا متفوق"، يعلم أن يقول "الحمد لله الذي علمني". هذا يربي على التواضع والشكر.
. تربية الجيل على أن العلم هبة من الله، وليس مجرد جهد بشري: هذا يحفظهم من العجب والغرور.
. تعليمهم أن التفضيل بين الناس بالتقوى والعلم، لا بالمال والجاه: وأنه يجوز أن تشعر بأن الله فضلك على غيرك، لكن بتواضع، وليس بازدراء.

كيف نطبق؟ عندما ينجح ابنك في الامتحان، قل له: "احمد الله أولاً، ثم افرح". وعلمه أن يقول: "الحمد لله الذي وفقني". عندما تتعلم شيئاً جديداً، اجعل "الحمد لله" أول كلمة تخرج من فمك.

ثانياً: البعد النفسي

. الحمد كعلاج للكبر والعجب: الشخص الذي يكثر من الحمد لله، يقل كبره. لأنه يعترف أن كل فضل من الله.
. الحمد كعلاج للحسد: عندما ترى من فضله الله عليك، تحمده، ولا تحسد غيره. لأنك تعلم أن الله هو المعطي، وهو يفضل من يشاء بحكمته.
. التواضع كعلامة صحة نفسية: الشخص المتواضع أكثر تقبلاً للآخرين، وأقل عرضة للاكتئاب والوحدة.

كيف نطبق؟ درب نفسك على قول "الحمد لله" عند كل نجاح، صغيراً كان أو كبيراً. هذا سيمنع من

تكون عقدة العظمة عندك. وإذا رأيت شخصا أفضل منك، قل: "الحمد لله الذي فضله عليّ، وأسأل الله من فضله".

ثالثاً: البعد الفكري

. إدراك أن العلم المادي وحده لا يكفي، بل لا بد من العلم النافع الذي يقود إلى الحمد: العلم الذي يزيد الإنسان كبراً هو علم ضار. العلم الذي يزيده تواضعاً وشكراً هو العلم النافع.
. التفريق بين التفضيل الذاتي والتفضيل العطاوي: داود وسليمان لم يقل "أنا أفضل"، بل قال "الله فضلنا". أي أن التفضيل من الله، وليس منهم. هذا يحمي من الإعجاب بالنفس.
. فكرة أن الإيمان درجات: هذا يفتح باباً للاجتهاد وطلب الزيادة، ويمنع الرضا بالدون.

كيف نطبق؟ عندما نقرأ كتاباً أو ندرس علماً، لا تكتفِ بالمعلومة، بل فكر: كيف تقودني هذه المعلومة إلى شكر الله؟ كيف تزيدني تواضعاً؟

رابعاً: البعد السياسي والقيادي

. القائد الحقيقي هو من يشكر الله على فضله، لا من يتكبر: القائد الشاكر يحبه الله والناس. القائد المتكبر يبغضه الله والناس.
. الاعتراف بأن التفضيل من الله، وليس من كفاءتك الشخصية: هذا يقي القائد من الاستبداد والظلم. لأنه يعلم أنه لو شاء الله لنزع النعمة.
. القدوة الحسنة في الحمد: القائد إذا حمد الله علناً، يربي أتباعه على التواضع والشكر.

كيف نطبق في الإدارة؟ عندما ينجح فريقك في مشروع، لا تقل "أنا الذي قادتهم"، بل قل "الحمد لله الذي وفقنا". أذكر فضل الله أولاً، ثم اجتهد الفريق. هذا سيزيدهم حباً واحتراماً.

خامساً: البعد التنموي والحضاري

. الحمد كأساس للتنمية المستدامة: المجتمع الشاكر تنمو نعمه. المجتمع الكافر (الجاحد) تنزع نعمه. قال تعالى: {لئن شكرتم لأزيدنكم} ^ط ولئن كفرتم إن عذابي لشديد}.
. التواضع كشرط للتطور الحضاري: الأمم المتواضعة التي تعترف بفضل غيرها تتقدم. الأمم المتكبرة التي ترى نفسها أفضل من كل الأمم تتخلف.
. العلم هو رأس المال الحقيقي للأمة: داود وسليمان أوتيا علماً، فبنيا حضارة عظيمة. الاستثمار في العلم هو أساس النهضة.

كيف نطبق في مشاريعنا التنموية؟ أي مشروع تنموي يجب أن يبدأ بـ "الحمد لله" وينتهي به. شكر الله على التوفيق، والاعتراف بأن الفضل له. هذا يجلب البركة. واجعل التواضع قيمة في مؤسستك: لا أحد يعرف كل شيء، الجميع يتعلم من الجميع.

سادساً: البعد في بناء الإنسان) الشخصية المسلمة)

هذه الآية تبني شخصية مسلمة:

. عالمة: تطلب العلم النافع.
. شاكرة: تحمد الله على كل حال.
. متواضعة: لا ترى نفسها أفضل من كل الناس.
. مؤمنة بالتفاضل: تسابق في الخيرات.
. مباركة: لأن شكرها يجلب الزيادة.

الامر السابع

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي اليوم؟

في علاقتك مع الله:

. كل صباح: قل "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور". وقل "الحمد لله على نعمة الإسلام والعلم".

. عند كل تعلم جديد: لا تقل "أنا فهمت"، بل قل "الحمد لله الذي علمني ما لم أكن أعلم".
. عند النجاح: لا تفرح فرحاً فيه كبر، بل قل "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات".

في بيتك وأسرتك:

- علم أولادك أن يقولوا "الحمد لله" عند الانتهاء من الواجب، وعند النجاح في الامتحان.
- إذا اشتكى أحد منكم من نقص نعمة، ذكره بنعم كثيرة ليحمد الله عليها.
- لا تقارن بين أبنائك بطريقة تؤذي مشاعرهم. قل: "كل منكم له فضله، والحمد لله".

في عملك ودراستك:

- عند بدء مشروع جديد: قل "الحمد لله الذي وفقنا لهذا".
- عند حل مشكلة صعبة: قل "الحمد لله الذي ألهمنا الحل".
- إذا مدحك الناس على إنجازك: قل "الحمد لله، وفضل الله، ثم جهدكم". رد الفضل إلى الله أولاً.
- لا تحتقر زميلاً أقل منك علماً أو مهارة. تذكر أن الله فضلك على كثير، وقد فضله عليك في شيء آخر.

في مجتمعك:

- لا تنظر بازدراء إلى أي فئة أقل تعليماً أو مالا. قل: "الحمد لله الذي فضّلني، وأسأل الله أن يفضّلهم".
- شجع على ثقافة الحمد: في المجالس، في وسائل التواصل، في الخطابات. اجعل "الحمد لله" شعاراً.
- لا تتباهى بعلمك أو نسبك. تذكر أن داود وسليمان وهما من أعظم الناس قالوا "فضلنا على كثير"، وليس "على كل".

الامر الثامن

ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن، في هذه اللحظة؟

أيها القلب المتعطش للحكمة،

لقد أعطاك الله علماً. قد لا يكون كعلم داود وسليمان، لكنه علم. تعلمت شيئاً في دينك، في دنياك، في نفسك. هل قلت "الحمد لله" حقاً؟ أم أنك تتباهى بعلمك على غيرك؟

اسأل نفسك:

- عندما تعلمت شيئاً جديداً اليوم، هل قلت "الحمد لله"؟
- هل تشعر في داخلك أنك أفضل من بعض الناس بسبب علمك أو منصبك أو مالك؟
- هل تردد أحياناً: "أنا أعرف أكثر منه"، "أنا أفضل منه"؟
- هل تظن أن نجاحك كان بجهدك فقط، وأن الله لم يكن له دور كبير؟

هذه الآية تصفك بلطف: "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا". الله هو المعطي. فلماذا تعجب بنفسك؟ وتقول "الحمد لله" كما قالوا. وتتواضع كما تواضعوا. وتقر أن الله فضلك على كثير، لكن ليس على كل.

لا تكن مثل فرعون. فرعون أوتي ملكاً فقال "أنا ربكم الأعلى". كن مثل داود وسليمان: أوتيا علماً فقا لا "الحمد لله".

عاهد الله اليوم:

1. أن تجعل "الحمد لله" رفيق دربك: عند كل نعمة، عند كل علم، عند كل نجاح.
2. أن تتواضع: لا تظن أنك أفضل من أحد. فالتفضيل لله، وهو يعلم من أين يأتي الخير.
3. أن تشكر الله على نعمة العلم: وتستخدمه في طاعته، لا في معصيته.
4. أن تطلب العلم النافع: الذي يزيدك إيماناً وخشياً وتواضعاً.

اللهم إنا نسألك علماً نافعا، وقلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا. اللهم كما أتيت داود وسليمان علماً، فأتنا من فضلك علماً نفع به عبادك، ونعمر به أرضك، ونقرب به إليك. اللهم اجعلنا من الشاكرين الحامدين، المتواضعين في أنفسنا، العارفين بأن كل فضل منك. إنك أنت العزيز الحكيم، الوهاب المجيد.

المبحث الثاني

أهلاً بك أيها الساعي إلى ميراث النبوة، أيها الطالب لعلم لم يؤته إلا القليل. نحن الآن على أعتاب لحظة فارقة في تاريخ البشرية: لحظة انتقال النبوة والملك والحكمة من أب إلى ابن، من داود إلى

سليمان. إنها ليست مجرد وراثة مال أو منصب، بل وراثة علم النبوة، وفهم أسرار الخلق، والتسخير الإلهي.

لقد رأيت في الآية الماضية كيف قال داود وسليمان: "الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين". ثم تأتي هذه الآية لتفصل لنا مظاهر هذا الفضل. وكان سليمان عليه السلام، وقد ورث أباه، يقف في الناس خطيباً، معلناً أعظم نعمة: "علمنا منطلق الطير"، ثم يردفها بنعمة شاملة: "وأوتينا من كل شيء". ثم يختتم باعتراف: "إن هذا لهو الفضل المبين".

هذه الآية هي جوهر سورة النمل كلها، بل هي جوهر العلاقة بين العلم والإيمان والقيادة. إنها تصنع إنساناً يرى في كل مخلوق آية، وفي كل طير درساً، وفي كل نملة حكمة.

دعنا نتقرب من هذا الخطاب النبوي العظيم، وكأننا نقف بين يدي سليمان، ونسمعه بأذن قلوبنا. **الآية السادسة عشرة:** (وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ ۗ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)

أولاً {؛ وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ...{الإرث الذي ليس مالا ۗ

"وَوَرَّثَ": فعل ماضٍ، يفيد الانتقال والخلافة. والوراثة هنا ليست وراثة المال فقط، لأن الأنبياء لا يورثون درهماً ولا ديناراً، كما قال النبي ﷺ: "نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة". إذاً، ما الذي ورثه سليمان من داود؟

ورث:

- . النبوة: أصبح نبياً بعد أبيه.
- . الملك: حكم بني إسرائيل من بعده.
- . العلم: علم القضاء، علم التنسيب مع الجبال والطيور، علم الحكمة.
- . الزبور: الكتاب الذي أوتي داود.
- . الخلق الحسن: التواضع، العدل، شكر الله.

"سُلَيْمَانَ دَاوُودَ": تقديم سليمان على داود في اللفظ، مع أن داود هو الوارث منه، للاهتمام بسليمان لأنه هو محور الحديث في بقية السورة. أو للإشارة إلى أن سليمان صار هو البارز بعد داود.

اللمسة البلاغية: حذف المفعول به. لم يقل "ورث سليمان داود العلم والملك"، بل أطلق الوراثة لتعم كل ما يصلح أن يورث من المقامات الدينية والدنيوية. وفي حذف المفعول إشارة إلى عظمة ما ورثه، وتعظيم لشأن سليمان.

التجويد: "وَوَرَّثَ" فيها واوان، الأولى واو العطف، الثانية واو الفعل، وهما مفخمتان تعطيان إحساساً بقوة الاتصال بين الأب والابن. "سُلَيْمَانَ" فيها مد، "داوود" فيها مد أيضاً، كأن المد يمد البركة بينهما.

الرسالة لك: أنت قد لا ترث نبوة، لكنك ترث من أبائك: العلم، الأخلاق، الدعاء الصالح، السمعة الطيبة. ما هو أعظم إرث تتركه لأولادك؟ وماذا تترك أنت لأولادك؟ هل تركتهم مالا فقط، أم تركتهم علماء ودينياً وأخلاقاً؟

ثانياً: { وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ...{الخطاب العام للأمة

بعد أن ورث، لم ينعزل في قصره، بل وقف في الناس خطيباً: "يا أَيُّهَا النَّاسُ". هذا أسلوب استفتاح للخطاب العظيم، يستدعي انتباه الجميع. فهو يريد أن يعلن نعمة الله عليه أمام الملأ، لا فخراً، بل تعظيماً لله ودعوة إلى الشكر.

"الناس": عامة الناس، من بني إسرائيل وغيرهم، لأن ملكه كان يمتد على مناطق واسعة. وقد يكون الخطاب لجنوده وأتباعه من الإنس والجن.

اللمسة البلاغية: النداء بـ "يا أَيُّهَا النَّاسُ" فيه إشعار بأن ما سيقوله مهم لكل إنسان، وليس لفئة خاصة. وهو أسلوب يبعث على الإصغاء.

الدرس الدعوي: أيها الداعية، أيها القائد، أيها العالم: لا تحتجب عن الناس. نادهم، خاطبهم، أعلن فضل

اللّٰهُ عَلَيْكَ لِيَشْكُرُوهُ، لَا لِتُبَاهِيَ بِهِ.

ثالثاً : {عَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ...} {أعجوبة العصر القديم والحديث

"عَلِّمْنَا": بصيغة المبني للمجهول، تفيد أن العلم ألقى عليهم، وأنهم ليسوا المصدر، بل اللّٰهُ هو المعلم. قال تعالى: {وَعَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ}. {والعلم هنا يشمل:

- . فهم أصوات الطيور وما تريده.
- . فهم أحوالها وهدايتها.
- . التخاطب معها) كما سيحدث مع الهدهد).
- . تسخيرها لخدمته) كما كان الطير محشوداً لجيشه).

"مَنطِقَ الطَّيْرِ": المنطق هو الكلام المعبر عن المعنى. والطيور لها منطق، أي كلاماً مفهوماً عندها، ولكن اللّٰهُ خص سليمان بفهمه. هذه إشارة إلى أن كل مخلوق له لغة، وكل لغة تحمل علماً، والعلماء الربانيون يتفهمون لغة الخلق ليستدلوا بها على الخالق.

اللمسة البيانية والتجويدية: كلمة "عَلِّمْنَا" فيها شدة اللام، تفيد تأكيد التعليم. "مَنطِق" فيها نون ساكنة وطاء مفخمة، وحرف القاف مفخم، يعطي إحساساً بالدقة والنظام. كأن منطق الطير دقيق منظم. والوقف على "الطَّيْرِ" يعطي إحياء بأن هذا العلم عظيم، والطيور مخلوقات مهيأة للإعجاز.

ما علاقتنا بهذا اليوم؟

اليوم، نعيش ثورة في فهم "منطق الطير" بشكل علمي. علماء الطيور يدرسون هجرتها، تواصلها، ألحانها، تحذيراتها. يكتشفون أن الطيور لها "لغات" معقدة. هذه الآية تسبق العلم بالآلاف السنين. وتذكرنا بأن كل علم نافع هو فضل من اللّٰهُ، وأن الطبيعة كتاب ناطق.

الرسالة الأعمق: أنت لا تحتاج أن تفهم لغة الطير لترى الآية. لكن كل مخلوق حولك يتكلم، بلغته الخاصة، عن عظمة خالقه. النملة تتكلم بتنظيمها، النحلة تتكلم بهندستها، العاصفير تتكلم بألحانها. من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، سمع منطق كل شيء بالتسبيح. قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}.

رابعاً: {وأوتينا من كل شيء...} {الشمولية بعد التخصص

بعد أن ذكر نعمة خاصة) علم منطق الطير، ذكر نعمة عامة: "وأوتينا من كل شيء". ليست من كل شيء على سبيل الإطلاق، بل من كل شيء يحتاج إليه الملك النبيه، ومن كل شيء يليق بمقامهم، ومن كل شيء أتاهم اللّٰهُ نصيباً فيه. قال المفسرون: أوتوا من كل شيء: من علم الأوائل والأواخر، من تسخير الريح والجن، من قوة البدن، من عدل الحكم، من أسباب الملك والعمران.

"من" للتبعيض. أي أوتينا من كل شيء قسطاً ونصيباً. ولم يقولوا "أوتينا كل شيء" تواضعاً، ولأن الكمال المطلق لله وحده.

اللمسة البلاغية: تقديم "علمنا" على "أوتينا" لأن العلم هو أشرف ما أوتوه، ولأن علم منطق الطير هو الذي سيظهر في قصة الهدهد والنمل. ثم "أوتينا من كل شيء" للتعميم بعد التخصص.

الدرس في التخطيط والقيادة: القائد الناجح لا يمتلك كل شيء، لكنه يمتلك من كل شيء ما يكفي. عنده علم، مال، حكمة، قوة، رحمة، عدل. هذا هو التوازن. لا تياس إذا لم تمتلك كل المهارات، لكن اسع لأن تؤتي من كل مهارة بقدر.

خامساً: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ...} {التواضع في الذروة

بعد أن عدد النعم، نسبها إلى اللّٰهُ: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ}. "هذا" إشارة إلى ما أوتوه من علم ومملك وقدرة. "لهو" تأكيد، "الفضل المبين" أي الفضل الواضح البين، الذي لا يخفى على ذي عقل.

لماذا قال "الفضل المبين" وليس "الفضل العظيم"؟ لأن الفضل المبين هو الذي يظهر أثره، ويعترف به العقلاء. لم يقولوا "هذا كسبنا" أو "هذا شطارتنا". بل قالوا: هذا فضل اللّٰهُ الواضح. هذا أقصى درجات التواضع.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "إِنَّ هَذَا" فيها نون مشددة، ومد، كأنه إعلان رسمي "لَهُوَ" فيها لام التوكيد، وضمير فصل، وواو مد، كلها تؤكد أن الأمر ليس فيه شك. "الفضل" مفخم، "المؤمن" بكسر الباء ومد، كأنه يبين نفسه بنفسه.

التطبيق العملي: إذا حققت إنجازاً، أو تخرجت، أو رقيت في عملك، أو تعلمت علماً جديداً، قل: "إن هذا لهو الفضل المبين". هذه الكلمات تحميك من العجب، وتجعل النعمة تدوم، وتكون شكراً عملياً.
وبالوقوف على الآية و تأمل وتدبر وتدارس مافيها نجد الاتي
الامر الاول

العلاقة بين هذه الآية وما قبلها وما بعدها:

. ما قبلها) آية(15 : آتينا داود وسليمان علماً، فقلنا الحمد لله .وهنا سليمان يشرح تفصيل هذا العلم، ويظهر أثر الشكر في التواضع والإعلان.
. ما بعدها) قصة النمل والهدد وبلقيس(: ستبدأ القصة بـ "وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير". ولم يقل "الناس" فقط، بل قال "الطير". لأنهم أوتوا منطق الطير، فالطير صار جزءاً من الجيش. ثم تأتي قصة الهدد الذي يتكلم، والنملة التي تحذر، وبلقيس التي تعقل. كل ذلك تطبيق عملي لـ "علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء".
الامر الثاني
المواضيع والمفاهيم الرئيسية في هذه الآية:

المفهوم الأول: وراثه العلم والمجد أسمى من وراثه المال

سليمان ورث العلم والنبوة والملك، لا المال. وهذا يدل على أن أعظم ما يورثه الآباء للأبناء هو الدين والعلم والخلق. المال ينفد، والعلم يبقى وينفع.

المفهوم الثاني: العلم وسيلة للتسخير، والتسخير وسيلة للشكر

الله علم سليمان منطق الطير ليسخرها، وسخرها ليشكر الله. الدنيا كلها مسخرة للإنسان ليعرف الله فيشكره. من استخدم التسخير للاستكبار فقد كفر النعمة.

المفهوم الثالث: التواضع مع العلو في المقام

سليمان ملك عظيم، لكنه يقف في الناس ويقول "علمنا"، "أوتينا"، "هذا فضل الله". هذا هو التواضع الحقيقي: لا ينظر إلى أسفل فيزدري، بل ينظر إلى فوق فيشكر.

المفهوم الرابع: الفضل المبين هو ما يشهد به العقل والقلب معاً

فضل الله واضح على سليمان، يحتاج إلى منكر واحد: فرعون الذي قال "لا أعلم لكم من إله غيري". لكن العاقل يرى الشمس فلا ينكرها.

الامر الثالث

القيم التي تغرسها هذه الآية:

1. قيمة العلم: العلم النافع أشرف الموروثات.
2. قيمة التواضع: عدم الادعاء بأن الفضل من الذات.
3. قيمة الشكر: إعلان النعم على الملأ بقصد التعظيم لله لا التفاخر.
4. قيمة التواصل مع الخلق: تعلم لغات الآخرين) بشراً وحيوانات (لفهمهم والتعاون معهم.
5. قيمة التكامل: "أوتينا من كل شيء" تشير إلى أن القائد يحتاج إلى أدوات متعددة.
6. قيمة النسب الطيب: ليس فخراً، بل قدوة وأمانة.

الامر الرابع

الأبعاد المختلفة لهذه الآية في بناء الإنسان والمجتمع:

أولاً: البعد التربوي

- . تعليم الأبناء التواضع مع النجاح: إذا تفوق طفلك، علمه أن يقول "الحمد لله، هذا فضل الله". لا تعلمه أن يقول "أنا العبقرى".
- . تعليمهم أن العلم ميراث الأنبياء: حبيبهم في طلب العلم، وقل لهم: العلماء ورثة الأنبياء، كما ورث

سليمان داود.

. تعليمهم الاهتمام بالطبيعة: الطيور والنمل والهدد، كلها كتب ناطقة. علمهم أن يتأملوا في خلق الله.
كيف نطبق؟ اجعل في بيتك "مجلساً" تقرأ فيه قصة سليمان مع النمل والهدد، وتناقش أطفالك: ماذا تعلمنا من منطق الطير؟ ما هي فوائد دراسة سلوك الحيوانات؟

ثانياً: البعد النفسي

. علاج العجب والغرور: عندما تتذكر أن كل ما عندك فضل من الله، يقل إعجابك بنفسك. كرر قول "إن هذا هو الفضل المبين" كلما حققت شيئاً.
. تعزيز الثقة مع التواضع: سليمان واثق من نعمة الله عليه، لكنه ليس متكبراً. هذا هو التوازن النفسي المطلوب.
. الاهتمام بـ "لغة الآخر" لفهمه والتعاطف معه: ليس فقط الطير، بل زوجتك، ولدك، زميلك في العمل . كل إنسان له "منطق" خاص به. تعلمه تفهمه.

كيف نطبق؟ إذا شعرت يوماً أنك أفضل من غيرك، تذكر فضل الله عليك، وأنه لو شاء لنزعه. وإذا شعرت بالنقص، تذكر أن الله قد آتاك من كل شيء.

ثالثاً: البعد الفكري والعلمي

. الإعجاز العلمي في فهم لغات الكائنات: الآية تشير إلى أن لكل مخلوق نظام تواصل. والعلم الحديث يؤكد ذلك. هذا يزيد المؤمن إيماناً.
. التخصص مع الموسوعية: سليمان أوتي "منطق الطير" تخصص دقيق (و"من كل شيء") موسوعية . العالم المسلم يجب أن يكون متخصصاً في مجال، وملماً بباقي المجالات.
. العلم هبة إلهية، لكنه يحتاج إلى جهد بشري: سليمان قال "علمنا"، ولم يقل "خلقنا عالمين". هناك تعلم بشري، لكن التوفيق من الله.

كيف نطبق؟ ادرس تخصصاً معيناً بعمق (مثل طب، هندسة، اقتصاد)، وفي الوقت نفسه اقرأ في العلوم الأخرى والتاريخ والفنون. كن "سليمانياً" التوجه.

رابعاً: البعد السياسي والقيادي

. القائد يعلن فضل الله عليه، لا يخفيها: إعلان النعمة شكر. سليمان أعلن "علمنا منطق الطير" ليُري الناس آية الله، لا ليمدح نفسه. القائد الصالح يظهر قدراته في خدمة الناس، لا للتفاخر.
. القائد يحتاج إلى جيش من الطير والجن والإنس: أي أنه يحتاج إلى موارد متعددة، وأن يستخدم كل طاقة متاحة في خدمة المشروع الحضاري. التنوع قوة.
. الوراثة القيادية ناجحة إذا ورث الخلف الفضائل، لا المنصب فقط: سليمان ورث العلم والحكمة، فنجح. من يرث منصباً بلا كفاءة يفشل.

كيف نطبق في الإدارة والحكم؟ إذا كنت مديراً، أعلن فضل الله عليك، واشكر فريقك. استمع لكل "لغة" في مؤسستك: لغة المهندس، لغة العامل، لغة المحاسب. كل له منطق، تعلمه تفهمه.

خامساً: البعد التنموي والحضاري

. التنمية تبدأ بالعلم: سليمان بنى حضارته على العلم. أي نهضة تحتاج إلى علم.
. التنمية المستدامة تحتاج إلى تسخير الموارد: سليمان سخر الريح والجن والطير. نحن نسخر البترول والكهرباء والذكاء الاصطناعي. كل تسخير من الله، يجب أن نشكره.
. التواضع الحضاري: أي أمة تتقدم وتظن أنها فعلت بذكائها فقط، ستصاب بالكبر ثم الانحطاط. الأمة التي تقول "إن هذا هو الفضل المبين" تحفظ نعمتها وتنمّيها.

كيف نطبق في مشاريعنا؟ أي مشروع ناجح، قل فيه "هذا من فضل ربي". لا تنسب النجاح إلى نفسك فقط. هذا يجلب البركة ويحمي من الحسد.

سادساً: البعد في بناء الإنسان (الشخصية المسلمة)

هذه الآية تبني شخصية:

- عالماً: يطلب العلم النافع، ويسخره للخير.
- متواضعاً: يعرف أن الفضل لله.
- شاكرًا: يعلن نعم الله.
- قائداً: يستمع لكل الأصوات، ويستخدم كل الطاقات.
- وارثاً: يحافظ على إرث الأنبياء العلم والدين).
- متفانلاً: يرى في كل مخلوق خيراً وعبرة.

الامر الخامس

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي اليوم؟

في علاقتك مع الله:

- كل صباح: قل: "الحمد لله الذي علمني ما لم أكن أعلم، وآتاني من كل شيء، هذا فضل الله المبين".
- عند تعلم شيء جديد: لا تتعجل في نسب الفضل إلى نفسك. قل: "علمني ربي".
- عند رؤية حيوان أو طائر: تذكر أن له لغة ومنطقاً، وأن الله يعلمه وأنت لا تعلمه. سبحان الله.

في بيتك وأسرتك:

- علم أولادك أسماء الطيور والحيوانات، وبعض سلوكياتها: "انظر كيف تتكلم النحلة بلغة الرقص، وكيف تتكلم النملة بلغة الفورمون". هذا يربطهم بالآية.
- لا تعلم أولادك أن المال هو أهم إرث: بل قل لهم: العلم والأخلاق والدعاء أهم. وكن قدوة في ذلك.
- اجعل في بيتك جلسة أسبوعية لتدبر قصة سليمان: ناقشوا معاً: كيف نطبق "منطق الطير" في فهم بعضنا البعض؟

في عملك ودراستك:

- إذا كنت عالماً أو باحثاً: لا تستكبر على غيرك. قل: "هذا فضل الله". شارك علمك، ولا تحتكره.
- إذا كنت مديراً: تعلم "منطق" موظفيك، استمع إليهم، افهم احتياجاتهم بلغتهم. ستنجح أكثر.
- إذا كنت طالباً: بعد النجاح، قل: "الحمد لله هذا فضل الله". ولا تستهن بأي معلومة، فكل شيء يفيد.
- إذا كنت في فريق عمل: حاول أن تستفيد من "كل شيء" يمتلكه زملاؤك: مهاراتهم، خبراتهم، لغاتهم. تنوع الفريق قوته.

في مجتمعك:

- إذا رأيت شخصاً لديه موهبة أو علم: لا تحسده، وقل: "هذا فضل الله يؤتيه من يشاء". ادع له بـ البركة.
- شجع على ثقافة "الفضل المبين": اكتب مقالات، ألق كلمات، عن أن النجاحات من فضل الله، وأن الشكر يزيد النعم.
- اهتم بالبيئة وفهم الكائنات: حماية الطيور والنمل والنحل، وفهم لغاتها، هو تطبيق عملي لـ "علمنا منطق الطير".

الامر السادس

ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن، في هذه اللحظة؟

أيها الإنسان الذي يقرأ هذه الكلمات،

- أنت لست سليمان، لكنك وارث من آدم، ومن إبراهيم، ومن محمد ﷺ ما آتاك الله من علم وإيمان.
- كل مسلم وارث للرسالة المحمدية. ما الذي ورثته؟ هل ورثت القرآن؟ هل ورثت الأخلاق؟ هل ورثت الدعوة إلى الله؟

أسأل نفسك:

- ما هو "منطق الطير" في حياتي؟ هل فهمت لغة زوجتك؟ لغة أولادك؟ لغة زملائك؟ لغة مجتمعك؟ هل تحاول أن تتعلم كيف يتواصل الآخرون؟
- هل أوتيت من كل شيء؟ بالتأكيد، أوتيت من الصحة، من العقل، من الوقت، من النعم التي لا تعد.
- هل شكرت؟ هل أعلنت أن هذا فضل الله، أم أنك تظن أنك تستحقها؟
- هل تقول بلسانك وجنانك "إن هذا لهو الفضل المبين" عند كل نجاح؟ أم أنك تنسى الله وتنسب

الفضل لنفسك أو لذكائك أو لحظك؟

لا تكن كقارون. قال: {إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي}. {فخسف الله به الأرض. كن كسليمان. قال: "هذا من فضل ربي". فزاده الله.

عاهد الله اليوم:

1. أن تعترف بفضل الله عليك في كل صغيرة وكبيرة.
2. أن تسعى لتعلم "لغة" من حولك، لتفهمهم وتقرب منهم.
3. أن تورث أبناءك العلم والدين والأخلاق، لا المال فقط.
4. أن تستخدم كل ما أوتيت من "كل شيء" في طاعة الله وخدمة الناس.

اللهم إنا نسألك علماً كعلم داود وسليمان، وفهماً كفههما، وشكراً كشكرهما. اللهم أورتنا من نبينا محمد ﷺ سنته وهديه، وأورث أبناءنا منا ديننا وخلقتنا. اللهم اجعلنا من القائلين "إن هذا لهو الفضل المبين" في سرنا وعلتنا، واجعلنا من الشاكرين الحامدين. إنك أنت البر الوهاب.

المبحث الثالث

لقد أعلن سليمان عليه السلام في الآية الماضية: "عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ". والآن، تأتي الآية التالية لتصوّر لنا التطبيق العملي لهذا الفضل. إنها مشهد مهيب، مشهد حشد إلهي، لا يقوم به أي ملك في الدنيا: جيش من الإنس والجن والطيور، مجتمعون تحت راية نبي واحد، منتظمون في سيرهم، يُوزع بعضهم على بعض.

هذه ليست مجرد استعراض قوة. هذا مشهد من مشاهد الإعجاز الرباني في تسخير المخلوقات لنبيه. لكنه أيضاً درس في القيادة، في التنظيم، في العدل، في استغلال كل طاقة متاحة لخدمة الحق. سليمان لم يحشر الناس فقط، بل حشر الجن والطيور. كل مخلوق له مكانه في جيشه. كل مخلوق يؤدي مهمته.

والأعجب أن الطير كانت جزءاً من الجيش، ليس للقتال فقط، بل للاستخبارات والدعم. وفي هذا إشارة إلى أن القائد الناجح يستخدم كل الموارد، حتى تلك التي تبدو صغيرة أو غريبة.

تعال... نرى هذا المشهد بأعين قلوبنا، ونسمع وقع الأقدام، ورفرفة الأجنحة، ونشعر بالنظام والهيبة.

الآية السابعة عشرة: {وَحْشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ}

أولاً {وَحْشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ...} {الحشر العظيم

"وَحْشَرَ": الفعل مبني للمجهول، يدل على أن الله هو الذي حشرهم، وسخرهم لسليمان. الحشر هو الجمع من كل مكان، مع السوق والدفع. ليس مجرد لقاء عابر، بل جمع منظم، كل يؤتى به من موضعه. الجن من أعماق الأرض، الإنس من أطراف المملكة، الطير من السماء والأشجار.

"لِسُلَيْمَانَ": اللام للاختصاص والتشريف. حُشِرُوا من أجله، وتحت إمرته. هذا من تمام النعمة عليه، أن يكون له هذا الجيش المسخر بأمر الله.

"جُنُودَهُ": إضافة الجنود إليه، تشريف له وتفويض. الجنود هم القوة المنظمة التي تحمي الملك وتنفذ أوامره. والجمع هنا يدل على الكثرة والتنوع. جنود مختلفون، من أجناس مختلفة، لكنهم جنود سليمان.

اللمسة البلاغية: تقديم الحشر على الفاعل (جنوده) للاهتمام بفعل الحشر نفسه، وإظهار عظمته. ولو قُال "وحشر سليمان جنوده" لكان المعنى أن سليمان هو الذي جمعهم بقوته، لكنه قال "وحشر" ليبين أن الفاعل الحقيقي هو الله، وسليمان هو السبب.

التجويد: "وَحْشَرَ" فيها شين معطشة، وراء مفخمة، تعطي إحساساً بخشونة الحشر وجده. "لِسُلَيْمَانَ" فيها لام مكسورة، ومد في سليمان، كأنه مد للملك والنبوة.

ثانياً: {مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ...} {تنوع الجيش وتكامله

"مِنَ الْجِنِّ": الجن مخلوقات من نار، لهم قدرات خارقة، كالسرعة والطيران والتشكل. سليمان سخرهم

لأعمال شاقة: البناء، الغوص، وغيرها. وكانوا جزءاً من جيشه.

"والإنس": البشر، وهم جوهر الجيش، وقلب المملكة. كان لجيش سليمان جنود من بني إسرائيل وغيرهم.

"والطير": هنا المفاجأة. الطير جزء من الجيش! ليس مجرد طيور عابرة، بل طير محشور منظم، له قيادة، وتحت أمر سليمان. هذا يؤكد أن الله علمه منطق الطير، فصار الطير يتلقى الأوامر وينفذها، ويقدم المعلومات كما سنرى مع الهدهد.

الترتيب في الذكر: ذكر الجن أولاً، لأنهم أكثر غرابية، ثم الإنس لأنهم الأكثر عدداً، ثم الطير لأنهم الأكثر انقياداً وتسخيماً. أو ذكر الجن لأنهم أقوى، ثم الإنس لأنهم أشرف، ثم الطير لأنهم أطف.

اللمسة البيانية: التنكير في "الجن" و"الإنس" و"الطير" مع أنهم معروفون، للدلالة على الكثرة والتنوع. أي من أنواع الجن، ومن أنواع الإنس، ومن أنواع الطير. ليس جنساً واحداً.

الرسالة العظيمة: القيادة الناجحة لا تقتصر على فئة واحدة. سليمان قاد الجن والإنس والطير. القائد الرباني يستطيع أن يتعامل مع مختلف الكفاءات والطبائع، ويسخر كل طاقة في مكانها المناسب. لا يحتقر أحداً، ولا يستصغر مخلوقاً. حتى الطير له دور.

ثالثاً: {فَهُمْ يُوزَعُونَ}...{النظام والانضباط العسكري

"فَهُمْ": أي الجنود كلهم، بجميع أجناسهم.

"يُوزَعُونَ": من الوزع، وهو الكف والردع والمنع. يوزعون: أي يكفون ويردون. وقيل: يُحْبَس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، ثم يسيرون جميعاً بلا تقدم ولا تأخر. وقيل: يُدْفَع المتقدم إلى المتأخر ليتناسقوا. أي أنهم كانوا يسيرون في نظام عجيب، كل يعرف مكانه، لا يتقدم أحد على أحد إلا بإذن.

هذه الكلمة تصور أقصى درجات التنظيم والانضباط. في جيش ضخم من ثلاثة أجناس مختلفة، قد تحدث فوضى، لكن الله ألهمهم النظام، أو جعل عليهم وكلاء يوزعونهم، أي يرتبون صفوفهم ويمنعون التزاحم.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "يُوزَعُونَ" فيها حرف الزاي وهو من حروف الصفير، وحرف العين، وحرف النون. الزاي يعطي إحساساً بالمنع والردع. والمد في الواو يعطي إيحاء بالاستمرار. والضمّة على الياء تدل على أن الفعل مستمر. أي أنهم كانوا دائماً على هذا النظام.

التجويد: حرف العين من حروف الحلق، والنون فيها غنة. كلها تعطي إحساساً بالصوت المنضبط المنتظم.

الدرس: النظام نصف النجاح. بدون نظام، يتحول الجيش إلى غوغاء. سليمان كان قائداً منظماً، وجنوده كانوا "يوزعون". في حياتنا، في بيوتنا، في مدارسنا، في أعمالنا، نحن بحاجة إلى "وزع" أي نظام وترتيب وضبط. المؤمن القوي هو المنظم، لا الفوضوي.

اهم الامور التي سوف نقف عليها بمناسبة تدبر الايه
الامر الاول

ما الذي تريد هذه الآية أن نتعلمه؟

الدرس الأول: القيادة الإلهية تجمع الأضداد

(الجن) من نار، (والإنس) من طين، (والطير) من ماء وهواء. (أجناس مختلفة، طبائع متباينة، لكنها تجتمع تحت راية سليمان، وتطيع أمره. القائد الرباني يوحد القلوب المختلفة حول الحق. لا يستحيل عليه أن يجمع بين المتناقضات إذا كان الله معه.

الدرس الثاني: لا تحتقر طاقة أي مخلوق

الطير صغير، ضعيف، لكنه في جيش سليمان كان يؤدي مهام استخباراتية واتصالية عظيمة) كما سيأتي مع الهدهد. (لا تظن أن دورك صغير. قد تكون طائراً في جيش الله، تقوم بعمل لا يستطيع جنياً أو إنسانياً القيام به. كل مخلوق له وظيفة.

الدرس الثالث: النظام هو روح الجماعة

"يوزعون" ليست مجرد كلمة، إنها ثقافة. ثقافة التنظيم، الانضباط، احترام المواعيد، عدم التقدم على الآخرين. هذه الثقافة هي التي صنعت حضارة سليمان. بدونها، ينهار أي مشروع.

الدرس الرابع: تسخير الجن والإنس والطير نعمة تستحق الشكر

سليمان لم يفتخر بجنوده، بل قال في الآية السابقة "هذا من فضل ربي". الجنود نعمة، والتسخير نعمة، والنظام نعمة. كلها من فضل الله، وتستحق الحمد.

الامر الثاني

العلاقة بين هذه الآية والآيات السابقة واللاحقة:

. الآية السابقة (16): أعلن سليمان "علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء". وهذه الآية تطبيق: حشر الطير مع الجن والإنس، واستعمل منطقها في جيشه.

. الآية اللاحقة (18) - (19): ستأتي قصة النملة التي نطقت وحذرت، وقصة الهدهد الذي غاب وتكلم. وهما تطبيق آخر لـ "علمنا منطق الطير".

. العلاقة بقصة سليمان كاملة: السورة كلها تظهر مظاهر حكمة سليمان وعلمه. وهذه الآية تظهر مظهر القيادة والتنظيم.

الامر الثالث

المواضيع والمفاهيم الرئيسية في هذه الآية:

المفهوم الأول: وحدة الأجناس تحت راية الحق

الجن والإنس والطير، مع اختلاف أصولهم وطبائعهم، يجتمعون في طاعة الله وطاعة نبيه سليمان. هذه رسالة لكل من يظن أن الوحدة مستحيلة بين البشر. الوحدة ممكنة إذا كان المحور هو الحق.

المفهوم الثاني: الحشد والتنظيم كأساس القوة

"حُشِر" ثم "يوزعون". القوة لا تكمن في الكثرة فقط، بل في التنظيم. جيش غير منظم هو فوضى. جيش منظم هو قوة رادعة.

المفهوم الثالث: تكامل الأدوار في المؤسسة الواحدة

في جيش سليمان، الجن (أعمال شاقة)، الإنس (القيادة والإدارة)، الطير (الاستطلاع والنقل). كل يؤدي دوره. لا يمكن للطير أن يبني القصور، ولا للجن أن يطير بنفس سهولة الطير. المهم أن يعرف كل مخلوق مهمته ويتقنها.

المفهوم الرابع: القائد قدوة في النظام

سليمان هو الذي أمر بهذا النظام، وهو الذي التزم به. القائد الذي لا يلتزم بالنظام لا يمكن أن يفرضه على غيره.

الامر الرابع

القيم التي تغرسها هذه الآية:

1. قيمة التنظيم: النظام هو سر النجاح.
2. قيمة تنوع الموارد: استخدم كل ما لديك من طاقات، مهما كانت مختلفة.
3. قيمة الانضباط: لا تتقدم على غيرك، ولا تتأخر عن دورك.
4. قيمة احترام القيادة: الجنود "يوزعون" أي يقبلون النظام ويخضعون للترتيب.
5. قيمة تكافؤ الفرص: الطير كان جزءاً من الجيش كالإنس والجن. لا تمييز.
6. قيمة شكر النعمة: هذه القدرة على الحشر والتسخير نعمة، تشكر.

الامر الخامس

الأبعاد المطلوبة (تربوية، نفسية، فكرية، سياسية، تنمية):

أولاً: البعد التربوي

. تربية الأبناء على النظام: اجعل لأولادك جدولاً يومياً، ووزع عليهم المهام، وعلمهم أن "يوزعون" أنفسهم. الفوضوي لا ينجح.
. تربيته على تقبل الآخر المختلف: الجن يختلف عن الإنس، والطير يختلف عنهما، لكنهم معاً في جيش واحد. علمهم أن الاختلاف ليس عيباً، بل تنوعاً يثري الجماعة.
. تربيته على أن لكل مهمة قيمة: حتى الطير له مهمة. لا تحقر من شأن طفل أو شخص لأنه صغير أو ضعيف.

كيف نطبق؟ في البيت، وزع المهام: أحد الأولاد ينظف، آخر يرتب، ثالث يسقي النباتات. واجعل لهم قائداً الأكبر (ينظمهم). هذا تدريب على "يوزعون". وفي المدرسة، علم الطلاب أن النظام في الطابور و الممرات هو تطبيق لهذه الآلية.

ثانياً: البعد النفسي

. علاج الفوضوية: الإنسان الفوضوي يعاني من قلق وتشتت. تعلم النظام يعالج هذا القلق. "يوزعون" هي وصفة نفسية للسلام الداخلي.
. علاج الشعور بالدونية: الطير قد يشعر أنه أقل من الجن، لكنه في الجيش كان له دور. إذا شعرت أن دورك صغير، تذكر الطير في جيش سليمان. كل مخلوق مهم.
. بناء الثقة في القيادة: عندما ترى قائداً منظماً، تثق به. سليمان نظم جيشه، فكانت هيئته في قلوب الجنود.

كيف نطبق؟ نظم غرفتك، نظم وقتك، نظم مذكراتك. ستشعر بتحسّن نفسي كبير. وإذا كنت قائداً، نظم فريقك، ووزع المهام بوضوح. ستزداد ثقتهم بك.

ثالثاً: البعد الفكري

. فكرة أن التنوع هو سنة كونية: الله خلق الجن والإنس والطير مختلفين، وجمعهم في جيش واحد. الاختلاف ليس خطأ، بل هو سنة الله في الخلق. يجب أن نتعلم كيف نتعامل مع الاختلاف، لا أن نلغيها.
. فكرة أن النظام لا يعني فقدان المرونة: "يوزعون" تعني تنظيماً وترتيباً، لكنه ليس جموداً. كان الجيش يتحرك وينتشر. النظام الحقيقي هو الذي يسمح بالحركة المنضبطة.
. فكرة أن القائد يحتاج إلى منظومة متكاملة: سليمان لم يعتمد على الجن فقط، ولا الإنس فقط. بنى منظومة متكاملة. أي مشروع ناجح يحتاج إلى منظومة متكاملة الأطراف.

كيف نطبق؟ في دراستك، نظم مادتك، لكن لا تجمد على طريقة واحدة. في عملك، شكل فريقاً من ذوي التخصصات المختلفة، ونظم اجتماعات دورية. هذا هو "الحشر" و"الوزع".

رابعاً: البعد السياسي والقيادي

. القيادة تجمع الأضداد: سليمان استطاع أن يقود كائنات مختلفة الطباع. القائد الناجح يدير فريقاً من شخصيات مختلفة، ويوحدتهم حول هدف واحد.
. الحشد والتنظيم أساس الدولة: أي دولة قوية تقوم على حشد طاقات شعبها وتنظيم مؤسساتها. "حُشِر" و"يوزعون" هما مفتاح القوة.
. العدل بين المرؤوسين: سليمان لم يفضل جنساً على جنس. الجن والإنس والطير كلهم جنود. القائد العادل لا يفرق بين أتباعه على أساس عرق أو لون أو جنس.

كيف نطبق في الإدارة والسياسة؟ إذا كنت مديراً، اجمع فريقاً من مختلف التخصصات والثقافات. نظم اجتماعات أسبوعية، ووزع الأدوار بوضوح. لا تظلم أحداً، ولا تحتقر أحداً. كن كسليمان.

خامساً: البعد التنموي والحضاري

. التنمية تحتاج إلى حشد وتنظيم: أي مشروع تنموي ناجح يبدأ بحشد الموارد (بشرية، مادية، طبيعية) ثم تنظيمها. "حُشِر" هو حشد الموارد، "يوزعون" هو تنظيمها.
. استغلال كل الموارد، حتى الصغيرة: الطير كان جزءاً من التنمية. نحن نهمل أحياناً موارد صغيرة لكنها مؤثرة (الوقت الضائع، الأفكار البسيطة، المبادرات الفردية). استغلها. احتاج إلى نظام.
. النظام كعلامة حضارية: الأمم المتقدمة تعرف بالنظام في كل شيء: الطوابير، المرور، العمل، البيوت. تأخرنا عيب في ديننا، بل لأننا ابتعدنا عن سنن الله في النظام. هذه الآلية تذكرنا بأن النظام من فضل

اللّٰهُ وشكر النعمة.

كيف نطبق في مشاريعنا؟ أي مشروع تبدأ به، ابدأ بخطة تنظيمية: من المسؤول؟ ما هي المهام؟ ما هو الجدول؟ هذا هو التطبيق العملي لـ "يوزعون".

سادساً: البعد في بناء الإنسان) الشخصية المسلمة)

هذه الآية تبني شخصية:

- . منظمة: تعرف كيف تنظم وقتها ومهامها.
- . قائدة: تستطيع أن تجمع فريقاً وتوزع الأدوار.
- . شاملة: لا تحتقر أحداً، وتستفيد من الجميع.
- . عادلة: تعطي كل ذي حق حقه.
- . منضبطة: تلتزم بالقوانين والنظام.
- . متعاونة: تعمل ضمن فريق.

الامر السادس

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي اليوم؟

في علاقتك مع الله:

- . اشكر الله على نعمة التنظيم: قل "الحمد لله الذي جعل فينا نظاماً، وأمرنا بالعدل والترتيب".
- . ادعُ الله أن يجعلك من "الموزعين": أي من الذين ينظمون أمورهم وأمور غيرهم بالحكمة.

في بيتك وأسرتك:

- . نظم بيتك: ضع جدولاً للواجبات المنزلية، ووزعها على أفراد الأسرة. اجعل هناك "قائداً" للأسبوع.
- . علم أولادك النظام: في ترتيب غرفتهم، في مواعيد النوم، في ترتيب ألعابهم. قل لهم: "كونوا كجيش سليمان، يوزعون".
- . لا تهمل صوت أحد: حتى الطفل الصغير له رأي. الطير كان في الجيش، والصغير له دور في الأسرة.

في عملك ودراستك:

- . نظم مكتبك وملفاتك: الفوضى تقتل الإنتاجية. رتب أوراقك، نظم وقتك.
- . في العمل الجماعي: اجتمع مع فريقك، وزع المهام بوضوح، وحدد مواعيد التسليم. هذا هو "الحشر" و"الوزع".
- . لا تحتقر دور أحد: زميلك الجديد قد يكون لديه فكرة عظيمة، كالهدهد في جيش سليمان. استمع للجميع.
- . كن قدوة في الانضباط: احضر مبكراً، التزم بالجدول، نفذ ما عليك بدقة. الآخرون سيقفون بك.

في مجتمعك:

- . شارك في حملات النظام: كتنظيم المرور، أو حملات النظافة، أو توزيع المساعدات بشكل منظم.
- . طالب المسؤولين بالنظام: قل لهم: "نريد حشداً وتنظيماً كجيش سليمان". لا تيأس من المطالبة بالعدل والترتيب.
- . كن مبادراً: إذا رأيت فوضى في مكان (مكان) طابور، موقف سيارات، اجتماع، حاول أن تكون "موزعاً" بلطف، تنظم الناس.

الامر السابع

ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن، في هذه اللحظة؟

أيها الإنسان المشغول بالحياة،

انظر حولك. هل حياتك منظمة؟ أم هي فوضى؟ هل تجتمع قواك الداخلية (عقلك، قلبك، جسديك، وقتك) (في جيش واحد منظم، أم أنها متفرقة تائهة؟

اسأل نفسك:

- . هل أنت منظم في صلاتك وعباداتك؟ أم أنك تؤجل وتفوت؟
- . هل أنت منظم في عملك ودراستك؟ أم أنك تعمل عشوائياً؟
- . هل تجتمع أسرتك على نظام، أم أن كل فرد يفعل ما يريد؟
- . هل تستفيد من كل طاقاتك، حتى الصغيرة منها؟ أم تهمل مواهبك كأنها طير لا قيمة له؟

تذكر: سليمان لم يكن ليقود هذا الجيش العظيم لولا النظام. والله لم يمدح جيشه فقط، بل مدح "وزعهم". النظام هو الذي جعل الجن يطيع، والإنس ينقاد، والطيير ينطلق.

لا تقل "أنا فوضوي بالفطرة". هذا عذر. النظام يمكن تعلمه. ابدأ بخطوة صغيرة: نظم وقت نومك، نظم حقيبتك، نظم مذكراتك. ثم انتقل إلى الأكبر.

وإذا كنت قائداً/ مديراً، أباً، أما، معلماً، فاتبع سنة سليمان: احشد من حولك كل الطاقات، ثم وزع المهام، ونظم الصفوف. لا تترك جيشك فوضوي.

عاهد الله اليوم:

1. أن تجعل حياتك "محشورة" أي مجمعة، لا مبعثرة.
2. أن تكون "موزعاً" أي منظماً، في شؤونك الخاصة والعامية.
3. أن تحترم كل من يعمل معك، مهما كان حجمه أو نوعه.
4. أن تشكر الله على نعمة التنظيم، وتدعو الله أن يزيدك منها.

اللهم إنا نسألك قيادة حكيمة كقيادة سليمان، ونظاماً دقيقاً كنظام جنوده. اللهم احشر لنا قوانا وأعواننا، ووزع بيننا بالعدل والحكمة. اللهم اجعلنا من المنظمين في أمورنا، القادرين على جمع شتاتنا، واجعلنا قدوة في الانضباط. إنك أنت العزيز الحكيم.

المبحث الرابع

القلب الذي يرى عظمة الخالق في أدق خلقه.

نحن الآن على أعتاب مشهد فريد، لا تجد له نظيراً في تاريخ البشرية. لقد رأينا جيش سليمان العظيم يحشر، ثم يوزع، في نظام بديع. والآن، يأتي المشهد الذي تسمت به السورة بأكملها: مشهد النملة. مخلوق صغير، ضعيف، قد لا يكاد يرى بالعين المجردة، لكنه في ميزان الله عظيم، عظيم لدرجة أن سورة كاملة من كتاب الله تحمل اسمه.

تأمل معي. الله لم يسم السورة "سورة سليمان" مع أنها تحكي قصته بتفصيل لم يرد في غيرها. ولم يسمها "سورة الهدد". بل سماها "سورة النمل". لأن النملة هنا ليست مجرد حشرة، بل هي أستاذة في الحكمة، وقائدة فذة، ومعلمة للبشرية. لقد نطقت بكلمات قليلة، لكنها حملت من الدروس ما لا تبلغه خطب الخطباء.

تعال... نركع على ركبنا، وننظر إلى هذه النملة بعين الإجلال والتدبر. فهي تعلمنا كيف نحتمي، وكيف ننظم، وكيف نتواصل، وكيف نتعامل مع القوة دون خوف أو طيش.

الآية الثامنة عشرة: { حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }

اولاً : { حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ... } الوصول إلى نقطة التحول

"حَتَّىٰ إِذَا": "حتى" هنا لانتهاء الغاية، أي استمر الجيش في سيره المنظم حتى وصل إلى هذه اللحظة الفارقة. و"إذَا" ظرف للمفاجأة، تفيد أن المشهد حدث فجأة، دون ترقب. كأن السير كان هادئاً، ثم فجأة... كل شيء تغير.

"أَتَوْا": أي سليمان وجنوده. والفعل "أتوا" يدل على المجيء بقصد، وليس المرور العابر. لقد قصدوا هذا الوادي، فكان فيه هذا اللقاء العجيب.

"عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ": استخدم حرف "على" بدلا من "إلى"، ليفيد أنهم أتوا من علو، أي أنهم كانوا فوق الوادي، ينظرون إليه من أعلى. وهذه دقة بالغة: جيش سليمان الضخم كان يسير من مكان مرتفع، والنمل يراهم من أسفل فيزداد خوفهم. وقد قيل: إن وادي النمل هو بالطائف أو بالشام.

"وَادِ النَّمْلِ": إضافة الوادي إلى النمل تدل على أن هذا المكان هو موطنهم، ومستقرهم، ووطنهم الذي

يعيشون فيه ويدافعون عنه.

اللمسة البلاغية والتجويدية: كلمة "النمل" فيها نون مشددة ولام مكسورة، وكأنها تخرج بهدوء، تناسب صغر حجم النملة. والوقوف على "النمل" يترك في النفس تساؤلاً: ما الذي سيحدث في هذا الوادي؟

ثانياً: {قالت نملة...} المتحدثة المفاجئة

"قالت": الفعل مؤنث، لأن الفاعل مؤنث. النملة هنا أنثى. والقرآن يخبرنا أن التي نادى هي نملة واحدة، قيل: إن اسمها "حرس"، وهي ملكة النمل أو رئيسة الجيش أو حارسته.

"نملة": نكرة في سياق الإثبات، تفيد التعظيم. ليست أي نملة، بل نملة عظيمة، ذات شأن، لها لسان ينطق، وعقل يدبر، وقيادة تتحمل المسؤولية.

*ما الذي تعلمه هذه الكلمة؟

إنها تعلمك أن الحكمة ليست حكرًا على الكبار. قد ينطق الله بالحق على لسان مخلوق ضعيف. فلا تحتقر أحداً، ولا تستصغر رأياً. فرب نملة تكلمت فأضاءت الطريق لأمة بأكملها.

اللمسة التجويدية: كلمة "نملة" فيها نون مشددة، ولام مفخمة، وتاء مربوطة. النون المشددة تعطي إحساساً بالثبات والقوة رغم صغر الحجم. وكأن النملة الصغيرة تقف بقوة لتقول كلمتها.

ثالثاً: {يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم...} القيادة في زمن الخطر

"يا أيها النمل": أسلوب نداء، فيه تنبيه واستنهاض للهمم. النملة تخاطب قومها بأسلوب القائد الذي يريد أن يجمع شملهم في لحظة خطر. وكأنها تقول: "انتهوا، أنا أناديكم، فاستجيبوا".

"ادخلوا مساكنكم": أمر بالفور. لا وقت للتردد. الدخول إلى المساكن هو الحماية. والمساكن جمع مسكن، وهي بيوت النمل تحت الأرض، المحفورة بعناية، والتي تشكل متاهة من الأنفاق والحجرات. في هذه المساكن أمانهم.

**ما معنى "مساكنكم"؟

إنها ليست مجرد بيوت، بل هي حصونهم. النمل يبني مساكنه بإتقان، بمدخل ومخارج، وغرف للتخزين، وغرف للحضانة، وغرف للملكة. لقد أمروا بالدخول إليها، لا للاختباء فقط، بل للتنظيم والحماية.

**الرسالة التربوية: القائد الحقيقي هو الذي يهتم بسلامة قومه قبل سلامته. النملة قالت "ادخلوا مساكنكم"، ولم تقل "ادخلوا مساكني". قدمت قومها على نفسها. هذه هي القيادة بالقدوة والأخلاق.

**اللمسة البيانية: كلمة "ادخلوا" فيها ألف ولام، تفيد الأمر المباشر. "مساكنكم" إضافة إليهم، فيها تشريف وتذكير بأن هذه المساكن هي ملكهم، وهم أحق بها، وعليهم حمايتها.

رابعاً: {لا يحطمنكم سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ...} سبب الخطر ودقة اللفظ

هنا جوهر الآية. لماذا الأمر بدخول المساكن؟ لأنه خوفاً من أن "يحطمنكم" سليمان وجنوده.

**لماذا استخدمت كلمة "يحطمنكم" تحديداً؟

هذه الكلمة تحمل إعجازاً علمياً مذهلاً، يكشف عن دقة القرآن في وصف طبيعة المخلوقات.

. المعنى اللغوي: "الحطم" هو الكسر الشديد، والتكسير، والإهلاك. يقال: حطم الزجاج إذا كسره فتفتت. والحطم هو الدق والكسر حتى التفتت. قال الرازي: حطم (أي كسره) فانحطم (و) تحطم (و) التحطيم (و) التكسير، (و) الحطمة (من أسماء النار).

. الحقيقة العلمية: في زمن نزول القرآن، لم يكن لأحد أدنى فكرة عن تركيب جسم النملة. لكن العلم الحديث اكتشف أن جسم النملة يختلف عن كثير من الحشرات. فالنملة ليس لها هيكل عظمي داخلي كالإنسان، بل هيكل عظمي خارجي يُسمى "الكيتين". هذا الهيكل الخارجي صلب جداً، لكنه هش، لا يمتلك مرونة تجعله ينحني أو يمتص الصدمات. لذلك، فإن النملة، إذا تعرضت لضغط قوي، لا تنني أو

تنحني، بل تتحطم وتتكسر كالزجاج.

تخيل هذا المشهد: جيش سليمان الضخم، فيه الخيول تجري، والأقدام تدب، والجنود يمشون. كل هذا على أرض بها نمل. لو وطئت قدما جندي على نملة، فجسمها الصلب الهش سيتحطم فوراً. لم يقل الله "لا يقتلكم" أو "لا يمرن عليكم"، بل قال "لا يحطمنكم". كلمة دقيقة علمياً، تصف طبيعة التدمير الذي سيحدث: تحطيم وتكسير، وليس مجرد قتل أو دهس.

أليست هذه معجزة؟ كلمة واحدة، نزلت قبل 1400 سنة، تخبر عن حقيقة لم يكتشفها العلماء إلا بعد مجاهر الإلكترون الماسحة. سبحان الله!

"سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ": ذكرت النملة سليمان أولاً، تعظيماً له، وحسن ظن به. لم تقل "جنود سليمان" فقط، بل قدمته لأنه القائد، ولأنها تعرف أنه نبي عادل، لكن جنوده قد يدهسونهم دون قصد.

"وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ": هذه الجملة تحمل عذراً لسليمان وجنوده، وحسن ظن بهم. النملة لم تقل "وهم يريدون تحطيمكم"، بل قالت "وهم لا يشعرون". أي أنهم لو حطموكم، فسيكون ذلك عن غير قصد، لأنهم لا يرونكم، ولا يدركون وجودكم. وهذا يدل على أن النملة كانت تعرف سليمان وتعرف عدله، فلم تظلمه في كلامها.

الرسائل والتوجيهات:

. حسن الظن بالآخرين: النملة قدمت عذراً لسليمان وجنوده قبل أن يقع الخطأ. لم تتهمهم بالتعمد، بل قالت "وهم لا يشعرون". هذا هو أدب التعامل مع الآخرين، حتى مع القوة العظمى.
. العذر بالجهل: إذا وقع ضرر من شخص لا يعلم، فهو غير مؤاخذ. هذه قاعدة أخلاقية وقانونية.
. دقة الألفاظ: النملة اختارت كلمة "يحطمنكم" بدقة، لأنها تعرف طبيعة جسمها. ونحن، حين نتكلم، يجب أن نختار ألفاظنا بدقة.

**أهم الامور التي سوف نقف عليها بمناسبة تدبر الايه
الامر الاول**

الإعجاز العلمي في "لا يحطمنكم". قصة مادة الكيتين

لنتوقف هنا قليلاً، وننعمق في هذا الإعجاز.

في القرن العشرين، ومع تطور المجاهر الإلكترونية، تمكن العلماء من دراسة التركيب الدقيق لجسم النملة. فوجدوا أن جسمها مغطى بهيكل خارجي صلب يُسمى الكيتين. هذه المادة موجودة أيضاً في قشريات البحر كالروبيان والسرطان.

****خصائص مادة الكيتين:**

. صلبة وقوية: تحمي النملة من الصدمات البسيطة.
. هشة وضعيفة أمام الضغط الشديد: إذا زاد الضغط عن حد معين، فإن الهيكل لا ينحني أو يثنى، بل يتكسر ويتحطم كقطعة الزجاج.
. ليست مرنة: لا تمتلك القدرة على امتصاص الصدمات والارتداد.

****لماذا هذا الإعجاز؟**

لأن لو كان جسم النملة مرناً كالمطاط، لقال الله "لا يدهسكنم" أو "لا يعصرنكم". لكن جسم النملة يتحطم، فجاء الوصف مطابقاً للحقيقة العلمية. هذا دليل قاطع على أن هذا القرآن من عند الله، الذي خلق النملة فعلم ما يصلحها.

****تطبيقات عملية:**

. تعزيز الإيمان: كل آية فيها إعجاز علمي تزيد المؤمن يقيناً، وتكون حجة على من يشك في صدق القرآن.

. دراسة الكائنات: هذا يدفعنا لدراسة خلق الله في النمل وغيره، فهذا من التفكير الذي أمرنا به.

الامر الثاني

لماذا سُميت السورة باسم "النمل"؟

هذا سؤال جميل. السورة مليئة بقصص عظيمة: سليمان، بلقيس، الهدد، صالح، لوط، شعيب. فلماذا اختار الله اسم "النمل"؟

الجواب: لأن الله يريد أن يعلم البشرية درساً عظيماً: العبرة ليست بالحجم، بل بالقيمة. النملة مخلوق صغير، لكن حكمتها عظيمة، وتديريها رشيد، ونظامها متقن. إنها نموذج مصغر للأمة المنظمة.

وهناك حكمة أخرى: أن هذه السورة نزلت لتثبيت قلب النبي ﷺ في مواجهة كبراء قريش. والله يقول له: "هؤلاء الكبراء الذين يستكبرون، هم في ميزاني كالنمل، بل أقل. فلا تخفهم، فالاعتبار بحكمتي لا بجنتهم".

تسمية السورة بسورة "النمل" تحمل رسالة لكل إنسان: لا تستصغر نفسك أبداً. قد تكون نملة في عيون الناس، لكنك عند الله عظيم إن اتقيت الله وأحسنت التدبير.

الأمر الرابع

دروس وعبر من قصة النملة

هذه النملة الصغيرة تقدم لنا منهجاً متكاملًا في الحياة، لو طبقه الإنسان لصلحت دنياه وآخرته.

الدرس الأول: نظام الحماية والوقاية (إدارة الأزمات)

النملة لم تنتظر حتى تصل الخيول لتحطمها، بل بادرت بالأمر "ادخلوا مساكنكم". هذا هو مبدأ الوقاية خير من العلاج، وأساس إدارة الأزمات. النملة درست الموقف (جيش ضخم قادم)، وحللت الخطر (التحطيم)، واتخذت القرار المناسب (الدخول إلى المساكن)، وأصدرت الأمر فوراً. أي مؤسسة ناجحة تعمل بهذا المبدأ: استباق المخاطر.

الدرس الثاني: القيادة بالمسؤولية والتضحية

النملة تحملت المسؤولية الكاملة عن سلامة قومها. لم تتركهم ينامون أو يتفرجون، بل نادتهم بصوت الحارسة الأمين. وهي بذلك تقدم نموذجاً للقائد الذي يضع مصلحة الجماعة فوق مصلحته الشخصية، ويبذل قصارى جهده لحمايتهم.

الدرس الثالث: حسن الظن بالآخرين

"وهم لا يشعرون" كلمة عظيمة في الأدب. النملة لم تتهم سليمان وجنوده بالعدوانية، بل عذرتهم بأنهم لا يشعرون. هذا يعلمنا ألا نسيء الظن بالناس، وأن نضع لأفعالهم الأعذار ما أمكننا ذلك.

الدرس الرابع: العلم بالعدو تحليل قوة الخصم

النملة عرفت سليمان، وعرفت أن جنوده كثيرون، وعرفت أن خيولهم قوية، وعرفت أن أجسامهم ستحطمها. هذا يدل على أنها كانت تملك معلومات دقيقة عن "العدو" أو الجيش المار. (في الإدارة و الحرب، المعلومات هي السلاح الأول. من يجهل خصمه يخسر.

الدرس الخامس: الانتماء للوطن والمجتمع

"ادخلوا مساكنكم" فيها دفاع عن الوطن، وإن كان وادياً صغيراً. النملة لم تهرب وحدها، ولم تقل "كل ينجو بنفسه". بل نادت قومها ليدخلوا أوطانهم. هذا هو الانتماء الحقيقي.

الأمر الخامس

الأبعاد المختلفة لهذه الآية (تربوية، نفسية، فكرية، سياسية، تنمية)

أولاً: البعد التربوي

. تعليم الأطفال حسن التدبير: احك لأطفالك قصة النملة، وقل لهم: انظروا كيف كانت ذكية، حمت قومها قبل وقوع الخطر. علمهم التخطيط للمستقبل.

. تعليمهم القيادة بالقدوة: النملة قائدة متواضعة لكنها حازمة. علم أولادك أن القائد يخدم قومه، لا أن يخدمه قومه.

. تعليمهم لغة الحوار: النملة نادى قومها، لم تكتم بالإشارة. علم أبناءك أن الكلام الواضح هو أساس التواصل.

ثانياً: البعد النفسي

- . علاج الشعور بالدونية: أنت صغير؟ تذكر النملة . صغر حجمها لم يمنعها من أن تكون قائدة . حجمك لا يحدد قيمتك .
- . تعزيز ثقة القائد بنفسه: إذا كنت قائداً لجماعة صغيرة، فلا تيأس . النملة قادت أمة النمل رغم ضعفها .
- . الاستعداد النفسي للطوارئ: النملة كانت مستعدة ذهنياً للخطر . درب نفسك على التعامل مع المفاجآت ، وضع خططاً بديلة .

ثالثاً: البعد الفكري

- . فهم آليات التواصل في الطبيعة: القرآن أخبرنا أن النمل يتكلم، والعلم الحديث اكتشف أن النمل يتواصل عبر الفيرومونات) مواد كيميائية (والإشارات . هذا يوسع أفق التفكير .
- . الإعجاز العلمي كدليل على صدق القرآن: هذا يبني فكراً يقينياً، لا يتزعزع أمام الشبهات .
- . التفكير في خلق الله: النملة آية من آيات الله . دراستها تعين على فهم عظمة الخالق .

رابعاً: البعد السياسي والقيادي

- . إدارة الأزمات: النملة قامت بتحليل الخطر، وتقييم الوضع، وإصدار الأمر . أي قائد ناجح يفعل نفس الشيء .
- . التخطيط الاستراتيجي: بناء المساكن المحصنة هو تخطيط استباقي . القائد الحكيم يبني حصوناً قبل أن يهاجمه العدو .
- . الدفاع عن الوطن: النملة دافعت عن وطنها) وادي النمل . (القائد الوطني يدافع عن وطنه بكل ما أوتي من قوة .
- . العدل وحسن الظن: النملة قالت "وهم لا يشعرون"، هذا يعلم القائد ألا يتسرع في اتهام الآخرين، وأن يتحرى العدل .

خامساً: البعد التنموي والحضاري

- . الإتقان في البناء: النمل يبني مساكنه بإتقان، وبداخل ومخارج، وغرف متخصصة . هذا نموذج في التنمية العمرانية . علينا أن نبني مدننا وبيوتنا بإتقان .
- . النظام في المجتمع: النمل مجتمع منظم، كل فرد له وظيفة . هذا هو أساس التنمية المستدامة .
- . مجتمع بلا نظام لا يتطور .
- . دراسة الكائنات للاستفادة منها: علماء اليوم يدرسون النمل لتعلم تقنيات في الهندسة والاتصالات . نحن مدعوون للتفكير في خلق الله للاستفادة منه .
- . التنمية تبدأ من حماية الأفراد: النملة أرادت حماية أفرادها . أي تنمية حقيقية تبدأ بحماية الإنسان، وتوفير المسكن الآمن له .

سادساً: البعد في بناء الإنسان) الشخصية المسلمة(

هذه الآية تبني شخصية:

- . متدبرة: تنظر في خلق الله، وتستنبط الدروس .
- . حكيمة: تتصرف بحكمة في مواجهة المخاطر .
- . قائدة: تتحمل المسؤولية، وتنظم الجماعة .
- . متفائلة: لا تيأس من صغر حجمها أو إمكانياتها .
- . وطنية: تدافع عن مجتمعها ووطنها .
- . عالمة: تسعى لمعرفة الحقائق، وتتعلم من كل شيء .

الامر السادس

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي اليوم؟

في علاقتك مع الله:

- . اشكر الله على نعمة العقل: الذي ميزك عن النملة، فهي تعمل بالغريزة، وأنت تعمل بالعقل والإرادة .
- . استخدم عقلك في طاعة الله .

. ادعُ الله أن يرزقك حكمة النملة: في تدبير أمورك، وفي حماية أهلِكَ ومجتمعك.
. تفكر في خلق النملة: اذهب إلى حديقة، وانظر إلى النمل، وتأمل في نظامه وتنظيمه. هذا يزيدك إيماناً!

في بيتك وأسرتك:

. كن قائداً لأسرتك كالنملة: نادهم، نظمهم، حذرهم من المخاطر. لا تكن فوضوياً.
. علم أولادك خطة الطوارئ: ماذا يفعلون في حالة حريق؟ في حالة مرض؟ في حالة غيابك؟ هذا هو تطبيق "ادخلوا مساكنكم".
. لا تهمل صوت صغير في البيت: قد يكون طفلاً، قد تكون زوجتك، قد يكون خادماً. استمع للجميع، فربما ينطقون بالحق كما نطقت النملة.

في عملك ودراستك:

. في العمل: إذا كنت مديراً، كن مثل النملة: قائداً حازماً في وقت الخطر، عادلاً في وقت السلم.
نظم فريقك، ووزع المهام.
. في الدراسة: كن منظماً في مذاكرتك. النملة دخلت مساكنها قبل الخطر، وأنت ادخل إلى مكان هادئ للمذاكرة قبل الامتحان.
. حسن الظن بزملائك: إذا أخطأ زميل في حقك، قل في نفسك "ربما لا يشعر". هذا يحمي قلبك من الحقد.
. الإتقان في عملك: أتقن عملك كما أتقنت النملة بناء مسكنها.

في مجتمعك:

. شارك في التخطيط للطوارئ: في حيك، في مدينتك. كن نملة تحذر قومها قبل وقوع المصيبة.
. ادعُ إلى النظام: في الطوابير، في المواقف، في المرور. النظام هو "مساكنكم" التي تحميكم.
. لا تحتقر أي جهد صغير: قد يكون جارك، أو زميلك، أو شخص بسيط، له رأي يغير مجرى الأمور.

الامر السابع

ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن، في هذه اللحظة؟

أيها الإنسان الذي يقرأ هذه الكلمات،

أنت أكبر من نملة. لكن النملة تفوقت عليك في ثلاث:

1.التدبير: خططت قبل وقوع الخطر.

2.القيادة: تحملت مسؤولية قومها.

3.النظام: عاشت في مساكن منظمة.

اسأل نفسك:

. هل لبيتك خطة للطوارئ؟ ماذا تفعل عائلتك إذا حدث حريق أو زلزال؟ النملة لها خطة. فماذا عنك؟
. هل تتحمل مسؤولية من حولك؟ أم أنك مشغول بنفسك فقط؟
. هل تنظر إلى الصغار والضعفاء بازدراء؟ تذكر أن الله سمى سورة كاملة باسم نملة.
. هل تتعامل مع الآخرين بحسن ظن؟ أم أنك تتهمهم فوراً عند الخطأ؟

لا تكن أقل من نملة. النملة حمت قومها. هل تحمي أهلِكَ؟ النملة نظمت مجتمعها. هل تنظم حياتك؟
النملة استخدمت ذكاءها. هل تستخدم عقلك؟

عاهد الله اليوم:

1.أن تخطط لأموالك المستقبلية: لا تعيش يوماً بيوم. خطط لمعاشك، لدراستك، لبيتك، لدينك.

2.أن تتحمل مسؤولية من حولك: لا تكن أنانياً. اهتم بأهلك، جيرانك، مجتمعك.

3.أن تتعامل مع الناس بحسن ظن: قدم الأعذار، وقل في نفسك "ربما لا يشعرون".

4.أن تشكر الله على نعمة العقل والتنظيم: وتستخدمهما في طاعته.

اللهم إنا نسألك حكمة النملة في تدبير أمورنا، وقوة القائد في تحمل مسؤولياتنا، ونظام العسكر في

ترتيب حياتنا. اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، واجعلنا من عبادك الصالحين. اللهم
أرنا آياتك في الآفاق وفي أنفسنا حتى نعلم أنك على كل شيء قدير.

المبحث الخامس

أهلاً بك، أيها القلب الذي يرى في تبسم نبي درسا، وفي دعائه منهاج حياة.

لقد رأينا في الآية الماضية مشهد النملة القائدة، التي نادى قومها بحكمة، وأمرتهم بدخول مساكنهم خوفاً من جيش سليمان أن يحطمهم وهم لا يشعرون. والآن، يأتي دور سليمان عليه السلام. لم يغضب، ولم يتكبر، ولم يقل: "كيف تجرؤ هذه النملة الصغيرة على الحديث عن جيشي؟" بل العكس تماماً. لقد ابتسم. تبسم ضاحكاً. ثم انطلق لسانه شاكرًا داعياً.

هذه اللحظة هي قمة التواضع النبوي، وأعظم دروس القيادة الربانية. سليمان، ملك الدنيا والجن والإِنس والطير، صاحب أعظم ملك عرفته البشرية، يقف متبسماً أمام كلمات نملة صغيرة. لا يراها مخلوقاً تافهاً، بل يراها آية من آيات الله، ورسالة تحمل له علماً جديداً، ودعوة لشكر نعمة لم يكن ليشعر بها لولا هذه النملة.

ثم لا يكتفي بالتبسم، بل يرفع يديه إلى السماء داعياً: "رب أوزعني أن أشكر نعمتك". يطلب من الله أن يلهمه الشكر، أن يوفقه ليكون عبداً شكوراً. وهنا نرى الفرق بين عباد الله وعباد الدنيا: فرعون حين رأى ملكه قال "أنا ربكم الأعلى". وسليمان حين رأى نملة قال "رب أوزعني أن أشكر نعمتك".

تعال... لنعيش هذه اللحظة الخالدة، ونتعلم من سليمان كيف نكون قادة متواضعين، وكيف نحول كل موقف إلى فرصة للشكر والدعاء.

الآية التاسعة عشره: (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) **اولاً** : {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا...} تواضع الأنبياء وفرحهم بالحكمة أينما كانت

"فَتَبَسَّمَ": الفاء للسببية، أي بسبب قول النملة تبسم. والتبسم هو أرفع درجات الضحك، ضحك بلا صوت، ضحك الأدب والوقار. سليمان لم يقهقه، ولم يسخر، بل تبسم ضاحكاً. فرحاً بما سمع.

"ضاحكاً": حال مؤكدة، أي كان تبسمه تبسم من يضحك فرحاً وسروراً، وليس تبسم المجاملات.

"مِن قَوْلِهَا": سبب التبسم هو قول النملة. لم يغضب لأنه نبي، ولم يتكبر لأنه ملك. فرح بحكمتها، وتواضع لعلمها، واستأنس بذكائها.

اللمسة البلاغية والتجويدية: كلمة "فَتَبَسَّمَ" فيها سين مهموسة، وميم تعطي إحساساً باللفظ والرقعة. كلمة "ضاحكاً" فيها ضاد مفخمة، وألف مد، وكاف، تعطي إحساساً بالانشراح. والوقف على "قَوْلِهَا" يترك في النفس عجباً: أي قول هذه النملة الصغير أضحك هذا النبي العظيم؟

**ما الذي نتعلمه من تبسم سليمان عليه السلام؟

1. التواضع لله في خلقه: أعظم الناس مكانة عند الله أشدهم تواضعاً. سليمان تواضع لنملة، وفرعه الله.

2. الفرح بالحكمة أينما كانت: لا تحتقر كلمة حق تسمعها من صغير أو ضعيف. الحكمة ضالة المؤمن.

3. حسن الاستماع: سليمان كان ينصت، أصغى إلى قول النملة، فانتفع به. لو كان متكبراً لما سمع.

4. الضحك في موضعه: التبسم في موضع السرور والفرح بالخير من هدي الأنبياء. النبي ﷺ كان يتبسم حتى تظهر نواجذه.

قصة في التبسم: قالوا: لما سمع سليمان قول النملة، قال لأصحابه: "أتدرون ماذا قالت هذه النملة؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. فأخبرهم. فقالوا: أفلا تهلكها؟ قال: "لا، إنها قالت الحق، وعذرتني بأني لا أشعر. فجزاها الله خيراً".

ثانياً : { وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ... } دعاء الشكر وإلهام التوفيق

"وَقَالَ": بعد أن تبسم، نطق لسانه بالدعاء. لم يبق ساكناً، بل حول الموقف إلى عبادة.

"رَبِّ": نداء بالربوبية، فيه اعتراف بأن الله هو المربي، المالك، المدبر. سليمان وهو الملك العظيم، ينادي ربه متذللاً.

"أوزعني": من الإيزاع، وهو الإلهام والتوفيق والجعل. تقول: أوزعه الله كذا، أي ألقى في قلبه وألهمه . سليمان يطلب من الله أن يلهمه، ويرزقه، ويوفقه.

"أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ": أي أوزعني شكر نعمتك. والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع الثناء على الله، وصرافها في طاعته. سليمان لم يقل "أنا شاكر"، بل طلب من الله أن يلهمه الشكر. وهذا من كمال تواضعه، فهو يعلم أن التوفيق من الله.

"التي أنعمت علي": النعم التي أنعمها الله على سليمان لا تحصى: النبوة، الملك، تسخير الريح والجن، علم منطق الطير، الحكمة، العدل... لكن لاحظ أنه بدأ بالشكر على النعم قبل أن يطلب شيئاً آخر.

اللمسة البلاغية: تقديم "أوزعني" على "أن أشكر" يدل على أن الإلهام من الله هو الشرط لتحقيق الشكر. فالشكر توفيق إلهي، وليس مجرد قرار بشري.

ما الذي نتعلمه من دعاء سليمان عليه السلام؟

1. طلب التوفيق من الله: لا تعتمد على قواك في شكر الله. اطلب منه أن يلهمك الشكر. هذا من أعلى درجات التوكل.
2. الاعتراف بأن النعم من الله: حتى النعم التي تظن أنك اجتهدت فيها، هي من عند الله.
3. الشكر عبادة تحتاج إلى معونة: من ظن أنه قادر على شكر الله بنفسه، فقد أشرك. الشكر يحتاج إلى توفيق الله.

ثالث: {وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ}... (بر الوالدين وذكرهما في الدعاء

"وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ": سليمان لم ينس والديه في دعائه. نعم، هو نبي وملك، لكنه ابن. نعمة الله عليه تشمل نعمة الله على والديه (داود عليه السلام وأمه). (فشكر النعمة تشمل أن يعترف بأن والديه كانا سبباً في هذه النعمة، وأن يدعو لهما.

**لماذا قدم الدعاء لنفسه على والديه؟

لأن شكر نعمته الشخصية أهم، ثم تذكر والديه. وهذا أدب، لا تقديم ذات على والديه، بل الأصل أن يبدأ الإنسان بنفسه ثم بمن يعول.

اللمسة البلاغية: حرف الجر "على" في "على والدي" يدل على علو النعمة واستيلائها، أي أن النعم التي على والديه عظيمة ومستولية.

الدرس: لا تنسَ والديك في دعائك أبداً. ادعُ لهما بالمغفرة والرحمة، واعترف بفضلهما عليك. واشكر الله أن جعلك منهما. حتى النبي سليمان مع مكانته العالية، ذكر والديه في دعائه.

رابعاً: {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ}... (طلب التوفيق للعمل المرضي

"وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا": بعد أن طلب شكر النعم، طلب العمل الصالح. فالشكر يظهر بالقلب واللسان و الجوارح. والعمل الصالح هو ترجمة الشكر على أرض الواقع.

"ترضاه": قيد العمل الصالح بأن يكون مرضياً عند الله. ليس أي عمل صالح، بل الذي يوافق شرعه، ويبتغي به وجهه. العمل الصالح قد لا يكون مرضياً إذا كان فيه رياء أو بدعة. فسليمان طلب الإخلاص والاتباع.

**ما الفرق بين "أن أشكر" و"أن أعمل صالحاً"؟

. شكر النعمة: اعتراف بالقلب، وثناء باللسان.

. العمل الصالح: استعمال الجوارح في طاعة الله.

وهما متلازمان. الشكر الحقيقي يظهر في العمل الصالح.

اللمسة البلاغية: تقديم شكر النعمة على العمل الصالح، لأن شكر النعمة هو الذي يدفع إلى العمل الصالح. فمن شكر نعمة العقل، استعمله في طاعة الله.

خامساً: {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}... (غاية الأمناني

"وَأَدْخَلْنِي": طلب الدخول، أي جعلهم في زمرة الصالحين. ولم يقل "اجعلني من الصالحين" بل "ادخلني" إشارة إلى أن الدخول يحتاج إلى نقلة ومرحلة جديدة.

"بِرَحْمَتِكَ": الباء للسببية. أي برحمتك لا بعلمي. سليمان مع كل نعمه وأعماله، يعلم أنه لا يدخل الجنة ولا ينال درجة الصالحين إلا برحمة الله. هذا هو أصل التوحيد. قال النبي ﷺ: "لن يدخل أحدكم الجنة بعمله". قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته".

"فِي عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ": الصالحون هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون. سليمان يطلب أن يكون معهم في درجاتهم، برحمة الله. هذا هو أعلى مطلب.

اللمسة البيانية: تكبير "الصالحين" مع أنهم معروفون، للدلالة على أن صلاحهم عظيم لا يحد. وهم "عباد الله" أي المخلصون له.

الدرس: مهما بلغت منزلة الإنسان، فهو مفتقر إلى رحمة الله. لا تغتر بعملك. واطلب دائماً من الله أن يدخلك برحمته في زمرة الصالحين.

أهم الامور والقضايا والمواضيع التي سوف نقف عليها بمناسبة تدبر هذه الآية
الامر الاول

العلاقة بين هذه الآية والآيات السابقة واللاحقة:

. الآية السابقة) النملة:) النملة قالت "لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون". فتبسم سليمان من قولها، وشكر الله على نعمة العلم والفهم، وأنعم عليه بفهم منطق الطير.

. الآية اللاحقة) الهدد:) بعد هذا الدعاء، سيتفقد سليمان الطير، فيفقد الهدد، فتأتي القصة العجيبة مع ملكة سبأ. وهذا من تمام تسخير الطير له، ومن مظاهر شكر النعمة أن يتفقد جنده وينتبه لغائبهم.

الامر الثاني

المواضيع والمفاهيم الرئيسية في هذه الآية:

المفهوم الأول: التواضع هو تاج الأنبياء والملوك

سليمان ملك، لكنه تواضع لنملة. تواضعه لم ينقص من ملكه شيئاً، بل زاده عظمة في قلوب الناس. القائد المتواضع يحبه الله والناس.

المفهوم الثاني: تحويل المواقف إلى فرص للدعاء والشكر

كل موقف في حياة المؤمن يمكن أن يكون فرصة للدعاء. سليمان سمع نملة فدعا الله. لا تمر الأحداث عليك مرور الكرام. اجعلها بوابات للدعاء.

المفهوم الثالث: الشكر يحتاج إلى توفيق إلهي

لا تظن أنك قادر على شكر الله بمجرد قرار. الشكر نعمة تحتاج إلى نعمة أخرى. اطلب من الله أن يلهمك الشكر.

المفهوم الرابع: بر الوالدين عبادة مستمرة

لا تنس والديك في دعائك، حتى لو كنت نبياً أو ملكاً. الدعاء لهما من أفضل البر بعد موتهما.

المفهوم الخامس: العمل الصالح شرطه الإخلاص والرضا الإلهي

"ترضاه" هو المقياس. ليس المهم أن ترى عملك صالحاً، المهم أن يرضى الله عنه. وهذا يحتاج إلى علم واتباع وإخلاص.

المفهوم السادس: الرجاء مع الخوف، والعمل مع الاعتماد على الرحمة

سليمان يعمل صالحاً، ويطلب شكر النعمة، لكنه في النهاية يقول "برحمتك". لا يغتر بعمله، ولا ييأس من رحمة الله.

الامر الثالث

القيم التي تفرسها هذه الآية:

1. قيمة التواضع: مهما عظم شأنك، تواضع لله واخلقه.
2. قيمة الشكر: شكر النعم بالقلب واللسان والجوارح.
3. قيمة الدعاء: الدعاء هو العبادة، وهو سلاح المؤمن.
4. قيمة بر الوالدين: الاعتراف بفضلها والدعاء لهما.
5. قيمة العمل الصالح: لا يكفي الاعتقاد، بل لا بد من العمل.
6. قيمة الإخلاص: العمل لوجه الله وحده.
7. قيمة الرجاء: عدم اليأس من رحمة الله مهما عظم الذنب.
8. قيمة القدوة: سليمان قدوة في أخلاقه وأدعيته.

الامر الرابع

الأبعاد المختلفة) تربوية، نفسية، فكرية، سياسية، تنموية(:

أولا: البعد التربوي

- . تعليم الأبناء التواضع: علمهم أن التواضع لا ينقص من قدرهم، بل يزيده. سليمان أعظم ملك تواضع لنملة.
- . تعليمهم الدعاء في كل المواقف: علمهم أدعية قصيرة في المواقف المختلفة. مثلا: عندما يرون شيئاً يعجبهم، يقولون "سيحان الله". وعندما يسمعون حكمة يقولون "الحمد لله".
- . تعليمهم بر الوالدين: اجعلهم يدعون لوالديهم كل يوم، وخاصة في الصلاة.
- كيف نطبق؟ في البيت، إذا فعل أحد أفراد الأسرة شيئاً ذكياً، قل "جزاك الله خيراً، كما تبسم سليمان من قول النملة". واجعل لأولادك حصة يومية للدعاء لوالديهم.

ثانياً: البعد النفسي

- . علاج الكبر والغرور: من يظن نفسه كبيراً، يتذكر سليمان. من كان كذلك تواضع لنملة. فكيف بك أنت؟
- . تعزيز الامتنان: درب نفسك على عد النعم وشكرها. سليمان طلب أن يلهمه الشكر. أنت أيضاً اطلب ذلك.
- . التفاؤل والرجاء: الآية تنتهي بـ "برحمتك"، وهذا يزرع الأمل في النفس. حتى لو أخطأت، فباب الرحمة مفتوح.
- كيف نطبق؟ كل يوم، اكتب ثلاث نعم تشكر الله عليها. وقل في صلاتك: "رب أوزعني أن أشكر نعمتك".

ثالثاً: البعد الفكري

- . فهم العلاقة بين الشكر والعمل الصالح: الشكر الحقيقي لا يبقى في القلب واللسان، بل يتعدى إلى العمل. هذا يبني فكراً عملياً، لا نظرياً فقط.
- . فهم أن الدعاء ليس بديلاً عن العمل: سليمان دعا "أن أعمل صالحاً". لم يقل "أدخلني الجنة بلا عمل". الدعاء والعمل متلازمان.
- . فهم دور الوالدين في بناء الشخصية: سليمان اعترف بأن نعمة الله عليه تشمل والديه. هذا يبني فكراً يقدر التربية والتنشئة.

كيف نطبق؟ في مجتمعاتنا، يجب أن نربط بين الشكر والعمل. لا يكفي أن نقول "الحمد لله"، بل يجب أن نعمل بما يرضي الله.

رابعاً: البعد السياسي والقيادي

- . تواضع القائد: سليمان قائد عظيم، لكنه متواضع. القائد المتكبر يسقط، والمتواضع يخلد. سليمان خلد في التاريخ بتواضعه.
- . الاستماع إلى الجميع: سليمان استمع إلى نملة. القائد الناجح يستمع إلى كل الأصوات، حتى الصغيرة منها.
- . الدعاء للوالدين من شيم القادة: القائد الذي يدعو لوالديه يضرب قدوة في البر، ويجعل المجتمع يرفع كباره.

. طلب التوفيق من الله: سليمان لم يقل "أنا قادر على حكم المملكة"، بل قال "رب أوزعني". القائد المؤمن يعلم أن توفيقه من الله.

كيف نطبق في الإدارة؟ إذا كنت مديراً، كن متواضعاً مع موظفيك. استمع إلى اقتراحاتهم، حتى من أصغر موظف. وادع لوالديك في العلن، ليكون ذلك قدوة.

خامساً: البعد التنموي والحضاري

. الشكر أساس التنمية المستدامة: قال تعالى: {لئن شكرتم لأزيدنكم}. {المجتمع الشاكر تنمو نعمه. سليمان شكر، فزاده الله. أي مشروع تنموي يجب أن يبدأ بالشكر لله.
. العمل الصالح أساس العمران: العمل الصالح ليس فقط عبادة، بل هو إتقان العمل، وبناء المساكن، و العدل بين الناس. سليمان طلب العمل الصالح، فبنى حضارة عظيمة.
. الرحمة أساس التماسك الاجتماعي: "برحمتك" تذكر المجتمع بأن كل شيء بالرحمة. لا بالقوة فقط. المجتمع المتوازن يجمع بين العدل والرحمة.

كيف نطبق في مشاريعنا؟ أي مشروع خيري أو تنموي، ابدأه بالشكر لله. وليكن هدفك "رضا الله" وليس المال فقط. وليكن عملك متقناً مرضياً.

سادساً: البعد في بناء الإنسان) الشخصية المسلمة)

هذه الآية تبني شخصية:

- . متواضعة: لا ترى نفسها أكبر من أحد.
- . شاكرة: تعترف بالنعم وتشكر الله.
- . بارّة: بوالديها، حية وميتة.
- . عاملة: لا تقتصر على الدعاء، بل تعمل صالحاً.
- . مخلصّة: تطلب رضا الله في عملها.
- . راجية: ترجو رحمة الله ولا تياس.
- . داعية: تدعو الله في كل أحوالها.

الامر الخامس

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي اليوم؟

في علاقتك مع الله:

. اجعل هذا الدعاء ورداً يومياً: قل "رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين". هذا الدعاء جامع.
. عند رؤية أي نعمة: تبسم كسليمان، واشكر الله. لا تمر عليها بلا مبالاة.
. عند سماع حكمة أو نصيحة: لا تتكبر، بل تبسم واشكر من قالها، وادع الله أن يلهمك الشكر.

في بيتك وأسرتك:

. كن قدوة في التواضع: لا تتكبر على زوجتك أو أولادك. استمع لرأيهم، ولو كانوا صغاراً. إذا قال لك ابنك كلمة حكيمة، تبسم وقل "جزاك الله خيراً، كما تبسم سليمان".
. ادع لوالديك كل يوم: في الصلاة، قبل النوم، عند رؤية الخير. اجعل لأولادك عادة الدعاء لوالديهم.
. علم أولادك هذا الدعاء: أحفظه لهم، واشرحه لهم.

في عملك ودراستك:

. تواضع لزملائك: لا تظن أنك أفضل منهم. استمع لأفكارهم، حتى لو كانوا أقل منك منزلة. فرب نملة أفضل من جيش.
. اطلب من الله التوفيق قبل العمل: قل "رب أوزعني أن أعمل صالحاً ترضاه". لا تتكل على قدراتك وحدها.
. أتقن عملك: لأن الإتقان من العمل الصالح الذي يرضاه الله.
. إذا نجحت في مشروع: لا تنس والديك. قل "الحمد لله الذي أنعم عليّ وعلى والديّ".

في مجتمعك:

- تواضع للفقراء والضعفاء: لا تحتقر أحداً. فرب فقير أعظم عند الله من غني متكبر.
- ادعُ للمسلمين والمسلمات: ولا بائهم وأمهاتهم. عمم الخير.
- كن مبادراً في الشكر: إذا رأيت نعمة على أحد، ذكره بشكر الله.

الامر السادس

ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن، في هذه اللحظة؟

أيها الإنسان الذي يقرأ هذه الكلمات،

لقد مررت بلحظات كثيرة سمعت فيها كلمة حق، أو نصيحة، أو حكمة. كيف كان رد فعلك؟ هل تبسّمت وشكرت الله؟ أم تجهمت وتكبرت؟

لقد نادتك النملة اليوم. نملة في حياتك: ربما طفل صغير نصحك، أو زوجة أرشدتك، أو موظف أقل منك منزلة قال لك كلمة صحيحة. هل تبسّمت؟ أم أغضبك أن ينصحك من هو أصغر منك؟

اسأل نفسك:

- هل أنت متواضع؟ أم أن في قلبك كبراً يمنعك من قبول الحق من أي شخص؟
- هل تشكر الله على نعمه؟ أم أنك ترى أنها بجهدك وذكائك فقط؟
- هل تدعو لوالديك؟ أم أنك انشغلت بحياتك عنهما؟
- هل تعمل صالحاً ترضاه الله؟ أم أن أعمالك لجاه أو مال أو سمعة؟
- هل ترجو رحمة الله؟ أم أنك تغتر بعملك، أو تقنط من رحمته؟

تذكر: سليمان كان أعظم ملك، ومع ذلك قال "رب أوزعني" و"برحمتك". لم يقل "أنا شاكر" ولا "أنا عامل صالح" ولا "أنا مستحق". هذا هو الأدب مع الله.

عاهد الله اليوم:

1. أن تتواضع للحق، ولو جاء من نملة.
2. أن تردد دعاء سليمان كل يوم، بقلب خاشع.
3. أن تشكر الله على نعمه، وعلى نعمه على والديك.
4. أن تعمل عملاً صالحاً خالصاً لوجهه، متقناً مرضياً.
5. أن ترجو رحمة الله، ولا تغتر بعملك، ولا تقنط من ذنبك.

المبحث السادس

أهلاً بك أيها القائد الذي يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله، أيها الجندي الذي يخاف على ثغرتة قبل أن يسأله القائد.

لقد رأينا سليمان عليه السلام في الآية الماضية في أبهى صور التواضع والشكر: تبسم من قول نملة، ودعا ربه أن يلهمه الشكر والعمل الصالح. لكن سليمان ليس نبياً رقيقاً فقط، بل هو أيضاً قائد عسكري عظيم، وملك مدبر. والقيادة الحقيقية تجمع بين الرحمة والحزم، بين التواضع للضعفاء والشدة على المقصرين.

والآن، يأتي المشهد الآخر من شخصيته: مشهد القائد الذي يتفقد جيشه بنفسه، لا يغفل عن أصغر جندي، ولا ينام عن ثغرة. إنه يتفقد الطير، فيلاحظ غياب الهدد. ليس غياباً عادياً، بل غياباً طال أمده، حتى ظن أنه غائب أصلاً. وهنا تتور غيرته على جيشه، ويشتد غضبه على المقصر.

لكن تأمل الأدب النبوي: لم يعاقب فوراً. سأل، استفسر، تثبت. ثم توعدده بعقاب شديد، لكنه فتح له باب العذر: "أو ليأتيني بسلطان مبين". هذا هو العدل. هذا هو التثبت. هذا هو المنهج الإلهي في القيادة: لا عقاب دون تحقيق، ولا حكم دون سماع.

تعال... نتقرب من هذا المشهد العسكري النادر، ونتعلم كيف نكون قادة أقوياء عادلين، وجنوداً أوفياء. **الاية العشرون:** {وَتَقَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} **اولاً:** {وَتَقَقَدَ الطَّيْرَ...} {القائد الذي لا ينام عن جيشه

"وَتَقَقَدَ": الفعل "تفقد" يدل على البحث والتفتيش بدقة وعناية. إنه ليس مجرد نظرة عابرة، بل تتبع وتحري واستقصاء. سليمان عليه السلام كان يقوم بجولة تفقدية على جيشه، يتأكد من أحوال جنوده بنفسه. لم يكل إلى غيره، ولم يتكل على التقارير فقط. هذا هو القائد القدوة.

"الطَيْرُ": من بين كل أجناد سليمان) الجن والإنس والطير، خص بالتفقد الطير لماذا؟ لأن الطير هو سلاح الاستطلاع والاتصالات في جيشه. الجنود الطيارون هم الذين ينقلون الأخبار، ويكشفون تحركات العدو، ويؤمنون خطوط الإمداد. غياب أي طائر، خاصة الهدهد، يعني ثغرة في منظومة الاستخبارات. وهذا خطر كبير.

اللمسة البلاغية والتجويدية: كلمة "تفقد" فيها قاف مشددة، ودال القاف المشددة تعطي إحساساً بدقة والتركيز الشديد. كأنه يدقق في كل طائر على حدة. كلمة "الطَيْرُ" فيها طاء مفخمة، وياء مد، وراء الطاء المفخمة تعطي إحساساً بالقوة والسيطرة على هذا الجيش الطائر.

ما الذي نتعلمه من تفقد سليمان للطير؟

. المتابعة الشخصية: القائد الناجح لا يترك كل شيء للمراقبين. يتفقد بنفسه، يحاسب بنفسه، يطمئن بنفسه.
. أهمية كل جندي: الطير جزء من الجيش، والهدهد جزء من الطير. سليمان لم يقل "طائر صغير لا يهم". بل تفقده. لا تحتقر دور أي فرد في فريقك.
. الاستعداد العسكري الدائم: في جيش سليمان، لا إجازة بدون إذن. والتفقد هو وسيلة التأكد من الجاهزية.

ثانياً: { فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ... } تعبير عن الدهشة والغضب

"فقال": بعد أن تفقد، نطق بهذه العبارة. لسان حاله: لقد عدت الطير فوجدتك ناقصاً.
"ما لي": هذا أسلوب تعجب واستفهام. معناه: ما الذي حدث لي؟ لماذا أنا في هذه الحالة التي لا أرى فيها الهدهد؟ فيه توبيخ ضمني للهدهد. كأنه يقول: "ما بالي لا أراك؟ أين كنت؟"

"لَا أَرَى الْهُدْهُدَ": الجملة الحالية. أي أن حالتي الآن أنني لا أراه. التأكيد على غيابه وعدم ظهوره.

"الهُدْهُدُ": ذكر نوعه بالاسم، وهو طائر معروف بذكائه وقدرته على كشف الماء تحت الأرض، وله عرف مميز. كان الهدهد عند سليمان بمثابة "جهاز استخبارات" متقدم. غيابه يعني فقدان معلومات حيوية.

اللمسة البيانية: كرر حرف "لا" في "لا أرى" للتأكيد. وقدم "ما لي" على الفعل، للاهتمام بشأن نفسه أو لا، كأنه يتألم من غيابه.

ما الذي نتعلمه من عبارته ما لي لا أرى؟

. الشفافية في القيادة: القائد يعبر عما في نفسه. سليمان أظهر انزعاجه من الغياب. لا يخفي مشاعره، بل يواجه المقصر بها.
. التركيز على الوظيفة: لم يقل "لماذا غاب الهدهد" بل قال "لا أراه". المهم عنده هو أداء الوظيفة: أن يكون في موضعه ليراه القائد. الغياب عن العين يعني غياب عن الواجب.
ثالثاً: { أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ... } الاستفهام التوبيخي

"أَمْ": هنا للإضراب والانتقال. أي "بل كان من الغائبين؟" وهي تفيد معنى التوبيخ والاستنكار. وكأنه يقول: "لست أراه، فهل انقطع وظنه من الغائبين؟"

"كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ": أي صار في زمرة الذين تغيبوا بلا إذن. لم يقل "غائب" فقط، بل "من الغائبين" ليشير إلى أنه انضم إلى فئة الغائبين المعهودين. هذا فيه تشنيع عليه.

اللمسة البلاغية: الاستفهام بـ "أَمْ" هنا ليس للشك، بل للتقرير والتوبيخ. والمعنى: قد تحقق لي أنه غائب، فهل صار من جملة الغائبين الذين لا يحضرون إلا نادراً؟

الدرس: سليمان كان متأكداً من غيابه، لكنه عبر بأسلوب استفهامي فيه فرصة للاعتذار قبل أن يحكم. هذا من الأدب في القيادة: لا تتهم مباشرة، بل استفسر بطريقة تتيح للمقصر أن يبين عذره.
إليه الحادية والعشرون: { لَأَعَذَّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ }

أولاً: { لَأَعَذَّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا... } الردع والتأديب

"لَأَعَذَّبَنَّ": اللام لام القسم، والنون للتوكيد. أي أقسم بالله لأعذبه. والعذاب هنا ليس عذاب الآخرة، بل عقاب دنيوي تأديبي.

"عَذَابًا شَدِيدًا": نكرة في سياق الإثبات، تفيد التنوع. أي عذاباً قاسياً موجعاً. والمفسرون اختلفوا: هل هو نتف ريشه؟ أو حبسه مع أعدائه؟ أو وسخه بالقرار؟ أو غيره؟ المهم أنه عقاب رادع.

لماذا هذا التشديد؟ لأن الهدد جندي في جيش، وتخلفه عن موقعه دون عذر يعرض الأمة للخطر. في الأنظمة العسكرية، التخلف عن الواجب قد يصل عقابه إلى الإعدام. سليمان كان شديداً في الردع لحماية الجيش كله.

اللمسة البلاغية: تكرار حرف اللام والتوكيد في "لأعذبه" يفيد العزم المؤكد. والوصف بـ "شديداً" يؤكد القسوة.

ثانياً: {أَوْ لَأَذْبَحَهُ...} أقصى درجات العقاب

"أو": للتخيير، أي سأفعل أحد الأمرين: إما العذاب الشديد أو الذبح. والذبح هو قتل النفس. وهذا يدل على أن الخطأ كان كبيراً في نظر القائد.

"لَأَذْبَحَهُ": قسم وتوكيد أيضاً. الذبح إزهاق الروح. فالهدد قد يعدم إذا ثبت تقصيره.

ما دلالة تقديم العذاب على الذبح؟ أن القائد يبدأ بالعقاب التأديبي قبل الإعدام. والذبح هو الحل الأخير. وهذا يدل على رحمة في الشدة.

الدرس في القيادة العسكرية: غياب جندي استطلاعي واحد قد يؤدي إلى كارثة. الجيش الذي لا يعاقب مقصره ينهار. سليمان علمنا أن الشدة في موضعها ضرورة.

ثالثاً: {أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ...} العدل قبل العقاب

"أو": هنا للإباحة والتخيير من جهة الهدد. أي له الخيار: إما أن يعاقب، وإما أن يأتي بعذر مقبول.

"ليأتيَنِي": قسم وتوكيد أيضاً. أي أقسم ليأتيني.

"بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ": السلطان هو الحجة والبرهان والدليل الواضح. "مبين" أي واضح ظاهر. أي يأتي بعذر قوي مقنع يبرر غيابه.

هذه الجملة هي جوهر العدل الإلهي والقيادي. سليمان مع شدة غضبه، فتح باب العذر للهدد. لم يحكم عليه غيابياً بل أعطاه فرصة للدفاع عن نفسه. هذا هو الأصل في القضاء والإدارة: لا عقاب دون تحقيق، ولا حكم دون سماع.

اللمسة البلاغية والتجويدية: كلمة "ليأتيَنِي" فيها لام توكيد، وياء مد، وتاء مشددة، ونون مشددة، وياء المتكلم. كلها تؤكد أن الأمر حتمي. "بِسُلْطَانٍ" فيها سين مهموسة، ولام، وطاء مفخمة، وألف، ونون. السلطان قوة. "مبين" فيها ميم مشددة، وباء، وياء مد، ونون. الإدغام يعطي إحساساً بالوضوح التام.

الدرس الأعمق: هذا المنهج هو الذي اتبعه النبي ﷺ مع الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. لم يعاقبهم حتى تابوا وقدموا أعذارهم. لكنه قبل عذر الصادقين وعاقب المنافقين بعد ثبوت كذبهم.

اهم الامور والمواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس التي سوف نقف عليها بمناسبة تدبر هذه الايات الامر الاول

دلالات الانضباط العسكري والشدة في القيادة) من خلال الآيتين)

1. القائد يتفقد جنوده بنفسه:

سليمان لم يقل "أخبروني عن الطير". بل "تفقد" بنفسه. هذا يعلم القادة: لا تترك المتابعة لغيرك. الجندي يحترم قائداً يراه يبحث عنه.

2. الغياب بدون عذر جريمة كبرى:

الهدد غاب، وليس له عذر ظاهر. سليمان اعتبر ذلك تقصيراً يستحق العقاب. في أي مؤسسة، الغياب بدون إذن يخل بالنظام. وفي الجيش، هو خيانة.

3. الشدة في العقاب لحماية الأمة:

لو تساهل سليمان مع الهدهد، لتهاون غيره. التهاون يؤدي إلى انهيار الجيش، وتفكك الأمة، وتمكن العدو. القائد القوي هو من يكون شديداً في موضع الشدة.

4. خطورة غفلة الجندي عن حراسة الثغور:

الهدهد كان مكلفاً بمهمة استطلاعية. غيابه يعني ثغرة في الاستخبارات. العدو قد يتسلل من هذه الثغرة. لذلك كان عقابه شديداً. كل جندي هو حارس ثغر. من يغفل، يُعرض الأمة للخطر.

5. المتابعة المستمرة تمنع تراكم الأخطاء:

سليمان يتفقد دائماً. فإذا غاب الهدهد مرة، انتبه فوراً. لو كان غافلاً، لتراكم الغياب وفسد الجيش. القائد اليقظ يصيد الأخطاء صغيرة قبل أن تكبر.

الامر الثاني

دلالة الاستفسار والتثبت قبل العقاب) منهج سليمان في العدالة)

أولاً: سأل قبل أن يعاقب:

"ما لي لا أرى الهدهد؟" هذا سؤال استفساري، وليس حكماً. أعطى لنفسه فرصة للتأكد من الغياب.

ثانياً: لم يحكم غيابياً:

قال "أم كان من الغائبين" بصيغة الاستفهام التوبيخي، لكنه لم يقل "إنه من الغائبين". بقي باب الشك مفتوحاً حتى يأتي الدليل.

ثالثاً: فتح باب العذر:

"أو ليأتيني بسلطان مبين" هذا عظيم. سليمان لم يقل "لا عذر لك". بل قال: إذا كان لديك عذر مقنع، فقدمه. هذا هو الأصل: المتهم بريء حتى تثبت إدانته، وله حق الدفاع عن نفسه.

رابعاً: التهديد مع إتاحة الفرصة:

هدده بالعذاب أو الذبح، لكن جعل العذر منفذاً للنجاة. هذا يخلق جواً من المسؤولية: الجندي يعلم أن العقاب شديد، لكنه يعلم أيضاً أن العدل ينتظره، وأن عذره سيُسمع.

التطبيق في حياتنا:

. في التربية: إذا أخطأ ابنك، لا تعاقبه فوراً. اسأله: لماذا فعلت؟ أعطه فرصة ليعتذر أو يشرح. ثم قرر العقاب.

. في العمل: إذا تأخر موظف، استفسر أولاً. قد يكون له عذر مقبول.

. في القضاء: لا تحكم على أحد دون أن تسمع كلامه. هذا من العدل.

. في العلاقات: لا تقاطع أحداً بناءً على شائعة. اذهب واسأله. لعله يقدم لك "سلطاناً مبيناً".

الامر الثالث

العلاقة بين هذه الآيات وما سبقها وما لحقها:

. ما سبق) الآية (19): كان سليمان في قمة الرحمة والتواضع مع النملة. وهنا هو في قمة الشدة مع الهدهد. هذا يدل على أن القائد يغير أسلوبه بحسب الموقف. مع الضعفاء رحمة، مع المقصرين شدة.

. ما لحق) الآيات 22- (24): الهدهد سيأتي بعذر عظيم، وسيقدم "سلطاناً مبيناً" وهو قصة مملكة سبأ. وهذا يثبت عدل سليمان: قبل العذر، ولم يعاقبه. بل استمع إليه وكلفه بمهمة جديدة.

الامر الرابع

المواضيع والمفاهيم الرئيسية:

المفهوم الأول: القيادة بالمتابعة المباشرة

القائد الناجح لا ينام عن رعيته .يتفقدهم بنفسه، يحاسبهم بنفسه، يشعرهم بأنه معهم.

المفهوم الثاني: خطورة التفريط في الواجب

الجندي الذي يتخلف عن موقعه يعرض الجماعة للخطر. الإهمال الفردي قد يؤدي إلى كارثة جماعية.

المفهوم الثالث: العقاب الرادع ضرورة

الرحمة الزائدة عن حدها تخلق فوضى. الشدة في موضعها تحفظ النظام وتحمي الأمة.

المفهوم الرابع: التثبت قبل العقاب

لا تحكم على أحد دون تحقيق. أسأل، استفسر، أعط فرصة للدفاع. الظلم في العقاب أشد من التقصير نفسه.

المفهوم الخامس: فتح باب العذر

القائد العادل يترك للمقصر باباً للتوبة والاعتذار. هذا يحفز الصدق، ويمنع اليأس.

الامر الخامس

القيم التي تفرسها الآيتان:

1. اليقظة: لا تغفل عن رعيته.
2. المسؤولية: كل فرد مسؤول عن موقعه.
3. الشدة في موضعها: القوة ضرورية لحماية النظام.
4. العدل: التثبت وفتح باب العذر.
5. الاحترام للقائد: الانضباط والطاعة.
6. الصدق: تقديم العذر الصادق.

الامر السادس

الأبعاد المختلفة) تربوية، نفسية، عسكرية، قيادية، اجتماعية):

أولاً: البعد التربوي

- . تعليم الأبناء المسؤولية: قل لهم: أنتم جنود في جيش الأسرة. لكل منكم واجب. إذا قصرتم، سأحاسبكم. لكني سأستمع لأعذاركم.
- . تعليمهم الانضباط: المواعيد، الواجبات، النظام. هذا يبني شخصية قوية.
- . تعليمهم فن الدفاع عن النفس: إذا اتهموا بشيء، علمهم كيف يقدمون "سلطاناً مبيناً" بأدب وحكمة.

ثانياً: البعد النفسي

- . تعزيز الثقة في القائد: الجندي الذي يعرف أن قائده يتابعه يشعر بالأمان، وليس بالخوف. لأنه يعلم أن القائد يعرف واجباته ويقدرها.
- . الخوف الصحي من العقاب: الخوف من العقاب يدفع للإلتقان. لكن لا ينبغي أن يصل إلى الرعب.
- . الاستعداد لتقبل العذر: القائد المتعنت يخلق جواً من الكذب. القائد العادل يخلق جواً من الصدق.

ثالثاً: البعد العسكري والقيادي

- . القائد قدوة في الانضباط: سليمان أول من يلتزم بالتفقد. هو لم يغف. القائد الذي يتفقد جنوده يلتزم هو بالحضور أولاً.
- . أهمية سلاح الاستطلاع: الهدد جاسوس. الجاسوس إذا غاب، انقطعت المعلومات. أي جيش يحتاج إلى عيون وأذان.
- . العقاب العسكري: يجب أن يكون متناسباً مع الخطأ. غياب جندي استطلاعي في زمن الحرب قد يصل عقابه للإعدام. سليمان قال "أو لأذبحنه".
- . التدرج في العقاب: بدأ بالعذاب الشديد قبل الذبح. هذا يتيح فرصة للإصلاح.

رابعاً: البعد الاجتماعي والإداري

. المتابعة المستمرة في العمل: المدير الذي يتفقد موظفيه بنفسه يعرف أحوالهم، ويكتشف المشاكل مبكراً.

. وضوح اللوائح: الجندي يعلم أن الغياب بدون عذر عقابه كذا. هذا يحقق العدالة.
. حق الدفاع: أي موظف يواجه اتهاماً، يجب أن يُمنح فرصة لتقديم عذره قبل اتخاذ القرار.

الامر السابع

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي؟

في علاقتك مع الله:

. راقب نفسك: تفقد أعمالك كل يوم. هل أديت واجباتك تجاه الله؟ هل غبت عن صلاة الفجر بلا عذر؟ حاسب نفسك قبل أن يحاسبك الله.
. تب إلى الله: إذا قصرت، فقدم "سلطاناً مبيناً" هو الندم والاستغفار والعزم على عدم العودة.

في بيتك وأسرتك:

. تفقد أهلك: اسأل عن أحوالهم، عن واجباتهم، عن مشاكلهم. لا تكن غافلاً.
. ضع نظاماً: لكل فرد في الأسرة واجبات. من يقصر، يناقش. ومن له عذر، يسمع.
. لا تعاقب فوراً: إذا أخطأ ابنك، اسأله: لماذا فعلت؟ استمع إليه. ثم قرر العقاب إن لزم.

في عملك (مديراً أو موظفاً):

. إذا كنت مديراً: تفقد فريقك يومياً. لا تنتظر التقارير فقط. اذهب إليهم، اسألهم، شاهدتهم. هذا يرفع الروح المعنوية.
. إذا كان لديك موظف غاب: اتصل به واسأله عن سبب غيابه قبل أن توقعه العقاب. قد يكون مريضاً أو لديه ظرف.
. إذا كنت موظفاً: التزم بالحضور في موعدك. إذا طرأ ظرف، أبلغ مديرك فوراً. قدم عذرك قبل أن يسألك.
. في الاجتماعات: لا تحكم على زميل متأخر قبل أن تسمع عذره.

في مجتمعك:

. طالب المسؤولين بالمتابعة: قل لهم: تفقدوا أحوال المواطنين، لا تنتظروا الشكاوى.
. كن قدوة في الانضباط: في الطابور، في المواعيد، في الوعود.

الامر الثامن

ما الذي تدعوك إليه هاتان الآيتان الآن؟

أيها القائد في بيتك، في عملك، في مجتمعك، أيها الجندي المكلف بواجب،

اسأل نفسك:

. هل أنت مثل سليمان في التفقد؟ هل تتابع من هم تحت مسؤوليتك؟ هل تعرف أحوالهم؟ أم أنك غافل؟
. هل أنت مثل الهدد قبل أن يُسأل؟ هل تتغيب عن واجباتك بدون عذر؟ هل تظن أن أحداً لا يراك؟
. هل إذا أخطأت، تستعد لتقديم "سلطان مبين"؟ أم أنك تتهرب وتكذب؟

تذكر: القائد الغافل يُهزم جيشه. الجندي المتغيب يخون أمته. لكن القائد العادل الذي يشتد في موضعه ويرحم في موضعه، هو الذي يبني أمجاداً.

سليمان تفقد، فوجد غائباً. فغضب، وهدد، وفتح باب العذر. ثم قبل العذر عندما جاء صادقاً. هذا هو المنهج الرباني في القيادة.

عاهد الله اليوم:

1. أن تكون قائداً متفقداً: في بيتك، في عملك، في نفسك.
2. أن تكون جندياً أميناً: تؤدي واجبك، وتحضر في موعدك، وتعتذر إذا قصرت.

3. ألا تحكم على أحد دون أن تسمع عذره. اجعل "سلطاناً مبيناً" شعارك في كل خصومة.
4. أن تخاف الله في من هم تحت مسؤوليتك. فالله سيسألك عنهم.

المبحث السابع

أهلاً بك أيها المحامي الذي تتعلم فن الترافع من طائر، أيها القائد الذي تدرك أن عيون الجيش أعلى من السيوف.

نحن الآن على أعتاب لحظة من أعظم لحظات الذكاء الإنساني) والطيوري (في التاريخ. سليمان عليه السلام، الملك النبي، قد توعد الهدهد بعذاب شديد أو ذبح، إلا أن يأتي بسليمان مبيّن. ثم حضر الهدهد. لكنه لم يحضر كمجرم خائف يتراجع، بل كقائد استخبارات محترف، لديه معلومات لا تقدر بثمن. لقد فهم أن سليمان لا يريد أذاراً واهية، بل يريد نتائج.

فماذا فعل الهدهد؟ استخدم أسلوباً ذكياً، أسلوب المفاجأة والتشويق. لم يبدأ بالاعتذار المباشر، بل بدأ بعقبة صاعقة: "أخطت بما لم تحط به". أي: أنا أعلم ما لا تعلم أنت. هذا الأسلوب يجعل القاضي (سليمان) يتوقف فجأة، ويميل بأذنه ليسمع. ثم بدأ الهدهد يسوق "سلطانة المبيّن": قصة مملكة سبأ، المرأة الحاكمة، العرش العظيم.

هذه الآيات ليست مجرد قصة، بل هي دورة تدريبية في فن الترافع، وفي أهمية الاستخبارات، وفي كيفية تحويل التهديد إلى فرصة. الهدهد لم يقل "أنا أسف"، بل قال "لدي صفقة". إنه نموذج للمحامي الذكي الذي يقدم لقاضي حجة دامغة تجعله ينسى التهمة الأصلية.

تعال... نفوس في هذا المشهد الفريد، وتتعلم من هدهد سليمان كيف نكون بناء حجج، وقادة عيون.

الآية الثانية والعشرون: {فَمَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ}

أولاً: {فَمَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ...} الغياب الذي تحول إلى مهمة

"فَمَكَتَ": أي تأخر، أو غاب، أو لبث. هذه المدة القصيرة التي تغيب فيها الهدهد كانت محط استفهام سليمان. لكن الهدهد، حين حضر، لم يقل "لقد تأخرت لأني نمت"، بل أثبت أن هذه المدة استغلّت في عمل جبار.

"غَيْرَ بَعِيدٍ": نفي للبعد، أي أن غيابه لم يطل كثيراً. وهذا من دقة الهدهد في الدفاع عن نفسه. كأنه يقول: "لم أغب طويلاً"، ولكن ما رأيته في هذه المدة القصيرة يفوق ما تراه أنت في عمرك".

اللمسة البلاغية: كلمة "فَمَكَتَ" فيها فاء، وميم، وكاف، وطاء. التاء من حروف اللغوي، تعطي إحساساً بالخفاء والانتظار. "غَيْرَ" فيها غين مفخمة، وياء، وراء، تعطي إيحاءً بالنفي. والوقف على "بَعِيدٍ" يترك شعوراً بأن القادم أعظم.

ثانياً: {فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحُطْ بِهِ...} قبلة التشويق والمفاجأة

هذه هي أعظم جملة في تاريخ الترافع. الهدهد يخاطب أعظم ملك على وجه الأرض، ويقول له بكل ثقة: "أنا أعلم ما لا تعلمه أنت".

"أَحَطْتُ": من الإحاطة، وهي العلم التام الذي يحيط بالشيء من كل جوانبه. ليس علماً سطحياً، بل علم شامل دقيق. الهدهد يدعي أن لديه معلومات كاملة عن شيء لا يعلمه سليمان.

"بِمَا لَمْ تَحُطْ بِهِ": مواجهة مباشرة. أنت يا سليمان، مع كل علمك ونبوتك، هناك شيء خفي عنك، وأنا اكتشفته.

اللمسة البيانية: قدم "أَحَطْتُ" على "بِمَا" للاهتمام بالفعل. والتوكيد بـ "لم تحط" بدلاً من "لا تحط" إشارة إلى أن هذا العلم فات سليمان في الماضي، والهدهد جاء به الآن.

ما سر هذا الأسلوب؟

- المفاجأة: تضمن استماع القاضي. سليمان كان غاضباً، لكن هذه الجملة أيقظت فضوله.
- التحدي المهدب: لم يقل "أنت جاهل"، بل قال "هناك شيء لم تحط به". هذا أدب.
- خلق التوازن: الهدهد رفع من قيمة نفسه مؤقناً ليتمكن من تقديم معلوماته.

فن الترافع المستفاد (للمحامين والقادة):

أيها المحامي، أيها المدير، أيها الداعية:

. لا تبدأ بالاعتذار. لا تقل "أنا آسف على التأخير"، بل ابدأ بنقطة قوة.
. استخدم المفاجأة. ابدأ جملتك بـ "لدي معلومة لم تكن لديك"، أو "اكتشفت شيئاً يغير كل شيء".
. اجعل القاضي أو المدير يشعر بأنه أمام قيمة جديدة. الهدد لم يقدم نفسه كمذنب، بل كمخبر استراتيجي.

ثالثاً: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَّأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ...} تقديم الدليل والسلطان المبين

"وَجِئْتُكَ": جاء بالفعل الماضي، ليؤكد أن هذه الرحلة تمت بالفعل، وأنه يعود حاملاً "التمر".

"من سَبَّأٍ": سبأ هي مملكة عظيمة في اليمن القديم، اشتهرت بالقوة والثراء والحضارة. ذكر المصدر (سبأ) ليبدل على أن المعلومة قادمة من مكان مهم، وليست من أي مكان.

"بِنَبَأٍ": خبر عظيم، ذي شأن. والنبا هو الخبر الذي يحمل قيمة وحدثاً كبيراً.

"يقين": وصف النبا باليقين، أي أنه ليس شائعة، ولا ظن، بل حقيقة ثابتة، معلومات مؤكدة. الهدد يضمن صحة ما يقول.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "وَجِئْتُكَ" فيها ياء مد، وتاء. تعطي إحساساً بالوصول بعد جهد. "سَبَّأٍ" فيها سين مهموسة، وباء، وهمزة مكسورة، تعطي غموضاً وحضارة. "بِنَبَأٍ" فيها نون، وباء، وهمزة، ومد، تعطي ثقلاً للخبر. "يقين" فيها ياء، وقاف مفخمة، وياء مد، ونون، تؤكد القوة.

الدرس الاستراتيجي:

الهدد لم يأتي بحديث عام، بل بخبر محدد من مكان محدد، ووثقه باليقين. هذا هو الفرق بين العمل الاستخباراتي الناجح والفاشل. المعلومات يجب أن تكون:

1. محددة المصدر) من سبأ).
2. مهمة) نبا، وليس أي خبر).
3. موثوقة) يقين).

الآية الثالثة والعشرون: {إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}

أولاً: {إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ...} المفاجأة الكبرى

"إني": تأكيد يؤكد صدق ما سيقول.

"وَجَدْتُ": استخدم فعل الوجدان الذي يفيد العلم بعد البحث والتقصي. لم يقل "رأيت"، بل "وجدت" أي اكتشفت بعد جهد.

"امرأة": المفاجأة أن حاكم سبأ امرأة. في زمن كانت فيه السيادة للرجال، هذا خبر مذهل. والهدد يقدمه كأول معلومة استخباراتية.

"تملكهم": أي هي الحاكمة، صاحبة القرار، المتصرفة في أمور المملكة. ذكر "تملكهم" دليل على أن لها سلطة مطلقة.

اللمسة البيانية: نكرة "امرأة" تفيد التعظيم، أي امرأة عظيمة الشأن. والفعل "تملكهم" في صيغة المضارع، يدل على التجدد والاستمرار، أي هي المالكة دائماً.

ثانياً: {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ...} الثراء والقوة

"وَأُوتِيَتْ": فعل مبني للمجهول، أي أعطاه الله، أو أعطاه الناس والملك. دليل على أن ما لديها ليس من كسبها فقط، بل هو عطاء.

"من كل شيء": التبويض، أي من كل شيء يحتاج إليه الملك: من أسباب القوة، من الجيوش، من المال، من الحكمة، من الجمال، من الحضارة. "كل شيء" هنا تعميم لكنه ليس مطلقاً، بل هو مما يليق بمملكة.

الدرس: هذه معلومات استخباراتية دقيقة عن اقتصاد المملكة وقوتها.

الثالث: {ولها عرشٌ عظيمٌ...} التفصيل الذي يدل على الدقة

"عرشٌ": هو سرير الملك، ويرمز إلى السلطة والحكم. العرش هنا ليس مجرد كرسي، بل هو رمز الدولة ومكانة الحاكم.

"عظيمٌ": وصف العرش بالعظيم، أي ضخم في حجمه، غال في مادته) مذهب، مرصع بالجواهر، عال في مكانته. وهذا يدل على أن هذه المملكة ليست عادية، بل ذات حضارة عظيمة.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "وَجَدْتُ" فيها جيم ودال مشددة، وتاء، تعطي إحساساً بجهد البحث. "امرأة" فيها همزة، وميم، وراء مفخمة، وألف مد، وتاء مربوطة، تناسب هيبة المرأة. "تملكهم" فيها ميم، ولام، وكاف، وهاء، وميم، تعطي إحساساً بالسيطرة. "عرشٌ" فيها راء، وشين معطشة، تعطي ضخامة "عظيمٌ" فيها، ظاء مفخمة، وياء مد، وميم، تؤكد العظمة.

ما الذي نتعلم من الهدهد في هذه الايه؟

الهدهد لم يقل "هناك مملكة اسمها سبأ". بل قدم تقريراً استخباراتياً كاملاً:

- من يحكم؟ امرأة.
- ما هي قدراتها؟ أوتيت من كل شيء) اقتصاد قوي.
- ما هو رمز قوتها؟ لها عرش عظيم) مكانة وحضارة.

هذا هو التقرير الذي جعل سليمان يصرف النظر عن عقاب الهدهد، ويبدأ في التخطيط للتعامل مع هذه المملكة.

اهم الامور والقضايا والمواضيع والمفاهيم والدروس والرسائل والتوجيهات التي سوف نقف عليها بمناسبة تدبر هذه الايات

الامر الاول

أسلوب الهدهد في الترافع: دورة تدريبية متكاملة للمحامين والقادة

1. أسلوب المفاجأة) الافتتاحية الصاعقة):

الهدهد بدأ بـ "أخطتُ بما لم تحطُ به". هذه الجملة تعد خرقاً للبروتوكول، لكنها ضرورية لإنقاذ الموقف. في القانون، المحامي الذكي يبدأ بقوله: "سأقدم دليلاً يغير وجه القضية". في الإدارة، الموظف الذكي يبدأ بقوله: "لدي حل للمشكلة التي عجزنا عنها شهوراً".

تعريف أسلوب المفاجأة: هو أن تبدأ كلامك بمعلومة غير متوقعة، أو بتصريح جريء، يخلق حالة من التوتر الإيجابي لدى المستمع، فيجبره على التركيز والإصغاء.

دوره في إيصال الفكرة: يفتح أفق القاضي أو الرئيس، فيصبح أكثر تقبلاً لما سيقوله لاحقاً. لو بدأ الهدهد بـ "أنا أسف"، لما اكتمل سماعه.

2. أسلوب رفع القيمة الذاتية المؤقت:

الهدهد قال "أخطتُ" و"جئتُك". هو رفع من قيمة نفسه مؤقتاً ليكون مسموعاً. هذا ليس كبيراً، بل هو تكتيك تواصلية. المحامي يرفع من قيمة الأدلة التي بحوزته، فيقول "لدي دليل قاطع". المدير يقول "لدي خطة مبتكرة". لكنه بعد ذلك يعود إلى تواضعه.

3. تقديم العذر ضمن إنجاز) تحويل التهمة إلى فرصة):

الهدهد لم يقل "سامحني على الغياب"، بل قال "غبتُ لأني كنتُ في مهمة عظيمة، وهذه نتيجة المهمة". هذا هو الذكاء. إذا تأخرت عن موعد، لا تقل "زحمة"، بل قل "لقد استغلت الطريق في التفكير في حل لمشكلتكم".

4. الدقة في المعلومات) السلطان المبين):

الهدهد قال "بنيّ يقين". المعلومات يجب أن تكون دقيقة، موثقة، محددة. المحامي الذي يقدم معلومات خاطئة يخسر القضية. القائد الذي يقدم معلومات ظنية يخسر ثقة جنوده.

5. الانتقال من العام إلى الخاص:

بدأ ب "أحطت" عام، ثم "جئتك من سباً" محدد، ثم "وجدت امرأة تملكهم" تفصيل، ثم "أوتيت من كل شيء" وصف، ثم "لها عرش عظيم" أدق تفصيل. (هذا تسلسل منطقي يبني صورة كاملة في ذهن السامع.

**أهمية تعلم المحامين فن الترافع من الهدهد:

- . المقدمة: لا تكن عادياً. ابدأ بقبلة فكرية.
- . الجسد: قدم أدلتك بتدرج، من الأهم إلى الأقل أهمية.
- . الخاتمة: اربط ما قلته بالمصلحة العليا للقاضي أو الرئيس.

الامر الثاني

دور الآيات في بيان أهمية الاستخبارات العسكرية

هذه الآيات هي أول دليل في التاريخ على أهمية "سلاح الاستخبارات".

1. الهدهد كان عيناً استخباراتية: سليمان لم يرسله، بل كان جزءاً من جيشه للاستطلاع. تفقده يدل على أن الاستخبارات جزء لا يتجزأ من الجيش.
2. المعلومة الدقيقة تغير خطط الحرب: بناءً على تقرير الهدهد، لم يهاجم سليمان سبأ، بل كتب كتاباً، ثم أرسلها، ثم انتظر الرد. الاستخبارات وفرت عليه حرباً قد يخسرها.
3. الاستخبارات ليست تجسساً فقط، بل هي فهم للثقافة: الهدهد لم يخبر فقط عن جيش سبأ، بل أخبر عن نظام الحكم (امرأة)، وعن الاقتصاد (أوتيت من كل شيء)، وعن الرمزية (عرش عظيم). (هذا هو التحليل الاستخباري المتكامل.
4. أي أمة لا تملك استخبارات قوية هي أمة مكشوفة: سليمان كان قوياً لأنه يعلم. الأمم التي تغفل عن عيونها وأذنها، تسقط بسهولة.

الربط بواقعنا: اليوم، الاستخبارات هي التي تمنع الحروب، وتوقف الإرهاب، وتحمي الأسواق. هذه الآية تدعو كل دولة ومؤسسة إلى امتلاك جهاز استخباراتي دقيق، وأخلاقي، ومحترف.

الامر الثالث

المواضيع والمفاهيم الرئيسية:

1. فن الترافع: أهمية المفاجأة، رفع القيمة، الدقة، التسلسل المنطقي.
2. الاستخبارات: العيون الساهرة على الأمة، وأهمية المعلومات اليقينية.
3. تحويل التهديد إلى فرصة: الهدهد حول تهديد سليمان إلى لحظة تقديم معلوماته.
4. القائد المستمع: سليمان استمع، ولم يعاقب الهدهد، بل استخدم معلوماته.
5. قوة المرأة: الآية أشارت إلى امرأة تملك، مما يدل على أن الحكم بالعدل ليس حكراً على الرجال.

الامر الرابع

القيم التي تغرسها الآيات:

1. قيمة الذكاء في التواصل: لا تقدم اعتذاراً جباناً، بل قدم قيمة.
2. قيمة المعلومة الصادقة: "نبأ يقين" أساس القرارات السليمة.
3. قيمة حسن الاستماع: القائد الذي يستمع ينقذ أمته.
4. قيمة الاستخبارات: الدرهم الواحد في المخبرات يوفر ألف درهم في الجيوش.
5. قيمة عدم الاستهانة بأحد: الهدهد طائر صغير لكنه أنقذ مملكة.

الامن الخامس

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي؟

للمحامين وأصحاب الدعاوى:

- . إذا كنت أمام قاض، ابدأ بقبلة: "لدي دليل يغير وجه القضية".
- . لا تبدأ بالاعتذار أو المقدمة الطويلة. اذهب مباشرة إلى صلب الموضوع.
- . قدم معلوماتك على شكل "سلطان مبین": وثائق، شهود، حقائق يقينية.

للمديرين والقادة:

. كن سليمان: تفقد جنودك لكن عندما يخطئ أحدهم، استمع لعذره. ربما يأتي بخبر أعظم مما تتخيل.
. كن كالمهدهد: إذا أخطأت، لا تبرر فقط، بل قدم حلاً. قل "لقد استغلت هذا الوقت في عمل شيء يفيد المؤسسة".

للطلاب والباحثين:

. عند تقديم بحثك، ابدأ بجملة مثيرة: "النتائج التي توصلت إليها تغير كل شيء".
. قدم أدلتك بترتيب: من المعلومة العامة إلى التفصيل الدقيق.

في العلاقات الشخصية:

. إذا تأخرت عن موعد، لا تقل "أسف على الزحمة" فقط. بل قل "لقد استغلت الطريق في التفكير بهدية لك".
. تعلم أن تكون مقنعاً: قدم قيمة مقابل خطئك.

الامر السادس

ما الذي تدعوك إليه هاتان الآيتان الآن؟

أيها المحامي الذي يدافع عن الحق، أيها القائد الذي يحاسب جنوده، أيها الإنسان الذي يخطئ فيحاسب،

تعلم من المهدهد:

. لا تخف. القاضي سليمان توعذك بالذبح، لكنك جئته بنياً يقين فغير رأيه.
. كن ذكياً في تقديم نفسك. ابدأ بنقطة قوتك، لا بنقطة ضعفك.
. اجعل من أخطائك فرصاً. كل تأخير يمكن أن يكون استثماراً.

وتعلم من سليمان:

. كن عادلاً. لا تعاقب قبل أن تسمع العذر.
. كن مرناً. تغير خطتك بناءً على معلومات جديدة.
. استخدم الاستخبارات. لا تخض حرباً وأنت جاهل بعدوك.

عاهد الله اليوم:

1. أن تتعلم فن الترافع: سواء في عملك، أو في بيتك، أو في دعوتك.
2. أن تكون دقيقاً في معلوماتك: لا تنقل خبراً حتى تتأكد من يقينه.
3. ألا تخشى المواجهة: بل قدم قيمة تنسي الناس خطأك.

المبحث السابع

أهلاً بك أيها الفقيه الذي يدرس القضايا من وحي السماء، أيها المحامي الذي يتعلم المرافعة من طائر، أيها القاضي الذي يتدرب على ضبط النفس من نبي.
لقد انتهينا من المشهد السابق، حيث قدم المهدهد تقريره الاستخباراتي المفاجئ: مملكة سبأ تحكمها امرأة، أوتيت من كل شيء، ولها عرش عظيم. لكن المهدهد لم يأت ليقدّم معلومات فقط. لقد أتى ليقدّم مرافعة كاملة أمام أعلى محكمة في الأرض: محكمة سليمان عليه السلام. والمرافعة، أيها الأحبة، لا تقتصر على المحامي المدافع عن موكله. بل هي هنا مرافعة اتهامية ضد مملكة سبأ، وضد عبادتها للشمس.

تأمل معي عبقرية المهدهد. كيف بنى مرافعته؟ لم يبدأ باتهام مباشر، بل بدأ بتقرير موضوعي (الآيات 22-23) ثم انتقل إلى التحليل والاستنتاج (الآية 24): كشف جريمة الشرك، وبيان أن الشيطان هو المسؤول. ثم ذكر الدافع والعقبات (الآية 25): الشيطان يصدّهم عن عبادة الله، وهم يظلمون أنفسهم. ثم ختم بقوله "ألا يسجدوا لله" مذكراً بحق الله عليهم. لكن الخاتمة العظمى جاءت على لسان سليمان نفسه في الآية 26: "الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم". إنها خاتمة تذكر القاضي سليمان (بأن هناك قاضياً أكبر منه).

هذه الآيات الثلاث هي نموذج متكامل لفن المرافعة القضائية، يمكن تدريسها في كليات الحقوق ومعاهد إعداد القضاة والمحامين. فيها الاستهلال، وعرض الوقائع، وتحليل الأسباب، وبيان دوافع

الجريمة، والأسانيد، ثم الخاتمة التي تربط القضية بالقيم العليا.

تعال... نتفنن معاً في هذا الفن، ونتعلم من هدهد سليمان كيف نبني قضية، وكيف نخاطب القاضي، وكيف نصل إلى قلبه قبل عقله.
الاية 24: {وَجَدَّتْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ}

أولا {وَجَدَّتْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...} كشف الجريمة

"وَجَدَّتْهَا": عاد الهدهد إلى أسلوب الوجدان) بعد البحث والتحري. (كشف جريمة كبرى: عبادة الشمس من دون الله. هذا هو لب القضية. الهدهد هنا يعمل دور المحقق الذي يكشف التهمة.

"وقومها": لم تقتصر الجريمة على الملكة وحدها، بل شملت قومها. إذن هي جريمة منظومة، جريمة دولة. وهذا يزيد من خطورة الأمر.

"يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ": السجود أعظم أنواع العبادة، صرفوه لغير الله. والشمس من أعظم المخلوقات، فجعلوها إلهاً. هذه هي التهمة: الشرك بالله.

"من دُونِ اللَّهِ": أي من دون الله، أي تركوا عبادة الخالق لعبادة المخلوق. هذه العبارة تحدد التهمة بدقة.

اللمسة البيانية والتجويدية: "وَجَدَّتْهَا" تكررت كما في الآية السابقة، للتأكيد على أن هذا ليس رأياً بل نتيجة بحث. "يَسْجُدُونَ" فيها سين مهموسة، ودال، وواو مد، ونون. تعطي إحساساً بالحركة المتكررة (السجود المتكرر). "لِلشَّمْسِ".

ثانياً: {وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ...} (كشف الدافع الحقيقي) المرافعة الاتهامية للشيطان)

"وَزَيْنَ": الشيطان هو الذي زين لهم هذه الجريمة. الهدهد هنا ينتقل من دور المحقق إلى دور المدعي العام، الذي يحدد الجاني الحقيقي. الجريمة الظاهرية هي عبادة الشمس، لكن الجاني الحقيقي هو الشيطان.

"لَهُمُ الشَّيْطَانُ": قدم الجار والمجرور "لهم" للاهتمام بالمزين لهم، ثم أتى بالفاعل "الشيطان". وهذا من البلاغة في تحويل الاتهام.

"أَعْمَالَهُمْ": الشيطان زين لهم كل أعمالهم السيئة، ليس فقط عبادة الشمس. لكن عبادة الشمس من أبرزها.

"فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ": نتيجة التزيين: الصد عن السبيل) طريق الحق والإيمان. (الشيطان لا يريد لهم الخير.

"فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ": نتيجة الصد: عدم الهداية. وهم لا يهتدون إلى الحق أبداً ما داموا على هذا الحال.

اللمسة البلاغية: الفاء في "فصدهم" و"فهم" لترتيب الأسباب والمسببات. (الشيطان زين) سبب،) فصدهم (نتيجة أولى)، فهم لا يهتدون) نتيجة ثانية. (تسلسل منطقي لا يقبل الشك.

ما الذي نتعلمه في فن المرافعة من هذه الآية؟

. كشف دوافع الجريمة: لا تكتفِ بذكر التهمة) عبادة الشمس. (ابحث عن الدافع الحقيقي) تزيين الشيطان. (القاضي يحتاج إلى فهم "لماذا" فعل المتهم ما فعل.

. تحليل العواقب: اربط التهمة بالنتائج) الصد عن السبيل، عدم الهداية. (هذا يبين خطورة الجريمة.
. توجيه الاتهام للمحرض الخفي: في قضايا كثيرة، المتهم الظاهر ليس الجاني الحقيقي. هناك محرضون. الهدهد أشار إلى الشيطان. المحامي الذكي يكشف الخيوط الخفية.

الاية 25: {أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ}

أولا {أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ...} (ذكر الواجب الذي تركوه

"ألا": تفسيرية. أي: صدهم الشيطان عن السبيل لألا يسجدوا لله. اللام هنا للتعليل. أي أن غرض الشيطان هو منعهم من السجود لله. الهدهد يبين أن الجريمة ليست فقط عبادة الشمس، بل هي ترك

عبادة الله.

"لله": سجودهم كان للشمس من دون الله، فالهدد يذكرهم بأن السجود الحقيقي لله وحده.

اللمسة البلاغية: تقديم النفي "ألا" على الفعل "يسجدوا" للاهتمام بترك العبادة. كأنه يقول: العيب الأكبر أنهم تركوا السجود لله.

ثانياً: {الذي يُخْرِجُ الخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...} {تقديم الدليل على قدرة الله} السلطان المبين)

"الذي يُخْرِجُ الخَبَاءَ": الخبء هو الشيء الخفي المستور. الله يخرج الخبء في السموات والأرض. ما هذا الخبء؟ قيل: المطر من السحاب، والنبات من الأرض، والكنوز من باطن الأرض، والمعلومات الخفية من العقول والقلوب. أي أن الله يعلم الغيب ويظهر منه ما يشاء.

هذا هو السلطان المبين الذي يثبت أن الله وحده المستحق للعبادة. الشمس لا تخرج الخبء، بل هي مسخرة. القمر لا يخرج الخبء. فقط الله يفعل ذلك.

ثالثاً: {وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ...} {الدليل الثاني} علم الله بالسر والعلن)

"وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ": يعلم أسراركم، ما في قلوبكم، ما تخفيه صدوركم. الشمس لا تعلم ما تخفون.

"وَمَا تَعْلِنُونَ": يعلم ما تظهرون بألسنتكم وأفعالكم. الشمس لا تعلم ذلك.

اللمسة البلاغية: ذكر الإخراج) القدرة (أولاً، ثم العلم) الإحاطة (ثانياً. لأن القدرة تظهر في الكون، و العلم يظهر في السرائر. وكلاهما دليل على الألوهية.

ما الذي نتعلمه في فن المرافعة من هذه الآية؟

. تقديم الأدلة على التهمة: الهدد لم يقل فقط "إنهم يسجدون للشمس". بل قدم أدلة أن الله هو المستحق للسجود: (1) يخرج الخبء، (2) يعلم السر والعلن. هذا هو جوهر المرافعة: إقامة الحجة بـ الدليل.

. ربط الواجب بالدليل: لا تقل "يجب أن يفعلوا كذا" فقط، بل قل "لماذا يجب أن يفعلوا كذا" مستنداً إلى الحجج العقلية والشرعية.

. الانتقال من النفي إلى الإثبات: نفي عبادة الشمس) في الآية (24) ثم إثبات عبادة الله) في الآية (25) هذا الأسلوب مقنع.

الآية 26: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}

أولاً: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...} {خاتمة التوحيد

هذه الجملة العظيمة، على لسان سليمان عليه السلام، أو على لسان الهدد، أو على لسان الله في القرآن. إنها الخاتمة المناسبة لأعظم قضية: قضية التوحيد ضد الشرك.

"الله": اسم الذات الجامع لصفات الجلال والجمال.

"لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ": جملة النفي والإثبات. تنفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وتثبتها لله وحده. هذه هي كلمة الإخلاص.

ثانياً: {رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ...} {التذكير بالملكوت الأعلى

"رَبُّ الْعَرْشِ": العرش هو أعظم المخلوقات، سقف الجنة، وأكبر ما خلق الله. الله هو ربه ومالكة ومدبره.

"العظيم": وصف العرش بالعظيم، والعظمة لله أولاً. لكن هذا الوصف يذكر القاضي سليمان (بأن هناك عرشاً أعظم من عرشه، وهناك رباً أعظم منه. سليمان ملك، لكن الله هو "رب العرش العظيم".

اللمسة البلاغية والتجويدية: "الله" فيها لام مفخمة، وهاء، ومد. "لَا إِلَهَ" فيها مدان، ولام، وهاء. "لَا هُوَ" فيها إدغام، ومد. هذه الجملة إذا تليت، تهتز لها القلوب. "رَبُّ" مفخمة، "الْعَرْشِ" فيها راء، وشين معطشة، "العظيم" فيها ظاء مفخمة، وياء مد، وميم. كلها تؤكد العظمة والجلال.

ما الذي نتعلمه في فن المرافعة من هذه الآية؟

. الخاتمة يجب أن تكون متناسقة مع الموضوع: القضية هي قضية توحيد. فختمت بالتوحيد. أي قضية ترفع، يجب أن تختتم بتذكير القاضي أو المستمع بالقيم العليا.
. تذكير القاضي بأن هناك من هو أكبر منه: سليمان قاضي القضية، لكن الآية تذكره بأن الله هو رب العرش العظيم. هذا التذكير يزرع التواضع في نفس القاضي، ويذكره بأنه سيقف بين يدي الله يوم القيامة. لذلك، على المحامي أن يخاطب القاضي باحترام، ويذكره بالعدل الإلهي.
. الإيجاز في الخاتمة: لم يطل الهدهد أو سليمان جملة واحدة كانت كافية لتثبيت الحجة.
أهم الامور والمواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس والرسائل والتوجيهات الذي سوف نقف عليها بمناسبة تدبر هذه الايات
الأمر الأول

فن المرافعة كما يقدمه الهدهد وسليمان: دورة متكاملة لكل محام وقاضٍ ومستشار

هذه القصة (الآيات 22 - 26) تشكل منهجاً متكاملًا لفن المرافعة، يمكن تدريبه في كليات الحقوق ومعاهد إعداد القضاة والمحامين. دعنا نستخرج هذا المنهج خطوة بخطوة.

أولاً: الاستهلال وأسلوب جذب القاضي (الآية 22)

الهدهد بدأ بـ "أحطت بما لم تحط به". هذا الاستهلال يحقق أهدافاً نفسية مهمة:

. كسر حاجز الغضب: سليمان كان غاضباً متوعداً. جملة المفاجأة غيرت موضوع الغضب إلى موضوع الفضول.
. إظهار الثقة: المحامي الواثق من قضيته يجذب القاضي. التردد يشنت الانتباه.
. وعد بقيمة: القاضي يستمع لأنه يريد أن يعرف "ما هو هذا الشيء الذي لا أعرفه".

تطبيق عملي: في بداية مرافعتك، لا تقل "أود أن أقدم ملاحظة بسيطة". قل "لدي دليل يغير مسار القضية". ابدأ بقنبلة ذهنية.

ثانياً: تقديم الوقائع والأسانيد (الآية 23)

بعد أن ضمن الاستماع، بدأ الهدهد في تقديم الوقائع:

. من يحكم؟ امرأة.
. ما قدراتها؟ أوتيت من كل شيء.
. ما رمز قوتها؟ عرش عظيم.

ثم قدم الأسانيد في الآية 24-25:

. الشاهد: وجدتها وقومها يسجدون للشمس.
. الدليل: الشيطان زين لهم أعمالهم) تحليل نفسي).
. النتيجة: فهم لا يهتدون) تأكيد الحكم).

ثم قدم الدليل الشرعي والعقلي على بطلان فعلهم (الآية 25):

. الله يخرج الخبء) قدرة).
. الله يعلم السر والعلن) علم).

تطبيق عملي: رتب مرافعتك كالتالي: الوقائع) ماذا حدث (→ الأسانيد) الدليل على الوقائع (→ التحليل) لماذا حدث (→ الحكم الشرعي أو القانوني) ما حكم هذه الوقائع).

ثالثاً: ذكر دوافع الجريمة وتحليل نفسية المتهم (الآية 24)

الهدهد لم يكتف بوصف الجريمة) عبادة الشمس)، بل حلل الدوافع:

. الدافع الظاهر: جهلهم وعبادتهم للشمس.
. الدافع الخفي: تزيين الشيطان.

وهذا يعلم المحامي أن يبحث في نفسية المتهم. لماذا أقدم على الجريمة؟ هل كان مكرهاً؟ هل كان

جاهلا ؟ هل كان مضللاً من جهة أخرى؟

تطبيق عملي: عند الدفاع عن متهم، ابحث عن الدوافع الخفية) ضغط نفسي، جهل، تهديد. (وعند الاتهام، اكشف الدوافع الخبيثة) كالتزيين الشيطاني أو الإعلام المضلل).

رابعاً: مراعاة نفسية القاضي وألغاز جذب الانتباه) طوال المرافعة)

الهدهد راعى نفسية سليمان:

- سليمان نبي: لا يمكن أن يكذب عليه. فجاء الهدهد بـ "يقين".
- سليمان ملك: يحب المعلومات التي تخدم دولته. فجاء الهدهد بخبر عن مملكة عظيمة.
- سليمان عادل: لا يحكم دون سماع. فجاء الهدهد بمرافعة كاملة.
- سليمان حكيم: يحب التحليل العقلي. فجاء الهدهد بتحليل دور الشيطان.

الألغاز الجاذبة: "أحطت"، "لم تحط"، "نبا يقين"، "عرش عظيم"، "زين لهم الشيطان". كلها ألغاز قوية، تخلق صوراً في الذهن، وتمنع التشتت.

تطبيق عملي: ادرس شخصية القاضي الذي أمامك. هل هو عقلائي؟ استخدم الأدلة المنطقية. هل هو عاطفي؟ استخدم القصص المؤثرة. اختر الألفاظ بعناية.

خامساً: الخاتمة المتناسقة مع القيم العليا) الآية (26)

ختم سليمان) أو الهدهد أو القرآن (المرافعة بـ "الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم". هذه الخاتمة:

- تذكر القاضي) سليمان (بأن هناك رباً أكبر منه: وهذا يزرع التواضع.
- تربط القضية بالعقيدة: القضية ليست مجرد نزاع عابر، بل هي تتعلق بأصل الدين.
- تترك أثراً روحياً: الخاتمة القوية تبقى في الذاكرة.

تطبيق عملي: ختم مرافعتك بتذكير القاضي بالعدل، أو بالله، أو بالقيم الإنسانية الكبرى. لا تنته فجأة. اترك كلمة تعلق في القلب.

الامر الثاني

أهمية دراسة هذه الآيات في كليات الحقوق ومعاهد القضاء

*لماذا يجب أن تدرس قصة سليمان والهدهد في كليات الحقوق؟

1. لأنها أقدم نموذج للمرافعة المنظمة: قبل أرسطو، وقبل شيشرون، كان هدهد سليمان يقدم مرافعاته.
2. لأنها تجمع بين القانون والروح: المرافعة ليست مجرد حجج باردة، بل هي إقناع بالمنطق والعاطفة والأخلاق.
3. لأنها تعلم احترام القاضي وتحليل شخصيته: الهدهد عرف سليمان، فخاطبه بما يناسبه.
4. لأنها تعلم التواضع: حتى سليمان العظيم، ذكر بأن الله رب العرش العظيم. فالقاضي مهما علا شأنه، هو تحت سلطان الله.
5. لأنها تعلم أن الغاية من المرافعة هي الوصول إلى الحق، وليس الانتصار الشخصي: الهدهد لم يرد أن ينجو بنفسه، بل أراد أن يكشف عن أمة ضالة.

لو أن معاهد تدريب القضاة تدرس هذه الآيات، لخرج قضاة يجمعون بين الحزم والرحمة، بين العلم و التواضع، بين العدل والإيمان.

الامر الثالث

العلاقة بين هذه الآيات وما قبلها وما بعدها

- ما قبلها) الآية 22 - (23: الهدهد يقدم معلوماته ويجذب انتباه سليمان.
- هذه الآيات (24) - (26): الهدهد يحلل الجريمة، ويقدم الأدلة، ويختم بالتوحيد.
- ما بعدها) الآيات 27 - (28): سليمان سيكتب كتاباً إلى بلقيس، وسيختبر إيمانها. أي أنه سينتقل من مرحلة المرافعة إلى مرحلة اتخاذ القرار.

الامر الرابع

المواضيع والمفاهيم الرئيسية

1. فن المرافعة القضائية: الاستهلال، عرض الوقائع، ذكر الأسانيد، تحليل الدوافع، الخاتمة.
2. أهمية علم النفس في المرافعة: معرفة شخصية القاضي وميوله.
3. الدليل والسلطان المبين: لا تقبل قضية بلا دليل.
4. تحليل دوافع الجريمة: من خلال كشف دور المفسدين (الشیطان أو غيره).
5. التذكير بالقيم العليا: ختم القضية بتوحيد الله والعدل الإلهي.

الامر الخامس

القيم التي تغرسها هذه الآيات

1. قيمة العدل: الاستماع للأطراف قبل الحكم.
2. قيمة الحجة: لا حكم بلا بينة.
3. قيمة التواضع: تذكير القاضي بأنه ليس إلهاً.
4. قيمة التحليل النفسي: فهم دوافع المتهم.
5. قيمة الوضوح: الألفاظ القوية الجاذبة.
6. قيمة الإيمان: ربط القضاء بالدين.

الامر السادس

الأبعاد المختلفة) تربوية، نفسية، قانونية، قيادية، اجتماعية)

أولاً: البعد التربوي

- . علم أولادك كيفية تقديم عذرهم: قل لهم: إذا أخطأت، لا تقل "آسف" فقط. اشرح لماذا أخطأت، وماذا تعلمت، وكيف ستعوض.
- . علمهم فن الإقناع: من خلال القصص، والتحليل، واختيار الألفاظ.

ثانياً: البعد النفسي

- . فهم دوافع الآخرين: قبل أن تحكم على شخص، حاول أن تعرف لماذا فعل ما فعل. هل زين له الشيطان؟ هل هو مضطهد؟
- . التأثير على القرارات: تعلم كيف تبدأ حديثك بقنبلة ذهنية تجعل المستمع ينتبه.

ثالثاً: البعد القانوني والقيادي

- . في المحكمة: ادرس هذه الآيات. ستكون محامياً أو قاضياً أفضل.
- . في الإدارة: قبل أن تعاقب موظفاً، استمع لعذره. ثم حل الموقف. ثم قرر.
- . في السياسة: لا تتخذ قراراً مصيرياً دون تقرير استخباراتي دقيق) كما فعل سليمان).

الامر السابع

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي؟

للمحامين والقضاة:

- . استهلالك: ابدأ بقنبلة فكرية تثبت أن لديك ما لم يعلمه القاضي.
- . مرافعتك: رتبها: وقائع، أدلة، تحليل دوافع، حكم.
- . خاتمتك: اربط القضية بالقيم العليا) العدل، الحق، الله).
- . تعلم من الهدهد: كن دقيقاً، واثقاً، ومحترماً.

للمديرين والقادة:

- . عند التحقيق مع موظف: ابدأ بسؤال مفتوح ومثير: "هل لديك ما تقوله يغير نظرتي للأمر؟"
- . عند اتخاذ قرار: اجمع تقارير من أكثر من مصدر، كما جمع الهدهد معلوماته.
- . عند توجيه نقد: قدم أدلة، واذكر الأسباب، واقترح حلاً.

في العلاقات الشخصية:

- . إذا أخطأ صديقك بحقك: لا تهاجمه مباشرة. استمع لقصة من وجهة نظره. ربما كان هناك "شيطان" وسوس له.
- . إذا كنت متهماً: قدم دفاعك بطريقة منظمة. ابدأ بنقطة قوة، ثم قدم الأدلة، ثم اطلب العذر أو السماح.

الامر الثامن

ما الذي تدعوك إليه هذه الآيات الآن؟

أيها المحامي، أيها القاضي، أيها القائد، أيها الإنسان،

لقد وضع الله بين يديك نموذجاً متكاملًا للعدل والمرافعة. الهدد الصغير علمك كيف تدافع عن قضيتك، وسليمان العظيم علمك كيف تستمع وتحكم. والله رب العرش العظيم يذكرك بأن العدل النهائي بيده.

اسأل نفسك:

- عندما تدافع عن قضية، هل تبدأ بجذب الانتباه؟ أم تبدأ بالاعتذار الممل؟
- هل تحلل دوافع الخصم؟ أم تكتفي بظاهر الفعل؟
- هل تختتم كلامك بتذكير بالقيم العليا؟ أم تنتهي فجأة؟

تذكر: المحامي الناجح ليس من يربح القضية فقط، بل من يصل إلى الحق. والقاضي الناجح ليس من يصدر حكماً فقط، بل من يسمع الجميع.

عاهد الله اليوم:

1. أن تتعلم فن المرافعة من كتابه: اقرأ قصص الأنبياء بنية استخراج دروس في الحوار والإقناع.
2. ألا تحكم على أحد دون أن تسمع عذره. اجعل "سلطاناً مبيناً" شعارك.
3. أن تختتم كل خصومة بتذكير بالله والعدل. لا تجعل الانتصار الشخصي غايتك.

المبحث الثامن

أهلاً بك أيها القاضي الذي يزن الكلمة قبل أن يوقع الحكم، أيها القائد العسكري الذي ينظر في التقرير قبل أن يحرك جيشاً.

لقد انتهينا من المشهد السابق، حيث قدم الهدد مرافعته الذكية أمام سليمان. تحدث عن مملكة سبأ، وعبادة الشمس، وتزيين الشيطان. مرافعة قوية، مؤثرة، حكيمة أتقن من حبه كثير من المحامين. والآه، يأتي دور القاضي سليمان عليه السلام. كيف سيتصرف؟

سليمان لم يثب غضباً، ولم يرسل جيوشه فوراً، ولم يقل "صدقت أيها الهدد، سأغزوهم الآن". بل وقف موقف الحكيم المتثبت. قال: "سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين". هذا هو أصل العدل: لا حكم دون بينة، ولا قرار دون تحقيق. سليمان هنا يعلم القضاة ألا يندفعوا بمرافعة محام ماهر، مهما كانت جميلة. ويعلم القادة العسكريين ألا يثقوا في تقرير استخباراتي واحد، مهما كان مصدره، دون التحقق منه.

ثم، وبعد أن يقرر إرسال رسالة، يأمر الهدد أن يذهب بالكتاب، ويلقيه إليهم، ثم "يتولى عنهم" وينتظر الرد. وهذا أسلوب دبلوماسي ذكي: لا يفرض رأيه، بل يختبر نياتهم. ويمتنح صدق الهدد: لو أن الهدد كذب في وصفه للمملكة، فسيفضحه رد فعل قوم سبأ. إنها لعبة شطرنج عالية المستوى، يعلمنا إياها نبي الله وحكمته.

تعال... ندخل إلى هذه المدرسة الفريدة: مدرسة سليمان في القضاء والقيادة.

الآية السابعة والعشرون: { قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ }

أولاً { قَالَ سَنَنْظُرُ... } { التثبت بدل التسرع }

"قال": سليمان هو القائل. بعد أن استمع إلى مرافعة الهدد بكل ما فيها من إثارة وتشويق وتحليل نفسي، لم يندفع. توقف. قال "سننظر". أي سأنظر في الأمر، سأؤكد، سأفحص.

"سننظر": السين للاستقبال، والنظر هنا ليس بالعين، بل هو نظر العقل والتأمل والفحص والتمحيص. سليمان يعلن منهجه: لن أصدق كل ما يقال، حتى لو قيل بأسلوب جميل.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "سننظر" فيها سين، ونون، وراء. الظاء من حروف الإطباق، تعطي

إحساساً بالإحاطة والفحص الدقيق. كأنه سينظر من جميع الزوايا.
ما الذي نتعلمه من هذه الآية للقضاء والقاده؟

- . أيها القاضي: لا تنخدع ببلاغة المحامي. المرافعة الجميلة لا تعني أنها صادقة. توقف، وقل "سأنظر".
- . فحص الأدلة، وليس فقط الكلمات.
- . أيها القائد العسكري: لا تتحرك بناءً على تقرير استخباراتي واحد، مهما كان مصدره موثقاً. تحقق، واستقص، واستشر.
- . أيها الإنسان: قبل أن تصدق خبراً في وسائل التواصل، أو قبل أن تحكم على شخص من كلام أحد، قل "سأنظر". التفتت عبادة.

ثانياً: {أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ...} {التقسيم الثنائي الواضح

"أَصَدَقْتَ": استفهام بمعنى: أنت صادق في كل ما قلت؟

"أَمْ": للإضراب والتقسيم.

"كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ": لم يقل "أَمْ كَذِبْتَ"، بل قال "كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ". أي أن الكذب ليس مجرد فعل عابر، بل صفة تلحق بصاحبه، وتجعله في زمرة الكاذبين. وهذا أشد توبيخاً.

اللمسة البلاغية: قدم الصدق على الكذب، لأنه الأصل. والاستفهام للتقرير وليس للشك. سليمان متأكد أن الهدهد إما صادق أو كاذب، وسيحسم الأمر.

الدرس العميق:

هذه العبارة تؤسس لمنهجية قرينة البراءة وعبء الإثبات في القانون:

- . الأصل في الإنسان الصدق (صدق).
- . من ادعى خلاف ذلك، عليه الإثبات) أنت من الكاذبين).
- . سليمان لم يحكم على الهدهد بالكذب فوراً، بل قال "سننظر". أي أنت متهم بالصدق مؤقتاً، وسأتحقق.

تطبيق في القضاء العسكري والمدني:

- . القاضي: لا تتأثر بعاطفة المدعي أو المدعى عليه. مهمتك أن تنظر: هل الأدلة تؤيد الصدق أم الكذب؟
- . المحامي: لا تظن أن مرافعتك العاطفية ستخدع القاضي. القاضي الذكي سيقول "سأنظر".
- . ضابط المخابرات: لا تقدم تقريراً عاطفياً. قدم حقائق قابلة للتحقق.

الآية العامة والعشرون: { أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأُلْقِيَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ }

أولاً: { أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا... } {الثقة مع الاختبار

"أَذْهَبَ بِكِتَابِي": أمر من سليمان للهدهد. الكتاب هنا هو رسالة مكتوبة من سليمان إلى ملكة سبأ وقومها. سليمان يختار الهدهد نفسه رسولاً. هذا فيه ثقة، لكنه أيضاً اختبار.

"هَذَا": الإشارة للكتاب تدل على أنه حاضر بين يديه، وأنه كتبه بنفسه أو أملى به.

ما هي حكمة سليمان في إرسال الهدهد بالكتاب؟

- . اختبار صدق الهدهد: لو كان الهدهد كاذباً في وصفه للمملكة، فسيذهب بالكتاب ولن يجد ملكة أو عرشاً. وعندها سيفضح نفسه.
- . استغلال قدرات الهدهد: الهدهد طائر سريع، يصل إلى سبأ في وقت قصير. وهو ذكي، يستطيع إيصال الرسالة بدقة.
- . الاستخبارات المزدوجة: الهدهد سيكون رسولاً، وسيراقب رد الفعل، وسيعود بالتقرير. أي أنه يعمل كجهاز استخباراتي متحرك.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "اذْهَبْ" فيها ألف وذال وباء، والذال من حروف اللثوي، تعطي إحساساً بالا نطلاق. "بِكَتَابِي" فيها باء مشددة للإدغام، وكاف، وتاء، وألف، وباء، وياء مد. التشديد يعطي قوة وإحكاماً للرسالة.

ثانياً: {فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ}...{إلقاء الرسالة، وليس تسليمها رسمياً

"فَأَلْقَهُ": أمر بإلقاء الكتاب. لم يقل "سلمه إليهم" أو "ناوله إليهم". الإلقاء قد يعني أن يتركه أمامهم، أو يرميه إليهم، دون الدخول في مفاوضات مباشرة. هذا فيه نوع من التحدي، وفيه حفاظ على هيبة الرسول) الهدهد (من أن يُمسك به.

"إليهم": أي إلى قوم سبأ، أو إلى الملكة وحاشيتها. الإلقاء إليهم يعني أن الكتاب سيصل إليهم حتماً. درس: في الدبلوماسية والعسكرية، أحياناً لا تدخل في مفاوضات مباشرة. ترسل رسالة واضحة، وتنتظر رد الفعل.

ثالثاً: {ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ}...{الانصراف لمراقبة رد الفعل

"ثم": للترتيب والتراخي. أولاً ألق الكتاب، ثم تول عنهم.

"تَوَلَّى عَنْهُمْ": أي أعرض عنهم، وابتعد، ولا تنتظر أمامهم. لا تجلس للتفاوض، لا ترد على أسئلتهم. غادر المكان.

لماذا؟ لأن الهدف ليس الدخول في حوار، بل اختبار رد فعلهم الطبيعي. لو بقي الهدهد، لربما سألوه، أو ضغطوا عليه، أو أسرعوا في رد مصطنع. لكن بغيابه، سيتشاورون بحرية، وسيظهر رد فعلهم الحقيقي. وهذا من أذكي أساليب الاستخبارات: زرع رسالة ثم مراقبة رد الفعل من بعيد.

رابعاً: {فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ}...{المهمة الاستخباراتية الأساسية

"فانظر": أمر ثان. انظر من بعيد، راقب، استمع، حلل.

"مَاذَا يَرْجِعُونَ": أي ماذا سيردون؟ ماذا سيكون جوابهم؟ هل سيقبلون؟ هل سيرفضون؟ هل سيتشاورون؟ هل سيستعدون للحرب؟

المرجعية هنا: سليمان يريد تقريراً استخباراتياً عن رد فعل العدو قبل أن يتخذ قراره النهائي. هل سيكون الرد دبلوماسياً؟ هل سيكون اعتداءً؟ هل سيكون استسلاماً؟

اللمسة البلاغية: "فانظر" فيها فاء للسببية، وألف، ونون، وطاء، وراء. الطاء تعطي إحساساً بالفحص العميق. "مَاذَا" استفهام، "يَرْجِعُونَ" فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار. أي انظر ماذا سيكون جوابهم، وما هي حركتهم.

الدرس العظيم في الاستخبارات العسكرية:

أيها القائد العسكري، لا تكتفِ بتقرير واحد من عينك الاستخباراتية. أرسل رسالة، أو قم بمناورة، ثم راقب رد الفعل. رد الفعل هو أصدق مؤشر على نوايا العدو. العين الاستخباراتية ليست فقط لجمع المعلومات، بل أيضاً لاختبار صدق المعلومات.

**اهم المواضيع والقضايا والامور التي سوف نقف عليها بمناسبة تدبر هذه الايات
الامر الاول**

مدرسة سليمان في القضاء: كيف لا يتعجل القاضي بالحكم؟

1. لا تتأثر بعاطفة المرافعة:

الهدهد ألقى مرافعة عاطفية ذكية. استخدم التشويق، والمفاجأة، وتحليل نفسية المتهم. لكن سليمان لم يذرف دموعاً، ولم يغضب. قال "سننظر". القاضي الذي يبكي مع المحامي أو يغضب معه، ليس قاضياً عادلاً.

2. افحص الوقائع بنفسك:

سليمان لم يرسل جاسوساً آخر فقط، بل أرسل الكتاب ليختبر بنفسه. هو لم يثق في تقرير الهدهد 100% طلب منه أن يذهب بالكتاب، ثم يراقب الرد. هذا هو الفحص العملي للوقائع.

3. أعط المتهم فرصة للرد:

قبل أن يحكم سليمان على سبأ، أرسل إليهم كتاباً. هذا إعلام لهم بالقضية، وفتح باب للرد. لم يحكم غيابياً. هذا هو الأصل في القضاء: لا تحكم على أحد دون أن تسمعه، أو تبلغه، أو تعطيه فرصة للدفاع.

4. لا تخلط بين قوة المرافعة وقوة القضية:

الهدهد محام ماهر، لكن سليمان فصل بين جمال المرافعة وصحة القضية. القاضي الذكي يميز بين البه لاغة والحقيقة.

الامر الثاني

مدرسة سليمان في القيادة العسكرية: كيف تتعامل مع المعلومات الاستخباراتية؟

1. المعلومات الاستخباراتية وحدها لا تكفي:

جيش سليمان فيه طيور استطلاع) مخابرات عسكرية. (الهدهد قدم تقريراً مفصلاً. لكن سليمان لم يشن حرباً بناءً على تقرير واحد. أرسل رسالة، واختبر.

القاعدة: أي تقرير استخباراتي يجب أن يُختبر بمناورة أو رسالة، لترى رد فعل العدو.

2. العين الاستخباراتية قد تكون جزءاً من الحل:

الهدهد لم يكتفِ بالتقرير. كلفه سليمان بمهمة جديدة: توصيل الرسالة، ثم المراقبة. هذا يجعل العين نفسها تعمل كأداة لاختبار المعلومات التي جمعتها.

التطبيق: في الاستخبارات الحديثة، أحياناً يُستخدم العميل نفسه لاختبار معلوماته عن طريق زرع معلومة ومراقبة النتيجة.

3. لا تظهر نواياك كاملة:

سليمان لم يكتب في الكتاب "سأغزوكم"، ولا "أسلموا". بل ترك الكتاب غامضاً على الأرجح) سيأتي في الآيات اللاحقة أنه كتب "لا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين". (لكن المهم أنه لم يفسر كل شيء للهدهد. الهدهد لا يعرف مضمون الكتاب كاملاً، حتى لا يؤثر على مراقبته.

الدرس: القائد العسكري لا يطلع جميع جنوده على الخطط الكاملة. كل يعلم قدر ما يحتاج.

4. راقب رد الفعل، وليس فقط الكلمات:

"فانظر ماذا يرجعون". سليمان يريد أن يرى رد فعلهم: هل سيتشاورون؟ هل سيخافون؟ هل سيتكبرون؟ هل سيعدون للحرب؟ رد الفعل الفعلي أهم من الرد اللفظي.

الامر الثالث

العلاقة بين الآيتين وما قبلهما وما بعدهما

- . ما قبلهما) الآيات 22- (26: الهدهد يقدم مرافعته الاستخباراتية.
- . هاتان الآيتان (27) - (28: سليمان يطلب التحقق، ثم يخطط لاختبار الموقف.
- . ما بعدهما) الآيات 29- (31: بلقيس تستلم الكتاب، وتتشاور مع قومها، وتقرر إرسال هدية. أي أن رد الفعل جاء كما توقع سليمان.

الامر الرابع

المواضيع والمفاهيم الرئيسية

1. التثبت قبل الحكم: القاضي لا يتسرع.

2. اختبار المعلومات الاستخباراتية: القائد العسكري لا يثق بتقرير واحد.

3. عدم التأثر بالعاطفة: البلاغة لا تغير الحقائق.
4. الاستخبارات المزدوجة: استخدام الجاسوس نفسه لاختبار معلوماته.
5. فن إدارة الأزمات: إرسال رسائل، ومراقبة ردود الأفعال.

الامر الخامس

القيم التي تفرسها الآيتان

1. قيمة التثبت: لا تثق بكل خبر.
2. قيمة العدل: لا تحكم دون سماع الطرف الآخر.
3. قيمة الحكمة في القيادة: لا تندفع بناءً على معلومات غير مؤكدة.
4. قيمة التواضع: حتى سليمان العظيم لم يقل "أنا أعرف كل شيء".
5. قيمة التخطيط: كل خطوة محسوبة.

الامر السادس

الأبعاد المختلفة) تربوية، نفسية، قانونية، عسكرية، قيادية)

أولاً: البعد التربوي

- . علم أولادك ألا يصدقوا كل ما يسمعون: قل لهم: سليمان قال "سننظر". لا تصدق أخاك حتى تتحقق.
- . علمهم كيف يختبرون المعلومات: إذا أخبرك أحدهم عن شيء، اطلب منه دليلاً، أو اختبر صدقه بسؤال آخر.

ثانياً: البعد النفسي

- . علاج الاندفاع: قبل أن تتخذ قراراً مصيرياً، قل "سأنظر". هذا يهدئ نفسك ويعطيك وقتاً للتفكير.
- . تجنب التحيز: لا تنحاز لمعلومة واحدة فقط. ابحث عن أكثر من مصدر.

ثالثاً: البعد القانوني والقضائي

- . أيها القاضي: هذه الآيات منهجك. لا تحكم ولو بعد سماع مرافعة قوية. تحقق، تثبت، وامنح الخصم فرصة للرد.
- . أيها المحامي: لا تظن أن بلاغتك تخدع القاضي العادل. اجعل أدلتك قوية مثل بلاغتك.

رابعاً: البعد العسكري والأمني

- . أيها القائد العسكري: لا تتحرك بناءً على تقرير واحد. اختبر المعلومات بمناورة أو رسالة، ثم راقب رد الفعل.
- . أيها ضابط المخابرات: تقريرك يجب أن يكون قابلاً للاختبار. لا تقدم معلومات عاطفية.

خامساً: البعد القيادي والإداري

- . أيها المدير: إذا سمعت شكوى على موظف، لا تعاقبه فوراً. قل "سأنظر". استمع للطرفين، واختبر الوقائع.
- . أيها الموظف: إذا اتهمت، اطلب من مديرك أن يتحقق، وقدم أدلتك بهدوء.

الامر السابع

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي؟

في القضاء والمحاماة:

- . كقاضٍ: إذا سمعت مرافعة مؤثرة، تذكر سليمان. قل في نفسك: "سأنظر". افحص الأدلة، وليس العواطف.
- . كمحامٍ: لا تعتمد على البلاغة فقط. قدم أدلة قابلة للتحقق. وكن مستعداً لاختبار صدق موكلك.

في القيادة العسكرية:

- . كتقرير استخباراتي: لا تكتف بمعلومة واحدة. اطلب من المصدر نفسه أن يختبر معلوماته بمهمة إضافية.
- . كقائد: قبل أن تشن هجوماً، أرسل رسالة، أو قم بمناورة، ثم راقب رد فعل العدو. لا تندفع بالاً.

استخبارات وحدها.

في الإدارة والقيادة المدنية:

. كمدير: إذا جاءك تقرير عن فساد موظف، لا تطرده فوراً. حقق، واسأله، واختبر صحة التقرير.
. كموظف: إذا اتهمت، قدم أدلتك، واطلب من مديرك التحقيق. لا تيأس.

في الحياة اليومية:

. على وسائل التواصل: لا تشارك خبراً قبل أن تتحقق منه. قل "سأنظر".
. في العلاقات: إذا سمعت كلاماً عن شخص، لا تحكم عليه قبل أن تسمع منه. أرسل رسالة) أسأله مباشرة، ثم انظر ماذا يرجع.

الامر الثامن

ما الذي تدعوك إليه هاتان الآيتان الآن؟

أيها القاضي في مجلسك، أيها القائد في غرفتك، أيها الإنسان في قراراتك الصغيرة والكبيرة،
توقف.

قبل أن تصدر حكماً، قبل أن تتخذ قراراً، قبل أن تصدق خبراً، قبل أن تهاجم شخصاً، قل "سأنظر".
هذه الكلمة هي حصنك من الظلم والندم.

اسأل نفسك:

. كم مرة حكمت على شخص من كلام طرف واحد؟ وكم مرة ندمت؟
. كم مرة صدقت خبراً ثم اكتشفت أنه كذب؟
. كم مرة اندفعت في قرار ثم تمنيت لو تريت؟

تعلم من سليمان:

. لا تخلط بين جمال القصة وصحتها. الهدد كان محامياً بارعاً، لكن سليمان طلب التحقق.
. اختبر المعلومات بنفسك. أرسل رسالة، أو قم بمناورة بسيطة، ثم انظر رد الفعل.
. لا تحرم أحداً من حق الدفاع. أرسل الكتاب، ثم تول عنهم، ثم انظر ماذا يرجعون.

تذكر: الله رب العرش العظيم يراك. وهو الذي يحكم بالعدل. فكن أنت عادلاً في حكمك، متثبتاً في
قرارك، حكيماً في قيادتك.

عاهد الله اليوم:

1. ألا تحكم على أحد دون أن تسمع منه.
2. ألا تصدق خبراً دون أن تتحقق منه.
3. أن تتخذ قراراتك بعد تثبت وتفكر، وليس بعد اندفاع.
4. أن تتعلم من هذه الآيات، وتطبقها في قضائك، وفي قيادتك، وفي حياتك كلها.

اللهم إنا نسألك حكمة سليمان في التثبت، وعدله في الحكم، وقوته في القيادة. اللهم اجعلنا ممن
ينظرون قبل أن يقرروا، ويتثبتون قبل أن يحكموا، ويراقبون ردود الأفعال قبل أن يندفعوا. اللهم
ألهمنا الصواب في كل قرار، واجعلنا من عبادك الصالحين.

القسم الثاني

اليه فيها إبراز تميز القائد الذي يستشير قبل أن يقرر، أيها الحاكم الذي يجمع قومه قبل أن يحكم،
أيها الإنسان الذي يطلب النصيحة قبل أن يندفع. نحن الآن على أعتاب مشهد إداري فريد من نوعه.
لقد أرسل سليمان عليه السلام كتابه مع الهدد إلى مملكة سبأ. والآن يأتي دور الطرف الآخر: بلقيس،
ملكة سبأ.

تخيل معي هذا المشهد. كتاب يصل من أقوى ملك على وجه الأرض، من نبي الله سليمان. كيف
ستستقبله بلقيس؟ هل ستجاهله؟ هل ستغضب؟ هل ستخاف؟ بلقيس هنا تقدم لنا نموذجاً فريداً في
القيادة الحكيمة. استقبلت الكتاب بتكريم وإجلال، قالت "أيها الملأ"، أي يا أهل الرأي والحل والعقد. لم

تستبد بالأمم، ولم تفرض رأيها. جمعت قومها، وتلت عليهم الرسالة كاملة دون تحريف، ثم طلبت منهم المشورة.

هذا هو عين الحكمة التي بنت بها مملكتها. إنها تعلم أن القائد المنفرد يسقط، وأن القائد المستشار يبني. لكن الأروع أنها لم تسألهم "ماذا نفع؟" فقط، بل قالت "ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون". هذا تواضع قائد، وإقرار بأن الرأي الجماعي أقوى. ثم هي لم تطلب النصيحة بدافع الضعف، بل بدافع الحكمة. إنها تمتحن قومها: هل هم معها في الحرب أم في السلم؟

هذه الآيات مدرسة متكاملة في فن القيادة، وأهمية الشورى، وكيفية استقبال الحق، وعدم التكبر على النقد. تعال... نرى كيف تدير ملكة حكيمة أزمة كبرى بكل هدوء واحترام.

الاية التاسعة والعشرون (قالت يا أيها الملأ إني ألقى إليّ كتاب كريم)

أولا : {قالت يا أيها الملأ...} جمع أهل الرأي

"قالت": بلقيس هي المتحدثة. في مشهد من أعظم مشاهد القيادة، وقفت في قصرها، ونادت قومها.

"يا أيها الملأ": الملأ هم أشرف القوم، وأهل الرأي والحل والعقد. لم تدع العامة، بل دعت أهل الاختصاص. وهذا من فطنتها: القرارات المصيرية تتخذ مع أصحاب العقول والرأي.

اللمسة البلاغية: النداء بـ "يا أيها" فيه تنبيه واستنهاض للهمم. و"الملأ" نكرة في سياق النداء، تفيد التعظيم. أي أنهم ملأ عظيم، وأهل ثقة.

ثانياً: {إني ألقى إليّ كتاب كريم...} التكريم والإجلال للرسالة

"إني ألقى": فعل مبني للمجهول، للتكريم والتعظيم. أي أن كتاباً ألقى إليّ، دون أن تذكر من ألقاه. لكن المعروف أنه الهدهد. لكنها لم تقل "جاءني به ههد" حتى لا تحتقره، بل رفعت شأن الرسالة.

"كتاب كريم": وصفته بالكريم. الكريم هو العزيز النفيس، ذو القيمة العالية. لم تقل "كتاب عادي" ولا "كتاب تهديد". بل اعترفت بمكانته. وهذا من حسن أدبها وحكمتها.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "كتاب" فيها كاف، وتاء، وألف، وباء. "كريم" فيها، ياء، مد، وميم. كلمة "كريم" فيها مد، يعطي إحساساً بالعظمة والجلال.

الدرس: أيها القائد، عندما تصل إليك رسالة من خصمك أو من شخص أعلى منك، لا تستهن بها. اقرأها، واعترف بقيمتها. الكبر يمنعك من قبول الحق. بلقيس قالت "كتاب كريم" ولم تقل "كتاب سليمان". ركزت على قيمة المحتوى، لا على الشخص.

الاية 30 (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم)

أولا : {إنه من سليمان...} تحديد المصدر

"إنه": تأكيد. هذا الكتاب من سليمان. تذكر اسم سليمان بكل احترام، لم تحذفه. قالت "من سليمان" وليس "من ملك بني إسرائيل" أو "من نبي". ذكرت اسمه لتعرف قومه بقوة المرسل.

اللمسة البلاغية: تقديم "من سليمان" على بقية الوصف، لأن المصدر مهم. القوم يعرفون سليمان، ويعرفون عظمتهم. مجرد أن الكتاب منه يضيف عليه هبة.

ثانياً: {وإنه بسم الله الرحمن الرحيم...} افتتاحية الرسالة

"وإنه": أي وإن هذا الكتاب مفتتح بـ "بسم الله الرحمن الرحيم". هذه هي البسملة الكاملة.

"بسم الله": أي باسم الله. ابتداء الكتاب باسم الله، وهذا من آداب المراسلة.

"الرحمن الرحيم": اسمان من أسماء الله، يفيضان بالرحمة. سليمان يبدأ رسالته بالرحمة، لا بالتهديد. وهذا من أسلوب الأنبياء.

اللمسة التجويدية: "الرحمن" فيها راء مفخمة، وحاء، وميم، وألف، ونون. "الرحيم" فيها راء، وحاء، وياء

مد، وميم. التكرار يعطي إحساساً بالرحمة الواسعة.

الدرس العظيم: بلقيس لم تخف شيئاً من الرسالة. تلت البسمة أمام قومها. هذا يعني أنها لم تحرف، ولم تكن. وهي بهذا تعلم قومها أن هذا الكتاب يحمل رسالة سلام ورحمة أولاً. وهذا يخفف من حدة الموقف.

الايه 31 (أثا تغلوا عليّ وأتوني مُسلمين)

أولا : {أثا تغلوا عليّ...} النهي عن الكبر والتجبر

"أثا": تفسيرية. أي مضمون الكتاب: ألا تغلوا عليّ.

"تغلوا": من العلو، وهو الكبر والتجبر والاستعلاء. سليمان ينهاهم عن التكبر عليه. لا تظنوا أنكم فوق، لا ترفضوا دعوتي.

"عليّ": عليّ شخصياً، وعلى مملكتي، وعلى ديني.

ثانياً: {وأتوني مُسلمين...} الدعوة إلى الإسلام والطاعة

"وأتوني": أتوني، أي احضروا إليّ، أو أرسلوا إليّ، أو استسلموا.

"مُسلمين": من الإسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد لطاعته. أي أسلموا لله، وأطيعوا سليمان في ما أمر به.

اللمسة البلاغية: الجمع بين النفي والإثبات: "لا تغلوا" نفي الكبر ("وأتوني مسلمين") إثبات الطاعة. (هذا أسلوب قوي في الخطاب.

ماذا يعني هذا للقادة والحكام؟

. القائد العادل: يطلب الطاعة، لكنه ينبذ الكبر. لا يطلب أن يعلو هو، بل يطلب أن يسلم الناس لله.
. الملكة بلقيس: لما تلت هذه العبارة، فهمت أن سليمان لا يطلب ملكها، بل يطلب إيمانها. وهذا جعلها تتشاور، لا ترفض فوراً.

الايه 32 قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون

أولا : {قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري...} طلب المشورة

"أفتوني": من الإفتاء، وهو إعطاء الرأي والحكم في المسألة. بلقيس تطلب منهم رأياً، ليس مجرد استشارة عابرة، بل فتوى تلزم.

"في أمري": إضافة الأمر إليها، مع أنها تعني أمر المملكة. هذا يدل على أنها تتحمل المسؤولية، لكنها تريد أن تشركهم في القرار.

ثانياً: {ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون...} التواضع في القيادة

"ما كنت قاطعةً أمراً": أي ما كنت لأقطع أمراً بمفردتي، أو لأحكم وحدي. هذا اعتراف منها بأن القرار الجماعي أقوى من الفردي.

"حتى تشهدون": أي حتى تحضروا وتشيروا. "تشهدون" تفيد الحضور والإدلاء بالرأي، وليس فقط المشاهدة.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "أفتوني" فيها همزة، وفاء، وتاء، وواو، ونون، وياء. "قاطعةً" فيها قاف مفخمة، وطاء، وعين، وتاء. الطاء مفخمة، تعطي إحساساً بالحزم. "تشهدون" فيها تاء، وشين معطشة، وهاء، ودال، وواو، ونون، وياء. المد في الواو يعطي إحساساً بالاستمرار.

**الدرس الأهم: الشورى وأهميتها في بناء الأمم والحضارات

هذه الآيات الثلاث) خاصة الآية (32) هي أساس نظام الحكم في الإسلام. بلقيس، وهي ملكة غير

مسلمة، طبقت مبدأ الشورى قبل أن يأمر بها الإسلام. فكيف بنا نحن؟

تعريف الشورى: هي استشارة أهل الرأي والخبرة في الأمور العامة قبل اتخاذ القرار. وهي من أهم أسباب النجاح والبركة.

****أهمية الشورى في بناء الأمم والحضارات:**

1. تجنب الأخطاء: الرأي الواحد قد يخطئ. لكن جمع العقول يقلل الأخطاء. بلقيس قالت "ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون". أي أنني لا أثق في رأبي وحدي.
2. تعزيز الوحدة والتماسك الاجتماعي: عندما يشعر الناس أن آراءهم مسموعة، يزداد ولاؤهم للقائد. بلقيس بإشراكها للملأ، ضمنت ولاءهم.
3. الاستفادة من الخبرات المتنوعة: كل فرد في الملأ له خبرة. جمعها ينتج قراراً متوازناً.
4. توزيع المسؤولية: إذا فشل القرار، لا يتحمله القائد وحده، بل الجميع. وإذا نجح، فالجميع يفرح.
5. التطور والازدهار: المجتمعات التي تشاور وتتطور، لأنها تتبنى أفضل الأفكار. المجتمعات المستبدة ترجع إلى الوراء.

****الشورى في الإسلام:**

- . أمر الله بها نبيه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.
- . النبي ﷺ كان يشاور أصحابه في الغزوات) بدر، أحد، الخندق).
- . الخلفاء الراشدون كانوا يشاورون) أبو بكر في قتال مانعي الزكاة، عمر في اختيار الخليفة من بعده).
- . الحضارة الإسلامية قامت على الشورى في مجالس العلماء والقضاة.

****ماذا تفعل الشورى في بناء الإنسان والمجتمع؟**

- . تبني الإنسان: الإنسان المستشار يشعر بقيمته، فينمو عقله وثقته.
- . تبني المجتمع: المجتمع الذي يحكم بالشورى هو مجتمع ديمقراطي حقيقي، لا استبداد فيه ولا فوضى.
- . تمنع الكبر والعناد: بلقيس لم تقل "أنا أعرف كل شيء"، بل طلبت المشورة. الكبر يمنع الاستشارة.

الامر الثاني

العلاقة بين هذه الآيات وما قبلها وما بعدها

- . ما قبلها) الآيات 27- (28): سليمان يرسل الكتاب مع الهدد، ويطلب مراقبة الرد.
- . هذه الآيات) 29- (32): بلقيس تستقبل الكتاب، وتتشاور مع قومها. هذا هو الرد الذي كان سليمان ينتظره.
- . ما بعدها) الآيات 33- (35): الملأ يردون بأنهم أهل قوة، لكن بلقيس تقترح إرسال هدية أولاً. أي أن الشورى أوصلت إلى حل وسط.

الامر الثالث

المواضيع والمفاهيم الرئيسية

1. حسن استقبال الرسائل: التكريم والإجلال حتى لو كانت من خصم.
2. أهمية الشورى: القائد لا يستبد، بل يستشير أهل الرأي.
3. التواضع في القيادة: الاعتراف بأن الرأي الفردي قد يخطئ.
4. الشفافية: بلقيس تلت الرسالة كاملة دون تحريف.
5. قبول الحق: لم ترفض دعوة سليمان لمجرد الكبر، بل فتحت باب النقاش.

الامر الرابع

القيم التي تغرسها هذه الآيات

1. قيمة التكريم: حتى للرسائل.
2. قيمة الشورى: أساس الحكم الرشيد.
3. قيمة التواضع: الاعتراف بأنك لست بمعصوم.
4. قيمة المشاركة: إشراك الآخرين في القرار.
5. قيمة الحكمة: التأني قبل القرار.
6. قيمة نبذ الكبر: عدم التعالي على الحق.

الامر الخامس

الأبعاد المختلفة

أولاً: البعد التربوي

- علم أولادك: إذا وصلتك رسالة من شخص، لا تهملها. اقرأها، وشاركها مع من تثق بهم، واستشر.
- في البيت: قبل اتخاذ قرار يخص الأسرة) سفر، شراء بيت، اجمع أفراد الأسرة، واستشرهم.

ثانياً: البعد النفسي

- علاج الاستبداد: من يظن نفسه يعرف كل شيء، يعاني من الكبر. بلقيس عالجت هذا الكبر بالشورى.
- تعزيز الثقة: عندما تشاور الآخرين، تزداد ثقتهم بك، وتزداد ثقتك بنفسك لأنك تستند إلى عقول جماعية.

ثالثاً: البعد السياسي والحضاري

- أيها الحاكم: هذه الآيات هي دستورك. لا تحكم وحدك. شكل مجلس شورى من أهل العلم والخبرة.
- أيها المواطن: اطلب من حكامك الشورى. وكن مستعداً للمشاركة برأيك.
- أيها القائد العسكري: لا تخض حرباً دون استشارة ضباطك.

رابعاً: البعد الإداري والتنموي

- في الشركات: المدير الذي يستشير موظفيه ينجح، والمدير المتسلط يفشل.
- في التنمية: المجتمعات التي تشاور شعوبها في المشاريع التنموية، تنجح. والمجتمعات التي ترفض المشاريع بالقوة، تفشل.

الامر السادس

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي؟

في القيادة والحكم:

- إذا كنت مديراً: قبل أن تقرر سياسة جديدة، اجمع فريقك. قل لهم "أفتوني في أمري". استمع، ثم قرر.
- إذا كنت رب أسرة: قبل أن تشتري سيارة أو تنتقل لبيت جديد، اجمع الأسرة، واستشر.

في العلاقات الشخصية:

- إذا وصلتك رسالة نقد من شخص: لا تغضب. اقرأها بتكريم. ثم استشر من تثق بهم. ثم رد.
- إذا كنت في خلاف مع شخص: لا ترفض حقه. قل "ما كنت قاطعاً أمراً حتى تشهدوا". أي حتى أسمع من الطرفين.

في التربية والتعليم:

- علم الطلاب: أهمية الشورى في حياتهم. دربهم على الانتخابات الطلابية، ومجالس الصف.

الامر السابع

ما الذي تدعوك إليه هذه الآيات الآن؟

أيها القائد في بيتك، في عملك، في مجتمعك، أيها الإنسان الذي يواجه قرارات مصيرية،

توقف. قبل أن تقرر وحدك، اسأل من حولك. قالوا "استشر قلبك"، لكن القرآن يقول استشر عقول الآخريين. بلقيس كانت ملكة عظيمة، ومع ذلك قالت "ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون". فكيف بك أنت ؟

اسأل نفسك:

- كم مرة ندمت لأنك لم تستشر أحداً؟
- كم مرة أخطأت لأنك ظننت أن رأيك هو الأصح؟
- كم مرة كبرت على نصيحة أحد، فخسرت؟

تذكر: الشورى ليست ضعفاً بل هي قوة. القوي من يستمع، والضعيف من يستبد. بلقيس قوية لأنها استشارت، وسليمان قوي لأنه استمع لرأي الهدد. والأمة القوية هي التي تشاور.

عاهد الله اليوم:

1. أن تستشير أهل الرأي في كل أمر مصيري.
2. ألا تتكبر عن قبول الحق إذا جاءك من أحد.
3. أن تكرم الرسائل التي تصل إليك، حتى لو كانت نقداً.
4. أن تربي أبناءك على الشورى.

اللهم إنا نسألك حكمة بلقيس في استشارة قومها، وقوة سليمان في قبول الحق. اللهم اجعلنا من المستشارين قبل أن يقطعوا أمراً، واجعلنا من المتواضعين للحق، واجعل أمتنا أمة شورى وعدل، لا أمة كبر واستبداد. إنك أنت العزيز الحكيم.

المبحث الثاني

الآيات تخاطب القائد بان يتأمل في طبيعة السلطة، تخاطب الحاكم ان يخشى على نفسه من فتنة الجاه، تخاطب الإنسان بان يرى في قصة ملكة سبأ مرآة لعلاقته بمن حوله فلتنظر الى هذه الآيات وتتاامل مافيهها. فنحن الآن على أعتاب مشهد سياسي نفسي بامتياز. لقد استشارت بلقيس ملأها، وطلبت منهم الرأي. والآن جاء دورهم. ولكن تأمل كيف بدأوا؟ لم يبدأوا بالحكمة، ولا بالتحليل، و لا بالدين. بدأوا بالقوة. قالوا: "نحنُ أولو قوّة وأولو بأس شديد".

هذه ليست مجرد إجابة. هذه هي فضيحة البطانة. إنها تكشف عن مرض مزمن في دوائر صنع القرار: حب إظهار القوة، والغرور بالعتاد، والدفع نحو الحرب وكأنها لعبة. إنهم لم يقولوا "نحن أولو رأي" أو "نحن أولو حكمة". بل تحدثوا بلغة العضلات والسيوف.

بلقيس، الملكة الحكيمة، كانت أعقل منهم. هي لم تتدع بلهيب كلماتهم. أدركت أن القوة المادية وحدها لا تصنع النصر، بل قد تكون سبباً في الدمار. فقادتهم بذلك إلى حل دبلوماسي: إرسال هدية وانتظار الرد.

هذه الآية تفتح لنا ملفاً ضخماً: عناصر القوة الحقيقية، وطبيعة البطانة الفاسدة، وخطورة الغرور بـ العتاد، وكيف أن القائد الحكيم لا يسمح لمستشاريه بأن يجزّوه إلى حرب خاسرة. إنها مدرسة في القيادة، وفي علم النفس السياسي، وفي إدارة الأزمات.

تعال... نغوص في هذا الدرس العميق، ونتأمل كيف نبني قوتنا دون غرور، وكيف نختار بطانتنا، وكيف نوازن بين القوة والحكمة.

الايه الثالثه والثلاثون: (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأَسِّ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ)

أولاً : {قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ...}البطانة تفتخر بالقوة المادية

"قَالُوا": هم الملأ، أي وزراء بلقيس، وكبار قومها، وقادة جيشها. هؤلاء هم البطانة، أي الدائرة المقربة من الحاكم، الذين يؤثرون في قراراته، ويزينون له الأمور.

"نحنُ أولو قوّة": القوة هنا تشمل كل أنواع القوة المادية والبشرية: كثرة الجنود، توفر الأسلحة، تحصين المدن، وفرّة المال. هم يذكرونها بأن مملكتهم ليست ضعيفة، وأن لديها ما يكفي لمواجهة سليمان.

اللمسة البلاغية: بدأوا بـ "نحن" ضمير الجماعة المتكلم، وهو أسلوب يفخرون به. كأنهم يقولون: "نحن، لا غيرنا، أصحاب القوة". وتقديم "نحن" على الخبر "أولو قوة" يفيد الحصر: نحن وحدنا أصحاب القوة في هذه المنطقة.

"أولو": صيغة مبالغة في الجمع، تفيد أنهم ليسوا فقط أصحاب قوة، بل هم أهل القوة بامتياز. القوة ملازمة لهم، صفة راسخة فيهم.

ما هي القوه التي يتفاخرون بها؟

- القوة البشرية: جيوش كثيفة، مقاتلون مدربون، عدد يفوق جيوش المنافسين.
- القوة المادية: خزائن مليئة بالذهب والفضة، أسلحة متطورة، خيول وسلاح.
- القوة الهندسية: سد مأرب العظيم، الذي يدل على قدرة حضارية هائلة في البناء والري.

. القوة السياسية: هبة الدولة، وتحالفاتها، وسمعتها بين الأمم.

الدرس الأول: البطانة الفاسدة غالباً ما تذكر الحاكم بقوته المادية، وتغريه باستعراضها نادراً ما تذكره بالله، أو بالحكمة، أو بالسلم، أو بعواقب الحرب. مهمتها الأولى أن ترضي غروره، لأن بقاءها مرتبط بقوته.

ثانياً: {وأولو بأس شديد...} القوة القتالية والنفسية

"بأس": البأس هو شدة الحرب، والصولة في القتال، والجلد والصبر على الطعن والضرب. إنها القوة الهجومية، وروح القتال، وعدم الخوف من الموت. هي القوة المعنوية التي تظهر في أرض المعركة.

"شديد": صفة مبالغة، أي بأسهم بالغ الشدة. هم ليسوا فقط أقوياء، بل هم شديدو البأس، أي عنيدون في الحرب، لا يرهبون جيشاً، لا يتراجعون، لا يستسلمون.

الفرق العميق بين قوه وبأس شديد
. القوة (قوة): هي الإمكانيات والموارد. كم لديك من جنود؟ كم لديك من أموال؟ هي القوة الباردة، قوة التعاد والعتاد.

. البأس (الشديد) بأس شديد: هو الأداء والجرأة والشراسة في المعركة. كيف تقاتل؟ ما مدى صبرك على الموت؟ ما مدى تماسك جيشك تحت النار؟ هي القوة الساخنة، قوة الإرادة والروح.

هذان العنصران هما أساس القوة العسكرية لأي دولة: (الكم) القوة (و الكيف) البأس. (هم يزعمون أنهم يمتلكونها معاً).

اللمسة البلاغية والتجويدية:

. "أولو قوّة" فيها قاف مفخمة، وواو مشددة، وتاء مربوطة. القاف والواو المشددة تعطي إحساساً بـ الثقل والقوة المادية الجارفة.

. "بأس شديد" فيها باء، وهمزة، وسين مهموسة، ثم شين معطشة، ودال، وياء مد، ودال. الشين المعطشة والياء المد تعطي إحساساً بالخشونة والقسوة والصوت الحربي. كأنك تسمع وقع السيوف.

الدرس الثاني: البطانة تخلط دائماً بين القوة الظاهرة والقدرة الحقيقية على النصر. قد تكون لديك جيوش وأموال، لكن النصر بيد الله، وبالحكمة، وبالعدل. هم يغفلون عن هذه الحقائق.

ثالثاً: {والأمرُ إليك فانظري ماذا تأمرين...} تفويض مع ضغط ضمني

"والأمرُ إليك": ظاهر هذا الكلام هو التفويض والاحترام. هم يقولون: "القرار النهائي لك يا ملكتنا، نحن جنود مطيعون، ننفذ ما تأمرين به". لكن باطنه يحمل رسائل أخرى.

التحليل النفسي لهذه العبارة:

. تهرب من المسؤولية: إذا فشلت الحرب، يقولون "نحن أطعنا أمرك". وإذا نجحت، يقولون "نحن أصحاب القوة".

. ضغط ضمني: بعد أن ذكروها بقوتهم، وضعوا الأمر بين يديها. هذا يوحي ضمناً: "نحن جاهزون، فلا تظهرني بمظهر الضعيف أو الجبان. اتخذني قرار الحرب".

. امتحان لها: يختبرونها: هل هي ملكة حربية شجاعة، أم ملكة مسالمة ضعيفة؟

"فانظري ماذا تأمرين": أي فكري وقرري. لم يقولوا "فانظري ماذا تفعلين" بل "تأمرين"، لأنها الأمرة المطلقة، وهم المنفذون.

اللمسة البلاغية: تقديم الأمر إليها مع ذكر قوتهم أولاً، هو تذكير لها بأن لديها جيشاً قوياً، فلماذا التردد؟ إنها ورقة ضغط نفسي بارعة.

الدرس الثالث: القائد الحقيقي هو من يعرف كيف يقرأ ما بين سطور بطانته. لا يندفع بظاهر كلام مهم. هم قد يظهرون الطاعة، ويخفون ضغوطاً ومصالح شخصية

اهم المواضيع والقضايا والامور والمفاهيم والدروس التي سنقف عليها بمناسبة تدبر هذه الايات الامر الاول.

تحليل عناصر القوى والغلبه كما تجسدها الايه

هذه الآية تقدم لنا نموذجاً لثقافة القوة في الأمم التي تعتمد على الغرور المادي. دعنا نحلل هذه العناصر بعمق:

العنصر الأول: القوة المادية) أولو قوة)

هي ركيزة الدول في نظر البطانة .تشمّل:

- . التعداد البشري: كثرة السكان، كثرة الجنود .قالوا "نحن أولو قوة" أي لنا العدد.
- . العتاد العسكري: الأسلحة، الدروع، الخيول، آلات الحرب.
- . الاقتصاد: المال، خزائن الذهب، التجارة، الموارد.
- . البنية التحتية: السدود، القصور، الحصون.

نقد هذا العنصر في ضوء القصة: سليمان لم يرهبهم بقوته المادية، بل بقوة الله وتسخيـره للجن و الريح .القوة المادية وحدها لا تصمد أمام قوة الإيمان والتسخير الإلهي.

العنصر الثاني: القوة القتالية المعنوية) أولو بأس شديد)

هي روح الجيش، وتشمل:

- . الشجاعة: عدم الخوف من الموت.
- . الصبر على القتال: القدرة على تحمل مطول الحرب.
- . الانضباط: الطاعة العمياء للقائد.
- . الشراسة: البأس الشديد، أي القسوة في المعركة.

نقد هذا العنصر: البأس الشديد بلا حكمة هو انتحار .قد تقاتل بشراسة، لكنك تهلك .القتال من أجل الباطل يضعف البأس مهما كان شديداً.

العنصر الثالث: القوة النفسية) الغرور والكبرياء)

هذا العنصر غير مذكور صراحة، لكنه حاضر بقوة في كلماتهم . "نحن أولو قوة" فيها فخر وكبرياء . الغرور بالعتاد هو الذي جعل الأمم السابقة تندفع إلى حروب خاسرة.

أمثلة من التاريخ على الغرور بالعتاد:

- . فرعون: قال "أنا ربكم الأعلى" و"لي ملك مصر" فغرقه الله .
- . قوم عاد: قالوا "من أشد منا قوة" فأهلكهم الله بريـح صرصر .
- . أبرهة الحبشي: جاء بجيش الفيلة لهدم الكعبة، فأهلكهم الله بالطير الأباييل .

الدرس: القوة المادية إذا اقترنت بالكبر والغرور، كانت سبباً في الهلاك، لا في النجاة.

العنصر الرابع: القوة المعنوية الحقيقية) الإيمان والحكمة)

هذا العنصر غائب عن كلام بطانة بلقيس .لم يذكروا الله، لم يذكروا العدل، لم يذكروا المشورة الحقيقية .هم فقط يفتخرون بأنفسهم.

بلقيس أضافت هذا العنصر لاحقاً بقولها: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا .(أي أن الحكمة والتفكير في العواقب هي قوتها الحقيقية).

الامر الثاني

طبيعته البطانه واثرها على الحكام :تحليل نفسي وسياسي

1.من هم البطانة؟

البطانة هم المقربون من الحاكم: الوزراء، المستشارون، قادة الجيش، كبار رجال الدولة .هم الذين يحيطون به، ويؤثرون في قراراته، ويزينون له الأمور .في قصة سبأ، الملاً هم بطانة بلقيس.

2.الصفات الغالبة على البطانة الفاسدة:

. حماية مصالحهم الشخصية: غالباً ما يدفعون إلى الحرب لأنها تحقق لهم مكاسب: غنائم، مناصب

جديدة، إضعاف خصومهم، صرف أنظار الشعب عن مشاكلهم الداخلية.
 • تزيين القوة للحاكم: يذكرونه بعثاده وجنوده، ليشعروا بالأمان، وليضمنوا بقاء مناصبهم.
 • الخوف من الظهور بمظهر الضعف: لا يشيرون على الحاكم بالسلم أو الحلول الدبلوماسية، خوفاً من أن يُتهموا بالجبن أو الخيانة.
 • التفاخر بالقبائل والأصول: "نحن" فيها فخر جماعي، قد يكون قبلياً أو عرقياً، وهذا يخلق تحيزاً خطيراً.
 • الجهل بالعدو: تحدثوا عن قوتهم، لكنهم لم يتحدثوا عن قوة سليمان. كأنهم لا يعرفون من هو سليمان. وهذا جهل استراتيجي.

3. نموذج بلقيس: الحاكم الحكيم الذي لا يندفع ببطانته

بلقيس كانت أعقل من بطانته بمراحل. لم تقل "نعم، سنحارب". بل هي:

• قرأت الرسالة بموضوعية: لم تستهن بها، ولم تخف منها.
 • استشارت: وهذا يدل على تواضعها.
 • استمعت لبطانته: لكنها لم تنصع لهم.
 • فكرت في العواقب: قالت { إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا } . {رأت أن الحرب خسارة للجميع.
 • اقترحت حلاً دبلوماسياً: إرسال هدية وانتظار الرد.

الدرس لكل قائد: لا تثق في بطانتك 100%. هم قد يزينون لك القوة ويفرونك بالحرب، وقد يكونون سبب هلاكك. أنت وحدك من يتحمل مسؤولية القرار. استمع إليهم، لكن قرر بعقلك وقلبك.

4. الغرور بالعتاد: بداية الهزيمة

هذه الآية تحذر من أخطر آفة في القيادة: الغرور بالقوة المادية. عندما تظن أن جيشك لا يقهر، وأن أموالك لا تنفذ، وأن حصونك لا تخترق، فقد أعدمت في نفسك عنصر الحذر والتواضع، وهما أساس النجاة.

كيف يتجلى الغرور بالعتاد في كلامهم؟

• "نحن": تقديم الذات على كل شيء.
 • "أولو قوة": الادعاء بأنهم أصحاب القوة الوحيدون.
 • "بأس شديد": المبالغة في وصف قوتهم القتالية.
 • "والأمر إليك": دفع المسؤولية مع الضغط.

سليمان يرد عليهم لاحقاً في الآيات التالية (بكل هدوء وقوة): سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } ثم { ارجع إليهم فلنأتيتهم بجنود لا قبل لهم بها. } أي أن قوتهم المادية لا تساوي شيئاً أمام قوة الله.

الامر الثالث

العلاقة بين هذه الآية وما قبلها وما بعدها

• ما قبلها) الآية (32) : بلقيس تطلب المشورة: "أفتوني في أمري".
 • هذه الآية (33) : البطانة ترد بقوتها وتفويض الأمر لها.
 • الآية التالية (34) : بلقيس تظهر حكمتها: "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها".
 • ثم (35) : تقترح إرسال هدية وانتظار الرد.

إذن، هذه الآية هي لحظة الاختبار للحاكم: هل سيستجيب لضغوط بطانته، أم سيحكم بعقله؟

الامر الرابع

المواضيع والمفاهيم الرئيسية

1. طبيعة البطانة: تميل إلى إظهار القوة، والتفاخر بالعتاد، والدفع نحو الحرب.
 2. الغرور بالعتاد: بداية الهزيمة والتدمير، وهو مرض الأمم قبل سقوطها.
 3. عناصر القوة: المادية) قوة، القتالية) بأس شديد، المعنوية) الغرور.
 4. القوة الحقيقية: الحكمة، التريث، الدبلوماسية، الإيمان بالله.
 5. حكمة القائد: عدم الانخداع ببطانته، والنظر إلى العواقب البعيدة.
 6. السلم الدبلوماسي: خيار استراتيجي قبل الحرب، كما اختارته بلقيس.

الامر الخامس

القيم التي تغرسها هذه الآية

1. قيمة الحكمة: لا تغتر بقوتك. القوة الحقيقية في العقل والتدبير، وليس في العدد والعتاد.
2. قيمة التواضع: القوي من يعرف حدود قوته، ولا يتكبر على غيره.
3. قيمة التريث: لا تندفع إلى الحرب. الحرب خراب، والسلم بناء.
4. قيمة تحمل المسؤولية: القائد يقرر بنفسه، ولا يحمل غيره تبعه قراره.
5. قيمة التشاور الناقد: استشر، لكن لا تخضع لضغوط المستشارين. كن ناقدًا لأرائهم.
6. قيمة عدم الغرور: الغرور بالمال والجاه والجيش هو بداية السقوط.

الأمر السادس

الأبعاد المختلفة) تربوية، نفسية، سياسية، عسكرية، تنمية)

أولاً: البعد التربوي

- . تعليم الأبناء التواضع: لا تعلمهم أن يفخروا بقوتهم أو مالهم. علمهم أن القوة الحقيقية في الأخلاق والعلم والتواضع.
- . تعليمهم التشاور الناقد: إذا تشاورت مع أبنائك في أمر، لا تقبل رأيهم لمجرد أنه من البطانة. قيمه، وانظر إلى عواقبه.
- . تنبيههم من خطر الأصدقاء المغررين: بعض الأصدقاء يزينون للشباب القوة والتهور. علمه أن يكون مثل بلقيس، لا مثل بطانتها.

ثانياً: البعد النفسي

- . علاج الغرور: تذكر أن قوتك محدودة، وأن هناك من هو أقوى منك. الله هو القوي العزيز. كلما شعرت بالغرور، تذكر سليمان وقوته، وتواضعه.
- . فهم نفسية البطانة: لا تثق في كل من حولك. بعضهم يزين لك الشر لمصلحته الخاصة. تعلم قراءة النوايا.
- . علاج الخوف من الظهور بمظهر الضعيف: لا تخف من اتخاذ قرار سلمي خوفاً من أن يقال عنك جبان. بلقيس اتخذت قراراً سلمياً، وكانت حكيمة.

ثالثاً: البعد السياسي

- . أيها الحاكم: لا تكن أسير بطانتك. شكل مجلس شوري متنوعاً، ولا تسمح لتيار واحد أن يسيطر عليك. استمع للجميع، ثم قرر.
- . أيها الوزير: كن صادقاً مع حاكمك. لا تزين له الحرب لمصالحك الشخصية. قل له "نحن أقوياء، لكن هناك أقوى منا، والحرب قد تكون خسارة".
- . أيها المواطن: انظر إلى من يحيطون بحكامك. هم مؤشر على صلاح الحاكم أو فساده. إذا كانت بطانته من المغرورين المتكبرين، فاحذر.

رابعاً: البعد العسكري والاستراتيجي

- . القائد العسكري: لا تظن أن قوتك المادية كافية. العنصر المعنوي) الحكمة، الإرادة، الدعم الشعبي، الإيمان (قد يكون أهم. لا تغتر بعدد جنودك.
- . الغرور بالعتاد: هو الذي أهلك جيوشاً عظيمة في التاريخ. ادرس التاريخ: جيش فرعون، جيش أبرهة، جيش نابليون في روسيا، جيش هتلر. كلهم اغتروا بقوتهم فانهاروا.
- . الاستخبارات: أعرف نقاط قوة عدوك وضعفه. بطانة بلقيس لم تذكر سليمان، لأنها لا تعرفه. هذا جهل استراتيجي.

خامساً: البعد التنموي والحضاري

- . الأمة التي تغتر بقوتها المادية: تتجه إلى التسلح، وإهمال التعليم والصحة والبنية التحتية، ثم تنهار من الداخل قبل أن يهاجمها عدو من الخارج.
- . الأمة التي توازن بين القوة والحكمة: هي التي تستمر وتتطور. بلقيس اختارت الحكمة، فحفظت مملكتها) حتى جاءها سليمان بالحق فأسلمت).
- . التنمية المستدامة: تحتاج إلى قوة مادية، لكن بدون غرور، وبدون إهمال للقيم الإنسانية.

الأمر السابع

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي؟

في القيادة والإدارة:

- . إذا كنت مديراً، وشاورت فريقك: لا تنخدع بقولهم "نحن أقوياء، نستطيع منافسة الشركات الكبرى". حلل الواقع: هل لديكم الموارد الحقيقية؟ ما هي نقاط ضعفكم؟ ما هي قوة المنافس؟ قد تحتاج إلى تحالفات أو سلم مؤقت أو تطوير داخلي قبل المواجهة.
- . إذا كنت مديراً، ولديك بطانة من المغرورين: غيرهم. أشرك معك مستشارين حكما، يعرفون نقاط ضعفكم كما يعرفون نقاط قوتكم.
- . إذا كنت موظفاً، ومديرك يغتر بقوته: لا تزين له الغرور. كن صريحاً معه) بأدب، وذكره بالمخاطر.

في الحياة الشخصية:

- . عندما يغريك أصدقاؤك برد فعل قوي على إهانة: تذكر بطانة بلقيس. لا تندفع إلى "حرب" كلامية أو جسدية. فكر في العواقب: هل ستكسب أم ستخسر؟ هل يمكنك حل الأمور دبلوماسياً؟
- . عندما تشعر بأنك قوي: تذكر أن الله هو القوي. لا تغتر بعضلاتك، بمالك، بمنصبك، بذكائك. كل هذه أمانة ستسأل عنها.

في التربية والتعليم:

- . إذا قال ابنك "أنا أقوى من زملائي": علمه أن القوة ليست فقط عضلات، بل أخلاق وعلم وحكمة. احك له قصة بلقيس وبطانتها.
- . إذا قال ابنك "أصدقاؤني يقولون لي إني قوي": علمه ألا ينخدع بكلام أصدقائه. قل له: "تأكد بنفسك، وفكر في العواقب".

في المجتمع:

- . إذا كنت في مجلس شوري أو جمعية: لا تكن من الذين يدفعون إلى التصعيد والصراع. كن صوت الحكمة. قل "نحن أقوياء، لكن لنفكر في الحلول السلمية أولاً".
- الامر الثامن**
ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن، في هذه اللحظة؟

- أيها القائد في بيتك، في عملك، في مجتمعك، أيها الإنسان الذي يحيط به أناس يزينون له القوة، توقف. انظر إلى من حولك. هل هم بطانة صالحة أم بطانة فاسدة؟ هل يذكرونك بقوتك ليدفعوك إلى المغامرة، أم يذكرونك بالله وبالعواقب؟

اسأل نفسك:

- . من هم مستشاروك؟ هل يخافون على مصلحتك أم على مصلحتهم؟
- . هل تغتر بقوتك المادية؟ هل تظن أن مالك أو جاهك أو ذكائك يحميك من كل شيء؟
- . هل تندفع إلى الصراعات بسرعة؟ أم تتروي وتفكر في العواقب؟
- . هل تسمع كلمة "نحن أقوياء" من حولك فتشعر بالنشوة؟ احذر. هذه النشوة قد تكون بداية السقوط.

تذكر بلقيس: هي كانت ملكة، ولها جيش قوي، ولها بطانة قوية. لكنها لم تنخدع. قالت "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها". أي أن الحرب ليست مجرد استعراض قوة، بل هي خراب ودمار وموت. فكر قبل أن تحارب.

تذكر سليمان: هو كان أقوى منها بكثير، لكنه لم يهاجم فوراً. أرسل كتاباً، ثم انتظر الرد، ثم استخبر، ثم خطط. القوي الحقيقي من يملك القوة ولا يستخدمها إلا عند الضرورة، وبعد تثبت وحكمة.

الفرق بين القائد الناجح والقائد الفاشل:

- . الفاشل: ينخدع ببطانته، ويغتر بقوته، ويندفع إلى الحرب، ويهلك.
- . الناجح: يستمع لبطانته، لكنه لا ينخدع، ويعرف حدود قوته، ويختار السلم إذا كان خيراً، والحرب إذا اضطر إليها.

عاهد الله اليوم:

1. ألا تغتر بقوتك المادية أبداً. تذكر أن كل شيء من الله، وهو القادر على سلبه في لحظة.
2. أن تنظر إلى بطانتك بعين ناقدة. لا تثق في كل من يزين لك القوة. اختبر آراءهم، وانظر إلى مصالحتهم الخفية.
3. أن تتفكر في عاقبة الأمور قبل أن تندفع إلى أي صراع. اسأل نفسك: "ما هي الخسائر؟ ما هي المكاسب؟ هل هناك طريق آخر؟"
4. أن تجعل الحكمة والتريث عنوان قراراتك. لا تسمح لأحد أن يستفزك أو يجرك إلى حرب وأنت غير مستعد.
5. أن تتعلم من قصة بلقيس وبطانتها: القوة الحقيقية في العقل، وليس في العضلات.

المبحث الثالث

ترسم الايه لنا صوره رائعه للقائد الحكيم الذي يزن الكلمة قبل أن يطلقها، صورة الدبلوماسي الذي يرى في الهدية رسالة أعمق مما تحمله، صورة الإنسان الذي يختار العقل على الاندفاع قال تعالى (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلهما اذله... الخ .

لقد انتهينا من مشهد البطانة التي افتخرت بقوتها العسكرية، ودفعت نحو الحرب. والآن يأتي دور الملكة الحكيمة. هي لم تصرخ، لم تغضب، لم تقل "سحارب". وقفت بهدوء القائد الواعي، وحللت الموقف بعقلية استراتيجية نادرة.

قالت: "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَقْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَتهَ أَهْلَهَا أَذْنَةً". هذه الجملة هي خلاصة تجربة سياسية عميقة. إنها تفضح حقيقة الحروب: أنها ليست مجرد معارك، بل هي فساد ودمار وإذلال. لم تقل "سليمان سيهزمننا"، بل قالت "الملوك إذا دخلوا أفسدوا". هذا تحليل موضوعي، ليس عاطفياً. إنها تدرس طباع الملوك، لا طباع سليمان فقط.

ثم قالت: "وَإِتي مُرْسِلَةً إِلَيْهمْ بِهِدِيَةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ". هذا هو القرار الدبلوماسي الذكي. لم ترفض الدعوة، ولم تقبلها تحت الضغط. أرسلت هدية لتختبر: هل سليمان طماع يريد المال، أم نبي يريد الإيمان؟ هدية تليق بملك، وتراقب الرد.

هذه الآيات هي مدرسة في القيادة، وفي الدبلوماسية، وفي علم النفس السياسي. تعلمنا كيف يكون القائد الناجح: لا يندفع ببطانته، يرى أبعد مما يرون، يختار الحلول السلمية قبل الحروب، ويفهم أن القوة الحقيقية تكمن في العقل، وليس في استعراض العضلات.

تعال... نرى كيف تدير ملكة حكيمة أزمة كبرى بكل هدوء واحترام، وكيف نطبق نحن هذه المبادئ في حياتنا وقيادتنا.

الايه الرابعه والثلاثون: (قالت إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَقْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَتهَ أَهْلَهَا أَذْنَةً ۗ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)

أولاً: {قالت إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَقْسَدُوهَا...} تحليل طباع الحكام وفضح حقيقة الحرب

"قالت": بلقيس، الملكة الحكيمة، تتحدث الآن. لم تقل "سليمان سيفعل كذا"، بل تحدثت بعمومية: "إن الملوك". هذا تحليل سياسي عام، ليس رد فعل شخصي.

"إِنَّ الْمُلُوكَ": جملة اسمية مؤكدة بـ "إن"، تفيد أن هذه قاعدة ثابتة في سلوك الملوك عبر التاريخ. هي لا تتهم سليمان شخصياً بالفساد، بل تضع قاعدة: الملوك أي الحكام الطامعين، الذين لا يرسلون رسائل سلام بل يشنون حروباً (لهم طباع معينة).

"إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً": الدخول هنا هو دخول الغزو والاحتلال، وليس دخول الزيارة أو المرور. إنه دخول القوة المسلحة التي تريد السيطرة.

"أَقْسَدُوهَا": أهلكتها، خربوها، قلبوا نظامها، قتلوا أبناءها، نهبوا خيراتها. هذا هو الأثر الطبيعي للحروب: الفساد. الحرب ليست بطولات فقط، بل هي دمار شامل.

اللمسة البلاغية: كلمة "أَقْسَدُوهَا" فيها فاء، وسين، ودال، وواو، وهاء، وألف مد. الفاء والقوة، والسين و الهمس، والدال والقوة. تعطي إحساساً بالخراب الشامل. والوقف على "أَقْسَدُوهَا" يترك في النفس أثراً من الرعب من ويلات الحرب.

الذي نتعلم من هذه العبارة للقاده؟

. لا تتخضع بطانة السوء: بطانة بلقيس قالت "نحن أولو قوة". هم نظروا إلى القوة المادية فقط . بلقيس نظرت إلى النتائج . الحرب مهما كانت قوتك فيها، فهي فساد ودمار .القائد الحقيقي يرى أبعد من الغنائم المباشرة.
. افهم طبيعة الصراع: بلقيس حلت "طباع الملوك" وليس شخص سليمان فقط .أي أنها فهمت أن الحروب لها قوانين ثابتة، لا تتغير بتغير الأشخاص .من يظن أنه يستطيع التحكم في نتائج الحرب فهو واهم.

ثانياً: {وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلَهَا أَذْةً...}{الجانب النفسي والاجتماعي للهزيمة

"وَجَعَلُوا": الفعل يدل على التحويل والتغيير القسري.

"أعزة أهلها": أي الكرام، الشرفاء، القادة، الأغنياء، أصحاب المكانة .الحرب لا تسوي بين الجميع، بل تستهدف الأعزة أولاً ، لأن إذلالم يعني إذلال الأمة كلها.

"أذلة": صيروهم أذلة، بعد أن كانوا أعزة .هذا هو هدف الاحتلال: كسر الكرامة، وسحق الهوية، وتحويل النخب إلى تابعين.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "أعزة" فيها همزة، وعين، وزاي مشددة، وتاء .العين والزاي يعطيان إحساساً بالعزة والمنعة .ثم "أذلة" فيها ألف، وذال، ولام، وتاء .الذال من حروف اللثوي، تعطي إحساساً بالضعف والهوان .هذا التناقض اللفظي) أعزة/أذلة (يخلق صورة مرعبة في الذهن.

الدرس: القائد الحقيقي لا يخاف فقط على جنوده، بل يخاف على كرامة أمته .الحرب ليست مجرد خسائر مادية، بل هي إذلال قد يستمر لأجيال.

ثالثاً: {وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ...}{التوكيد على أن هذه سنة ثابتة

"وَكَذَلِكَ": الكاف للتشبيه، و"ذلك" إشارة إلى ما سبق .أي ومثل ذلك الفعل السيئ يفعلون.

"يَفْعَلُونَ": فعل مضارع، يدل على الاستمرار والتجدد .أي أن هذه ليست حادثة عابرة، بل هي سنة مطردة في الملوك الغزاة .كلما دخلوا قرية، فعلوا هذا.

اللمسة البلاغية: جملة "وكذلك يفعلون" موجزة، لكنها تحمل في طياتها كل التاريخ الدموي للحروب . هي اختصار لألم الإنسانية.

الدرس: القائد الذي يعرف التاريخ لا يكرر أخطاءه .بلقيس درست طباع الملوك، فاستطاعت أن تتنبأ بـ النتائج .القائد الناجح يتعلم من تاريخ الآخرين، ولا يظن أن حالته استثناء.
الايه 35: {وَإِنِّي مَرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}

اولاً: {وَإِنِّي مَرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ...} الدبلوماسية قبل الحرب

"وَإِنِّي مَرْسِلَةٌ": لم تقل "سأرسل جيشاً"، بل "مرسلة بهديّة" .اختارت لغة السلم والكرم . "إنني" تأكيد للقرار.

"إليهم": إلى سليمان وقومه .هي ترسل الهدية إلى القائد الأعلى، وهذا من حسن الأدب.

"بهديّة": هدية، وليست جزية .الفرق كبير .الجزية تأتي بعد الهزيمة، وتعني الخضوع .الهدية تأتي بين متكافئين، وتعني استكشاف النوايا وتقدير المقام.

لماذا الهدية؟ لأن بلقيس تريد أن تختبر: هل سليمان ملك طماع يأخذ الهدية ويرضى، أم نبي يريد الإيمان والطاعة لله؟ الهدية هنا أداة استخباراتية ودبلوماسية في آن واحد.

اللمسة البلاغية: "بهديّة" نكرة في سياق الإثبات، تفيد التعظيم .أي هدية عظيمة تليق بملك عظيم.

ثانياً: {فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ...}{المراقبة والتحليل الاستراتيجي

"فَنَاظِرَةٌ": أي سأنتظر، سأراقب، سأتحري. لم تقل "سأقبل ما يقولون" أو "سأنفذ"، بل "ناظرة". أي أنا في حالة ترقب وتحليل.

"بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ": ماذا سيكون جواب الرسل؟ ماذا سيفعل سليمان بالهدية؟ هل سيقبلها؟ هل سيردها؟ هل سيزداد طمعاً؟ هل سيرسل جيشاً؟

اللمسة البلاغية والتجويدية: "فَنَاظِرَةٌ" فيها نون، وطاء، وراء. الظاء من حروف الإطباق، تعطي إحساساً بالدقة والفحص العميق. "يَرْجِعُ" فيها راء مفخمة، وجيم، وعين. "الْمُرْسَلُونَ" فيها لام، وميم، وراء، وسين، ولام، وواو، ونون. المد في الواو يعطي إحساساً بالانتظار الطويل والترقب.

الدرس: القائد الناجح لا يتخذ قراراً نهائياً بسرعة. يرسل رسائل، ويهدي هدايا، ويرسل رسلاً، ثم ينتظر ويراقب ويرى رد الفعل. هذه هي إدارة الأزمات.

**أهم المواضيع والقضايا والأمور التي سوف نتطرق إليها بمناسبة تدبر هذه الآيات
الأمر الأول**

مواصفات القائد الناجح من خلال رد بلقيس

بلقيس هنا تقدم لنا نموذجاً للقائد الذي لا يندفع ببطانة السوء. دعنا نستخلص هذه المواصفات:

1. الهدوء وعدم الاندفاع:

بطانته قالت "نحن أولو قوة"، ودفعت نحو الحرب. لكنها لم تصرخ، لم تقل "اصمتوا". بل هدأت، فكرت، ثم قالت كلمتها. القائد الناجح لا يتخذ قراراً وهو غاضب أو خائف.

2. التحليل الموضوعي لا العاطفي:

لم تقل "سليمان شرير" أو "سليمان طماع". قالت "إن الملوك إذا دخلوا أفسدوا". هذا تحليل عام مبني على دراسة التاريخ وطبائع الحكام. القائد الناجح ينظر إلى الأنماط، لا إلى الحالات الفردية.

3. النظر إلى العواقب البعيدة:

هي لم ترَ فقط المعركة القادمة، بل رأت ما بعدها: فساد البلاد، وإذلال الأعزة. القائد الناجح لا يفكر في الانتصار فقط، بل في تكلفة الانتصار.

4. عدم الخوف من الظهور بمظهر الضعيف:

لو كانت ضعيفة، لاندفعت إلى الحرب خوفاً من أن يقال عنها جبانة. لكنها لم تهتم بالصورة أمام قومها. اهتمت بالنتيجة الحقيقية. القائد الناجح لا يخاف من أن يسمى "دبلوماسياً" أو "مسالماً" إذا كان ذلك في مصلحة وطنه.

5. استخدام الدبلوماسية كأداة استراتيجية:

لم ترسل جيشاً، بل أرسلت هدية. لم تستسلم، بل اختبرت. الدبلوماسية ليست ضعفاً، بل هي فن استخدام الكلمات والهدايا والرسائل لتحقيق أهداف لا تستطيع الحروب تحقيقها.

6. القدرة على انتظار الرد وتحليله:

"فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ". القائد الناجح لا يتسرع. يرسل، ثم ينتظر، ثم يحلل، ثم يقرر. كل مرحلة لها وقتها.

الأمر الثاني

أهمية الدبلوماسية والسياسة لتجنب المصائب

هذه الآيات تقدم لنا درساً خالداً في فن الدبلوماسية الوقائية. الدبلوماسية ليست مجرد تبادل سفارات، بل هي:

1. وسيلة لتجنب الحرب:

الحرب هي الفساد والإذلال. الدبلوماسية هي محاولة تجنب هذا الفساد. بلقيس أرسلت هدية لتعرف: هل هناك مجال للتفاهم؟ هل سليمان يريد حرباً أم سلاماً؟ لو أراد حرباً، لكان الهدية لن تمنعه، لكنها ستكشف نيته.

2. وسيلة لكشف نوايا الخصم:

الهدية اختبار. كيف يتعامل سليمان معها؟ هل يقبلها فيسقط من عين الله؟ هل يردها فيعلن أنه لا يريد مالا؟ بل إيماناً؟ هذا يعطي بلقيس معلومات استخباراتية قيمة دون أن تخسر جندياً واحداً.

3. وسيلة لكسب الوقت والاستعداد:

بينما ترسل الهدية وتنتظر الرد، يمكنها أن تستعد عسكرياً إذا لزم الأمر. لكنها لا تعلن الحرب قبل أن تستنفذ كل السبل السلمية.

4. وسيلة للحفاظ على الكرامة:

إرسال هدية) وليس جزية (يحفظ كرامة المملكة. هي لم تخضع، بل بادلت كرماً بكرم. الدبلوماسية الناجحة تحفظ ماء الوجه للجميع.

تطبيق على واقعنا: كم من صراعات كان يمكن تجنبها لو أرسل الطرفان هدية قبل أن يرسل الجيوش؟ كم من حروب نشبت بسبب سوء فهم أو كبرياء زائد؟ بلقيس تعلمنا أن نمد يد السلم قبل أن نمد يد الحرب.

الامر الثالث

العلاقة بين هذه الآيات وما قبلها وما بعدها

. ما قبلها) الآية(33 : البطانة تفتخر بقوتها وتدفع للحرب.
. هاتان الآيتان(34) -(35): بلقيس ترد بحكمة: تحلل طباع الملوك، وتختار الدبلوماسية.
. ما بعدها) الآيات36 -(37): سليمان سيرد على الهدية، ويرسل رسالة حاسمة: "أتمدوني بمال؟ فما أتاني الله خير مما أتاكم".

إذن، بلقيس نجحت في كسب وقت، وفي اختبار نوايا سليمان، وفي تجنب حرب خاسرة في الوقت الحالي. لكنها لم تمنع الحق، لأن سليمان سيدعوها للإسلام في النهاية.

الامر الرابع

المواضيع والمفاهيم الرئيسية

1. تحليل طباع الحكام: "إن الملوك إذا دخلوا أفسدا".
2. حقيقة الحرب: فساد وإذلال، وليست بطولات فقط.
3. الدبلوماسية قبل الحرب: إرسال الهدية كأداة اختبار واستطلاع.
4. عدم الانخداع بالبطانة: القائد يرى أبعد من مستشاريه.
5. الصبر والترقب: "فناظرة بم يرجع المرسلون".
6. الحفاظ على الكرامة: هدية لا جزية.

الامر الخامس

القيم التي تفرسها هذه الآيات

1. قيمة الحكمة: التروي قبل القرار.
2. قيمة الدبلوماسية: السلم خيار استراتيجي.
3. قيمة التحليل الموضوعي: دراسة التاريخ قبل اتخاذ القرار.
4. قيمة الشجاعة في السلم: لا تخف من أن تكون مسالماً.
5. قيمة الصبر: انتظار النتائج قبل الحكم.
6. قيمة الكرامة: لا تذل نفسك، لكن لا تندفع إلى الحرب.

الامر السادس

الأبعاد المختلفة

أولاً: البعد التربوي

. علم أولادك: قبل أن تتصارع مع أخيك، حاول أن تتفاهم. أرسل له هدية، أو كلمة طيبة، وانظر كيف

يرد لا تندفع إلى القتال فوراً.
· علمهم أن القوة ليست في العضلات فقط: بل في العقل والقدرة على حل المشاكل سلمياً.

ثانياً: البعد النفسي

· علاج الاندفاع: قبل أن تتخذ قراراً مصيرياً، خذ نفساً عميقاً، وفكر في العواقب. ماذا سيحدث إذا اندفعت إلى "الحرب" (أي الصراع)؟ هل ستكسب أم ستخسر؟
· علاج الخوف من الضعف: لا تخف من أن يظن الناس أنك ضعيف إذا اخترت السلم. القوي الحقيقي من يختار السلم حين يكون خيراً.

ثالثاً: البعد السياسي والدبلوماسي

· أيها الحاكم: هذه الآيات دستورك. لا تندفع إلى الحرب. أرسل رسائل، وهدايا، ووفوداً. اختر نوايا خصمك. استخدم الدبلوماسية قبل أن تستخدم الجيوش.
· أيها الدبلوماسي: الهدية ليست مجرد مال، بل هي رسالة. اختر هديتك بعناية. وانتظر الرد بعناية.

رابعاً: البعد العسكري والاستراتيجي

· أيها القائد العسكري: لا تظن أن الحرب هي الحل الوحيد. في كثير من الأحيان، هدية ذكية تحقق ما لا تحققه جيوش. استنفد كل السبل السلمية قبل أن تشن هجوماً.
· الاستخبارات: الهدية أداة استخباراتية ممتازة. راقب كيف يتعامل الخصم معها. ماذا سيفعل؟ هذا يعطيك معلومات عن شخصيته ونواياه.

خامساً: البعد التنموي والحضاري

· الأمة التي تتجنب الحروب: تنمو وتزدهر. الأمة التي تندفع إلى الحروب تنهار. بلقيس أرادت أن تحمي مملكتها من الدمار. القائد الحكيم يضع التنمية والسلام هدفاً، لا الحرب والمجد الوهمي.

الامر السابع

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي؟

في القيادة والإدارة:

· إذا كنت مديراً، وجاءك تقرير عن مشكلة مع شركة منافسة: لا تندفع إلى مقاضاتهم أو حرب إعلانية. أرسل لهم رسالة ودية أو هدية رمزية، وانتظر رد فعلهم. قد تكتشف أنهم مستعدون للتعاون.
· إذا كان فريقك منقسماً: لا تصرخ فيهم. اجمعهم، واسألهم بهدوء. ثم أرسل "هدية" معنوية) تقدير، مكافأة (لتهدئة النفوس. ثم انظر كيف يتفاعلون.

في الحياة الشخصية:

· إذا حدث خلاف بينك وبين صديق: لا تقاطعه. أرسل له هدية بسيطة) كتاب، حلوى، رسالة لطيفة). وانظر كيف سيرد. قد تعود المحبة أسرع من أن تذهب إليه بجيش من الكلمات النارية.
· إذا اختلفت مع زوجتك: لا تبدأ بالصراخ. أرسل لها وردة، أو اطبخ لها طعامها المفضل) هدية). وانظر كيف سيتغير الموقف.

في السياسة والمجتمع:

· إذا كنت مسؤولاً عن منظمة أو نادٍ: قبل أن تتخذ قراراً مصيرياً) فصل عضو، حل نزاع)، حاول الوساطة. أرسل "هدية" معنوية) كلمة تقدير، فرصة للحديث. (ثم انتظر رد الفعل.

الامر الثامن

ما الذي تدعوك إليه هاتان الآيتان الآن؟

أيها القائد في بيتك، في عملك، في مجتمعك، أيها الإنسان الذي يحيط به أناس يدفعونك إلى الصراع ،

توقف. لا تندفع. قبل أن تشن حربك) كلامية، قانونية، جسدية)، تذكر بلقيس. هي كانت ملكة، ولها جيش، ولها بطانة تدفعها للحرب. لكنها اختارت الحكمة.

اسأل نفسك:

- . هل فكرت في عواقب الصراع؟ ماذا سيحدث إذا دخلت هذه "الحرب"؟ هل ستخسر كرامتك؟ هل ستخسر أصدقاءك؟ هل ستخسر وقتك وجهدك ومالك؟
- . هل هناك وسيلة دبلوماسية لتجنب هذه الحرب؟ هل يمكنك إرسال "هدية"؟ كلمة طيبة، اعتذار، عرض مصالحة، مساعدة بسيطة؟
- . هل أنت منخدع ببطانة السوء؟ من هم الذين يزينون لك القتال؟ هل هم يريدون مصلحتك أم مصلحتهم؟

تذكر: "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها". الحرب ليست بطولة، بل هي فساد ودمار وإنزال. اختار السلم إذا استطعت، واختار الدبلوماسية قبل أن تختار السيف.

عاهد الله اليوم:

1. أن تتفكر في عواقب أي صراع قبل أن تخوضه.
 2. أن تجعل الدبلوماسية والحوار أول خياراتك، والحرب آخرها.
 3. ألا تنخدع بمن يزين لك القوة والاندفاع.
 4. أن تتعلم من بلقيس: الحكمة، والتحليل، والصبر.
 5. أن تكون قائداً مسالماً، لا قائداً حربياً.
- اللهم إنا نسألك حكمة بلقيس في تحليل الأمور، ودبلوماسية في تجنب الشرور، وصبرها في انتظار النتائج. اللهم اجعلنا من القادة الذين يبنون ولا يهدمون، ويسالمون قبل أن يحاربوا، ويصلحون قبل أن يفسدوا. اللهم ألهمنا رشدنا، وقنا شر أنفسنا وشر بطانة السوء، واجعلنا من عبادك الصالحين.

المبحث الثالث

أهلاً بك أيها الداعية الذي يرفض أن يباع دينه بمال، أيها القائد الذي يعرف أن كرامته أعلى من الذهب، أيها الإنسان الذي يمتحن بالمال فلا يفتنه.

لقد أرسلت بلقيس هديتها إلى سليمان. لم ترسل جيشاً، بل أرسلت مالا. كانت تختبر: هل سليمان ملك طماع يريد المال، أم نبي يريد الإيمان؟ هل سيدفعته الهدية إلى التراجع عن دعوته، أم سيبقى ثابتاً؟ الهدية هنا ليست مجرد هدايا، بل هي اختبار لصدق الداعية، ورشوة مقنعة للتخلي عن المبدأ.

والآن، يأتي رد سليمان. لم يفرح بالمال، ولم يخدعه بريق الذهب. بل غضب واستنكر. قال: "أتمدون بمال فما أتاني الله خيراً مما آتاكم". هذا هو المنطق الإيماني: ما عند الله خير وأبقى. ثم هددهم برداً أشد: "ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون".

هذه الآيات هي صرخة في وجه كل من يظن أن المال يشتري الضمائر، وفي وجه كل داعية يبيع دينه بعرض الدنيا. سليمان لم يقبل الهدية، لا لأنه يريد أكثر منها، بل لأنه يريد شيئاً لا تشتريه الهدايا: الإيمان والطاعة لله.

تعال... نرى كيف يدافع نبي الله عن عقيدته، وكيف نتعلم منه ألا نبيع مبادئنا مهما كانت المغريات. **الآية السادسة والثلاثون:** (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ اللَّهِ حَيْزًا مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ)

أولاً: (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ... (وصول الهدية إلى أعظم ملك

"فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ": أي جاء رسل بلقيس بالهدية إلى حضرته. المشهد مهيب: رسل مملكة عظيمة يحملون الذهب والجواهر إلى أعظم ملك على وجه الأرض. يتوقعون أنه سيبتهج، سيفرح، سيقبل الهدية، وربما يتراجع عن دعوته.

"جَاءَ سُلَيْمَانَ": الفعل "جاء" يدل على أن الهدية وصلت إليه شخصياً، وأنه استقبلها بنفسه. لم يكل إلى غيره. وهو في قمة ملكه وسلطانه.

ثانياً: (قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ... (الاستنكار والتعجب من محاولة الرشوة

"قَالَ": سليمان هو المتحدث. لم يصمت، لم يتردد، لم ينظر إلى الهدية بإعجاب. بل نطق فوراً بكلمات الاستنكار.

"أتمدوتن بمال": الهمزة للاستفهام الإنكاري. أي أظنون أن المال يمدني ويزيد من قوتي؟ "تمدونني" من المد، وهو الإعطاء والإضافة. كأنهم يريدون أن يزدوا من ملكه وقوته بالمال. وهو يستنكر: هل تظنون أنني محتاج إلى أموالكم؟!

اللمسة البلاغية والتجويدية: "أتمدوتن" فيها همزة استفهام، وتاء، ودال، وواو، ونون، ونون، وياء. الميم المشددة والمد في الواو تعطي إحساساً بالاستغراب والاستنكار الشديد. كأنه يقول: "أحقاً تفعلون هذا؟ أظنونني مثل ملوك الدنيا؟"

ما معنى هذا الاستنكار؟

سليمان يريد أن يقول: المال ليس هو مقياس قوتي. أنا لا أحتاج إلى أموالكم. قوتي من الله، وتسخيره للريح والجن، وملكي العظيم. فأموالكم لا تساوي شيئاً عندي. وهذا هو أول درس: الداعية لا يحتاج إلى أموال المدعين ليستقوي بها، بل قوته بالله وبما آتاه الله من علم وإيمان.

ثالثاً: {فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ...} المقارنة بين العطاء الإلهي والعطاء البشري

"فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ": الله هو الذي أعطاني. كل ما عندي من ملك ونبوة وتسخير وعلم فهو من فضل الله. لم آخذه من أحد، ولم أشتريه بمال.

"خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ": ما أعطانيه الله خير مما أعطاكم أنتم. كيف؟ لأنه:

- . عطاء الله دائم لا ينقطع، وعطاؤكم فان.
- . عطاء الله مبارك، وعطاؤكم قد يكون حراماً.
- . عطاء الله يشمل الدنيا والآخرة، وعطاؤكم دنيا فقط.
- . عطاء الله يجعلني غنياً عنكم، وعطاؤكم يجعلكم فقراء إليّ.

اللمسة البلاغية: قدم "ما آتان الله" على "ما آتاكم" للاهتمام بالعطاء الإلهي. ثم قال "خير" وهي صيغة تفضيل، تفيد أن الفرق شاسع، ليس مجرد تساو.

الدرس العظيم: الداعية الذي عرف الله حق المعرفة، لا يستطيع أحد أن يشتريه بالمال. لأنه يرى أن ما عند الله خير وأبقى. المال مهما كثر، لا يساوي جناح بعوضة في ميزان الآخرة.

رابعاً: {بَلْ أَنْتُمْ بَهْدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ...} الفرق بين المؤمن والطامع

"بَلْ": للإضراب والإبطال. أي ليس الأمر كما تظنون، بل أنتم الذين تفرحون بهذه الهدايا التافهة.

"أَنْتُمْ بَهْدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ": أنتم، أيها الملوك الطامعون، الذين تلهيكم أموال الدنيا. أما أنا فلا يفرحني إلا رضا الله وإيمان الناس.

اللمسة البلاغية: قدم "أنتم" للاختصاص والحصر. أي أنتم وحدكم من يفرح بالهدية، أما أنا فلا. "تَفْرَحُونَ" فعل مضارع يدل على أن الفرحة بالمال صفة راسخة فيهم.

الدرس: المؤمن الحقيقي لا يفرح بالمال فرح الطامعين. فرحه بطاعة الله، وبنصرة دينه، وبهداية الناس. المال عنده وسيلة، وليس غاية.

الآية السابعة والثلاثون: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ن)

أولاً: {ارْجِعْ إِلَيْهِمْ...} (رد الهدية وقطع الطريق على الرشوة)

"ارْجِعْ إِلَيْهِمْ": سليمان يأمر رسله) أو الهدهد نفسه (أن يرجعوا بالهدية إلى بلقيس وقومها. لم يقبلها، بل ردها بكل حسم. هذا هو الموقف الحقيقي للداعية: لا نقبل الرشوة، ولا نتنازل عن المبدأ.

"إِلَيْهِمْ": أي إلى قوم سبأ، وإلى بلقيس. الرد بالهدية نفسها، دون أن يأخذ منها شيئاً.

ثانياً: {فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا...} (الردع العسكري لمن يظن أن المال يحل المشكلة

"فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ": اللام للتوكيد، والنون للتوكيد أيضاً. أي أقسم لأتينيهم. هذا تهديد حاسم.

"يَجْتَوِدُ لَهَا قَبْلَ لَهْمٍ بِهَا": جنود لا طاقة لهم بها، ولا قدرة لهم على مقاومتها. جنود من الإنس والجن والطير، مسخرة بأمر الله. قَبِلَ: أي طاقة وقدرة.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "لَا قَبْلَ" فيها لام، وألف، وقاف مفخمة، وباء، ولام. القاف واللام تعطي إحساساً بالثقل وعدم القدرة. "لَهْمٍ بِهَا" تعزيز للعجز.

الدرس: الداعية إذا صَدَّ عن دعوته، ولم تؤثر فيه الهدايا، ولم يرهبوه بالمال، فعليه أن يعلن قوته ب الله، وأن يهدد بالعقاب الدنيوي والأخروي لمن يستمر في الكبر والعناد. لكن هذه القوة تكون في يد الحاكم العادل، وليس في يد كل فرد.

ثالثاً: {وَلْتُخْرِجْنَهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ...} {إعلان النتيجة النهائية

"وَلْتُخْرِجْنَهُمْ": قسم وتوكيد أيضاً.

"مِنْهَا": من أرضهم، من مملكتهم، من عروشهم.

"أَذِلَّةً": حال. أي يخرجون من ديارهم وهم أذلاء، بعد أن كانوا أعزة. هذا هو الجزاء من جنس عملهم: طلبوا العزة بالمال والكفر، فأذلهم الله.

"وَهُمْ صَاغِرُونَ": الصاغر هو الذليل الحقيير المهان. زيادة في الإذلال. "صاغرون" من الصغار، وهو عكس الكبر. هم تكبروا، فصقرهم الله.

اللمسة البلاغية: الجمع بين "أذلة" و"صاغرون" للتوكيد والمبالغة. "وَهُمْ" جملة اسمية تدل على الثبوت. أي سيكونون صاغرين باستمرار.

الدرس: العاقبة للمتقين، والذل للكافرين المتكبرين. من يظن أن المال يشتري العزة، يخسر العزة والمال معاً. ومن يعزّب الله، لا يذل أبداً.

اهم المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس والامور التي سوف نقف عليها بمناسبة تدبر هذه الايات الامر الاول

خطر الرشوة ودورها في إفساد الحياة كما يصورها سليمان

سليمان هنا يفضح محاولة الرشوة التي أرسلتها بلقيس) بدون قصد سيئ منها، بل كانت اختباراً. (لكن المبدأ واحد: محاولة شراء الضمير بالمال.

1.تعريف الرشوة وأشكالها:

الرشوة هي إعطاء مال أو منفعة للتأثير على قرار شخص ما لصالح الراشي. قد تكون مالا، هدية، وظيفة، خدمة، أي شيء له قيمة.

2.لماذا رفض سليمان الهدية واعتبرها شكلاً من أشكال الرشوة؟

لأن الهدف من الهدية كان: أن يتراجع سليمان عن دعوته، أو يقبل وضعاً وسطاً، أو يرضى بالمال بدلاً من الإيمان. هذا هو عين الرشوة. سليمان استنكر: "أتمدونني بمال؟" أي أتريدون أن تشتروني؟

3.آثار الرشوة على الفرد والمجتمع كما يستنبط من رد سليمان:

- إفساد العقيدة: الرشوة تجعل الداعية يبيع دينه. سليمان رفض لأن عقيدته أعلى من كل شيء.
- إذلال النفس: من يقبل الرشوة يصبح عبداً لمن أعطاه. سليمان أبى أن يكون عبداً لأحد سوى الله.
- ظلم الناس: الرشوة تمنع الحق، وتنصر الباطل. القاضي المرتشي يظلم المظلوم. سليمان رفض أن يظلم أحداً.
- خراب المجتمع: المجتمعات التي تنتشر فيها الرشوة تنفشي فيها الفوضى والظلم والجريمة. الرشوة هي أم الفساد الإداري والمالي.
- غضب الله: الراشي والمرتشي في النار. سليمان يريد أن يرضي الله، لا أن يجمع المال الحرام.

4.التعفف عما في أيدي الناس: درس للدعاة والقادة

سليمان قال: "ما آتان الله خير مما آتاكم". هذا هو التعفف، وهو أن يستغني الإنسان بما أعطاه الله عن ما في أيدي الناس. صفات المتعفف:

- . لا يسأل الناس شيئاً.
- . إذا أعطي، لا يفرح كفرح الطامعين.
- . يرد الهدية إذا كانت قصدها التأثير على قراره.
- . يعلم أن رزقه من الله، وليس من الناس.
- . لا يبيع دينه بعرض الدنيا.

الدرس لكل داعية وقائد: لا تتخدع بالهدايا الكبيرة من الأغنياء وأصحاب النفوذ إذا كانت قصدها تغيير موقفك من الحق. كن كسليمان: "بل أنتم بهديتكم تفرحون". أنت تفرح بطاعة الله، هم يفرحون بالمال.

الأمر الثاني

العلاقة بين هاتين الآيتين وما قبلهما وما بعدهما

- . ما قبلهما (الآية 35): بلقيس تقرر إرسال هدية لتختبر نوايا سليمان.
- . هاتان الآيتان (36) - (37): سليمان يرد الهدية باستنكار، ويهدد بالجيش.
- . ما بعدهما (الآية 38) وما بعدها: سليمان يأمر بإحضار عرش بلقيس قبل أن تأتي هي، وهذا إظهار لقدرته الخارقة.

إذن، الهدية كانت اختباراً فشلت فيه بلقيس) من حيث أنها لم تعرف طبيعة سليمان، لكنها ستجح في الاختبار النهائي عندما تأتي مسلمة.

الأمر الثالث

المواضيع والمفاهيم الرئيسية

1. الرفض القاطع للرشوة: مهما كان مبلغها.
2. الثبات على المبدأ: عدم بيع العقيدة بالمال.
3. التعفف: الاستغناء بما أعطاه الله عن ما في أيدي الناس.
4. الاختبار بالمال: المال يمكن أن يكون فتنة وامتحاناً.
5. العزة بالله: لا بالمال ولا بالجاه.
6. الردع لمن يستكبر: القوة في يد الحاكم العادل لردع المعتدين.

الأمر الرابع

القيم التي تغرسها هاتان الآيتان

1. قيمة العزة بالإيمان: لا تذلل نفسك لأحد.
2. قيمة التعفف: لا تسأل الناس، ولا تفرح بهدية قد تكون رشوة.
3. قيمة الحسم: لا تتردد في رد الباطل.
4. قيمة التوكل: الله خير معطي.
5. قيمة العدل: الرشوة ظلم، ورفضها عدل.
6. قيمة الجهاد في سبيل الله: بالمال والنفس واللسان.

الأمر الخامس

الأبعاد المختلفة

أولاً: البعد التربوي

- . علم أولادك ألا يقبلوا هدايا غرضها التأثير عليهم: قل لهم: إذا أعطاك أحد حلوى ثم طلب منك أن تكذب أو تغش، فاردها. قل "ما عندي خير مما عندك".
- . علمهم أن الرزق من الله: لا من الناس. لا يحزنوا إذا لم يعطهم أحد.

ثانياً: البعد النفسي

- . علاج التعلق بالمال: تذكر أن ما عند الله خير وأبقى. المال يذهب، والأجر يبقى.
- . علاج الخوف من الفقر: من ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه.

ثالثاً: البعد السياسي والقيادي

- أيها الحاكم: لا تقبل هدايا قد تؤثر في حكمك. كن كسليمان: ارفض، وقل "ما آتاني الله خير".
- أيها القاضي: لا تقبل رشوة. الرشوة تذهب نور القضاء.
- أيها المسؤول: التعفف هو حصنك من الفساد.

رابعاً: البعد الدعوي

- أيها الداعية: لا تبيع دعوتك بمال أحد. لا تفرح بمال المدعين. كن حراً بالله.
- إذا أرسل إليك أغنياء بهدايا ليغيروا موقفك من الباطل، فارددها بكل شجاعة.

الامر السادس

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي؟

في علاقتك مع الله:

- إذا عرض عليك شخص مالا "مقابل أن تترك صلاة أو تصوم أو تترك معصية، فقل: "ما آتاني الله خير مما آتاك". لا تبع دينك.
- ادعُ الله أن يرزقك التعفف.

في عملك:

- إذا عرض عليك عميل هدية ثمينة مقابل تفضيله في صفقة، ارفضها. قل: "لست بحاجة إلى هديتك، أنا أمين في عملي".
- إذا كنت مديراً، وقدم لك موظف هدية قبل الترقية، فقل: "لا أقبل الهدايا، الترقية بالكفاءة فقط".

في حياتك الشخصية:

- إذا قدم لك صديق هدية ثم طلب منك أن تشهد له بباطل، فاردد الهدية. قل: "لا يمكن أن أخون الله من أجل هديتك".
- إذا كنت طالباً، وعرض عليك زميل مالا "مقابل أن تساعد في الغش، ارفض. قل: "ما آتاني الله من علم خير من مالك".

في المجتمع:

- طالب المسؤولين بمكافحة الرشوة. قل لهم: سليمان رفض الهدية، فلماذا تقبلونها أنتم؟

الامر السابع

ما الذي تدعوك إليه هاتان الآيتان الآن؟

أيها الداعية، أيها القائد، أيها الإنسان الذي يتعرض لامتحان المال،

تذكر سليمان. كان أعظم ملك، ومع ذلك رفض هدية مملكة بأكملها. لم يضعف، لم يتردد، لم يقل "سأقبلها ثم أدعوهم". قال: "ارجع إليهم". ردها فوراً.

اسأل نفسك:

- هل تبيع مبادئك مقابل مال؟ هل تقبل هدية تؤثر على قرارك؟ هل تقبل رشوة؟
- هل تظن أن ما عند الناس خير مما عند الله؟ أم أنك توقن أن رزقك من الله؟
- هل تفرح بالمال كفرح الطامعين؟ أم تفرح بطاعة الله ونصرة دينه؟

لا تكن ممن يفرح بهدية يريدون بها شراء دينه. كن كسليمان: "بل أنتم بهديتكم تفرحون". أنت حر، لا يشتريك أحد.

عاهد الله اليوم:

1. ألا تقبل أي هدية يشوبها شبهة تأثير على حكمك أو دينك.
2. أن تتعفف عما في أيدي الناس، وتتقنع بما آتاك الله.
3. أن ترد الرشوة بكل حسم، ولو كانت كبيرة.

4. أن تعلن أن عزةك بالله، لا بالمال.

5. أن تربي أبناءك على هذه القيم.

اللهم إنا نعوذ بك من الرشوة ومن أكل أموال الناس بالباطل. اللهم اجعلنا من المتعافين الذين لا يسألون الناس، ومن العزيزين بالإيمان، ومن الرادين لكل هدية قصدها إفساد ديننا. اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عن سواك، واجعلنا من عبادك الصالحين.

المبحث الخامس

نحن الآن على أعتاب مشهد من أغرب مشاهد التاريخ وأعظمها. لقد رد سليمان الهدية، وهدد بلقيس وقومه بالجيش الذي لا طاقة لهم به. ثم أعلن أنه سيأتي بعرشها قبل أن تأتي إليه. تخيل معي: عرش مملكة سبأ، ذلك العرش العظيم المرصع بالذهب والجواهر، الذي يبلغ طوله وارتفاعه وعظمته ما يذهل العقول. سليمان يريد أن يأتي به من اليمن إلى فلسطين، في لحظات، قبل أن ترجع بلقيس إلى قومها.

لماذا؟ لأنه يريد أن يُريها آية من آيات الله الكبرى. يريد أن يقول لها: "انظري، الذي يأتي بعرشك من مكان بعيد في طرفة عين، هو الذي يستحق العبادة، لا الشمس ولا غيرها". كما أنه يمتحنها: هل ستعرف عرشها؟ هل ستؤمن عندما تراه؟ هل ستدرك أن هذا من عند الله؟

في هذه الآيات الثلاث، نرى عجباً من العجب. عرض سليمان على حاشيته: من يستطيع أن يأتي بـ العرش قبل أن تأتي بلقيس مستسلمة؟ فتطوع عفريت من الجن، يقطع المسافة في لحظات. لكن هناك رجل عنده علم من الكتاب، آتاه الله العلم النافع، قال: "أنا أتيك به قبل أن يترد إليك طرفك". وفي طرفة عين، وجد العرش حاضراً أمام سليمان.

هذا المشهد يعلمنا أن العلم النافع والإيمان بالله أقوى من كل قوى الأرض. ويعلمنا أن لله جنوداً لا نراها، وأن من يتوكل على الله، يخرق له قوانين الزمان والمكان. وهو أيضاً درس في التواضع: سليمان، مع كل هذه القدرات، قال: "هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر". لم يغتر، بل نسب الفضل إلى الله.

تعال... نفوس في هذا البحر من العجائب، ونستخرج درر الحكمة والإيمان.
الآية 38 {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}

أولاً { قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ... } سليمان يستشير حاشيته

"قال": سليمان عليه السلام، بعد أن رد الهدية وقطع الطريق على الرشوة، يشرع في تنفيذ خطته لإظهار قدرة الله لبلقيس.

"يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ": ينادي حاشيته من الجن والإنس، أهل الرأي والقوة. هو يستشيرهم، لكنه أيضاً يعلم أن الأمر سيكون اختصاراً لهم: من يملك من الإيمان والعلم ما يمكنه من القيام بهذه المهمة؟

اللمسة البلاغية: النداء "يا أيها" فيه استنهاض للهمم. والمأل جمع، يدل على أن المخاطبين هم النخبة، أهل القدرات الخاصة.

ثانياً: { أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا... } طلب إحضار العرش

"أيكم": استفهام للتحدي والاختيار. يريد أن يرى من فيهم أقوى إيماناً وقدرة.

"يأتيني بعرشها": يأتي به، أي يحضره إلى مجلس سليمان. العرش هنا هو سرير الملكة، رمز سلطانتها. إحضاره يعني إظهار قدرة خارقة، وإثبات أن سليمان يملك ما لا تملكه.

"عرشها": إضافة العرش إليها، إشارة إلى أنها مالكة له، وهي التي تجلس عليه. إحضاره قبل مجيئها هو اختبار لها: هل ستعرفه عندما تراه؟

ثالثاً: { قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ... } الغاية والموعود

"قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ": أي قبل أن تأتي بلقيس وقومها إلي طائعين منقادين. سليمان يريد أن يريهم آية عظيمة قبل أن يأتوا طوعاً، ليكون ذلك دليلاً على صدق دعوته.

"مُسْلِمِينَ": حال، أي مسلمين لله، مستسلمين لأمره. ليست مجرد قدوم، بل قدوم مع الإيمان والطاعة. اللسة البلاغية والتجويدية: "يأتوني" فيها ياء، وألف، وتاء، وواو، ونون، وياء. المد في الواو يعطي إحساساً بالاستمرار والانتظار. "مُسْلِمِينَ" فيها ميم، وسين مهموسة، ولام، وميم، وياء مد، ونون. فيها إحياء بالاستسلام الطوعي.

الدرس: القائد الحكيم يخطط للمستقبل، ويحضر ما يحتاجه قبل وقوع الحدث. سليمان يريد أن يكون العرش حاضراً قبل مجيئهم ليكون دليلاً مادياً على قدرة الله. **الايه التاسع والثلاثون:** (قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ۗ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)

أولاً : { قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ الْجِنِّ ... } المتطوع الأول: القوة المادية

"قَالَ": بعد طلب سليمان، تقدم متطوع.

"عَفْرَيْتُ": العفريت هو القوي الشديد من الجن، المارد الذي يتمتع بقدرات خارقة. يقال: عفريت، أي مارد قوي خبيث. لكن هنا هو مسخر لسليمان، تحت إمرته.

"مَنْ الْجِنِّ": بيان لجنسه. هو من الجن، تلك المخلوقات التي سخرها الله لسليمان.

اللسمة البلاغية: نكرة "عَفْرَيْتُ" في سياق الإثبات، تفيد التعظيم. أي عفريت عظيم القوة.

ثانياً: { أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ... } (وعد سريع، لكن ليس الأسرع

"أَنَا آتِيكَ بِهِ": "أنا" ضمير المتكلم، يفيد التأكيد والاختصاص. هو يريد أن يثبت قدرته أمام سليمان و الملأ.

"قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ": أي قبل أن تنهض من مجلسك. هذا وقت قصير جداً، لكنه ليس لحظة، بل قد يكون ساعة أو جزءاً منها.

اللسمة البلاغية: قدم "أنا" على الخبر للاهتمام بالفاعل، وإظهار الثقة.

ثالثاً: { وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ... } صفات العفريت: القوة والأمانة

"وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ": اللام للتوكيد. أي أنا قوي على حمله ونقله. العفريت يمتلك قوة هائلة، لكنها قوة مادية.

"أَمِينٌ": لا أخون، لا أسرق، لا أكسر، سأحضره سليماً. هذه صفة الأمانة. حتى العفريت، مع قوته، يدرك أن الأمانة مطلوبة.

اللسمة البلاغية والتجويدية: "عَفْرَيْتُ" فيها عين مفخمة، وفاء، وراء، وياء مد، وتاء. تعطي إحساساً بالقوة والشراسة. "لَقَوِيٌّ" فيها لام، وقاف مفخمة، وياء مد. القاف والواو تعطي إحساساً بالقوة الجبارة. "أَمِينٌ" فيها همزة، وميم، وياء مد، ونون، تعطي إحساساً بالاستقرار والثقة.

الدرس: العفريت يمثل القوة المادية الهائلة. هو قوي، أمين، لكن قدرته محدودة بالزمن. يحتاج إلى وقت) ولو قصيراً (لينجز المهمة.

الايه الاربعون: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ ۗ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۗ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)

أولاً : { قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ... } (القوة الحقيقية: العلم والإيمان

"قَالَ الَّذِي": هذا هو الأهم. ليس عفريتاً، بل إنساناً. رجل صالح، عنده علم من الكتاب. اختلف في هويته: قيل هو آصف بن برخيا، وزير سليمان وابن خالته، رجل صالح عنده علم عظيم.

"عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ": الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ، أو التوراة، أو أي كتاب من كتب الله. المهم

أنه عنده علم إلهي، ليس مجرد قوة مادية. العلم الذي آتاه الله هو الذي يمكنه من هذه المعجزة.
اللمسة البلاغية: وصفه بـ "الذي عنده علم من الكتاب" فيه إشارة إلى أن هذا العلم هو سبب القدرة .
لم يقل "عالم"، بل "عنده علم" إشارة إلى أن العلم عنده كخزينة، يستخدمها متى شاء.

ثانياً: {أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك...} {معجزة طرفة العين

"أنا آتيك به": ثقة كبيرة، لكنها ثقة بالله، وليس بالنفس.

"قبل أن يرتد إليك طرفك": أي قبل أن يعود إليك طرفك بعد أن ترمقه. أي في لمح البصر، في جزء من الثانية، في زمن لا يكاد يذكر. هذا أسرع مما قاله العفريت بمراحل.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "يرتد" فيها ياء، وراء، وتاء مشددة، ودال. التشديد يعطي إحساساً بالسرعة الخاطفة. "طرفك" فيها طاء مفخمة، وراء، وفاء، وكاف. الطاء والراء تعطي إحساساً بالحدة والسرعة.

ثالثاً: {فلما رآه مستقراً عنده...} {تحقق المعجزة

"فلما رآه": سليمان رأى العرش.

"مستقراً عنده": أي قد استقر العرش أمامه، حاضراً كاملاً، بكل ما فيه من جواهر وعظمة. هذا هو المشهد العجيب. في طرفة عين، انتقل العرش من اليمن إلى فلسطين.

اللمسة البلاغية: "مستقراً" صفة مشبهة، تدل على الثبات والاستقرار. العرش لم يأت متطيراً، بل استقر بهدوء.

رابعاً: {قالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي...} {تواضع سليمان وردة الفعل

"قالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي": سليمان لم يغتر، لم يقل "أنا قادر"، بل نسب الفضل كله إلى الله. "هذا" إشارة إلى حصول العرش عنده. "من فضل ربي" أي من تفضل الله وإحسانه، لا من قوتي.

"لِيَبْلُوتِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ": الغاية من هذا الفضل: اختبار سليمان. هل سيشكر فيزيده الله، أم سيكفر فيسلب النعمة؟ كل نعمة هي اختبار.

اللمسة البلاغية: "لِيَبْلُوتِي" اللام للتعليل، والنون للتوكيد. أي أن هذا الفضل إنما هو اختبار من الله.

خامساً: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} ^ط {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ...} {قاعدة في الشكر والكفر

"وَمَنْ شَكَرَ": أي من أطاع الله واستعمل نعمه في طاعته.

"فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ": نفع الشكر يعود على الشاكر نفسه. الله غني عن شكره.

"وَمَنْ كَفَرَ": أي جحد النعمة واستعملها في المعصية.

"فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ": الله غني عن خلقه، لا يحتاج إلى شكرهم. وهو كريم، يعطي حتى من يكفر به، لكن العقاب آتٍ لا محالة.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "غني" فيها غين مفخمة، وياء مد. تعطي إحساساً بالاكتمال الذاتي المطلق. "كريم" فيها كاف، وراء، وياء مد، وميم، تعطي إحساساً بالجود والعتاء.

الدرس: الخلاصة أن النصر ليس بالقوة المادية وحدها. العفريت قوي، لكن الذي عنده علم من الكتاب كان أقوى. العلم النافع والإيمان بالله يخرقان قوانين الزمان والمكان. وسليمان، مع كل هذه القدرات، يبقى عبداً شاكراً، يرد الفضل إلى الله.

**أهم الامور والقضايا التي سوف نقف عليها بمناسبة تدبر هذه الايات
الامر الاول**

العلاقة بين هذه الايات وما قبلها وما بعدها

. ما قبلها) الايات 36 - (37: سليمان يرد الهدية، ويهدد بالجيش.

. هذه الآيات (38) - (40): سليمان يأتي بعرش بلقيس معجزة، ويظهر فضل الله .
. ما بعدها) الآيات 41 - (44: بلقيس تأتي، وتختبر، وترى عرشها، وتسلم.

الامر الثاني

المواضيع والمفاهيم الرئيسية

1. تفاوت القدرات: بين قوة مادية) عفریت (وقوة روحية) علم من الكتاب).
2. العلم النافع: هو أقوى من كل قوى الأرض.
3. الاختبار بالنعم: كل فضل من الله هو اختبار للشكر أو الكفر.
4. التواضع: سليمان لم يغتر بقدراته، بل نسب الفضل لله.
5. الاستغناء بالله: الله غني كريم، لا يحتاج لشكرنا.

الامر الثالث

القيم التي تغرسها الآيات

1. قيمة العلم: العلم النافع هو أعلى درجات القوة.
2. قيمة التواضع: رد الفضل إلى الله.
3. قيمة الشكر: شكر النعمة يزيدنا.
4. قيمة الاختبار: الحياة كلها اختبار.
5. قيمة الأمانة: حتى العفریت قال "أمين".

الامر الرابع

الأبعاد المختلفة

أولاً: البعد التربوي

. علم أولادك: أن العلم أهم من العضلات. من يتعلم ويدرس يمكنه أن يفعل ما لا يستطيع الأقوياء فعله.
. علمهم التواضع: إذا نجحوا، يقولوا "هذا من فضل ربي".

ثانياً: البعد النفسي

. علاج الغرور: تذكر أن كل نجاح هو من فضل الله، واختبار.
. علاج اليأس: لا تظن أنك ضعيف. العلم النافع يقويك.

ثالثاً: البعد العلمي

. الإعجاز العلمي: سرعة الضوء والطاقة، هذه الآيات تشير إلى إمكانية نقل المادة بسرعة هائلة، وهو ما يبحث عنه العلم اليوم.

رابعاً: البعد القيادي

. القائد الحكيم: يستخدم العلم قبل القوة، ويستشير المختصين، ولا يغتر بقدراته.

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي؟

- . في تعلمك: اجعل العلم النافع هدفك. لا تتعلم فقط للشهادة، بل لتكون قوياً بالله.
- . في نجاحك: قل "هذا من فضل ربي". لا تغتر.
- . في شكرك: أكثر من الحمد. فالشكر يزيد النعم.
- . في قيادتك: استشر أهل العلم قبل أهل القوة.

الامر الخامس

ما الذي تدعوك إليه هذه الآيات الآن؟

أيها الإنسان الذي يبحث عن القوة،

القوة الحقيقية ليست في عضلاتك، ولا في أموالك، ولا في جاهك. القوة الحقيقية في العلم النافع وا لإيمان بالله. الذي عنده علم من الكتاب كان أقوى من عفریت الجن.

لا تكن أسيراً للمادة. اطلب العلم، واسأل الله التوفيق، وإذا أعطاك، فاشكره. وتذكر: "من شكر فإنما يشكر لنفسه".

عاهد الله اليوم: أن تطلب العلم النافع، وأن تشكر على كل نعمة، وأن تتواضع، وأن ترد الفضل إلى الله.

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، وقلباً شاكراً. اللهم اجعلنا من الذين إذا أوتوا قالوا "هذا من فضل ربي"، ولا تجعلنا من المغرورين المفتونين. إنك أنت الغني الكريم.

المبحث السادس

هو خطاب لك ايها القلب بان تبحث عن الحقيقه خلف الاشكال خطاب لك ايها الانسان بان تعلم ان لا اختبارات تاتي في اثواب مختلفه قال تعالى قال نكروا لها عرشها ننظر انا انادي ام تكون من الذين لا يهتدون)

لقد رأينا العجب: عرش مملكة سبأ العظيم، الذي كان في اليمن، أصبح في طرفة عين حاضراً بين يدي سليمان. معجزة أذهلت الحاضرين. لكن المعجزة الأكبر لم تأت بعد. بلقيس، الملكة الحكيمة، في طريقها إلى سليمان. وهي قادمة لا لتحارب، بل لتري بنفسها، ولتختبر حقيقة هذا النبي الذي أرسل إليها الكتاب.

والآن، يبدأ المشهد الأروع. سليمان يريد أن يمتحنها: هل ستعرف عرشها وقد غيّر قليلاً؟ هل ستتهدي إلى الحق رغم ما يحيط بها من بهرجة الدنيا؟ ثم يدخل بها إلى قصر عظيم، أرضه من زجاج شفاف، يموج تحته الماء. فتري بلقيس ما لم تره من قبل، وتحسبه لجة، فتكشف عن ساقها. فيكشف لها سليمان الحقيقة، وتذكر أنها كانت تعبد ما لا ينفع ولا يضر.

هذه الآيات هي قمة في علم النفس والقيادة والدبلوماسية. إنها تعلمنا كيف نتعامل مع من نريد هدايتهم، كيف نكشف لهم الحقائق بلطف، كيف لا نخرجهم بل نترك لهم مساحة لاستخدام عقولهم. وهي تعلمنا أيضاً أن الهداية تحتاج إلى اختبارات، وأن الجمال المادي قد يكون حجاباً عن الحق، وأن الأخلاق تسبق العبادة.

تعال... نشهد هذا المشهد الخالد، ونتعلم كيف نبي الجسور إلى قلوب الآخرين.
الايه الحاديه والاربعون: (قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ)

أولا : { قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا ... } {التغيير البسيط للاختبار

"قَالَ": سليمان عليه السلام، بعد أن استقر العرش عنده، أصدر أمراً لحاشيته.

"نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا": أي غَيَّرُوا فيه شيئاً، اجعلوه غير معروف بالنسبة لها. لا تمسخوه بالكامل، بل غيروا فيه بعض الهيئة. أضيفوا شيئاً، أو أزالوا شيئاً، أو غيروا موضع قطعة منه. الهدف: أن تختبر قدرتها على تمييزه.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "نَكْرُوا" فيها نون، وكاف مشددة، وراء، وواو. التشديد على الكاف يفيد المبالغة في التغيير. "لَهَا" تقديم الجار والمجرور للاهتمام بأن التغيير من أجلها. "عَرْشَهَا" إضافة العرش إليها، ليظل مرتبطاً بها، وهي التي ستميزه.

ثانياً: { نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ... } {غاية الاختبار

"نَنْظُرْ": ننظر أي نختبر ونتبين. ليس نظراً بالعين المجردة، بل نظر الفحص والامتحان.

"أَتَهْتَدِي": أتعرف الحقيقة وتبصر الصواب؟ هل ستميز عرشها؟ هل ستسأل عنه؟ هل ستدرك أن ما حدث معجزة؟

"أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ": أم ستبقى من الذين لا يهتدون، فيعموا عن الحقائق رغم وضوحها.

اللمسة البلاغية: الاستفهام بـ "أَمْ" و"أَمْ" للتقسيم. أي أمامها طريقان: هداية أو ضلال. وهي حرة في الاختيار، لكنهم سينظرون ماذا تختار.

الدرس التربوي العميق:

سليمان يعلمنا أسلوباً راقياً في الدعوة والتربية:

. لا تفضح الناس أمام الملائم: لم يقل "دعونا نرى هل هي غبية أم ذكية". بل قال "ننظر أتهدي". لغة محترمة.
. اترك مجالاً للشخص ليثبت نفسه: هي ستري العرش، وسيكون رد فعلها هو الذي يكشف عن حقيقتها.
. الاختبار أداة تعليمية: التغيير الطفيف في العرش يجعلها تفكر، وتنشط ذاكرتها، وتستنتج. وهذا أقوى من الإخبار المباشر.
. لا تحكم على أحد قبل أن تختبره: سليمان لم يقل "إنها لا تهدي"، بل قال "ننظر".
اليه الغائبه والاربعون: فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين

أولاً: { فلما جاءت قيل أهكذا عرشك...السؤال الاستنكاري

"فلما جاءت": أي بعد أن سافرت بلقيس من سبأ إلى سليمان، ووصلت إلى قصره.

"قيل": الفعل مبني للمجهول، أي قال لها أحدهم) سليمان أو حاشيته (بطريقة غير مباشرة.

"أهكذا عرشك": هل عرشك هكذا؟ أي هل هذا هو عرشك الذي تعرفينه؟ السؤال بطريقة فيها استفهام وتشكيك، لترى كيف سترد.

اللمسة البلاغية: "أهكذا" همزة استفهام، و"هكذا" إشارة إلى العرش الحاضر. السؤال فيه نوع من المفاجأة: هل هذا هو عرشك الذي تركته في سبأ؟

ثانياً: { قالت كأنه هو...الإجابة الحكيمة

"قالت": بلقيس تجيب. لم تقل "نعم" جزماً، ولا "لا" جزماً. قالت "كأنه هو". أي يشبهه، يخيل إلي أنه هو.

لماذا هذا الجواب الحكيم؟

. لأنها رأت تغييراً في العرش) نكروه لها، فلم تتسرع في النفي أو الإثبات.
. لأنها عاقلة، تعرف أن العرش من الصعب أن يأتي إلى هنا، لكنها ترى عرشاً يشبهه تماماً.
. جوابها يدل على أنها غير متعصبة، ولا مكابرة. هي متأكدة في قرارة نفسها أنه هو، لكنها تعبر به الشك الظاهري.
. هذا من أخلاقها: لا تكذب، ولا تجزم بما لا تعلم.

اللمسة البلاغية: "كأنه هو" فيها كاف التشبيه، و"أنه" تأكيد، و"هو" ضمير الفصل. كأنها تقول: الأمر عندي كذا، لكني لا أجزم. تعبير دقيق جداً.

ثالثاً: { وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين...موقف سليمان ومن معه

"وأوتينا العلم": قالها سليمان أو من معه من المؤمنين. أي أنهم كانوا يعلمون من قبل أن هذا العرش هو عرشها، لأنهم أحضروه.

"من قبلها": أي من قبل أن تأتي بلقيس، وقبل أن نختبرها. كانوا على يقين.

"وكنا مسلمين": أي كنا قبل مجيئها مسلمين لله، مؤمنين به. وهذا تذكير بأن الإيمان السابق هو الذي مكثهم من رؤية الحقائق التي لا تراها بلقيس بعد.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "كأنه هو" فيها كاف، وهمزة، ونون، وهاء، وواو، وهاء. التكرار يعطي إحساساً بالتردد والتأمل. "مسلمين" فيها ميم، وسين، ولام، وميم، وياء مد، ونون. الإشارة إلى الإسلام كحالة دائمة.

الدرس العميق:

. بلقيس نموذج للعقل المنفتح: لم تنكر، لم تكابر، قالت "كأنه هو". هذا هو الطريق إلى الهداية.
. سليمان نموذج للعلم المسبق: المؤمنون يعلمون الحقائق قبل أن يراها غيرهم، لأنهم يستندون إلى وحي الله.

. أدب الحوار: سليمان لم يقل "أرأيت، أنا جئت بعرشك"، بل تركها تجيب بنفسها، ثم علق على إجابتها.

الآية الثالثة والأربعون: وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝

أولاً : وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ...{الحجاب الحقيقي

"وَصَدَّهَا": أي منعها وحال بينها وبين الهداية. الفاعل هو "ما كانت تعبد من دون الله".

"ما كانت تعبد من دون الله": أي عبادة الشمس والأوثان، واتباع التقاليد الباطلة. هذا هو الذي كان يحجب عنها رؤية الحق.

اللمسة البلاغية: تقديم المفعول "صَدَّهَا" على الفاعل للاهتمام بها وبسبب ضلالها. "من دون الله" أي من غير الله، مما يدل على أنهم تركوا الخالق واتجهوا إلى المخلوق.

ثانياً: {إنها كانت من قوم كافرين...}{تأثير البيئة والمجتمع

"إنها كانت من قوم كافرين": أي أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، نشأت على ذلك، تربت عليه . البيئة والوراثة والعادة لعبت دوراً في حجبها عن الحق.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "وَصَدَّهَا" فيها واو، وصاد مفخمة، ودال، وهاء، وألف. الصاد والدال تعطي إحساساً بالانغلاق والحجب. "كافرين" فيها كاف، وألف، وفاء، وراء، وباء مد، ونون، تعطي إحساساً بالاجحود المستمر.

الدرس العميق في علم النفس والتربية:

. العبادة الباطلة تحجب العقل: من يعبد غير الله، يحجب عقله عن التفكير السليم. الشرك هو أعظم حجاب عن الحقيقة.

. البيئة تؤثر: بلقيس لم تكن كافرة بفطرتها، لكنها نشأت في قوم كافرين. التربية والتقاليد والمجتمع لها تأثير كبير. هذا لا يعفيها من المسؤولية، لكنه يفسر تأخر هدايتها.

. التغيير يحتاج إلى صدمة إيجابية: مجيئها إلى سليمان، ورؤيتها العرش، ثم رؤيتها القصر الزجاجي، كلها صدمات أيقظت فطرتها. أحياناً نحتاج إلى تغيير البيئة لنرى الحقائق.

**اهم القضايا والامور والمواضيع التي سوف نقف عليها بمناسبة تدبر هذه الايات
الامر الاول**

العلاقة بين هذه الآيات وما قبلها وما بعدها

. ما قبلها) الآيات 38- (40: إحضار العرش معجزة.

. هذه الآيات (41) - (43: اختبار بلقيس، ردها الحكيم، ووصف حالها السابق.

. ما بعدها) الآية (44) : بلقيس تدخل القصر الزجاجي، تظنه ماء، ثم تسلّم.

الامر الثاني

المواضيع والمفاهيم الرئيسية

1. أسلوب الاختبار في الدعوة: تغيير العرش لمعرفة رد فعلها.

2. أدب الحوار: السؤال بلطف، والإجابة بحكمة.

3. الحجاب الحقيقي عن الحق: هو عبادة غير الله، وليس الجهل فقط.

4. تأثير البيئة والمجتمع: كونها من قوم كافرين صرفها عن الهدى.

5. العقل المنفتح: بلقيس قالت "كأنه هو"، ولم تكابر.

الامر الثالث

القيم التي تغرسها هذه الآيات

1. قيمة التثبت: لا تجزم بشيء دون تأكيد.

2. قيمة الحكمة في الرد: كن كبلقيس: "كأنه هو".

3. قيمة عدم المكابرة: الاعتراف بالشبه دليل عقل.

4. قيمة العلم المسبق: المؤمن يعلم بالغيب.
5. قيمة نقد البيئة: لا تكن أسيراً لتقاليد قومك.
6. قيمة الإسلام: هو مفتاح رؤية الحقائق.

الامر الرابع

الأبعاد المختلفة) تربوية، نفسية، دعوية، قيادية)

أولاً: البعد التربوي

- علم أولادك: إذا شككت في شيء، قل "كأنه كذا"، ولا تقل "هو كذا" جزماً. هذا يعلمهم التثبت.
- علمهم ألا يكابروا: إذا أخطأوا، يعترفوا. بلقيس اعترفت ضمناً بأن العرش هو عرشها.

ثانياً: البعد النفسي

- علاج التعصب: بلقيس كانت من قوم كافرين، لكنها لم تتعصب. تركت عقلها يعمل. التعصب هو حجاب العقل.
- علاج التقليد الأعمى: لا تقلد قومك في الباطل. بلقيس تركت عبادة الشمس بعد أن تبين لها الحق.

ثالثاً: البعد الدعوي

- أيها الداعية: لا تهاجم معتقدات الناس مباشرة. استخدم أسلوب الاختبار غير المباشر. سليمان غير العرش قليلاً، ثم سألها. هذا أبلغ من أن يقول "أين عرشك؟".
- لا تياس من هداية من نشأ في بيئة كافرة: بلقيس هداها الله رغم أنها من قوم كافرين.

رابعاً: البعد القيادي

- أيها القائد: اختبر مرؤوسيك بطريقة غير مباشرة. لا تفضحهم. امنحهم فرصة لإظهار كفاءتهم.
- أيها المدير: إذا أخطأ موظف، لا تصرخ فيه. أسأله بطريقة تجعله يفكر، مثل: "هل هذا هو التقرير الذي طلبته؟" ليرى هو الخطأ بنفسه.

الامر الخامس

كيف تطبق هذه الآيات في واقعك العملي؟

في التربية والتعليم:

- إذا أخطأ ابنك في حل مسألة: لا تقل "هذا غلط". قل "هل هذه هي الإجابة الصحيحة؟" دعه يفكر ويصحح نفسه.
- إذا شك في شيء: علمه أن يقول "كأنه كذا" حتى يتثبت.

في العمل والإدارة:

- إذا قدم لك موظف تقريراً ناقصاً: لا توبخه. قل له: "هل هذا هو التقرير المطلوب؟" دعه يكتشف الخطأ بنفسه.
- إذا كنت في حوار مع شخص: استخدم لغة "هل هذا صحيح؟" بدلاً من "أنت مخطئ".

في العلاقات الشخصية:

- إذا اختلفت مع صديق: لا تقل "أنت غبي". قل: "هل تعتقد أن هذا الرأي صحيح؟". اترك له فرصة للتفكير.
- إذا كنت في موقف لا تعرف فيه الإجابة: قل "كأنه كذا". هذا يظهر حكمتك وتواضعك.

الامر السادس

ما الذي تدعوك إليه هذه الآيات الآن؟

أيها الإنسان الذي يقرأ هذه الكلمات،

أنت أمام حقيقة. هل أنت مستعد لرؤيتها كما رأتها بلقيس؟ قد تكون محاطاً بتقاليد، بعبادات، ببيئة، بأشخاص يمنعونك من رؤية الحق. الحجاب ليس فقط في العين، بل في القلب.

اسأل نفسك:

- هل تعبد شيئاً من دون الله؟ مالا ، جاه، شهوة، شخصاً؟ هذا هو الحجاب الأكبر.
- هل تنتمي إلى "قوم كافرين"؟ أي مجتمع يمنعك من التفكير الحر، ويطلب منك التقليد الأعمى؟
- هل أنت مستعد لأن تقول "كأنه هو"؟ أي أن تعترف بأن ما كنت عليه قد لا يكون كاملاً ، وأن تبحث عن الحقيقة؟

بلقيس كانت ملكة، عاقلة، حكيمة. لكنها كانت محجوبة بعبادة الشمس وتقاليدها قوماً. فلما أزيل الحجاب، رأت الحق. وأنت، متى ستزيل حجابك؟

تذكر: الذي عنده علم من الكتاب كان أقوى من العفريت. والعلم النافع هو الذي يكشف الحجب. اطلب العلم النافع، واجعل قلبك مفتوحاً، ولا تكابر.

عاهد الله اليوم:

1. ألا تكون أسيراً لتقاليده قومك إذا كانت تخالف الحق.
 2. أن تتعلم أسلوب الاختبار اللطيف في التعامل مع من تريد هدايتهم.
 3. أن تقول "كأنه هو" بدلاً من "نعم" أو "لا" إذا لم تكن متأكداً.
 4. أن تزيل كل حجاب يحول بينك وبين رؤية الحق.
- اللهم إنا نسألك أن تهدينا إلى الحق كما هديت بلقيس، وأن تزيل عنا حجب الشرك والجهل والتقليد الأعمى. اللهم اجعلنا من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه، ولا تجعلنا من الذين كان على أعينهم غشاوة. إنك أنت العزيز الحكيم.

المبحث السابع

أهلاً بك أيها الباحث عن الحقيقة التي تزلزل القلوب، أيها الإنسان الذي يعرف أن لحظة الإيمان تأتي أحياناً بعد أشد لحظات الخوف والدهشة.

نحن الآن على أعتاب المشهد الأخير من قصة بلقيس مع سليمان. لقد رأت العرش، واعترفت بأنه يشبه عرشها، لكنها لم تسلّم بعد. كانت لا تزال تحت تأثير حجاب التقليد وعبادة الشمس. والآن، يأتي الاختبار الأعظم. سليمان لم يكتف بالعرش، بل أراد أن يريها آية أخرى، آية تفضح وهم البصر، وتكشف حقيقة الدنيا الزائلة.

أمرها أن تدخل "الصرح"، وهو قصر عظيم أرضه من زجاج شفاف، يموج تحته الماء والأسماك. ظنت بلقيس أن أرضه ماء، فرفعت ثوبها خوفاً من البلل، فكشفت عن ساقها. وهنا، في لحظة الضعف والانكشاف، أدركت الحقيقة: هذا ليس ماءً، بل زجاج ممرّد. وفي تلك اللحظة، انكشف لها أكثر من مجرد حقيقة القصر. انكشف لها ضعفها البشري، وخطأها في عبادة غير الله، وفساد ما كانت عليه. فنطقت بأعظم كلمة: "رَبِّ إِيّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

هذه الآية هي قمة التحول النفسي والروحي. إنها نموذج للدعوة الحكيمة التي تستخدم الصدمة الإيجابية لكشف الحجب. وتعليم لنا أن الداعية قد يحتاج إلى كسر الألفاظ، ليس بإهانة الناس، بل بإرائهم حقائق ملموسة تفضح أوهامهم. كما أنها درس في التواضع: أعظم الناس (بلقيس) تعترف بظلمها أمام أعظم ملك (سليمان). وهذا هو مفتاح الهداية.

تعال... نعيش هذه اللحظة الخالدة، ونتعلم منها كيف نبنى جسور الإيمان في قلوب الناس.

الآية الرابعة والأربعون: {قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ} ^٤ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا ^٥ قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ^٦ قَالَتْ رَبِّ إِيّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

أولاً: {قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ}... الدعوة إلى دخول المجهول

"قِيلَ لَهَا": الفعل مبني للمجهول. إما أن سليمان هو من قال لها، أو أحد حاشيته. المهم أنها سمعت النداء.

"ادْخُلِي الصَّرْحَ": الصرح هو القصر العظيم الشاهق، المبني من الزجاج الشفاف. أمرت بدخول هذا القصر العجيب.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "الصَّرْح" فيها صاد مفخمة، وراء، وحاء. الصاد والراء تعطي إحساساً بالا ارتفاع والقوة والضخامة. وكان اللفظ نفسه يعكس عظمة البناء.

ما هو الصرح؟ هو قصر بناه سليمان بأمر من الله، لتكون أرضيته من زجاج شفاف، يجري تحته الماء، وتسبح فيه الأسماك. ليكون اختباراً لبليقيس، وآية على قدرة الله.

ثانياً: {فلَمَّا رَأَتْهُ حَسْبَيْتَهُ لُجَّةً}... الوهم الذي كاد يوقعها

"فلَمَّا رَأَتْهُ": نظرت إلى أرضية القصر الزجاجية الشفافة.

"حَسْبَيْتَهُ لُجَّةً": ظنته ماءً عميقاً. اللجة هي معظم الماء الذي لا يدرك قعره. هي لم تره مجرد ماء، بل رأته بحراً متلاطماً.

لماذا ظنته ماءً؟ لأن الزجاج كان شفافاً تماماً، والماء تحته يتحرك، والأسماك تسبح. الوهم كان كاملاً. عقلها قال لها: هذا ماء، اخشي الغرق.

اللمسة البلاغية: "حَسْبَيْتَهُ" من الحسبان، وهو ظن يخالطه يقين. هي لم تشك، بل تيقنت أنه ماء. "لُجَّةً" نكرة في سياق الإثبات، تفيد التعظيم. أي ماء عظيماً عميقاً.

ثالثاً: {وَكشَقَتْ عَن سَاقِيهَا}... رد الفعل الطبيعي للإنسان

"وَكشَقَتْ": رفعت ثوبها. فعلت ما يفعله أي إنسان يخاف الغرق أو البلل: يرفع ثيابه.

"عَن سَاقِيهَا": ساقاها هما ما بين الركبة والقدم. كشفت عنهما لتخوض الماء.

اللمسة البلاغية والتجويدية: "سَاقِيهَا" فيها سين مهموسة، وألف، وقاف، وياء، وهاء، وألف. القاف و الياء تعطي إحساساً بالسرعة والحركة. هذا المشهد بالغ الدقة: ملكة عظيمة، في قصر أعظم، تفقد رباطة جاشها لحظة، وتكشف عن ساقها خوفاً من وهم.

الدرس النفسي العميق:

هذا الموقف يكشف عن حقيقة الإنسان: مهما بلغ من ملك وجاه، تبقى فيه غريزة الخوف من المجهول. بلقيس لم تكن جبانة، لكنها رأت ما أيقنته ماءً. رد فعلها طبيعي. وهذا الموقف جعلها تفقد شيئاً من هيبتها أمام سليمان. لكنه أيضاً جعلها ترى ضعفها البشري، وهذا كان تمهيداً لتواضعها وإسلامها.

رابعاً: {قَالَ إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ}... كشف الحقيقة بلطف

"قَالَ": سليمان عليه السلام، بكلمة واحدة، أوقف خوفها، وكشف الوهم.

"إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ": أي أملس، مصقول، لا تكدر فيه. ممرد من التمريد، وهو التسوية والتلين والإملا س.

"مِّن قَوَارِيرٍ": مبني من زجاج. القوارير هي الزجاج الشفاف الصلب.

اللمسة البلاغية: "مُمَرَّدٌ" صيغة مبالغة، يدل على أنه أملس ناعم جداً. "قَوَارِيرٍ" جمع قارورة، وهي تصغر الزجاج، لكنها هنا للدلالة على قطع الزجاج اللامعة. فيها قاف، وواو مد، وراء، وياء مد، وراء. التكرار يعطي إحساساً بالمعان والصفاء.

الدرس الدعوي العظيم:

سليمان هنا يقدم نموذجاً للداعية الحكيم:

- لم يقل "يا غبية، هذا زجاج!" : لم يستهزئ بها، ولم يفضحها.
- قال "إنه صرح ممرد من قوارير": شرح لها الحقيقة بهدوء، دون توبيخ.

- استخدم لغة العلم لا لغة السخرية: أوضح المادة (قوارير)، والصفة (ممرد).
- أزال الخوف وأعقبه باليقين: بين أنه ليس ماءً، فلا خوف.

خامساً: {قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}... لحظة الإيمان والتحول

"قالت": بلقيس. بعد أن رأت العجيبين: العرش الذي أتى من مكان بعيد، والقصر الذي خدع بصرها. وبعد أن سمعت كلمة سليمان الحانية. هنا انفجر ينبوع الإيمان في قلبها.

"رَبِّ": نادى ربها مباشرة. لم تقل "إله سليمان"، بل "ربي". اعترفت بأن الله هو ربها هي أيضاً.

"إني ظلمت نفسي": اعترفت بذنبها. لم تقل "ظلمني قومي" أو "ظلمتني عاداتي". تحملت المسؤولية. اعترفت بأن عبادة الشمس كانت ظلماً لنفسها.

"وَأَسْلَمْتُ": استسلمت وأذعنت. هذا هو الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة.

"مَعَ سُلَيْمَانَ": مع نبي الله، متبعة له، مصدقة برسالته. لم تقل "أسلمت لسليمان"، بل "مع سليمان لله". أي أنها تتبع سليمان في عبادة الله.

"لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ": خالصاً لوجهه. ليس لأحد سواه. "رب العالمين" تعم كل الخلق، وتشمل الشمس التي كانت تعبدها من دون الله.

اللغة البلاغية والتجويدية: "ظلمت" فيها ظاء مفخمة، ولام، وميم، وتاء. الظاء تعطي إحساساً بثقل الظلم على النفس. "نفسى" فيها نون، وفاء، وسين، وياء. "وَأَسْلَمْتُ" فيها واو، وهمزة، وسين، ولام، وميم، وتاء. المد في "سُلَيْمَانَ" و"العالمين" يعطي إحساساً بالتعظيم والاتساع.

الدرس الروحي العميق:

هذه الكلمات هي خلاصة رحلة بلقيس الطويلة من ملكة تعبد الشمس إلى مسلمة مؤمنة:

- الاعتراف بالخطأ: أول خطوة في التوبة. "ظلمت نفسي".
- تجنب المكابرة: لم تقل "كنت على حق". بل اعترفت.
- الإسلام مع القائد الصالح: "مع سليمان". وهذا يدل على أهمية الصحبة الصالحة.
- الإخلاص لله وحده: "لله رب العالمين". ليس لسليمان، ولا لأحد.

اهم الامور والقضايا والمواضيع التي سنقف عليها بمناسبة تدبر هذه الايات
الامر الاول

العلاقة بين هذه الآية وما قبلها

- ما قبلها (الآيات 41-43): اختبار بلقيس بالعرش، وإجابتها بالحكمة، ووصف حجابها السابق.
- هذه الآية (44): الاختبار الأكبر بالقصر الزجاجي، ثم إسلامها. هي تتويج القصة.

الامر الثاني

المواضيع والمفاهيم الرئيسية

1. الصدمة الإيجابية كأسلوب دعوي: استخدام المعجزات البصرية لكشف الحجب.
2. الوهم البصري والحقيقة الإيمانية: كيف تخدعنا الظاهر، وكيف يكشفها الحق.
3. لحظة الضعف قد تكون لحظة القوة: انكشاف ساقها قادها إلى انكشاف قلبها.
4. الاعتراف بالخطأ شرط التوبة: "إني ظلمت نفسي".
5. أهمية القدوة الحسنة: "مع سليمان".
6. التوحيد الخالص: "لله رب العالمين".

الامر الثالث

القيم التي تفرسها هذه الآية

1. قيمة التواضع: أعظم الناس يعترف بخطئه أمام الناس.
2. قيمة اللطف في الدعوة: سليمان لم يفضحها، بل أوضح الحقيقة بهدوء.
3. قيمة الشجاعة في الاعتراف: بلقيس لم تخف من كشف خطئها.
4. قيمة الإسلام: هو الحل الوحيد لظلم النفس.
5. قيمة الصحبة الصالحة: "مع سليمان" كانت طريقها إلى الله.

الامر الرابع

الأبعاد المختلفة (تربوية، نفسية، دعوية، قيادية)

أولاً: البعد التربوي

- علم أولادك: الخطأ ليس عيباً، بل العيب الإصرار عليه. علمهم أن يقولوا "ظلمت نفسي" إذا أخطأوا.
- علمهم أن المواقف الصعبة قد تكون فرصاً للتعلم: بلقيس خافت من الماء، فتعلمت الحقيقة.

ثانياً: البعد النفسي

- علاج الكبر: من يعترف بخطئه، يتحرر من كبره. بلقيس تحررت.
- علاج الخوف من الفضيحة: بلقيس انكشفت ساقها، لكنها لم تهرب، بل أعلنت إسلامها. لا تخف من الفضيحة إذا كانت طريقاً للحق.

ثالثاً: البعد الدعوي

- أيها الداعية: استخدم المفاجآت البصرية والمعجزات الحسية (في حدود الإمكان) لجذب الناس. لا تعتمد على الكلام فقط.
- إذا وقع المدعو في موقف محرج: لا تزد الطين بلة. كن كسليمان، وضّح الحقيقة بلطف.

رابعاً: البعد القيادي

- أيها القائد: اختر أتباعك بمواقف غير متوقعة لترى ردود أفعالهم الحقيقية. هذا يكشف عن شخصياتهم.
- أيها المدير: إذا أخطأ موظفك، لا تفضحه أمام الجميع. أوضح له الخطأ بهدوء، وامنحه فرصة للاعتراف والتصحيح.

الامر الخامس

كيف تطبق هذه الآية في واقعك العملي؟

في التربية والتعليم:

- إذا أخطأ ابنك أو طالبك: لا تصرخ فيه. بل قل له: "انظر، هذا هو الصواب، وهذا هو الخطأ". دعه يعترف بخطئه بنفسه.
- علم أبناءك دعاء بلقيس: "رب إنني ظلمت نفسي". اجعله ورداً لهم عند الخطأ.

في العلاقات الشخصية:

- إذا أخطأت بحق شخص: بادر بالاعتراف. قل: "ظلمت نفسي، أسامحك". هذا يريح نفسك ويكسبك احترام الآخرين.
- إذا حدث موقف محرج بينك وبين صديق: لا تتسرع في الهجوم. اشرح وجهة نظرك بهدوء، كما شرح سليمان حقيقة الزجاج.

في الدعوة والإرشاد:

- إذا كنت تريد إقناع شخص بفكرة: لا تستخدم الكلام فقط. استخدم تجربة حسية، أو مثلاً واقعياً، أو قصة مؤثرة.
- إذا أخطأ شخص أمامك: لا تفضحه. ساعده على تخطي الموقف، ثم اشرح له بلطف.

في العمل والقيادة:

- إذا أخطأ موظفك: لا توبخه أمام زملائه. استدعه على انفراد، واسأله عن سبب الخطأ، ثم وضّح له الصواب.
- إذا وقعت في خطأ: اعترف به أمام فريقك. قل: "أخطأت، وأعتذر، وسأصحح". هذا يزيد من ثقتهم بك.

الامر السادس

ما الذي تدعوك إليه هذه الآية الآن؟

أيها الإنسان الذي يقرأ هذه الكلمات،

لقد أتتك الحقيقة من ربك. قد تكون في لحظة ضعف، أو في لحظة انكشاف، أو في لحظة خوف. لا تخف. هذه اللحظة قد تكون لحظة ميلاد إيمانك الجديد.

اسأل نفسك:

- هل ظلمت نفسك؟ بذنب، بغفلة، بشرك أصغر، بترك حق، بتقليد أعمى.
- هل أنت مستعد للاعتراف؟ تقول "رب إني ظلمت نفسي" بصدق.
- هل تبحث عن صحة صالحة؟ "مع سليمان" أي مع رسول الله ﷺ، ومع العلماء والصالحين.
- هل أنت مستعد للإسلام الخالص؟ "لله رب العالمين" لا لأحد سواه.

تذكر بلقيس: كانت ملكة، عاقلة، حكيمة، لكنها كانت مخطئة. فلما رأت الحق، لم تتردد. اعترفت، وأسلمت. لا تتردد أنت أيضاً.

عاهد الله اليوم:

1. أن تعترف بخطئك، ولا تكابر.
 2. أن تبحث عن الصلحة الصالحة التي تقودك إلى الله.
 3. ألا تخاف من لحظات الضعف والانكشاف، فقد تكون بداية قوتك الحقيقية.
 4. أن تجعل كلمة "رب إني ظلمت نفسي وأسلمت لله" منهج حياتك.
- اللهم إنا نسألك أن ترينا الحق حقاً وترزقنا اتباعه، والباطل باطلاً وترزقنا اجتنابه. اللهم اجعلنا من الذين إذا تبين لهم الحق اعترفوا وأسلموا، ولا تجعلنا من المكابرين المستكبرين. اللهم ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك، واجعلنا مع عبادك الصالحين..

المقطع الرابع

أيها القلب المؤمن، أيها العقل الباحث عن الحقيقة، تأمل معي هذه الآية الكريمة التي تزلزل الأعماق وتهز الضمائر: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) [النمل: 45].

هذه الآية ليست مجرد خبر عن قوم بادوا، بل هي مرآة تنعكس فيها حياتنا اليوم، وهي نبض يوقظ فينا معاني الإصلاح والتوحيد والصراع الأبدي بين الحق والباطل. تخيل أنك تقف أمام هذا المشهد، وكأنك تعيشه الآن، وكأن المخاطب فيها هو أنت.

الآن، لنغوص في أعماق هذه الآية، ولنستخرج دررها، ونسير معاً خطوة بخطوة في رحلة التأمل و التدبر.

الامر الاول: لماذا قال "أخاهم صالحاً" وهم أعداء؟

تأمل معي هذه المعجزة البلاغية: {أَخَاهُمْ صَالِحًا}. (لو نظرنا إلى ثمود، نجدهم قوماً عتاةً مفسدين، كفروا بالله، وكذبوا نبيهم، وعقروا الناقة، فكيف يصفهم الله بأنهم إخوة صالح؟!

إنها لمسة إلهية تعلمنا أعظم دروس الدعوة والإصلاح.

١/ أهمية استخدام الأسلوب اللين:

أيها الداعية، أيها الناصح، أيها الأخ: عندما تقف أمام من تريد إصلاحه، تذكر أن الله أرسل نبيه صالحاً إلى قومه بصفة "الأخوة" قبل أن يكون نبياً. هذه الصفة تشعر الطرف الآخر بأنك جزء منه، وأنت تحبه، وأن ما تقدمه ليس وصاية ولا تسلطاً، بل هو نصيحة أخ يريد الخير لأخيه.

الخطاب النبوي الناجح هو خطاب يجمع بين:

- . الرحمة: بما أنك أخوه، فقلبك يرق له.
- . الشفافية: لا خداع ولا مكر.
- . الوضوح: "أن اعبدوا الله" هي الرسالة، لا غموض فيها.
- . اللين: قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: {فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهْمُ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ}.

٢/ مخاطبة الوجدان وتذكير صلة القرابة:

لماذا لم يقل الله "أرسلنا إليهم رجلاً صالحاً"؟ قال "أخاهم" ليزرع في نفوسهم أن هذا الرجل ليس غريباً عنهم، ولا يريد أن يعلو عليهم، بل هو منهم. هذا الأسلوب يجعل النصيحة تستقر في القلب، وتقبل بسهولة، لأنها تأتي من شخص يثقون به في الأصل.

تعلمنا الآية كيف نقدم النصيحة لأقرب الناس:

- . للأب والأم: كن ابناً باراً قبل أن تكون ناصحاً.
- . للزوجة والزوج: كن أخاً أو أختاً قبل أن تكون مصلحاً.
- . للأصدقاء والزملاء: كن صديقاً مخلصاً يحب لهم الخير.

الأسلوب "الأخوي" هو الذي يفتح القلوب المغلقة، أما أسلوب "الاستعلاء" فهو الذي يغلقها ويجعل المتلقي يدافع عن نفسه، حتى لو كان مخطئاً.

٣/ خطوة أسلوب الاستعلاء وتصغير الخد:

تأمل كيف أن قوم ثمود لم يردوا على صالح بقولهم "كذبت"، بل قالوا: {أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ} [الشعراء: 111]، نظروا إلى أتباعه بازدراء. هذا هو أسلوب الاستعلاء الذي يقتل الدعوة. عندما يشعر المدعو بأن الداعية ينظر إليه من أعلى، أو يحتقر وضعه الاجتماعي أو العلمي، فإنه لن يستجيب أبداً.

أثر هذا الأسلوب السلبي:

- يُنقر الناس من الدين.
- يجعل الحق مكروهاً بسبب صاحبه.
- يزرع الكبر في قلب الداعية، وهو أول معصية عُصي بها الله (إبليس).

٤/ المنهج الإصلاحى الذى تطرحه الآية:

المنهج واضح: التقديم بالمعروف والنصح كأخ، وليس بالتكبر والوعيد. رسول الله ﷺ كان يقول: "إنما أنا رحمة مهداة". الداعية الحقيقى هو من يشعر الناس أنه سفير للرحمة، وليس شرطياً للعقوبة. النصيحة تقدم بلطف، والموعظة تقدم بأساليب راقية تقرب النفس، لا تنفرها.

٥/ أهمية النصيحة والمبادرة) الإيجابية الفاعلية):

الآية تخبرنا أن صالحاً عليه السلام بادر بالدعوة، لم ينتظر حتى يصل الفساد إلى ذروته فقط، بل كان إيجابياً فاعلاً.

كيف أطبق هذه الآية فى حياتى؟ وكيف أتأكد أنى ناصح وأخ؟

اسأل نفسك هذه الأسئلة:

- هل أصلح عيوبى قبل أن أصلح عيوب الآخرين؟ قال الشاعر: "إنما عيبك منقوص على حسب... ما أنت مقصّر فيه وتتهم".
- هل أشعر من أنصحه بأنى أحبه أم أنى أريد أن أظهر بمظهر المثالى؟ الناصح الحقيقى يخاف على أخيه من النار أكثر مما يخاف على نفسه.
- هل أستخدم الأسلوب اللين أم أجرح المشاعر؟ قال ﷺ: "إن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه".
- هل أبادر بالنصح بالسر قبل العلن؟ لأن النصيحة فى السر هي من خصائص الإخاء.

تطبيق عملى:

إذا رأيت صديقاً مقصراً فى صلاته، لا تبدأ بالصراخ والوعيد. اجلس معه كأخ، قل له: "أنا أحبك فى الله، وأريد لك الخير، وأشعر بالضيق عندما أراك تتعد عن الصلاة التى هي عمود الدين، وأنا أعلم أن فى قلبك خيراً، فتعال نصلح الأمر معاً". هذا هو الأسلوب الأخوى.

الأمر الثانى: دلالة قوله تعالى { أن اعبدوا الله }

هذه الكلمات الثلاث هي خلاصة رسالة كل الأنبياء، هي المحور الذى دارت عليه السماوات والأرض.

ما معنى "أن اعبدوا الله"؟

ليست العبادة مجرد طقوس تصليها وتصومها، العبادة هي:

- الغاية من الخلق: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }.
- المنهج الشامل: أن تجعل الله هو المصدر الأول للتشريع، والغاية النهائية للفعل، والمعيار الوحيد للحق والباطل.

الحكمة من إرسال الرسل:

أرسل الله الرسل لتذكير البشر بالغاية التى خلّقوا من أجلها، ولتحرير العقول من عبودية المال، و السلطة، والشهوات، والهوى، لترتفع إلى عبادة الخالق العظيم.

أهمية التوحيد كأساس للحياة:

التوحيد ليس مجرد فكرة عقديّة، بل هو قاعدة الحياة ومنظّمها. عندما تقرر أن الله واحد، فهذا يعنى:

- فى البيت: أنت تعلم أن زوجتك وأولادك ليسوا عبيداً لك، بل هم عباد الله، وأنت مطالب برعايتهم وحسن معاملتهم.
- فى القرارات: كل قرار تتخذه، تسأل: هل هذا يرضى الله أم يغضبه؟
- فى الحكم والسياسة: أن تحكم بما أنزل الله، لا بما يملكه عليك هوى أو ضغوط خارجية.

. في المال: أن تعلم أن المال وديعة، وأن فيه حقاً لله وللفقراء.

أهمية التفتيش عن الشرك الخفي:

الآية تدعونا لأن "نعبد الله" خالصاً، وهذا يعني أن نتفتش في حياتنا عما يُفسد هذه العبادة من شرك خفي أو ظاهر.

اسأل نفسك بصدق:

. هل أتقن عملي في وظيفتي ودراستي لأنني أعبد الله بإتقان ما أصنع؟ فالإتقان عبادة.

. هل أتعامل مع الناس برباء أو سمعة؟ فالرباء شرك خفي.

. هل أخاف من الناس في الحق؟ فخوفك منهم أكثر من الله هو شرك.

. هل أطلب العلم لله، أم لأكون معروفاً ومشهوراً؟

التوحيد هو أولوية التربية:

عندما تربي أبنائك، لا تجعل همك الأول أن يكونوا مهندسين أو أطباء فقط، بل اجعل همك الأول أن يعرفوا الله، وأن يعبدوه حق العبادة، وأن تكون هويتهم مرتبطة بهذا الدين. علمهم أن غاية الوجود هي معرفة الله وعبادته، وليس جمع المال أو المنصب. هذا هو الأساس الذي يبني عليه كل شيء.

الامر الثالث: ما أصل الصراع بين الحق والباطل؟

أصل الصراع هو قضية "أن اعبدوا الله". لماذا؟ لأن الشيطان أراد أن يُخرج الإنسان من عبادة الله إلى عبادة غيره، فجاء الأنبياء ليعيدوا الأمور إلى نصابها.

هذا الصراع ليس صراعاً على المال أو الأرض، بل صراع على المنهج والمرجعية: هل نعبد الله وحده، أم نعبد الأهواء والطواغيت؟

الامر الرابع في ترتيب الأسئلة: {فَإِذَا هُمُ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ}

هذه صادمة! تخيل أن القوم كانوا مجتمعين على الكفر والضلال، لكن بمجرد أن جاءهم صالح بالحق، انقسموا إلى شقين.

كيف تحول المجتمع الواحد إلى فريقين؟

لأن الحق يفرز المواقف. في لحظة الصدام بين الحق والباطل، تتكشف النوايا، وتظهر معادن الرجال. لم يعد هناك مكان للوسطية المزيفة أو الحياد. كل إنسان أمام الحق له موقف: إما معه وإما ضده.

ما الذي أدى إلى هذا الانقسام؟

١. المصالح الدينية والاجتماعية: كان زعماء ثمود يخشون أن يفقدوا مكانتهم إذا اتبعوا صالحاً، كما قالوا: {أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْثُلُونَ}.

٢. التكبر على الحق: الكبر هو الذي منع إبليس من السجود، وهو الذي منع كثيراً من الناس من اتباع الحق لأنهم لا يستطيعون أن يذلوا أنفسهم لله.

٣. الخوف من التغيير: الحق يدعو للتغيير، والباطل يحب الاستقرار على ما ألفه الآباء.

هل هذا موجود في عصرنا الحاضر؟

بكل تأكيد. كل يوم نرى مجتمعات تنقسم إلى فريقين: فريق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وفريق يريد البقاء على الفساد والانحراف. أليست قضية الحجاب في بعض المجتمعات هي نفس القضية؟ أليس الصراع على تطبيق الشريعة هو نفس الصراع؟

كيف نجعل أنفسنا من فريق المؤمنين بالحق؟

أن تجعل معيارك هو الحق، وليس الأغلبية، وليس القوة، وليس المصلحة الشخصية.

رسائل الآية للداعية المخلص:

- توقع الاختلاف والخصومة: الداعية يجب أن يجهز نفسه نفسياً لمواجهة الرفض والانقسام. لا تبتئس إذا انقسم الناس حولك، فهذه سنة الله.
- لا تحسب أن الناس كلهم سيقبلون: قال تعالى: { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }.
- الثبات على المبدأ: مثل صالح، لم يلن لهم، ولم يتنازل عن كلمة التوحيد، رغم انقسامهم وتهديدهم.

كيف أتصرف عند مواجهة الحق؟

عندما يصل إليك الحق، لا تنظر إلى من قاله، ولا إلى قلة السالكين. انظر إلى الحق نفسه. إذا تيقنت أنه الحق، فاتبعه فوراً، ولا تنتظر حتى يوافقك الناس. هذه هي صفة المؤمن الصادق.

اهم المواضيع التي سوف نقف ونتحدث عنها بمناسبة تدبر هذه الآيه

الموضوع الأول: التمسك بالحق رغم قلة السالكين

أحياناً تجد نفسك في بيئة تخالف قيمك ومبادئك، الكل حولك على باطل، وأنت وحدك أو مع قلة على الحق. هذا هو حال صالح عليه السلام، كان قليلاً معه من أتبعه.

التربية على الثبات:

القرآن يعلمنا أن المعيار ليس كثرة الناس، بل هو الحق. قال تعالى: { وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }.

مفهوم "الجماعة" في الإسلام ليس هو الكثرة العددية، بل هو الجماعة التي على الحق ولو كانت قليلة. قال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم".

كيف نربي أنفسنا على هذا؟

- أن نوقن أن النصر ليس بالكثرة، بل بالله. قال تعالى عن قصة طالوت وجالوت: { كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ }.
- أن نعتاد على مخالفة التيار إذا كان التيار على غير هدى الله.

الموضوع الثاني: تحمل مسؤولية الاختيار) مدرسة الخير ومدرسة الشر)

الآية تبين لنا حقيقة كونية: الناس منذ فجر البشرية انقسموا إلى فريقين، مدرسة الخير والهداية التي أسسها الأنبياء، ومدرسة الشر والضلال التي أسسها إبليس.

هذا الانقسام يحدد العلاقة بين الناس:

- كل إنسان مخير، وليس مسيراً.
- الله جعل لكل خير أنصاراً، ولكل شر أنصاراً.
- من يتبع مدرسة إبليس، يتحمل مسؤولية أفعاله، ولا يلومن إلا نفسه.
- ومن يتبع مدرسة الأنبياء، فهو المؤمن المصلح.

هذا المفهوم يعلمنا:

- المبادرة إلى الحق: لا تنتظر أن يصلح الناس حتى تصلح، بل بادر.
- توطين النفس على الاختلاف: لا تندعش إذا رأيت الناس يختلفون معك، فهذه سنة الحياة.
- الصبر عند مواجهة الاختلاف: الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة، والنجاة في التمسك بمنهج الله.
- فهم الابتلاء: الانقسام هو ابتلاء من الله ليرى من يثبت على الحق ومن ينقلب على عقبيه.

الموضوع الثالث: المفاهيم المركزية من الآية وتطبيقاتها في الحياة اليومية

الآية { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ } تحمل في طياتها مفاهيم عميقة تبني الإنسان والمجتمع والحضارة.

المفاهيم ودورها:

١. المفهوم العقائدي) التوحيد):

. التوحيد هو أساس بناء الإنسان. الإنسان الموحد يعرف لماذا خلق، وإلى أين يسير، ومن ربه. هذه المعرفة تمنحه الاستقرار النفسي والطمأنينة.
. دور التوحيد في المجتمع: يخلق مجتمعاً متماسكاً على كلمة واحدة، لا تنازع فيه ولا تفرق، لأنه موحد الأهداف والمرجعية. قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا.}

٢. المفهوم التربوي) الأخوة في الدعوة):

. يربي الآية فينا مفهوم "النصيحة بالأخوة"، فالتعامل مع الناس يجب أن يكون بروح الأخوة واللين.
. يربينا على المبادرة والإيجابية، فلا نكون سلبيين أمام المنكرات.
. يربينا على تحمل المسؤولية، فكل منا مسؤول عن إصلاح من حوله.

٣. المفهوم الفكري) المنهجية في التعامل مع الاختلاف):

. يعلمنا أن الاختلاف والانقسام حول الحق أمر طبيعي، فلا نجزع منه.
. يعلمنا أن الحوار بالتي هي أحسن هو الأسلوب الأمثل لمواجهة الخصومة.

٤. المفهوم النفسي) الثبات واليقين):

. يمنحنا الآية الثبات النفسي، بأننا إذا كنا على الحق، فلا نخشى كثرة المخالفين.
. يزرع فينا اليقين بأن النهاية للمتقين.

دور التوحيد في تطوير الأمة والبناء الحضاري:

. القضاء على الصراع الاجتماعي: التوحيد يجعل الناس إخوة، فلا صراع على الجاه أو النسب، بل على التقوى.
. القضاء على التنازع: قال تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}. {التوحيد يمنع التنازع لأنه يجعل الجميع تحت راية واحدة.
. محاربة الفساد: عندما يعلم الإنسان أن الله رقيب عليه، وأنه سيسأل عن كل شيء، فإن ذلك يحد من فساده في الأرض.
. بناء مجتمع قوي ومنتج: المجتمع الموحد هو مجتمع متعاون، لأن همه واحد: إعلاء كلمة الله.

ما الذي تدعو إليه الآية؟

الآية تدعونا إلى:

. الإخلاص في العبادة: أن نجعل الله غايتنا.
. الإخاء في الدعوة: أن نكون إخوة للناس قبل أن نكون دعاة.
. الثبات على الحق: مهما كان الثمن.
. الاستعداد للصراع: فلا نستغرب وجود الخصومة، بل نواجهها بالحكمة والموعظة الحسنة.
. التوحيد كمنهج حياة: أن ندخل التوحيد في كل تفاصيل حياتنا.
ختاماً...

أيها المؤمن، أيها الساعي إلى الله، أيها الناصح لنفسه ولغيره:

تأمل هذه الآية، وتذكر أن الله أرسل نبيه صالحاً إلى قومه بصفة الأخوة، فكن أنت أخاً للناس في دعوتك. وتذكر أن الرسالة الأساسية هي عبادة الله، فاجعل كل حياتك لله. وتذكر أن الانقسام والصراع هو سنة الحياة، فكن مع الحق ولو كنت وحدك.

لا تكن من الذين يتبعون الأكثرية إذا كانت على باطل، بل كن من الذين يتبعون الحق وإن كانوا قلة . اجعل التوحيد هو محور حياتك، تنطلق منه في بيتك، وعملك، وقراراتك، وعلاقاتك.

الله أكبر، ما أعظم هذه الآية! إنها نبض يوقظ الضمائر، وصرخة تدعو الغافلين، ومنهج حياة للمصلحين.

المبحث الثاني

أيها القلب المتعطش للحق، أيها العقل الذي يسبر أغوار الكلام الإلهي، دعنا نقف وقفة أخرى أمام مشهد من مشاهد القرآن الخالدة، مشهد يفيض بالرحمة في لحظة غضب، ويظهر روعة الأسلوب النبوي في التعامل مع أشد الناس عداوة.

تأمل معي قوله تعالى بعد أن حكى عن ثمود انقسامهم إلى فريقين يختصمون:
{قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ} لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [النمل: 46]

هذه الآية ليست مجرد حوار تاريخي، إنها درس عملي في فن التعامل مع الخصوم، وطوق نجاة لمن يريد أن يخرج من دائرة الغضب إلى فضاء الرحمة. إنها تصور لنا نبياً من أنبياء الله، قومه هددوه، كذبوه، وطلبوا منه العذاب استهزاءً، فكيف كان رده؟ كان رده رحمة، كان رده دعوة، كان رده صبراً وحلماً.

تعال نعيش مع هذه الكلمات، وكأن صالحاً عليه السلام ينادينا اليوم، وكأننا نحن المخاطبون بهذا النداء.

أولاً: دلالة ابتداء النداء بـ "يا قوم" وأثره في الدعوة

تأمل كيف بدأ صالح كلمته: {يَا قَوْمِ}. {لم يقل: "يا أعدائي"، ولا "يا كافرون"، ولا "يا معاندون". قال: يا قومي. هذه الكلمة وحدها فيها من الدروس ما يملأ الصحائف:

١/ ما يراد بهذا النداء؟

هو نداء الانتماء والحب رغم الخصومة. صالح عليه السلام لم يقطع صلته بهم لمجرد أنهم اختلفوا معه، بل ظل يشعر أنهم قومه، وأن بينه وبينهم رابطة الدم والأرض والجوار. هذا النداء يُشعرهم بأنه لا يزال واحداً منهم، وأن بابه مفتوح لهم، وأن دعوته ليست خروجاً عنهم، بل هي سعي لإصلاحهم.

٢/ التوجيهات التي نستفيد منها وكيف نطبقها:

. لا تقطع علاقتك بمن تخالفهم: حتى في أشد لحظات الخصومة، حافظ على جسور التواصل. لا تجعل الخلاف يتحول إلى عداوة شخصية تقطع الأرحام أو تنهي الصداقات.
. اختر العبارات التي تجمع ولا تفرق: "يا قومي"، "يا إخواني"، "يا أصدقائي" - هذه المداخل تذيب الجليد وتفتح القلب قبل أن يفتح الفم.
. الرفق قبل كل شيء: هذا النداء هو تجسيد عملي لقوله ﷺ: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف". لو بدأ صالح بالوعيد أو التهديد لآزادوا عناداً، لكنه بدأ بالنداء الحاني فكان كالماء البارد على لهيب الغضب.

العلاقة بأسلوب الرفق في الدعوة:

هذا النداء هو أعلى مراتب الرفق. الرفق ليس مجرد لين في اللفظ، بل هو أن تشعر المخاطب بأنك معه، وأن مصلحته هي ما تريد. عندما تنادي شخصاً "يا قومي" في لحظة خصومة، كأنك تقول: "أنا معكم، أنا منكم، لا تظنوا أنني خرجت عنكم، ما أريد إلا خيركم". هذا هو الرفق الذي يهدئ النفوس ويجعلها تستمع.

ثانياً: فقه الاستعجال "لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ"

هنا تظهر عبقرية النبي صالح في معالجة الأزمة. قومه كانوا قد طلبوا العذاب واستعجلوه، قالوا: {اِئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الأعراف: 77] كانوا يستعجلون السيئة العذاب (بدل أن يستعجلوا الحسنات) الرحمة والمغفرة).

ماذا يعني هذا فقهاً في حياتنا؟

١/ فقه الاستعجال في أوقات المحن:

كم منا اليوم يستعجل رد الفعل؟ كم منا عندما يغضب يستعجل بالكلمة الجارحة، أو بقرار الهجر، أو بقطع العلاقة؟ هذه هي "الاستعجال بالسيئة". بينما المؤمن الحكيم هو الذي يستعجل بالحسنات:

يستعجل بالعمو، يستعجل بالصفح، يستعجل بالدعاء بالهداية لا بالهلاك.

٢/ فقه التعامل مع المعاصي والمنكرات:

عندما ترى منكراً، لا تستعجل باللعن والسب والتكفير. هذا هو الاستعجال بالسيئة في حق الفاعل. بل استعجل بالحسنة: استعجل بالنصيحة بالتي هي أحسن، استعجل بالدعاء له بالهداية، استعجل بستر عيبه. صالح عليه السلام رأى من قومه أعظم الذنوب: طلب العذاب والتكذيب، لكنه لم يقل "اللهم عليهم"، بل قال: لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ، كأنه يريد أن يوقفهم عند حدهم، ويردهم إلى رشدهم.

٣/ تصحيح المفاهيم الخاطئة حول العقوبات الإلهية:

بعض الناس يظن أن نزول العذاب دليل على قوة الداعية أو صدقه، لكن صالحاً كان يريد لهم الرحمة لا العذاب. هذا يعلمنا أن الداعية الحق هو الذي يبذل وسعه لإنقاذ الناس قبل أن يحل بهم البلاء. ليس هدفه إثبات نفسه يهلاكمهم، بل هدفه إصلاحهم ونجاتهم.

ثالثاً: كيف نطبق هذا الفقه في حياتنا العملية؟

تخيل أنك في موقف خلاف مع زوجتك، أو مع زميلك في العمل، أو مع ابنك المراهق. قد تستعجل بالانفعال، وقد تستعجل بالكلمة القاسية. لكن الآية تقدم لك وصفاً ذهبية:

. قف وتأمل: لماذا تستعجل بالسيئة قبل الحسنة؟ لماذا تستعجل بالهجر قبل المصالحة؟ لماذا تستعجل بالاتهام قبل التبرير؟ لماذا تستعجل بالعقاب قبل العفو؟
. حول استعجالك من الشر إلى الخير: استعجل بالحسنات. استعجل بالسلام، استعجل بالاعتذار، استعجل بالدعاء لهم بالهداية.
. علم نفسك ألا ترد الإساءة بالإساءة: صالح أسىء إليه، قومه كذبوه واستعجلوا عذابه، فماذا فعل؟ دعاهم إلى الاستغفار والرحمة.

رابعاً: "لَوْأَنَّ تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" - أهمية الاستباق للرحمة وتصحيح مفاهيم التوبة

هذه الجملة هي قمة الحلم والرحمة. صالح لم يقل لهم "سوف يهلككم الله"، بل قال: ألا تستغفرون الله لعلكم ترحمون؟ إنها دعوة مفتوحة للتوبة، وفتح لباب الرحمة.

ما هي الرسائل التي تحملها هذه الكلمات؟

١/ الاستغفار هو مفتاح الرحمة:

الآية تعلمنا أن الاستغفار ليس مجرد طلب للمغفرة، بل هو استباق للرحمة. عندما تستغفر، فكأنك تطلب من الله أن يسبقك برحمته قبل أن تحل بك عقوبته. الاستغفار يحول العذاب إلى رحمة، و النعمة إلى نعمة.

٢/ ترك التسوية في التوبة:

صالح يقول لهم: استغفروا الآن، لا تؤجلوا. "لولا" هنا بمعنى "هلا" التي تفيد الحث على الفور. لا تقل: سأتوب غداً، سأصلح بعد رمضان. التسوية في التوبة هو أكبر مدخل للعذاب. المؤمن الفطن هو من يبادر بالاستغفار قبل أن تغلق الأبواب.

٣/ تصحيح المفاهيم:

بعض الناس يظن أن الاستغفار لا ينفع مع كبر الذنوب، أو أن العذاب إذا نزل لا يرفع. الآية ترد هذا الفهم الخاطئ: لَوْأَنَّ تَسْتَغْفِرُونَ أَي: لو أنكم استغفرتم لرحمكم الله. باب التوبة مفتوح ما لم يعاينوا العذاب. وهذا يعطينا أملاً عظيماً في رحمة الله، حتى في أحلك اللحظات.

٤/ كيف نطبقه في حياتنا اليومية؟

. اجعل الاستغفار ورداً يومياً: ليس بعد المعصية فقط، بل قبل أن تقع المعصية، الاستغفار يحمي القلب ويجلب الرزق ويدفع البلاء.
. إذا رأيت من حولك على خطأ، ادع لهم بالهداية والاستغفار: كما فعل صالح، لا تدع عليهم بالهلاك، بل قل: "اللهم اغفر لهم واهداهم".

. علم أبناءك أن الاستغفار ليس عيباً؛ بل هو شرف، وهو طريق العز والرحمة.

خامساً: لمحات بيانية وبلاغية في الآية تخدم المعاني

لنقف قليلاً عند بعض الدقائق البيانية التي تزيد الآية جمالاً وتأثيراً:

١/ تقديم "بالسيئة" على "الحسنة":

قال: {لَمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ}. {قدم السيئة على الحسنة لأنها هي التي كانوا يستعجلونها، وللتوبيخ على هذا السلوك المنقلب. إنه استنكار لفطرتهم المقلوبة، فالإنسان السوي يستعجل الحسنة لا السيئة.

٢/ استخدام "لم" الاستفهامية:

الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ، وليس للسؤال الحقيقي. إنه توبيخ لطيف يوقظ العقل: أين عقولكم؟ كيف تستعجلون ما يضركم وتتركون ما ينفعكم؟ هذا الأسلوب يجعل المخاطب يتوقف ويراجع نفسه.

٣/ "لولا" التحضيضية:

كلمة "لولا" هنا بمعنى "هلا" التي تحض على الفعل وتحث عليه. إنها تحمل معنى اللوم على ترك الاستغفار. كأنه يقول: ألا تفعلون هذا الأمر العظيم الذي يدرأ عنكم البلاء ويجلب لكم الرحمة؟

٤/ "لعلكم ترحموني":

"لعل" تفيد الترجي، والترجي هنا من البشر لكنه من الله وعد. إنها تحمل معنى الأمل والطمع في رحمة الله. صالح لم يقل "يغفر لكم"، بل قال "ترحمون"، فالرحمة أوسع من المغفرة، تشمل سعة العيش، ودفع البلاء، وحسن الخاتمة.

٥/ الالتفات من خطاب الكفر إلى خطاب القومية:

في الآية السابقة كان الحديث عن ثمود بصيغة الغائب) أرسلنا إلى ثمود، ثم انتقل في هذه الآية إلى خطاب صالح المباشر لقومه: {قَالَ يَا قَوْمِ}. {هذا الالتفات يجعل المشهد حياً، وكأننا نسمع صالحاً يتكلم، ونرى حوارهم معهم.

سادساً: الدروس والتوجيهات المركزية للآية

أيها القارئ العزيز، هذه الآية تقدم لك منهجاً متكاملًا في الحياة:

١/ في علاقاتك الأسرية والاجتماعية:

. إذا نشب خلاف، لا تستعجل بالقطيعة أو الكلمة الجارحة (السيئة)، بل استعجل بالصلح والعفو (الحسنة).

. ناد من تخاصم بأحب الأسماء إليهم: "يا أبي"، "يا أمي"، "يا أخي"، "يا صديقي". هذا يفتح القلب.

. لا تياس من هداية من حولك، واجعل لسانك رطباً بالدعاء لهم والاستغفار لهم.

٢/ في تربيتك لأبنائك:

. عندما يخطئ ابنك، لا تستعجل بالضرب أو الصراخ (السيئة)، بل استعجل بالحوار والاحتواء (الحسنة).

. علمه أن الاستغفار هو سبيل الرحمة، وأن الخطأ لا يغلق باب العودة.

. كن مثل صالح: تقدم النصيحة برفق، وتحلم على من يخطئ في حقه.

٣/ في نفسك:

. راقب استعجالك: هل تستعجل الغضب أم تستعجل العفو؟ هل تستعجل الشتم أم تستعجل الدعاء؟

. اجعل الاستغفار سلاحك في كل وقت: إذا أذنبت استغفر، وإذا رأيت منكراً استغفر للعاصي وادع له، وإذا ضاقت بك الدنيا استغفر.

. لا تؤجل التوبة ولا الإصلاح. الحياة قصيرة، والرحمة تنتظر مبادرتك.

٤/ في دعوتك للآخرين:

- تذكر دائماً أن هدفك هو رحمتهم لا هلاكهم.
- استخدم أسلوب "يا قومي" في خطابك، اجعلهم يشعرون أنك منهم وأنت تريد لهم الخير.
- إذا قابلت إساءة أو استعجالاً بالشر، فقابلها بالدعوة إلى الخير والاستغفار، كما فعل صالح.

خاتمة: أنت الآن المخاطب بهذا النداء

تخيل أن صالحاً عليه السلام يناديك أنت اليوم: "يا قومي". أنت من قومه لأنك من أمة الإجابة . يناديك برفق: لماذا تستعجل بالسيئة قبل الحسنه؟ لماذا تستعجل باليأس قبل الرجاء؟ لماذا تستعجل بالانفعال قبل الحلم؟

ثم يهمس في أذنك: "لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون". الباب مفتوح، والرحمة تنزل، فقط استغفر، فقط تب، فقط عد إلى الله.

المبحث الثالث

أيها القلب الحائر بين سنن الكون وخرافات الجاهلية، أيها العقل الذي يبحث عن موضع قدمه في أحداث الحياة، لنقف مع مشهد آخر من مشاهد تمود مع نبي الله صالح عليه السلام، مشهد يكشف عن أعماق النفوس عندما يمرضها الشرك، ويبين كيف تنقلب المفاهيم وتقرأ الأحداث قراءة مقلوبة.

تأمل معي قوله تعالى:

{قَالُوا طَائِرَاتُكُمْ مَعَكُمْ ۖ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} [النمل: 47]

هذه الآية ليست حكاية عن قوم بادوا، بل هي مرآة تعكس واقعاً نعيشه كل يوم: أن نسب المصائب إلى أناس صالحين، وأن نعتقد أن الطيور تجلب النحس أو السعد، وأن ننسى أن الأمور كلها بيد الله . إنها آية تخرجنا من ظلمات الخرافة إلى نور الحقيقة، وتعيد ضبط البوصلة الفطرية التي انحرفت.

تعال نعيش هذه الآية، وكأن القوم ينادوننا، وكأن صالحاً يرد علينا، وكأننا نحن من يُختبر في هذه المعاني.

أولاً: معنى التطير وأسبابه - انحراف الفطرة

{قَالُوا طَائِرَاتُكُمْ مَعَكُمْ ۖ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} [النمل: 47]

"طَائِرَاتُكُمْ" أي: تشاءمنا بك وبأتباعك. كانوا يعتقدون أن وجود صالح والمؤمنين معه هو سبب ما حل بهم من جذب أو ضيق أو مصائب. هذا هو انحراف الفطرة بعينه.

ما معنى انحراف الفطرة؟

الفطرة السليمة تقتضي أن المؤمن لا يتشاءم بأحد، بل يعلم أن الخير والشر من الله، وأن الأسباب لا تجلب النفع أو الضر بذاتها. لكن عندما يمرض القلب بالشرك والكفر، يصبح الإنسان أسيراً للخرافات:

- يتشاءم بالأشخاص.
- يتشاءم بالأيام) كالجمعة 13 عند الغرب، أو الأربعاء الأخير من صفر عند بعض المسلمين.)
- يتشاءم بالطيور والأرقام.
- يظن أن وجود الصالحين هو سبب البلاء.

لماذا هذا الانحراف؟

لأن الكفر يفقد الإنسان المرجعية الصحيحة. عندما لا يعرف أن الله هو الضار النافع، يعلق قلبه بالأوهام. وإذا رأى مصيبة، بحث عن سبب مادي أو وهمي يلقي عليه اللوم، بدلاً من أن يرجع إلى نفسه ويستغفر.

ثانياً: دلالة قولهم "بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ" - إلقاء التبعة على الصالحين

هذه العبارة تحمل في طياتها ظلماً عظيماً. لم يكتفوا بأن يتطيروا بصالح وحده، بل شملوا كل من آمن معه. وهذا من طبائع أهل الباطل:

- تحميل المصلحين مسؤولية الفساد: كلما حل البلاد بلاء، قالوا: بسبب هؤلاء الدعاة، بسبب هؤلاء المصلحين، بسبب التزامهم بالدين. إنه قلب للموازين.
- عدم الاعتراف بأن الذنوب والمعاصي هي سبب المصائب: قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: 30] لكنهم فضلوا أن يلصقوا البلاء بالصالحين بدلاً من أن يراجعوا أنفسهم.

كيف يحدث هذا في واقعنا المعاصر؟

- عندما تقع أزمة اقتصادية، يقول بعض الناس: بسبب كثرة الصلاة والالتزام.
- عندما ينزل المطر في وقت غير معتاد، يتشائم البعض ويقولون: بسبب كثرة الدعاة.
- عندما تمر أمة بابتلاء، يُرمى الصالحون بأنهم "متشائمون" أو "مشؤومون".

هذا هو بعينه ما فعله قوم صالح، وهو داء قديم يتجدد.
ثالثاً: رد صالح عليه السلام - "طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ"

هذه الكلمة تحمل تصحيحاً جذرياً للمفاهيم.

"طائرکم" أي: ما يصيبکم من خير أو شر، وما قدر لکم من حسنة أو سيئة، "عند الله" أي: هو عنده مكتوب، وهو الذي يقدره، وليس لأحد من الخلق أن يجلب لکم نحساً أو سعداً.

ما الدروس التي نستخلصها من هذه العبارة؟

١/ التوكل هو دواء التطير:
المؤمن الحق لا يتشائم، لأنه يعلم أن الطير (الخير والشر) بيد الله. قال ﷺ: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح". الفأل هو التفاؤل، والتطير هو التشاؤم. الرسول ﷺ نهى عن التشاؤم وعلمنا أن نتفاءل.

٢/ تصحيح النية عند المصائب:
عندما تصاب بمصيبة، لا تسأل: من الذي تسبب فيها؟ بل اسأل: ماذا يريد الله مني؟ هل هي تكفير لذنوب؟ هل هي رفع لدرجة؟ هل هي تنبيه لي لأرجع إليه؟ لا تكن كالمشركين تبحث عن كبش فداء من البشر.

٣/ تحميل المسؤولية لله وحده في النفع والضر:
قال تعالى: {وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ} وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ [يونس: 107]. هذه الآية تزرع في النفس الطمأنينة: لا أحد يجلب لك شرّاً إلا بإذن الله، ولا أحد يجلب لك خيراً إلا بإذنه.
رابعاً: "بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ" - بيان حقيقة الابتلاء

صالح عليه السلام لم يكتف بأن ينفي عن نفسه وعن أتباعه التطير، بل قلب الطاولة عليهم: أنتم قوم تفتنون.

ما معنى "تفتنون"؟
الفتنة هنا: الابتلاء والاختبار. أي: أنتم المبتلون، وأنتم الذين تمرّون بامتحان إلهي، والمصائب التي تصيبكم هي بسبب كفركم وفسادكم، وليس بسبب وجودي.

هذه العبارة تحمل عدة رسائل عميقة:

١/ المصائب تأتي من ذنوبنا لا من أولياء الله:
قد يظن البعض أن الصالحين إذا حضروا حل البلاء، أو إذا كثروا في بلد حل الخير. لكن الحقيقة أن القوم إذا عصوا الله، نزل البلاء، وإذا تابوا، رفع البلاء. قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ} [هود: 117]. البلاء ينزل بسبب الظلم والفساد، وليس بسبب وجود المصلحين.

٢/ اختبار الإيمان عند الشدائد:
الفتنة اختبار يظهر من يغيب على الحق ممن ينقلب على عقبيه. قوم ثمود عندما نزلت بهم المصائب، لم يتوبوا، بل اتهموا نبيهم. هذه هي الفتنة: هل تعترف بخطئك وتتوب، أم تلوم غيرك وتزداد كفراً؟

٣/ ضرورة مراجعة النفس عند النكبات:
أول خطوة في معالجة أي أزمة هي أن نسأل أنفسنا: ما ذنوبنا؟ أين قصرنا؟ بدلاً من أن نبحت عن مشؤوم أو نحس. هذا هو المنهج الإيماني: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: 30]

خامساً: المفاهيم التربوية والعملية المستفادة من الآية

١/ المفهوم العقائدي: توحيد الربوبية في النفع والضرر
الآية ترسخ أن الله وحده هو الضار النافع، وأن التشاؤم بأي مخلوق هو شرك أصغر) وقد يصل إلى أكبر إذا اعتقد أن المخلوق يجلب الضر بذاته. (لذلك علينا أن نربي أنفسنا وأبناءنا على أن لا نتشامم بشخص، ولا بيوم، ولا برقم، بل نرد الأمر إلى الله.

٢/ المفهوم التربوي: كيف نتعامل مع الأبناء عند حدوث مكروه؟
إذا كسر الابن شيئاً في البيت، أو تعثر، أو حدثت مشكلة، لا تقل: "أنت شؤم"، أو "ما دخلت إلا وحدثت الكارثة". هذا هو عين التطير الذي نهى عنه الله. بدلاً من ذلك، علمه أن يتفائل، وأن ينظر إلى الأسباب الحقيقية، وأن يتوب إلى الله إذا كان مقصراً.

٣/ المفهوم النفسي: التطير وانعكاساته السلبية
التطير يزرع القلق والوسواس، ويجعل الإنسان يعيش في حالة من الخوف الدائم من الأشخاص أو الأيام. المؤمن الحق يعيش في طمأنينة لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. هذه الطمأنينة هي ثمرة التوكل الصادق.

٤/ المفهوم الاجتماعي: عدم إلقاء اللوم على المصلحين
في مجتمعاتنا، كثيراً ما يلقي الناس اللوم على الدعاة أو الملتزمين عند حدوث أزمات. الآية تعلمنا أن نرفض هذه النظرة، وأن نعلم أن الإصلاح لا يجلب البلاء، بل يدفعه. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33] وجود النبي بين قومه رحمة، لا نقمة.
سادساً: كيف نطبق هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

١/ في حياتنا اليومية:

- إذا تأخر رزقك، لا تتشامم بفلان أو فلانة، بل استغفر الله وأحسن العمل.
- إذا مرضت، لا تقل: "لأن فلانا زارني"، أو "لأن نظرت إلى وجه شؤم". بل قل: "هذا قدر الله، وأحتسب الأجر".
- إذا دخلت بيتاً أو سافرت في يوم، لا تتطير بساعة أو تاريخ، بل قل: "توكلت على الله".
- اجعل شعارك: "لا طيرة"، واجعل تفاءلك بالخير هو ديدنك.

٢/ في تربية الأبناء:

- علم أبنائك ألا يتشامموا بأحد. إذا أخطأ طفلاً، لا تقل: "أنت نحس". هذا يحطم نفسيته. بدلاً من ذلك، قل: "هذا خطأ، دعنا نصلحه، ونتعلم منه".
- اجعلهم يتعودون على ذكر الله عند كل أمر: "بسم الله"، "ما شاء الله"، "تبارك الله". هذه الكلمات تمنع العين وتزيل التطير.

٣/ في المجتمع:

- عندما تحدث أزمة اقتصادية أو سياسية، لا ننخرط في ثقافة "البحث عن كبش فداء" من المصلحين أو من فئة معينة. بل نسأل: أين التقصير منا جميعاً؟ كيف نصلح؟
- نرفض الخرافات التي تتلبس باسم الدين، مثل التشاؤم بشهر صفر، أو الأربعاء الأخير، أو بعض الأسماء. ونبين أن هذه من بقايا الجاهلية.

٤/ في الدعوة:

- الداعية قد يتعرض للاتهام بأنه سبب البلاء، أو أن التزامه هو الذي جلب الضيق. عندها لا ينبغي أن يغضب، بل يرد كما رد صالح: "طائركم عند الله". أي: الأمر كله بيد الله، وما أنا إلا سبب للخير إن شاء الله.
- يستمر في دعوته ولا يلتفت لهذه الاتهامات، لأنها من طبيعة الصراع بين الحق والباطل.
- سابعاً: كيف أن الشرك والكفر يؤديان لانحراف الفطرة؟

تأمل كيف انحرقت فطرة قوم ثمود:

- الفطرة تقتضي أن الإنسان إذا وقع في ضرر، يرجع إلى ربه واستغفره. لكنهم رموا نبيهم بالتطير.

. الفطرة تقتضي أن الإنسان يحب الصالحين ويستبشر بهم، لكنهم كرههم وتشاءموا بهم.
. الفطرة تقتضي أن الإنسان يعلم أن المصائب نتيجة الذنوب، لكنهم لم يتوبوا، بل ازدادوا كفرًا.

كيف ينحرف الإنسان بهذه الصورة؟
لأن الشرك يفسد البصيرة. عندما لا يكون الله هو المحور، تصبح الأوهام والخرافات هي المحور. يبدأ الإنسان يؤمن بالطيور والنجوم والأشخاص أكثر من إيمانه بالله. وهذا هو انحراف الفطرة: أن تطلب الضار والنافع من غير الله.

العلاج:
إعادة التوحيد إلى القلب. أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن الله هو الضار النافع، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. عندما يترسخ هذا الإيمان، تزول الخرافات، وتصح الفطرة، ويعود الإنسان إلى رشده. ثامنًا: رسائل الآية لنا في عصرنا

١/ لا تكن أسيرًا للتشاؤم:
قد يسيطر التشاؤم على حياتنا بسبب فشل أو خسارة. الآية تقول: توقف، لا تلوم الأشخاص، لا تلوم الأيام، انظر إلى نفسك، واستغفر، وتوكل على الله.

٢/ لا تظن أن المصلحين شؤم:
ربما في محيطك من يدعو إلى الخير، فيتخذ البعض موقفًا سلبيًا منه، ويظن أن التزامه سبب في المشاكل. تذكر أن الصالحين هم سبب في دفع البلاء، وليس في جلب البلاء.

٣/ أنت مُختبر في كل موقف:
عندما تصاب بمصيبة، السؤال الحقيقي: هل ستكون ممن يتهمون القدر والناس، أم ممن يتوبون ويرجعون إلى الله؟ هذا هو الاختبار الذي أشارت إليه الآية: {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ}.

٤/ التوحيد يصح الرؤية:
كلما قوي توحيدك، رأيت الأمور بوضوح. عرفت أن الطير الخير والشر (من عند الله، وأن الناس مجرد أسباب، وأن الله هو المسير الحقيقي. خاتمة: أنت في قلب المشهد

تخيل أن قوم ثمود ينادونك اليوم، ويقولون لك: "نحن نتشاءم بالمتدينين، ونتشاءم بالدعاة، ونتشاءم بالملتزمين، فنحن نعتقد أنهم سبب أزماتنا". فماذا ستكون إجابتك؟

ستكون إجابتك كإجابة صالح: "طائركم عند الله". لا تشاؤم مع الله، ولا نحس مع الإيمان. الأزمات سببها ذنوبنا، وحلها في توبتنا، وليس في رمي الصالحين بالاتهامات.

ثم ستقول لهم: "بلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ". أنتم مبتلون، والابتلاء يحتاج منكم صبرًا واستغفارًا، لا مزيدًا من الكفر والتطير.

المبحث الرابع

أيها القلب الذي يبحث عن العدل في زمن تغولت فيه عصابات الفساد، أيها العقل الذي يتساءل: كيف تتفق مجموعة من البشر على إبادة الخير وأهله؟ لنقف مع مشهد مرعب من تاريخ ثمود، مشهد لا يختلف كثيرًا عما يجري في عالمنا اليوم من مؤامرات وتآمر على الصالحين.

تأمل معي قوله تعالى:

{وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَآلَا يُصْلِحُونَ (48) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [(49) النمل: 48-49]

هذه الآيات ليست مجرد قصة قديمة، بل هي كشف لطبيعة الصراع بين الحق والباطل في كل زمان. إنها تضع أصابعنا على حقيقة مريرة: أن الفساد لا يحتاج إلى كثرة، وأن تسعة رهط يمكنهم أن يقلبوا مدينة، وأن التآمر على الأنبياء وأتباعهم هو سنة من سنن المجرمين. تعال نعيش هذه الآيات، ونستخرج منها دروسًا تنير طريقنا في زمن كثر فيه المتربصون بالدين وأهله.
أولاً: "وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ" - قلة الفاسدين وكثرة الضرر

معاني المفردات:

. المدينة: مدينة الحجر، عاصمة ثمود.

• تَسْعَةُ رَهْطٍ: الرهط: ما دون العشرة من الرجال. هم تسعة رجال من أشرف القوم وأقويائهم.
• يُقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَتَا يُصْلِحُونَ: صفتهم الغالبة هي الإفساد، ولا خير فيهم ولا إصلاح.

ما الذي نتعلمه من هذه الآية؟

١/ فساد الأقلية يكفي لإهلاك أمة:

تأمل! لم يكن كل قوم ثمود مجرمين، بل كان فيهم من آمن، وكان فيهم من لم يشارك في الجريمة . لكن هؤلاء التسعة كانوا هم الرأس المدبر، وهم الذين أضلوا غيرهم، وهم الذين قادوا عملية قتل الناقة ثم تأمروا على صالح. هذه الآية تعلمنا أن الجماعة الصغيرة المنظمة يمكن أن تكون أخطر من جماعة كبيرة فوضوية. الفساد لا يحتاج إلى أكثر من عصابات منظمة تدير المال والسلطة والإعلام لتدمير المجتمعات.

٢/ الإفساد مع عدم الإصلاح صفة الخبثاء:

وصفهم الله بأنهم يُقْسِدُونَ وَتَا يُصْلِحُونَ. أي أن الإفساد هو ديدنهم، وليس فيهم ذرة من خير أو نية للإصلاح. هذا هو الفرق بين المخطئ الذي يذنب ثم يتوب، وبين المجرم المحترف الذي لا يريد إلا الشر. هؤلاء هم الذين قال فيهم ربنا: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } [البقرة: 11] يدعون الإصلاح وهم أئمة الفساد.

٣/ خطر نخبة الفساد في المجتمعات:

كل مجتمع فيه "تسعة رهط" - قلة فاسدة متنفذة - يمكنها أن تحكم مصير الأمة. في عصرنا، هم رؤوس الفساد في الإدارة والاقتصاد والإعلام، الذين يخططون للبقاء في السلطة، ويوظفون كل الإمكانات لمحاربة الإصلاح والمصلحين.
ثانياً: المؤامرة العظيمة - التخطيط لاغتتيال النبي وأهله

{قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ}

مشهد الجريمة:

اجتمع هؤلاء التسعة، وأقسموا بالله) استهانة باسم الله (على أن يبيتوا صالحاً وأهله. "لَنُبَيِّتَنَّهُ" أي: لنقتلنه ليلاً بغتة، في الظلام، آمنين مطمئنين.

ما الذي نستخلصه؟

١/ الجريمة المنظمة تحتاج إلى تخطيط وتقسيم:

"تقاسموا بالله" تدل على أنهم أخذوا عهداً ومواريق على تنفيذ الجريمة. هذا أسلوب العصابات: توثيق الصفقات وتوزيع الأدوار. القتل الليلي الغادر هو أسلوب الجبناء الذين لا يواجهون الحق علناً.

٢/ لماذا استهدفوا "أهله"؟

لم يكتفوا بقتل صالح، بل أرادوا استئصال شأفة المؤمنين معه. هدفهم القضاء على الرسالة بأكملها، وليس فقط على شخص النبي. وهذا هو منهج الطغاة في كل عصر: لا يكتفون بقتل القائد، بل يريدون إبادة كل من ينتمي إليه، ليقطعوا جذور الإصلاح.

٣/ الغدر والليل: سنة المجرمين:

القتل في الليل والغدر من وراء ظهر الداعية هو شعار من لا يملكون حجة، ولا يستطيعون مواجهة الحق. كم من دعاة ومصلحين اغتيلوا في عقر دارهم، في ظلمة الليل، على أيدي عصابات لا ترى النور؟

ثالثاً: تزييف الحقيقة - "ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ"

هنا ذروة الإجرام: لم يكتفوا بالقتل، بل خططوا لكيفية التغطية على جريمتهم.

التحليل:

• لِوَلِيِّهِ: أي لأولياء الدم، أقرباء صالح الذين سيطالبون بدمه.
• مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ: أي ما حضرنا قتلهم، ولا نعرف من قتلهم.
• وَإِنَّا لَصَادِقُونَ: يؤكدون الكذب باليمين، ويظنون أنهم سيبرؤون من الجريمة.

ما هي الدروس؟

١/ أسلوب التغطية على الجرائم:
كلما ارتكبت عصابات الفساد جريمة، عملت على تضليل الرأي العام من أساليبهم: نفي المسؤولية، وإنشاء روايات مزيفة، واستخدام الإعلام لتبرئة أنفسهم. هؤلاء التسعة أرادوا أن يظهرُوا بمظهر الأبرياء الذين لم يعلموا شيئاً، بينما هم قتلة.

٢/ الجمع بين الإجرام والكذب والحلف بالله كذباً:
هذه الآية تبين صورة كاملة للطغيان: يجتمعون على الإجرام، ثم يجتمعون على الكذب، ثم يجتمعون على الحلف بالله كذباً. إنها مراحل متدرجة في الانحطاط الأخلاقي. عندما يسقط الحياء، لا يبقى مانع من الكذب على الله وعلى الناس.

٣/ دور أولياء الدم في المجتمع:
الآية تشير إلى وجود نظام اجتماعي يعرف "ولي الدم" الذي يطالب بالقصاص. لكن هؤلاء المجرمين كانوا يخططون لخداع هذا النظام في مجتمعاتنا، كثيراً ما تستر جرائم بحجة "لا نعرف"، أو يُضلل أولياء الدم ليتنازلوا، أو تُلغى التهم للأبرياء.
رابعاً: لمسات بيانية وبلاغية في الآيتين

لنقف عند بعض الدقائق التي تزيد المشهد تأثيراً:

١/ تعريف "المدينة" بالألف واللام:
قال في المدينة، وهي مدينة الحجر المعروفة. هذا التعريف يشير إلى أن الفساد كان في عاصمة القوم، في مركز الحضارة والسلطة. الفساد لا ينمو في الأطراف غالباً، بل ينمو في قلب المدن حيث تتركز المصالح والسلطات.

٢/ "تسعة رهط" بالتنكير:
نكرهم لأنهم لا يستحقون تعريفاً بالشرف، وإنما هم مجرد أفراد لا وزن لهم في الميزان الإلهي. لكن مع ذلك، كان لهم أثر مدمر.

٣/ الإخبار عنهم بالفعل المضارع "يقسِدُونَ":
الفعل المضارع يدل على الاستمرار والتجديد. كانوا دائماً في حالة إفساد، لم يكن لهم فعل آخر. هذه صفة الملازم للشر.

٤/ "وَأَنتُمْ يُصْلِحُونَ" بنفي الإصلاح:
الجملة حالية مؤكدة، تنفي عنهم أي إصلاح. لا يصلحون أبداً. إنه وصف شامل يخبر بأنهم ليس فيهم خير، وكل أعمالهم شر.

٥/ "تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ":
استعمالهم اسم الله في قسمهم على الشر والكذب هو منتهى الجرأة والسقوط. القسم بالله حق عظيم، لكنهم استخدموه لتأكيد جريمتهم. هذا يذكرنا بقوله تعالى عن المنافقين: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [المنافقون: 2]

٦/ "لِنُبَيِّنَنَّ وَأَهْلَهُ":
"لنبيئنه" من البيات، وهو القتل ليلاً. اختيار هذا الفعل يوحي بالغدر والجبن. والقيد بـ"وأهله" يدل على شدة الحقد والرغبة في الاستئصال.

٧/ "ثُمَّ لِنَقُولَنَّ لَوْلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكُ أَهْلِهِ":
"ثم" للتراخي، تشير إلى ترتيب الجريمة ثم التغطية. كأنهم يخططون لمراحل الجريمة: قتل ثم إنكار. و"ما شهدنا" نفي للعلم، وهم عالمون. و"مهلك أهله" عبروا عن القتل بمهلك) أي: مكان الهلاك (ليخفوا جريمتهم. ثم أكدوا بـ"وإننا لصادقون" ليقطعوا الطريق على أي شك.
خامساً: دروس تربوية وإصلاحية من الآيات

١/ لا تستهن بالقلة الفاسدة:
قد يظن البعض أن الفساد لا ينتشر إلا بوجود أعداد كبيرة. لكن الآية تعلمنا أن تسعة رهط يمكنهم أن يقلبوا مدينة، ويقتلوا نبياً، ويميتوا ديناً. إذا رأيت عصابات منظمة تريد محاربة الإصلاح، فلا تستهن بها، فهي كافية لتدمير مجتمع إن لم يصدها الله.

٢ / ضرورة اليقظة من مؤامرات الأعداء:
صالح عليه السلام لم يكن غافلاً عن هذه المؤامرة؟ بل كان يعلم، لكنه كان واثقاً من نصر الله .
وقد نجاه الله وأهلكهم. هذا يعلمنا أن المصلح يجب أن يكون واعياً بمكر الأعداء، ولا يغفل عن
تخطيطهم، لكن ثقته بالله أكبر من خوفه منهم.

٣ / لا تكن "ولي دم" تغفل عن الحقيقة:
في الآية، المجرمون كانوا يخططون لخداع أولياء الدم. هذا تذكير بأنه يجب على المجتمع أن يكون
يقظاً في متابعة الجرائم، وألا يكتفي بالروايات الرسمية، وأن يبحث عن الحقيقة قبل أن تموت.

٤ / التخطيط للجريمة لا ينجي من عذاب الله:
هؤلاء خططوا بدقة، واقتسموا أيمانهم، لكن الله قال بعد ذلك: {فَكَيْدُوا مَكْرًا وَكَيْدَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ} [النمل: 50] مكر الله أشد، وأهلكهم بالصيحة وهم في منازلهم. درس عظيم: لا تظن أن
التخطيط الدقيق والتنظيم المحكم ينجي من الله.
سادساً: تطبيقات معاصرة للآيات

١ / في واقعنا اليوم:
كم من "تسعة رهط" في كل مدينة، يجتمعون في مجالس مغلقة، ويخططون لقتل الحق وأهله؟ قد لا
يكون القتل المادي، بل القتل المعنوي: التشهير، والتكفير، والتخوين، والاستبعاد من المناصب. كم من
صالحات وصلحاء تم تدميرهم بفعل عصابات منظمة تحت غطاء المال أو السلطة أو الإعلام؟

٢ / في محيط الأسرة والعمل:
قد تجد مجموعة صغيرة من الزملاء يتآمرون على زميل ملتزم، أو مجموعة من الأقارب يتواطؤون
على ظلم قريب لهم. الآية تذكرنا بأن مثل هذه المجموعات وإن صغرت، فإن ضررها كبير، ويجب
الحذر منها، واللجوء إلى الله، والثقة بأن مكر الله محيط بهم.

٣ / في الدعوة والإصلاح:
الداعية يجب أن يكون مستعداً لمؤامرات الأعداء. لا ينبغي أن يصدم إذا اكتشف أن هناك مجموعة
تخطط للإيقاع به أو بالدعوة. صالح عليه السلام كان يعلم، لكنه استمر في دعوته ووكّل أمره لله .
هذا درس في الثبات.

٤ / في التربية:
علم أبناءك أن المجموعات الصغيرة قد تكون مدمرة، وأن عليهم أن لا ينخرطوا في عصابات تخطط
للشر مهما كانت الإغراءات. وعلمهم أن اليمين بالله أمانة لا تستباح للكذب والغدر.
سابعاً: المفاهيم المركزية للآيتين

١ / مفهوم الفساد المنظم:
الفساد ليس مجرد تصرفات فردية، بل قد يكون منظماً له قيادة وتخطيط. الآية تكشف عن وجود
"خلية فاسدة" في المجتمع تعمل على إفساد الأرض بوعي ودقة.

٢ / مفهوم المؤامرة في صراع الحق والباطل:
الباطل لا يواجه الحق بصراحة، بل يلجأ إلى الغدر والخداع. هذه سنة مستمرة.

٣ / مفهوم الاستهانة باسم الله:
من أخطر علامات الانحراف أن يستخدم اسم الله لتبرير الباطل وتأكيد الكذب. هذا يدل على أن الإ
يمان فقد حقيقته في القلب.

٤ / مفهوم التغطية على الجريمة:
المجرمون لا يكتفون بارتكاب الجريمة، بل يسعون لتبريرها وتضليل المجتمع. هذا يحتاج إلى وعي
مجتمعي لفضح هذه المحاولات.

٥ / مفهوم العقاب للمفسدين:
رغم قوتهم وتنظيمهم، فإن عاقبتهم كانت الهلاك، والناجي هو الحق وأهله. هذه طمأنة للمؤمنين بأن
النصر النهائي لله ولرسوله.
خاتمة: نحن أمام مشهد متكرر

أيها المؤمن، أيها المصلح، أيها الذي تشعر أحياناً أن هناك من يتربص بك وبدينك: تذكر أن هذه سنة

الله في خلقه. لن يخلو زمان من "تسعة رهط" يجتمعون على الإفساد، ويخططون للغدر، ويحلفون ب الله كذباً. لكن تذكر أن معك الله، وأن مكر الله أشد، وأن العاقبة للمتقين.

لا تكن غافلاً عن مكرهم، ولكن لا تخفهم. خطط للخير كما يخططون للشر، واجعل ثقتك بالله فوق كل شيء. وكن مثل صالح: لم يئنه تأمرهم عن دعوته، ولم يخنقه الخوف، بل مضى في طريقه ووكل أمره إلى الله، فكانت النجاة له ولأتباعه، والدمار لمن كادوا.

المبحث الخامس

أيها القلب المتأمل في سنن الله، أيها العقل الذي يتساءل: كيف يمهّل الله المجرمين وهم يخططون للشر؟ أليس الله قادراً على أن يبطش بهم في الحال؟ ولماذا يتركهم حتى يظنوا أنهم انتصروا؟ لنقف مع آية عظيمة من آيات الله، آية تختصر مشهداً كاملاً من مكر البشر ومكر الربوبية.

تأمل معي قوله تعالى:

{وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: 50]

هذه الآية هي كشف الغطاء عن معركة خفية لا تراها العيون المجردة. إنها تصوير دقيق للمواجهة بين تدبير البشر وتدبير الله. هنا تتجلى سنة من أعظم سنن الله: أنه يمهّل ولا يمهّل، وأن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله، وأن لحظة الظفر التي يظنها المجرمون هي بعينها لحظة سقوطهم. تعال نعيش هذه الآية، ونشعر بأننا أمام مشهد من مشاهد القيامة، حيث تتكشف النوايا، وتظهر النتائج.

أولاً: معنى "المكر" في اللغة والاصطلاح

مكرهم:

هو تدبيرهم الخفي، وتخطيطهم المحكم لاغتيال صالح وأهله، كما سبق في الآيتين 48 و 49. كان مكرهم قائماً على:

- الاجتماع السري: اجتمعوا وتقاسموا بالله.
- التوقيت الليلي: اختاروا الليل لبيئته.
- التغطية: خططوا للإنكار والحلف الكاذب.

مكر الله:

ليس مكر الله كمكر البشر. مكر الله هو استدراجه وإمهاله ثم أخذ أخذه عندما يكون العبد في غفلة. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۗ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} {هود: 102} مكر الله هو أن يمهّلهم حتى يظنوا أنهم فازوا، ثم يأتيهم العذاب من حيث لا يحتسبون.

الفرق بين المكرين:

- مكرهم كان في الظاهر (تخطيط بشري)، ومكر الله كان في الخفاء (تدبير إلهي).
- مكرهم كان ضعيفاً لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ومكر الله كان قوياً لا يرد.
- مكرهم كان ليلاً في غفلة، ومكر الله كان أعظم وأشد.

ثانياً: لماذا قال "وَمَكْرُوا مَكْرًا" بالتنكير و"وَمَكْرًا مَكْرًا" بالتعريف؟

لمسات بيانية عظيمة:

١/ تنكير "مَكْرًا" في مكرهم:

نكر مكرهم للدلالة على حقارته وضعفه مهما بدا محكماً. كل مكر البشر وإن عظم في أعينهم، فهو عند الله حقير تافه. كأنه يقول: مكروا مكرًا لا قيمة له، لا يؤثر في شيء، ولا يغير من القدر شيئاً.

٢/ تعريف "المَكْر" في مكر الله:

قال "وَمَكْرًا مَكْرًا" بالتنكير أيضاً، لكن في سياق آخر. هنا التنكير للتعظيم. "مكراً" أي: مكرًا عظيماً مهو لا يقادر قدره. وقد قرأ بعض القراء "ومكرونا مكرًا" بالتنكير للتعظيم أيضاً. الفرق أن مكرهم جاء منكراً لتحقيره، ومكر الله منكراً لتعظيمه. وقيل: إن تعريف مكرهم في مواضع أخرى يدل على أنه كان معروفاً عندهم، لكنه كان حقيراً.

٣/ التقديم والتأخير:

قدّم مكرهم مع أن مكر الله سابق في الأزل. لكن الترتيب بحسب الزمان: هم بدأوا بالمكر، فكان

جزاؤهم من جنس عملهم. وهذا من عدل الله: من كاد يكاد له.

٤ / الإسناد إلى الله بصيغة "نحن":
"وَمَكَرْنَا" بصيغة الجمع الدالة على العظمة والقدرة. الله تعالى يفعل ما يشاء، ولا معقب لحكمه. هذا المكر الإلهي ليس ظلماً، بل هو عدل واستدراج.
ثالثاً: "وَهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ" - الغفلة الكبرى

هذه الجملة هي ذروة المأساة في حق الماكرين. إنهم في ذروة انشغالهم بتدبير مكرهم، وهم في غفلة تامة عن المكر الإلهي الذي يحيط بهم.

معاني عدم الشعور:

١ / لا يشعرون بعاقبة مكرهم:
هم يظنون أنهم يخططون لانتصارهم، وهم في الحقيقة يخططون لهلاك أنفسهم. كم من إنسان يظن أنه يبني مستقبلاً، وهو يهدم آخرته! وكم من جماعة تظن أنها تخدم قضيتها، وهي توقع نفسها في الهاوية!

٢ / لا يشعرون بمراقبة الله:
لو شعروا بأن الله مطلع على مكرهم، لارتعدت فرائضهم. لكن الغفلة أعمت بصائرهم. قال تعالى:
{أَفَأَمَّنُوا مَكَرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: 99]

٣ / لا يشعرون بأن العذاب قادم:
لحظة تخطيطهم للجريمة، كان العذاب على الأبواب. لكنهم في سكرة التخطيط لا يشعرون أن الصيحة أو الزلزلة أو الحجارة ستحل بهم بعد لحظات.

في ذلك عبرة عظيمة:
الإنسان في أشد لحظات ظنه أنه انتصر، قد يكون في أشد لحظات اقتراب هلاكه. لا تأمن مكر الله، ولا تغفل عن مراقبته.
رابعاً: كيف نفهم مكر الله؟ وهل يوصف الله بالمكر؟

قد يتبادر إلى الذهن سؤال: كيف يوصف الله بأنه مكر، والمكر في البشر صفة ذميمة؟

الجواب من وجوه:

١ / المكر في حق الله ليس كالمكر في حق البشر:
صفات الله تختلف عن صفات المخلوقين. مكر الله هو جزاء المكر، وهو عدل منه. قال تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ} [آل عمران: 54] أي: خير المجازين للماكرين. فهو سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، ومن كاد يكاد له.

٢ / مكر الله هو استدراج العباد بالنعم ثم الأخذ:
وهو نوع من العدل، لأنه يمهلهم ليزدادوا إثماً، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. قال تعالى: {سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) وَأُمْلِي لَهُمْ ۗ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [الأعراف: 182-183].

٣ / مكر الله هو حفظه لعباده الصالحين:
كان مكر الله في قصة ثمود هو نجاة صالح وأتباعه، وإهلاك الماكرين. فمكر الله هو بعينه لطفه بـ المؤمنين، وحفظه لهم من كيد الكائدين.

الخلاصة:

مكر الله ليس خداعاً ولا ظلاً، بل هو سنته في المجازاة، يمهّل الظالمين حتى إذا ظنوا أنهم فازوا، أخذهم فجأة وهم لا يشعرون.
خامساً: سنن الله في المكر والمكر

الآية تضعنا أمام سنن كونية ثابتة:

السنة الأولى: أن الباطل يبدأ بالمكر:
كل محاولات إطفاء نور الله تبدأ بتخطيط من أهل الباطل. لكن الله يرد كيدهم في نحورهم.

السنة الثانية: أن الله أشد مكرًا؛
مهما أحكم المفسدون خططهم، فإن تدبير الله محيط بهم. قال تعالى: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا} (16) الطارق: 15- 16].

السنة الثالثة: أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله:
قال تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: 43] الذي يخطط للشر، يعود شره عليه. وهذا ما حدث مع ثمود: خططوا لقتل صالح، فأهلكهم الله.

السنة الرابعة: أن الله يمهل ولا يهمل:
الإمهال ليس إهمالاً. الغفلة التي يعيشها الماكرون هي جزء من استدراج الله لهم. كلما طال الأمد، اشتد العذاب.

السنة الخامسة: أن النصر للمؤمنين وإن تأخر:
صالح عليه السلام وأتباعه نجوا، والمفسدون هلكوا. هذه هي العاقبة التي وعد الله بها.
سادسًا: دروس وتوجيهات من الآية

١/ لا تغتر بتمكين الفاسدين:
إذا رأيت المفسدين يخططون، وينظمون صفوفهم، ويظنون أنهم سينتصرون، فلا تحزن. تذكر أن مكر الله محيط بهم، وأنهم لا يشعرون بأن عذاب الله على الأبواب.

٢/ كن واعياً بمكر الأعداء:
المؤمن لا يكون غافلاً عن مكر أعدائه، لكنه لا يخافهم. يجب أن نأخذ بأسباب الحيطة والحذر، لكن لا نضع ثقتنا في هذه الأسباب، بل في الله.

٣/ احذر أن تكون من الغافلين:
أعظم خطر هو أن يخطط الإنسان للشر وهو لا يشعر أن الله يراه، وأن العذاب قريب. كل إنسان يظلم نفسه أو يظلم غيره، يجب أن يتذكر هذه الآية: لعلك في لحظة ظفرك تكون في لحظة هلاكك.

٤/ تعلم الصبر على مكر الماكرين:
صالح عليه السلام صبر على مكرهم، ولم يستعجل النصر. المؤمن يتأسى به: قد يمكر بك الناس، وقد تخطط لك العصابات، لكن ثق بأن الله سيمكر لهم، وأن العاقبة لك.

٥/ لا تظن أن الله غافل:
هذا هو لب الآية. الماكرون يظنون أنهم يفعلون ما يفعلون في خفاء، وأن الله لا يراهم. لكن الله مطلع، وهو الذي سيجازيهم.
سابعًا: تطبيقات معاصرة للآية

١/ في حياتنا اليومية:

. إذا كنت تتعرض لمؤامرة في عملك، أو في أسرته، أو في محيطك الاجتماعي، وتشعر أن هناك من يخطط للإيقاع بك، فتق بأن الله معك. لا تحتج إلى مكر مماثل، بل توكل على الله، ودع أمرك له. مكر الله أشد.
. لا تكن أنت من يخطط للشر. إذا راودتك فكرة الإيقاع بآخرين، أو الانتقام، أو التآمر عليهم، فتذكر أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله. ربما تكون أنت الضحية الأولى لمكرك.

٢/ في صراع الأمم والمجتمعات:
كم من مؤامرات حيكت على الإسلام والمسلمين، وكم من مكر تعرض له هذا الدين! لكن كل مكر انقلب على أهله. سقوط الإمبراطوريات التي تأمرت على الإسلام، واندحار قوى البغي والطغيان، كلها شواهد على صدق هذه السنة الإلهية.

٣/ في الدعوة والإصلاح:
الداعية قد يتعرض لمؤامرات من أعداء الدعوة. قد يخططون لتشويه سمعته، أو عزله، أو سجنه، أو حتى اغتياله. لكن الآية تطمئنه: مكرهم محكوم عليه بالفشل، ومكر الله ناصر.

٤/ في التربية:

علم أبناءك ألا يخافوا من مكر الناس. علمهم أن الأقوياء والماكرين قد يظنون أنهم انتصروا، لكن العاقبة للمتقين. هذا يبني فيهم شخصية قوية لا تخشى إلا الله.
ثامناً: المفاهيم المركزية للآية

١/ مفهوم الاستدراج الإلهي:

أن الله يمهّل العاصي ويزيده من النعم، فيظن أن الله يحبه، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر. قال تعالى: {فَلَمَّا تَسَاءَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: 44]

٢/ مفهوم المقابلة بالمثل:

من كاد يكاد له. هذه سنة عادلة: كما تدين تدان. قال ﷺ: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته". هذا هو مكر الله.

٣/ مفهوم الغفلة الإنسانية:

أخطر ما في الإنسان أن يظن أنه يعلم وهو لا يعلم، وأنه يشعر وهو لا يشعر. هذه الآية توفظ الغافلين: انتبه، ربما أنت الآن في لحظة لا تشعر فيها أن العذاب قادم.

٤/ مفهوم الطمأنينة للمؤمن:

أن الله مع عباده المؤمنين، وأنه يدافع عنهم. {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج: 38]
تأسعاً: كيف نستشعر هذه الآية في قلوبنا؟

تخيل هذا المشهد:

مجموعة من الرجال يتجمعون في غرفة مظلمة، يتناجون، يتقاسمون الأيمان، يخططون لاغتيال رجل صالح وأهله. وجوههم مقطبة، عيونهم تبرق غيظاً، يوزعون الأدوار، يرتبون التفاصيل. ثم يخرجون مسرورين، يظنون أنهم انتصروا. لكنهم لا يشعرون بأن فوقهم ملكاً يكتب، وإلهاً يدبر، وأن الصيحة ستأتيهم وهم في منازلهم، فلا ينجو منهم أحد.

أنت اليوم:

ربما تكون أنت في موقع صالح، من يخطط له أعداؤه. لا تحزن، مكرهم لن يضرك بإذن الله. وربما تكون أنت في موقع الماكرين. توقف! أنت لا تشعر أن المكر الإلهي يحيط بك. عد إلى الله قبل أن يأتيك العذاب بغتة.
خاتمة: العاقبة للمتقين

أيها المؤمن، أيها المظلوم، أيها الذي يحاك له المكر في ظلام الليل: ابشر. فإن معك رباً يمكر لأعدائك مكرًا لا يحيط به عقل، وهم لا يشعرون. لا تنظر إلى قوتهم اليوم، ولا إلى تنظيمهم وتخطيطهم. انظر إلى العاقبة: صالح وأتباعه نجوا، والمفسدون هلكوا. هذه هي سنة الله التي لا تتخلف.

وددت لو أنك تحفظ هذه الآية في قلبك، وتتلوها كلما أحسست بمكر من حولك. تذكر: {وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}. (فتق أن الله معك، وأن كيدهم مهما عظم فهو في علم الله حقيق، وأن تدبير الله هو الذي سينصرك.)

المبحث السادس.

أيها القلب الذي يبحث عن العبرة في أنقاض الماضين، أيها العقل الذي يريد أن يقرأ آيات الله في الأرض والافاق، لنقف مع المشهد الختامي لقصة تمود، مشهد يصلح أن يكون سيناريو متكرراً في كل زمان. هنا تتجلى سنن الله في إهلاك الظالمين ونجاة المؤمنين، وتتكشف العاقبة التي تنتظر كل من يظن أن مكره سينجيه.

تأمل معي قوله تعالى:

{فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [النمل: 51-53]

هذه الآيات تفتح أمامنا نافذة على سنن الله في التاريخ، وتدعونا إلى رحلة تأمل في الأرض، لنرى كيف كانت عاقبة المكر، وكيف صارت بيوت الظالمين خاوية، وكيف نجا المؤمنون المتقون. تعال نعيش هذه المشاهد، وكأننا نسير بين بيوتهم الخاوية، نقرأ فيها عبرة لأولي الألباب.

أولاً: "فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ" - الأمر بالنظر والاعتبار

دلالات الأمر بالنظر:
هذا أمر إلهي للنبي ﷺ ولأمتة من بعده: انظر، تأمل، تفكر، واستخلص العبرة. النظر هنا ليس نظر البصر فقط، بل نظر البصيرة والاعتبار.

ماذا ننظر؟
ننظر كيف كانت عاقبة مكرهم. مكروا مكرًا عظيمًا في ظنهم، فإذا بعاقبة مكرهم أن دمرهم الله. الآية تقدم قاعدة كونية: كل مكر يراد به إطفاء نور الله، مصيره الفشل والدمار. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ {فاطر: 43}

الدروس المستفادة:

- لا تنظر إلى قوة الماكرين اليوم، انظر إلى عاقبتهم: قد يظن الظالم أنه انتصر، لكن العبرة بالعاقبة .
- كم من مكر خُبك في غرف مظلمة، فإذا به يمحق أصحابه!
- النظر في العواقب منهج قرآني: القرآن يوجهنا أن لا ننظر إلى البدايات المزدهرة للباطل، بل إلى نهاياته المخزية.

ثانياً: "أَنَا دَمَرْتَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ" - التدمير الشامل

معنى التدمير:

التدمير هو الإهلاك مع الاستئصال. لم يكتفِ الله بإهلاك الماكرين التسعة فقط، بل أهلك قومهم أجمعين، إلا من آمن منهم. وهذا دليل على أن القوم رضوا بفعل هؤلاء التسعة، أو سكتوا عنه، فاستحقوا العذاب.

لماذا أهلك الله القوم كلهم؟

- لأنهم رضوا بجريمة قتل الناقة والتآمر على صالح.
- لأنهم لم ينكروا المنكر.
- لأن العقوبة كانت على الكفر والفساد المستشري فيهم.

الدروس:

- العقوبة قد تعم من سكت عن المنكر: الآية تحذير للأمم التي ترى الفساد ولا تغيره، فقد يحل بها العذاب.
- لا تغتر بالكثرة: كانوا قوماً كثيرين، لكن الكثرة لا تنفع مع الله إذا جاء أمره.
- التدمير سنة الله في الظالمين: كل قوم تبادوا في الظلم والكفر، حل بهم بطش الله.

ثالثاً: "فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا" - مشهد الخراب والعبرة

"خَاوِيَةٌ": أي ساقطة خالية، لا ساكن فيها، أصبحت خراباً بعد أن كانت عامرة. هذا مشهد مهيب: بيوت كانوا يفخرون بها، نحتوها من الجبال، صارت عبرة لكل من يمر بها.

"بِمَا ظَلَمُوا": سبب الخراب هو ظلمهم. الظلم يدمر العمران، ويجلب الخراب. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ {الكهف: 59}

الدروس:

- الظلم سبب هلاك الأمم: أي مجتمع يقوم على الظلم، مصيره الزوال.
- لا تطمئن إلى البنيان الشامخ: بيوتهم كانت منحوتة في الجبال، قوية متينة، لكنها لم تمنع عنهم عذاب الله.
- العبرة بالخراب: هذه البيوت الخاوية آية لقوم يعتبرون.

رابعاً: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" - شروط الاعتبار

لماذا خص "قَوْمٍ يَعْلَمُونَ"؟

لأن الآيات الكونية والتاريخية لا يستفيد منها إلا من يملك علم البصيرة. العلم هنا ليس مجرد معرفة

سطحية، بل علم يوظف القلب، ويحرك الهمة، ويغير السلوك.

شروط من يعتبر:

- أن يكون عالماً بأن هذه سنة الله: يعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.
- أن يكون عالماً بأن العاقبة للمتقين: لا يغتر بظهور الباطل.
- أن يكون عالماً بأن العبرة في العواقب: ينظر إلى النهايات لا البدايات.

الدروس:

- العلم بلا اعتبار لا ينفع: كثير من الناس يعرفون قصص الأمم السابقة، لكنهم لا يعتبرون. المطلوب علم يتحول إلى يقين وعمل.
- الآيات تحتاج إلى قلوب واعية: الآية موجودة، لكن من يراها؟ من يتأمل فيها؟ من يخاف من أن يحل به مثل ما حل بهم؟

خامساً: "وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" - قاعدة النجاة

الإيمان والتقوى:

- النجاة لم تأت لمن آمن فقط، بل لمن كانوا يتقون. الإيمان هو التصديق، والتقوى هي الامتنال و الخوف من الله. نجاة صالح وأتباعه جاءت لأنهم جمعوا بين الإيمان والعمل.

ماذا نتعلم؟

- النجاة في كل زمان تكون بالإيمان والتقوى: كما نجا المؤمنون مع صالح، كذلك ينجو المؤمنون في كل عصر من فتن الدنيا وعذاب الآخرة.
- التقوى هي الوقاية: التقوى تمنع صاحبها من الرضوخ للباطل، وتحفظه من أن يكون مع الظالمين.
- الإيمان الحقيقي يظهر في الشدائد: عندما حصل الانقسام، ثبت المؤمنون مع صالح، ولم يلبثوا.

سادساً: أهمية السير في الأرض وقراءة آيات الله بالحدث التاريخي

- الآيات تدعونا إلى السير في الأرض والنظر في آثار الماضين. هذا مطلب قرآني متكرر: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} [الأنعام: 11]

لماذا السير في الأرض؟

١/ لرؤية آيات الله المادية:

- بيوت ثمود لا تزال قائمة في منطقة الحجر) مدائن صالح (شمال غرب الجزيرة العربية. من يسافر إليها يرى بيوتاً منحوتة في الجبال، خاوية، لا ساكن فيها. هذه آية ملموسة: أناس كانوا أقوياء، نحتوا الجبال، فما أغنت عنهم من الله شيئاً.

٢/ لتحويل المعرفة إلى إيمان:

- قراءة القصص في الكتب شيء، ورؤية الآثار بأمر العين شيء آخر. السير في الأرض يجعل العبرة حية ، ويوظف القلب، ويزيد اليقين.

٣/ لاستخلاص سنن التاريخ:

- السير في الأرض يعلمنا أن الظلم والفساد يؤديان إلى الانهيار، وأن الإيمان والتقوى هما مفتاح النجاة. هذه سنن لا تتغير.

٤/ لشكر النعمة:

- عندما ترى آثار الأقوام البائدة، تشكر الله أن أنجاك مما حل بهم، وتسأله الثبات.

الحدث التاريخي كآية:

- الله جعل من قصة ثمود آية وعبرة. قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}. الأحداث التاريخية ليست مجرد أخبار، بل هي آيات تتلى وترى. من نظر فيها بعين البصيرة، علم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأن العاقبة للمتقين.

سابعاً: لمسات بيانية وبلاغية في الآيات

١/ "فَانظُرْ":

الأمر بالفعل "انظر" يفيد التحقيق والتأكيد. إنه دعوة إلى النظر العميق الذي يصل إلى اليقين.

٢/ "كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ":

"كيف" للاستفهام الذي يراد به التعجيب والتهويل. أي: انظر إلى هذه العاقبة العجيبة المروعة.

٣/ "أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ":

"أنا" تأكيد للفاعل، وإظهار للقدرة. "أجمعين" تأكيد لشمول التدمير. لا نجا منهم أحد.

٤/ "فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ":

"تلك" إشارة إلى بيوتهم بعد أن صارت خاوية، كأنها مشهودة أمام العيون. "خاوية" اسم فاعل، تدل على أن الخراب هو حالتها المستمرة.

٥/ "بِمَا ظَلَمُوا":

الباء للسببية. الظلم هو السبب المباشر للخراب. لا ظلم أعظم من الشرك والتكذيب.

٦/ "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ":

"إن" و"اللام" للتوكيد. "آية" مفرد دل على الكثرة، ففي المشهد كله آيات متعددة. "لقوم يعلمون" شرط لانتفاع العلم بالله وبسننه.

٧/ "وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ":

الفاعل "أنجيناً" بضمير العظمة، إظهار للقدرة والفضل. "آمناً" يدخل في الإيمان العام، "وكانوا يتقون" بيان لصفة خاصة: أنهم عملوا بالتقوى، فكانت سبباً في نجاتهم. ثامناً: تطبيقات معاصرة للآيات

١/ السير في الأرض والاعتبار:

. لو أمكنك زيارة مدائن صالح، ستقف أمام بيوت منحوتة في الجبال، خاوية، لا ساكن فيها. ستتذكر أن أهلها كانوا أقوى منك، وأكثر مالا، فما أغنى عنهم من الله شيء. هذا يوقظ فيك الخشية.
. حتى لو لم تستطع السفر، ففي التاريخ دروس: اقرأ في سقوط الأمم، وتدمير الحضارات التي بغت وطغت، وسترى أن الظلم مصيره الزوال.

٢/ في حياتنا اليومية:

. عندما ترى ظلماً ينتشر، أو فساداً يعلن، لا تحزن. تذكر أن عاقبة الظلم دمار. لا تطمن لسلطان جائر، ولا لقوة مفسد، فالعاقبة لله.
. اهتم بتقوى الله في نفسك. النجاة تكون بالإيمان والتقوى. لا تنجر وراء الفساد بحجة أن الكل يفعل. كن مع الحق ولو كنت وحدك.

٣/ في الدعوة والإصلاح:

. الداعية يمر بمراحل من المكر والتأمر. هذه الآيات تطمئنه: المكر لا يحيق إلا بأهله، والعاقبة نجاة للمؤمنين.
. لا تستعجل النصر، فالسنن الإلهية تحتاج وقتاً. انظر كيف أن المكر انقلب على أهله، وكيف نجا صالح ومن معه.

٤/ في التربية:

. علم أبناءك أن يعتبروا بقصص الماضين. اصطحبهم إلى المتاحف الأثرية، أو احك لهم قصص الأمم البائدة، ليعلّموا أن العاقبة للمتقين.
. ربهم على التقوى، فهي السبيل الوحيد للنجاة في الدنيا والآخرة.

تاسعاً: المفاهيم المركزية للآيات

١/ مفهوم العاقبة:

العبرة ليست في البدايات، بل في النهايات. قد يبدأ الباطل قوياً، لكن نهايته الخراب. وقد يبدأ الحق ضعيفاً، لكن نهايته النصر.

٢/ مفهوم التدمير الإلهي:

الله لا يعذب إلا بعد إقامة الحجة. ثمود أرسل إليهم صالح، فكذبوا وعقروا الناقة، فاستحقوا العذاب. التدمير ليس ظلماً، بل عدل.

٣/ مفهوم الخراب بالظلم:

الظلم سبب رئيسي في انهيار الأمم. لا أمة تقوم على الظلم وتستمر.

٤/ مفهوم الآية في التاريخ:

الأحداث التاريخية هي آيات لله، يجب أن تقرأ ببصيرة. من قرأها بعلم، زاد إيمانه، ومن قرأها بغفلة، لم ينتفع.

٥/ مفهوم النجاة بالإيمان والتقوى:

الخلاص من عذاب الدنيا والآخرة مرهون بالإيمان الصادق والتقوى العملية. عاشرًا: كيف نجعل هذه الآيات واقعة في حياتنا؟

١/ أن نكون من "قوم يعلمون":

لا تمر علينا الآيات والقصة مروراً عابراً. يجب أن نتوقف، ونفكر، ونسأل أنفسنا: هل نحن معرضون لمثل ما تعرضوا له؟ هل فينا ظلم نصلحه؟ هل فينا فساد نتوب منه؟

٢/ أن نكون من "الذين آمنوا وكانوا يتقون":

الإيمان وحده لا يكفي، بل لابد من التقوى التي تحجزنا عن معاصي الله. اجعل التقوى هي البوصلة في كل قرار: هل هذا يرضي الله؟ هل هذا ينجيني؟

٣/ أن نسير في الأرض بقلب واع:

كل رحلة تقوم بها، اجعل فيها هدفاً للاعتبار. انظر إلى آثار الماضين، واسأل: ما الذي أبقاهم؟ ما الذي أهلكهم؟ قال تعالى: {أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْقَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْقَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46]

٤/ أن ننقل هذه العبرة للأجيال:

من واجبتنا أن نروي قصص الماضين لأبنائنا، ليس كحكايات للنوم، بل كدروس حياة. نريهم آثار الظلم والفساد، ونربطها بواقعهم، ليعلموا أن الصراع بين الحق والباطل مستمر، وأن النجاة لمن تمسك بالتقوى.

خاتمة: أنت أمام بيوت خاوية

أيها المؤمن، أيها الباحث عن الحق، تخيل أنك تقف الآن أمام بيوت ثمود في مدائن صالح. ترى الجبال منحوتة، والبيوت خالية، لا حراك فيها. في أذنك ترن عبارة: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا}. ثم تلتفت خلفك، فتسمع: {وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.

أسأل نفسك: أي الفريقين تريد أن تكون؟ هل تريد أن تكون مع الماكرين الذين دمرهم الله؟ أم تريد أن تكون مع المؤمنين الذين نجوا؟

الاختيار بين يديك. الآية تدعوك إلى الاعتبار، والتاريخ مليء بالعبر. لا تكن ممن تمر عليهم الآيات فلا يتعظون. كن من قوم يعلمون، ومن الذين آمنوا واتقوا.

الله اجعلنا من الذين ينظرون في آياتك فيعتبرون، ومن الذين آمنوا واتقوا فنجوا. اللهم أبقنا على إيمان، واجعل التقوى ديدننا، ونجنا من عذابك كما نجيت الصالحين.

المقطع الخامس

أيها القلب الطاهر الذي ينبض بالغيرة على دين الله، أيها العقل الذي يستنكر المنكر حيثما وقع، لنقف مع مشهد جديد من مشاهد الصراع بين الحق والباطل، مشهد يفضح انحطاط الفطرة البشرية حين تبتعد عن ذكر الله، ويظهر جلد النبي الكريم في مواجهة أسوأ أنواع الفساد.

تأمل معي قوله تعالى في سورة النمل:

{وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَتُنْكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (55) النمل: 54- 55]

هذه الآيات تنقلنا إلى مدينة سدوم) سومة(، حيث كان قوم لوط قد بلغوا من الانحطاط الأخلاقي ما لم يبلغه أحد من العالمين. يأتيهم نبي الله لوط عليه السلام، فيواجههم بهذا الفعل الشنيع، بأسلوب يجمع بين الإنكار الحار، والاستفهام التوبيخي، والبيان العلمي، ثم يختم بتشخيص الداء الأعظم: الجهل. تعال نعيش هذه الآيات وكأننا نسمع لوطاً ينادي فينا اليوم، وكأن الفاحشة التي استحكمت في قومه تعود لتطل برأسها في مجتمعاتنا.
أولاً: السياق والمدخل - لماذا قصة لوط بعد ثمود؟

بعد أن قص الله علينا قصة ثمود وما آل إليه مكرهم من تدمير ونجاة للمؤمنين، انتقل سبحانه إلى قصة نبي الله لوط عليه السلام. هناك حكمة بديعة في هذا الترتيب:

. ثمود أهلكوا بسبب الكفر والتكذيب والظلم الاقتصادي والاجتماعي(عقر الناقة).
. قوم لوط أهلكوا بسبب الفاحشة والانحلال الأخلاقي.
. الآياتن تريان أن الدعوة إلى التوحيد تشمل تطهير المجتمع من كل منكر، سواء كان في العقيدة أو في السلوك والأخلاق.

ثانياً: "وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ" - النداء الإلهي والانتقال إلى مشهد

"وَلَوْطًا" منصوب بفعل مقدر، تقديره: واذكر لوطاً. هذا التعبير يُشعر بأهمية القصة وعظمتها، وكأن الله يقول للنبي ﷺ ولأمته: تأملوا في قصة لوط، ففيها من العبر ما يصلح حال المجتمعات المنحرفة.

"إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ" - لوط عليه السلام كان منهم، يعرف أحوالهم، ويحاول إصلاحهم. بدأ دعوته كما بدأ الأنبياء: من قومه، بمنهج النصح والإرشاد.
ثالثاً: "أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ" - الاستفهام الإنكاري وذروة التوبيخ

معنى "الفاحشة":

هي اللواط، وهي فاحشة عظيمة، فاقت في شناعتها سائر الفواحش. وسميت فاحشة لأنها بلغت أقصى درجات القبح في الفطرة والعقل والدين.

"وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ":

هذه جملة حالية، تحمل معان كثيرة:

. تبصرون قبحها، فطرتكم السليمة تشهد أنها منكرة.
. تبصرون عاقبتها، من أمراض وأضرار اجتماعية ونفسية.
. تبصرون بأعينكم، أي تفعلونها في وضوح النهار، بلا حياء، وكأنكم تتحدون الفطرة والعقل.

لماذا خص البصر؟

لأن البصر أقوى الحواس في إدراك القبح. أن يفعل الإنسان الفاحشة وهو يرى بعينه قبحها، فهذا أشد في التوبيخ. كأنه يقول: كيف تفعلونها وأنتم تعلمون أنها قبيحة؟! إنه استنكار لإنكار الفطرة.

اللغة البلاغية:

الاستفهام في "أَتَأْتُونَ" للإنكار والتوبيخ، وليس للسؤال الحقيقي. وهو أسلوب يوقظ الضمير، ويدفع المخاطب إلى مراجعة نفسه. وزيادة "وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ" تزيد من قوة التوبيخ، لأنها تنفي أي عذر بالجهل أو الغفلة.

رابعا: "أَتُنْكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ" - تفصيل الفاحشة وتبقيحها

توكيدات متتالية:

. أُنْكُمُ: همزة الاستفهام مع "إن" الموكدة، لشدة الإنكار.
. لَتَأْتُونَ: اللام المزحلقة للتوكيد.
. هذه التوكيدات المتتالية تدل على أن الفعل في غاية الاستنكار، وأنه لا مجال للتسويق أو التبرير.

"الرِّجَالَ" - "شَهْوَةً" - "مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ":

· الرجال: ذكر الجنس المطلوب، وهو منكر عظيم أن يكون المقصود بالشهوة الرجال.
· شهوة: بين أنها شهوة، أي أن الدافع هو الهوى المنحرف، لا حاجة طبيعية ولا ضرورة.
· من دون النساء: أي تركتم النساء اللاتي خلقن لكم، واتجهتم إلى الرجال. هذا قلب للفطرة، وتعد على سنن الله في الخلق.

الللمسة البلاغية:

هذا الأسلوب التفصيلي يفضح الفعل من كل جوانبه: من حيث الفاعل (أنتم)، والمفعول به (الرجال)، و الدافع (شهوة)، والبديل (المتروك) النساء. (إنه بيان كاشف يضع المخاطب أمام حقيقة لا يمكن إنكارها.

خامساً: "بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" - الجهل هو الجذر

بعد كل هذا الإنكار والتوبيخ، يأتي القول الفصل: "بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ".

معنى الجهل هنا:

ليس الجهل بالمعنى المعرفي فقط، بل الجهل المركب: جهلهم بعواقب الفعل، جهلهم بفطرتهم، جهلهم بعظمة الله، جهلهم بالحلال والحرام. الجهل الذي يجعلهم يستمرون في الفاحشة رغم معرفتهم بقبحها. إنه جهل القلب، لا جهل العقل.

"بَلْ" للإضراب:

أي ليس الأمر كما تظنون، بل أنتم قوم تجهلون. هذا رد على أي تبرير كانوا يقدمونه، وكشف أن الداء الحقيقي هو الجهل المستحكم في قلوبهم.

الللمسة البلاغية:

الانتقال من الإنكار التفصيلي إلى هذا الحكم الموجز "قوم تجهلون" يلخص القضية كلها: الجهل هو أصل الانحراف. فإذا غُولج الجهل، غُولج الفساد.

سادساً: لمسات بيانية وبلاغية في الآيتين

١/ التكرار بأسلوب الاستفهام:

في الآية الأولى استفهام) أتأتون(، وفي الثانية استفهام) أئنكم(. (التكرار في الاستفهام يزيد من التوبيخ والتقرير، وكأنه يكرر السؤال ليوقظ الضمائر الميتة.

٢/ تنويع التعبير:

في الأولى قال "الفاحشة" اسم جنس يشمل كل فاحشة، وفي الثانية فصل فقال "الرجال... من دون النساء". هذا الانتقال من العام إلى الخاص يفيد أن هذه الفاحشة هي أفبح الفواحش.

٣/ الحال "وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ":

جاءت جملة اسمية حالية، فيها ضمير الفصل، لتأكيد أنهم في حالة بصر ومعرفة. هذا أشد في الحجة عليهم.

٤/ التوكيد في الآية الثانية:

جمع بين همزة الاستفهام، و"إن" الموكدة، واللام المزحلقة، ليجعل الإنكار في ذروة قوته.

٥/ الإضراب بـ "بَلْ" وختام الجملة بـ "تَجْهَلُونَ":

"بَلْ" للإضراب الانتقالي، أي انتقل من وصفهم بأنهم فاعلون للفاحشة إلى وصفهم بأنهم جاهلون. و الجملة الفعلية "تَجْهَلُونَ" تدل على التجدد والاستمرار، أي أن الجهل صفة ملازمة لهم.

سابعاً: دروس وتوجيهات من الآيات

١/ خطورة الفاحشة وأثرها في هلاك الأمم:

قوم لوط لم يهلكوا بسبب الشرك فقط، بل بسبب الفاحشة التي استحكمت فيهم. هذا درس للمجتمعات: أن الأخلاق هي عماد بقاء الأمم. إذا انهارت الأخلاق، انهار كل شيء.

٢/ أسلوب الداعية في مواجهة المنكرات:

لوط عليه السلام واجه قومه بأسلوب:

- الوضوح: لم يستخدم التعمية أو التلطيف المخل، بل سمي الفعل باسمه.
- الاستفهام: جعلهم يستحضرون قبح الفعل بعقولهم.
- التذكير بالفطرة: ذكرهم أنهم يبصرون ويعلمون.
- تفصيل القبيح: بين أبعاد الفعل ليزيده تقبيحاً.
- تشخيص الداء: ختم بأنهم قوم يجهلون، ليبين أن العلاج يكون بالعلم والوعي.

٣/ الجهل هو أصل الانحراف:

ما من مجتمع ينحرف إلا ويكمن وراء انحرافه جهل بحقيقة الدين، أو جهل بعواقب الفعل، أو جهل بـ الفطرة السليمة. الدعوة إلى الله تبدأ بمعالجة الجهل بالعلم والموعظة الحسنة.

٤/ الفطرة السليمة دليل على قبح الفاحشة:

الآية تخاطب الفطرة: أنتم تبصرون. أي أن عقولكم السليمة تشهد بقبح هذا الفعل. وهذا يثبت أن الإسلام لا يأتي بما يخالف الفطرة، بل يناهز بما تشهد به الفطر السليمة.

٥/ ضرورة إنكار المنكر باللسان:

لوط عليه السلام أنكر باللسان، ولم يسكت على الفاحشة. هذا يعلمنا أن السكوت عن المنكر مشاركة فيه، وأن من واجب الداعية أن يقول كلمة الحق ولو كانت مرة. ثامناً: تطبيقات معاصرة للآيات

١/ في واقعنا المعاصر:

للأسف، نرى اليوم محاولات لتطبيع الفاحشة التي واجهها لوط. تزوج بعض الأوساط لشذوذ جنسي باسم "الحريات"، وتدعو إلى تقبله كخيار شخصي. هذه الآيات تدق ناقوس الخطر: هذه الفاحشة هي التي أهلك الله بها أمة، ويجب مواجهتها بالوعي والإنكار.

٢/ في الدعوة والإصلاح:

الداعية اليوم يواجه تحديات أخلاقية كبيرة. من واجبه:

- أن يتحدث بوضوح دون خجل، كما فعل لوط.
- أن يستخدم أسلوب الاستفهام والتذكير بالفطرة: هل هذا الفعل يوافق العقل السليم؟ هل هو يوافق الفطرة التي خلقك الله عليها؟
- أن يفضح دعاة الانحلال، ويبين أنهم يدعون إلى ما أهلك الأمم.

٣/ في التربية:

يجب أن نربي أبناءنا على الفطرة السليمة، ونعلمهم أن الشذوذ ليس خياراً شخصياً، بل هو فاحشة وإفساد للفطرة. كما نعلمهم أن الحياء من الإيمان، وأن الاستحياء من فعل القبيح هو علامة صحة الفطرة.

٤/ في وسائل الإعلام والترفيه:

نحتاج إلى مراجعة جادة لما يبث في وسائل الإعلام من مواد تطبيع لهذه الفاحشة. الآيات تذكرنا بأننا أمام قضية أخلاقية كبرى، لا يمكن التساهل فيها.

تاسعاً: المفاهيم المركزية للآيات

١/ مفهوم الفاحشة:

هي كل فعل بلغ الغاية في القبح، وتعدى حدود الله. اللواط هو أقبح الفواحش لأنه قلب للفطرة وتعدى على سنة الله في النوع الإنساني.

٢/ مفهوم الفطرة:

الفطرة السليمة هي الميزان الذي يعرف به الإنسان قبح الفواحش. عندما تتغير الفطرة، يختل هذا الميزان.

٣/ مفهوم الجهل المركب:

ليس الجهل هو عدم العلم فقط، بل هو أن يعرف الإنسان الحق ويعانده. قوم لوط كانوا يعلمون قبح فعلهم لكنهم استمروا فيه، وهذا جهل مركب.

٤/ مفهوم الإنكار في الدعوة:
الإنكار يكون باللسان أولاً ، بالوضوح والبيان، دون خجل أو تردد.

٥/ مفهوم العلاقة بين العقيدة والأخلاق:
دعوة الأنبياء كانت لتوحيد الله، ولتطهير المجتمع من كل منكر. لا يمكن فصل التوحيد عن الأخلاق.
خاتمة: أنت المخاطب بهذا النداء

أيها المؤمن، أيها الذي تحب الخير لأمته، أيها الداعية الذي يريد إصلاح مجتمعه: اسمع صوت لوط عليه السلام كأنه يناديك اليوم: "أَتَأْتُونَ الْقَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ". هل ترضى أن تنتشر هذه الفاحشة في مجتمعك؟ هل تسكت عنها وأنت تبصر؟

ثم يقول: "أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ". هذا هو الفعل الذي حارب الله من أجله أمة كاملة. فلا تكن من الذين يتساهلون معه أو يبررونه.

وأخيراً، يعطيك التشخيص: "بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ". وعلاج الجهل هو العلم، والوعي، والتذكير، والدعوة الحكيمة.

كن من الذين يبصرون الحق فيتبعونه، ويرون المنكر فينكرونه، ويعلمون أن المجتمعات لا تزدهر إلا بالفضيلة، ولا تتدمر إلا بالرذيلة.

اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم، وطهر قلوبنا من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأعزنا بالإيمان، واجعلنا من الداعين إلى الخير، الناهين عن المنكر. اللهم احفظ شبابنا ونساءنا من كل فاحشة، واجعلنا من القوم الذين يعلمون.

المبحث الثاني.

أيها القلب الذي يعيش معركة المفاهيم في زمن اختلطت فيه الحقائق، أيها العقل الذي يرى كيف يحاول الباطل أن يلبس ثوب الحق، لينقف مع مشهد من أشد مشاهد الصراع الفكري والأخلاقي في تاريخ البشرية. مشهد يفضح كيف أن أهل الباطل لا يكتفون بارتكاب المنكر، بل يحاولون قلب الموازين، فيجعلون الطهارة عيباً، ويجعلون الفاحشة فضيلة.

تأمل معي قوله تعالى:

{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أُخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ^ط إِنَّهُمْ أَتَّاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ} [النمل: 56]

هذه الآية تصوّر لنا نزوة الانحطاط الفكري والأخلاقي عند قوم لوط. لم يكتفوا بتكذيب نبيهم وممارسة الفاحشة، بل وصل بهم الأمر إلى أن صار الطهارة والنزاهة جريمة في حقهم، وصار الفساد هو المعيار. إنها معركة مفاهيم حقيقية، حيث حاولوا تزييف الحقائق، وتغيير الفطرة، وجعل القبيح حسناً والحسن قبيحاً. تعال نعيش هذه الآية، ونستخرج منها دروساً تصلح واقعنا الذي يعاني من أشد حملات تشويه المفاهيم في التاريخ.

أولاً: "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا" - ردهم المتعجرف

المعنى العام:

بعد أن نهاهم لوط عن الفاحشة، وحذرهم من عاقبتها، ماذا كانت إجابتهم؟ لم يناقشوا الحجة، ولم يتفكروا في الدعوة، بل كان ردهم قاطعاً متعجرفاً: أُخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ.

"مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا" - هذا الأسلوب يفيد الحصر، أي أنهم لم يكن لهم جواب آخر غير هذا. لم يقدموا حجة عقلية، ولم يدافعوا عن فعلهم بحجة، بل لجأوا إلى أسلوب القوة والإقصاء. وهذا من صفات أهل الباطل: عندما يعجزون عن الرد بالحجة، يحاولون إسكات الحق بالقوة والنفي.

الدروس:

. أهل الباطل لا يملكون حجة: إذا نظرت إلى دعاة الفساد في كل عصر، ستجد أنهم لا يستطيعون مواجهة الحق بحجة، فيلجأون إلى التكفير، أو التخوين، أو الإقصاء، أو التشهير.
. الاستعلاء بالعدد والقوة: قالوا "أخرجوهم"، وكأنهم يمتلكون سلطة المدينة، ويظنون أن بكترة عددهم وقوتهم يمكنهم التخلص من الحق وأهله.
ثانياً: "أُخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ" - جريمة الإقصاء

"آلَ لُوطٍ": يشمل لوطاً نفسه وأتباعه المؤمنين، وامرأته التي كانت على غير دينهم.

"مَنْ قَرَّبْتِكُمْ": أضافوا القرية إلى أنفسهم، وكأنها ملك لهم وحدهم، وكأن الحق لا حق له في الأرض.

ما الذي نتعلمه؟

. الإقصاء أسلوب أهل الباطل: عندما لا يستطيعون هدم الحق بالحجة، يحاولون إخراج أهله من المجتمع، أو تهميشهم، أو تجريدتهم من مناصبهم.
. ادعاء ملكية الأرض: كأنهم يقولون: هذه القرية لنا، ولا مكان للمصلحين فيها. وهذا يتكرر في كل عصر: يحاول الفاسدون احتكار الفضاء العام، وإقصاء من يخالفهم.
. الطرد مقابل الطهارة: الطهارة هي السبب الذي جعلهم يطردون، وهذا من أعجب ما في القصة.
ثالثاً: "إِثْمُهُمْ أَنَّاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" - ذروة تزييف المفاهيم

هذه الجملة هي لب الآية، وهي أخطر ما فيها. لم يقل قوم لوط: إنهم مفسدون، أو إنهم يزاحموننا على النساء، أو إنهم يخالفون ديننا بل قالوا: إنهم أناس يتطهرون! أي أن العيب الوحيد الذي رأوه في لوط وأتباعه هو أنهم يطهرون أنفسهم من النجاسات والأفعال القبيحة.

تحليل الجملة:

. "يَتَطَهَّرُونَ" فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار. أي أن الطهارة صفة ملازمة لهم.
. جعلوا الطهارة عيباً: في منطقهم المنقلب، صار الذي يتطهر شاذاً عن المجتمع، وصار الفاسد هو "الطبيعي". هذا قلب للموازين.

ما معنى "يَتَطَهَّرُونَ" هنا؟

التطهر يشمل:

- . الطهارة من الفواحش: تركهم للواط.
- . الطهارة الحسية: النظافة والاستنجاء.
- . الطهارة المعنوية: البعد عن أخلاق قومهم الفاسدة.

اللمسة البلاغية:

جاء بلفظ "يَتَطَهَّرُونَ" بصيغة التفعّل، التي تدل على التكلف والمبالغة في التطهر. وهذا من باب السخرية منهم، أي أنهم يتكلفون الطهارة ويرونها عيباً. وكأنهم يقولون: هؤلاء متصنعون بالطهارة، يريدون أن يكونوا أفضل منا، وهذا لا يليق بهم.
رابعاً: معركة المفاهيم - كيف يحاول أهل الباطل تزييف الحقائق وقلب الموازين

هذه الآية تضعنا أمام معركة كبرى: معركة المفاهيم. إنها المعركة التي يخوضها الباطل منذ فجر التاريخ، وهي في عصرنا أعنف ما تكون.

كيف يزيّف أهل الباطل المفاهيم؟

١/ تحويل الفضيلة إلى رذيلة:

قوم لوط جعلوا الطهارة عيباً يستحق صاحبها الطرد. في عصرنا، نرى مفاهيم كثيرة انقلبت:

- . الحياء صار "تخلفاً".
- . الغيرة صارت "شكاً وانعدام ثقة".
- . الالتزام بالدين صار "تطرفاً".
- . الدفاع عن الأخلاق صار "تعصباً".

٢/ تحويل الرذيلة إلى فضيلة:

كما جعل قوم لوط الفاحشة أمراً عادياً بل ممدوحاً، نرى اليوم محاولات لتطبيع:

- . الشذوذ الجنسي صار "تنوعاً جنسياً".
- . الزنى صار "حرية شخصية".
- . التبرج صار "تحرراً".
- . الإباحية صارت "ثقافة".

٣/ تغيير الفطرة:

الفطرة السليمة تمقت القبيح وتحب الطيب. لكن عندما يتم تكرار هذه المفاهيم المقلوبة عبر وسائل إعلام والتعليم، تبدأ الفطرة في الانحراف. يبدأ الإنسان يشعر بالخجل من الطهارة، ويتعود على القاذورات. هذا هو تغيير خلق الله.

٤/ جعل الطهارة جريمة:

في قصة قوم لوط، كان سبب الإقصاء هو التطهر. اليوم، من يدعو إلى الطهارة والعفاف قد يُسجن، أو يُفصل من عمله، أو يُشهر به. إنها نفس المعركة.

الدرس العظيم:

المؤمن يجب أن يكون واعياً بهذه المعركة. لا تنخدع عندما يسمي الباطل نفسه "حرية"، ولا عندما يسمي الحق "تطرفاً". التسميات تتغير، لكن الحقيقة واحدة. خامساً: دور المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

الآية تضعنا أمام حقيقة أساسية: المفاهيم هي التي تبني الحضارات أو تهدمها. المجتمعات لا تنهض بأبنية والطرق فقط، بل بالمفاهيم الصحيحة التي تشكل عقول أبنائها وسلوكهم.

١/ بناء الإنسان:

الإنسان القوي هو من يملك مفاهيم صحيحة عن:

- . الطهارة: أن الطهارة ليست عيباً، بل هي شرف وكرامة.
- . العبودية لله: أن الغاية من الخلق هي العبادة والتقوى.
- . الحرية: أن الحرية الحقيقية هي التحرر من شهوات النفس، لا الانقياد لها.
- . الكرامة: أن كرامة الإنسان في طاعته لله، لا في متعته.

الآية تعلمنا أن من يملك مفاهيم صحيحة، قد يُطرد من مجتمعه، لكنه يبقى متمسكاً بها، كما فعل لوط وآل بيته.

٢/ بناء المجتمع:

المجتمعات القوية هي التي تتفق على مفاهيم واضحة:

- . الأسرة: أن الزواج بين رجل وامرأة هو النواة الصالحة للمجتمع.
- . الأخلاق: أن الفضيلة أساس البقاء، والرذيلة أساس الفناء.
- . العدل: أن الحق لا يُعرف بالرجال، بل الرجال يُعرفون بالحق.

قوم لوط انهار مجتمعهم لأن مفاهيمهم انقلبت: صارت الطهارة عيباً، والفاحشة مقبولة. فأهلكهم الله.

٣/ بناء الحضارة:

الحضارة الإسلامية قامت على مفاهيم التوحيد والطهارة والعفاف. عندما تمسكت الأمة بهذه المفاهيم، كانت أمة رائدة. عندما تخلت عنها، أصابها الوهن.

الآية تذكرنا أن أي حضارة تريد البقاء، يجب أن تحافظ على المفهوم الصحيح للطهارة والنظافة) بـ المعنى الحسي والمعنوي. (وأن المجتمعات التي تتبنى شذوذ الفطرة هي مجتمعات موعودة بالدمار، كما دمر الله قوم لوط.

سادساً: لمسات بيانية وبلاغية في الآية

١/ أسلوب الحصر:

"فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا" - حصر جوابهم في هذا القول، ليبين أنهم لم يملكوا حجة، ولم يتفكروا، بل استجابوا بجفاء وقسوة.

٢/ فعل الأمر "أخْرِجُوا":

استخدام صيغة الأمر الدال على التسلط والاستعلاء. كأنهم يريدون فرض إرادتهم بالقوة، لا بالحوار.

٣/ إضافة "قَرَيْتَكُمْ":

أضافوا القرية إلى أنفسهم، إظهاراً للتملك والاستئثار، وأنهم وحدهم من يملك الحق في تحديد من يسكنها.

٤/ "إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ":

. "إن" للتوكيد، كأنهم يؤكدون أن هذا هو السبب الموجب للطرد.
"يَتَطَهَّرُونَ" بصيغة المضارع والتفعل، للدلالة على المبالغة والاستمرار، وأنهم يرون هذه المبالغة في التطهر عيباً.
. جاءت الجملة على سبيل الذم والسخرية، وكأنهم يزدرونهم بسبب طهارتهم.

٥/ المفارقة البلاغية:

الطهارة في الأصل مدح، لكنهم جعلوها ذمًا. هذه مفارقة بلاغية تبين مدى انقلاب الفطرة عندهم.
سابعاً: دروس وتوجيهات من الآية

١/ لا تنتظر من أهل الباطل رداً عقلياً:

إذا كنت تدعو إلى الحق، فلا تتوقع أن يكون رد المخالفين بالحجة. قد يكون ردهم بالإقصاء والتشهير والاتهام. كن مستعداً لذلك.

٢/ الطهارة خط أحمر:

المجتمع الذي لا يحمي الطهارة، ويسخر من أهلها، هو مجتمع على حافة الهاوية. الطهارة ليست ترفاً، بل هي أساس بقاء الأمم.

٣/ لا تتراجع عن الطهارة بسبب ضغط المجتمع:

قوم لوط حاولوا إخراج آل لوط لأنهم يتطهرون. قد يحاول مجتمعك إخراجك (معنويًا) لأنك مختلف. لا تتراجع. الطهارة هي عزتك.

٤/ المفاهيم تصنع الواقع:

إذا نجح الفاسدون في تزييف المفاهيم، فسيحكمون عقول الناس قبل أجسادهم. لذلك، من أعظم الجهاد اليوم هو جهاد التبيين: توضيح المفاهيم الصحيحة، وكشف تزييف المبطلين.

٥/ آفة التقليد الأعمى:

قوم لوط كانوا مجتمعاً كاملاً على هذه الأفكار المقلوبة. لم يفكر أحد أن يسأل: هل الطهارة حقاً عيب؟ هذا يعلمنا خطورة التقليد الأعمى للجماعة.
ثامناً: تطبيقات معاصرة للآية

١/ في الإعلام والتعليم:

اليوم، هناك حملات منظمة لتزييف المفاهيم:

- . يُصوّر الالتزام بالدين على أنه "تطرف" و"إرهاب".
- . يُصوّر الشذوذ على أنه "تنوع" و"حق مدني".
- . يُصوّر الحجاب على أنه "قمع" و"اضطهاد".

الآية توجب علينا أن نكون واعين، وأن نعمل على تقديم المفاهيم الصحيحة، وأن نكشف زيف هذه الحملات.

٢/ في التربية:

ربّ أبناءك على حب الطهارة، وأنها شرف. وعلمهم ألا يستحيوا من الاختلاف عن المجتمع إذا كان المجتمع على باطل. اجعلهم يعرفون أن قوم لوط كانوا أكثرية، لكنهم كانوا على خطأ.

٣/ في المجتمع:

إذا رأيت محاولات لتطبيع الفاحشة، فلا تسكت. انطق بالحق، وبيّن أن هذه الفاحشة هي التي أهلك الله بها أمة كاملة. وأن من يدعو إليها إنما يدعو إلى دمار المجتمع.

٤/ في الدعوة:

الداعية قد يواجه الإقصاء: قد يُطرد من منصبه، أو يُمنع من الكلام، أو يُشهر به. هذه الآيات تطمئنه: أنت في طريق الأنبياء. قوم لوط طردوا نبيهم، والله نجاه وأهلكهم.

٥/ في بناء الحضارة:

أي نهضة حقيقية تبدأ بتصحيح المفاهيم. مشروع النهضة الإسلامية يجب أن يبدأ بإعادة تعريف

المفاهيم: ما هي الطهارة؟ ما هي الحرية؟ ما هي الكرامة؟ ما هو التقدم؟ هذه المعركة الفكرية هي أساس أي بناء حضاري.
تاسعاً: المفاهيم المركزية للآية

١/ مفهوم الطهارة:

الطهارة في الإسلام شاملة: طهارة الجسد، طهارة الثوب، طهارة المكان، طهارة القلب من الشرك، طهارة الفرج من الفواحش. وهي أساس القبول عند الله.

٢/ مفهوم تزييف المفاهيم (قلب الحقائق):

هو أن يسمى الباطل حقاً، والحق باطلاً. وهو من أخطر أساليب الشيطان. قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ.}

٣/ مفهوم الإقصاء:

أسلوب أهل الباطل في التعامل مع المخالفين: التهميش، والنفي، والطرده. وهو دليل على ضعف الحجة وقوة الاستبداد.

٤/ مفهوم الاستعلاء بالكثرة:

الاعتقاد بأن الاكثرية هي معيار الحق، مع أن القرآن يقول: {وَإِنْ طَعِجَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِضُلُوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ.}

٥/ مفهوم بناء الإنسان والمجتمع بالمفاهيم:

المفاهيم الصحيحة هي التي تشكل الوعي، والوعي هو الذي يصنع السلوك الصحيح. أي نهضة حضارية لا بد أن تبدأ بتصحيح المفاهيم.
خاتمة: أنت في معركة المفاهيم

أيها المؤمن، أيها الساعي إلى الطهارة، أيها الذي قد يُطرد من مجتمعه لأنه يختلف:

تأمل في هذه الآية، واعلم أنك تعيش معركة المفاهيم ذاتها التي عاشها لوط عليه السلام. قد يصفون التزامك بـ"التطرف"، وقد يصفون عفافك بـ"التخلف"، وقد يصفون دفاعك عن الفضيلة بـ"التعصب". لا تحزن. هذه هي سنة الله في عباده. الطاهرون دائماً ما يزعجون أهل القاذورات.

لا تتنازل عن طهارتك مهما كثر الضاغطون. واعلم أن الإقصاء الذي يمارسه أهل الباطل ليس نهاية الطريق، بل هو بداية النصر. لقد أخرجوا لوطاً من قريته، فنجاه الله، وأهلكهم. ومن يخرج في سبيل الله، يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة.

وكن واعياً: لا تسمح لهم بتزييف المفاهيم في قلبك. الطهارة فضيلة، وستبقى فضيلة، مهما سموها بأسماء قبيحة. والفاحشة رذيلة، وستبقى رذيلة، مهما زينوها بأسماء جميلة.

اللهم ثبتنا على الطهارة، واجعلنا من الذين يتطهرون، ولا تجعلنا ممن يسخرون من أهل الطهارة. اللهم اكشف عنا غشاوة تزييف المفاهيم، واجعلنا من الذين يعلمون الحق فيتعون، والباطل فيجتنبونه.

المبحث الثالث

أيها القلب الذي يبحث عن النجاة في زمن كثر فيه المغربون بالباطل، أيها العقل الذي يتساءل: كيف ينجو المؤمنون والهالك يهلك بجوارهم؟ لماذا نجا لوط وأهله وهلكت امرأته مع قومها؟ وكيف يكون العذاب مطراً يبدو للناظر ماءً وهو حجارة؟ لنقف مع المشهد الختامي لقصة لوط، مشهد التمييز الإلهي بين المؤمن والمنافق، بين من تعلق بالله ومن تعلقت بدار الهوان.

تأمل معي قوله تعالى:

{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِذْ أَمْرَأَتُهُ قَدَرَتْهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (57) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۗ قَسَاءَ مَطَرٍ الْمُنْذَرِينَ [58].- (58) النمل: 57-58.]

هاتان الآيتان تحملان في طياتهما فصل الخطاب في سنة الله في تمييز الخبيث من الطيب، وتريان كيف أن الانتماء الحقيقي ليس بالدم والنسب، بل بالعقيدة والولاء. كما تقدمان مشهداً مهيباً لنزول العذاب بصورة تخالف كل توقعات البشر، ليكون عبرة لكل معتبر. تعال نعيش هذا المشهد النهائي، ونتأمل كيف يتجلي عدل الله ورحمته في آن واحد.

أولاً: "فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِذْ أَمْرَأَتُهُ" - النجاة والاستثناء الذي يحمل أعظم الدروس

بعد أن قرر قوم لوط إخراج آل لوط من قريتهم بسبب طهارتهم، جاء الرد الإلهي الحاسم: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ. تأمل كيف جاء فعل النجاة معطوفاً بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب، وكأن النجاة كانت مباشرة بعد مكربهم وإقصائهم. هذا من لطائف البيان: كلما كاد أهل الباطل، جاء نصر الله سريعاً.

ثم جاء الاستثناء الموجه: إِذَا امْرَأَتُهُ. كلمة "إلا" هنا تحمل من البلاغة ما يجعلها تتردد في أعماق النفس. إنها تفصل بين من يستحق النجاة ومن لا يستحق، رغم أن الجميع كانوا في بيت واحد، ورغم أن الرابطة الزوجية هي من أوثق الروابط البشرية. لكن العقيدة أقوى من الدم، والولاء لله أمتن من روابط النسب.

قَدَرْنَا مِنْ الغَابِرِينَ - هنا لمسة بيانية بديعة: استخدم الفعل "قدرناها" الذي يحمل معنى القضاء الحتمي الإلهي، ولم يقل "تركناها" أو "أبقيناها". إنه يشير إلى أن بقاءها في الهلاك لم يكن إهمالاً أو نسياناً، بل كان تقديرًا إلهيًا حكيمًا. "الغابرين" جمع غابر، وهو الباقي في مكان العذاب. وهي صيغة تدل على أن الهلاك صار صفة ملازمة لها، كأنها خلقت لتكون من الباقيين في العذاب.

ما وراء هذه اللغات:

. الانتماء الحقيقي بالعقيدة لا بالدم: امرأة لوط كانت زوجة نبي، لكنها كانت على دين قومها، تطعمهم على ضيفه، وتواطئهم على كفره. هذا يعلمنا أن القرب من الصالحين لا ينفع مع فساد العقيدة. كم من إنسان يظن أنه بمجرد انتسابه لعائلة صالحة أو زواجه من رجل صالح سينجو، والآية تقول: لا، النجاة للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

. التمييز بين الصوف: في لحظة العذاب، ينكشف من كان مع الحق قلبًا لا لسانًا. امرأة لوط كانت مع قومها في المشاعر وإن كانت معه في المسكن. وهذا يذكرنا بأن معركة الحق والباطل تفرز الناس، وتظهر معادتهم الحقيقية.

. رحمة الله وعدله: في المشهد الواحد نرى رحمة الله في نجاة المؤمنين، وعدله في هلاك الكافرين ولو كانوا في بيوت الأنبياء.

ثانيًا: "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا" - العذاب الذي جاء بصورة النعمة

بعد أن نجى الله لوطاً وأهله، جاء دور العذاب: وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا. اختر كلمة "أمطرنا" التي تستعمل عادة للمطر الذي هو نعمة ورحمة. لكن هذا المطر كان حجارة من سجيل. إنها مفارقة بلاغية عظيمة: نعمة في اللفظ، نقمة في المعنى. كأن الله أراد أن يقول: هؤلاء استبدلوا نعمة الله كفرًا، فأتاهم العذاب على صورة ما كانوا يرجون من نعمة.

ثم جاءت الجملة الختامية: فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ. "فساء" - فعل ماض جامد للذم، يفيد أن هذا المطر بلغ الغاية في القبح والسوء. "المنذرين" - أي الذين أُنذروا فلم ينتفعوا بالإنذار. هذا الوصف يذكرهم بأنهم كانوا قد أُنذروا من قبل، فلم يستجيبوا، فجاءهم العذاب مستحقًا.

ما تحمله هذه اللغات:

. استدراج العذاب: نزول العذاب على هيئة ما أُلْفوه من مطر فيه إشارة إلى أنهم لما حرفوا نعم الله، سلط الله عليهم النقم في صورة النعم. وهذا من أشد أنواع العذاب: أن يأتيك البلاء في صورة ما ترجو.

. الإهمال والإنذار: كلمة "المنذرين" تذكر بأنهم كانوا قد أُنذروا على لسان لوط، فأصروا واستمروا. العذاب لم يأت إلا بعد قيام الحجة.

. العقاب السبئية: تعبير "فساء" يفيد التقييح والتشنيع، وكأن المشهد يُعرض على الناس ليحكموا هم بأنفسهم: أي عاقبة أسوأ من هذه؟

ثالثًا: مشهد متكامل - من الإقصاء إلى النجاة إلى الهلاك

لنر كيف رسمت الآيات مشهدًا متكاملًا بأقل الكلمات وأعظم الدلالات:

- . بدأ الإقصاء: "أخرجوا آل لوط من قريتهم" - ظنوا أنهم بطردهم يقهرون الحق.
- . تلتها النجاة: "فأنجيناه وأهله" - فالنجاة جاءت بعد الإقصاء، كأن الطرد كان سببًا في التمكين.
- . ثم الاستثناء: "إلا امرأته" - ليبين أن النجاة ليست لأحد بالوراثة.
- . ثم التقدير: "قدرناها من الغابرين" - ليبين أن هذا بحكم إلهي لا اعتراض عليه.
- . ثم العذاب: "وأمطرنا عليهم مطرًا" - ليرى القوم كيف أن مكربهم عاد عليهم.
- . ثم التذييل: "فساء مطر المنذرين" - ليضع المشهد في إطار العبرة والعظة.

هذا التسلسل يحمل في طياته منهجًا كاملاً في التعامل مع سنن الله: الإمهال ثم الإنذار ثم الإقصاء للمؤمنين أحياناً ثم النجاة ثم العذاب للكافرين.
رابعاً: دروس إيمانية وتربوية من الآيتين

١/ النجاة بالعقيدة لا بالصحة:

أنت قد تعيش في بيت صالح، أو في مجتمع صالح، أو بين أناس صالحين، لكن النجاة مرتبطة بإيمانك أنت. امرأة لوط كانت في بيت النبوة، لكنها هلكت. لا تكتفِ بالانتماء الاجتماعي، اجعل إيمانك شخصياً.

٢/ خطر المخالطة والممالة:

امرأة لوط لم تكتفِ بأن تكون على دين قومها، بل كانت تطلعهم على ضيفه وتواطئهم. هذا يعلمنا أن المخالطة لأهل الباطل مع عدم الإنكار قد تكون سبباً في الهلاك. كن حذراً ممن تجالس، ومن تواطئ.

٣/ العذاب قد يأتي بصورة النعمة:

من أخطر ما يقع فيه الإنسان أن يستمر في معصيته وهو يرى أن الله يمهده بالنعم. قد يكون هذا الاستدراج. احذر أن تكون النعم التي تراها هي في الحقيقة نقماً مقنعة.

٤/ التمسك بالحق مهما كان الثمن:

لوط عليه السلام خرج من قريته، تاركاً داره وأهله) إلا من آمن معه، لكنه نجا. قد تطلب منك الدعوة أن تترك داراً، أو منصباً، أو مالا، لا تتردد، فما عند الله خير وأبقى.

٥/ الإيمان ليس بالتمني:

قوم لوط ظنوا أنهم بكثرة عددهم وقوتهم سينتصرون. امرأته ظنت أنها بكونها زوجة نبي ستنجو. إيمان الحقيقي هو ما يظهر في ساعة الامتحان. خامساً: تطبيقات معاصرة في حياتنا اليوم

١/ في محيط الأسرة:

لا تظن أن أبناءك سينجون لمجرد أنك صالح. صلاحك لا يغني عن صلاحهم. ادعهم، وربهم، لكن لا تركز إلى النسب. واعلم أن أعظم نعمة يمكن أن تتركها لأهلك هي الإيمان، وليس المال أو المنصب.

٢/ في محيط المجتمع:

قد ترى مجتمعاً من حولك يسخر من أهل الطهارة، ويطردهم من مواقعهم. لا تحزن. سنة الله أن الطرد يكون سبباً للنجاة. إذا أخرجوك من مكان لأنك تختلف، فربما أراد الله بك خيراً. اخرج واثقاً أن الله معك.

٣/ في الدعوة والإصلاح:

قد تمر بمرحلة تشعر فيها أن المفسدين ينتصرون، وأن أهل الباطل يتمكنون. تذكر أن الله يمهل ولا يهمل. العاقبة للتقوى. قوم لوط طردوا نبيهم أولاً، ثم أمطر الله عليهم مطر السوء. لا تستعجل النصر، فهو آت.

٤/ في الوعي بالسنن الإلهية:

تعلم أن العذاب قد يأتي من حيث لا يحتسب. قد يظن قوم أنهم في أمان، فتأتيهم الصيحة وهم نائمون. لا تغتر بالأمن الزائف، وتذكر أنك لا تأمن مكر الله. سادساً: المفاهيم المركزية للآيتين

١/ مفهوم النجاة الحقيقية:

النجاة ليست بالهروب من العذاب فقط، بل بالسلامة من عذاب الله. لوط نجا جسدياً وأهله، لكن امرأته بقيت في العذاب. الناجي الحقيقي من نجا من سخط الله.

٢/ مفهوم الانتماء:

الانتماء الحقيقي هو انتماء العقيدة. امرأة لوط كانت من آله بالنسب، لكنها لم تكن منهم بالإيمان. وهذا يضع معياراً جديداً للعلاقات: من كان مع الله، فهو معك ولو بعد النسب.

٣/ مفهوم الاستدراج الإلهي:

أن يأتي العذاب في صورة ما يظن الناس أنه خير. هذه من أشد السنن الإلهية خطراً. يحتاج المؤمن

إلى يقظة دائمة ألا ينخدع بالنعم إذا كان في معصية.

٤/ مفهوم سنة التمكين بعد الإقضاء:

سنة الله أن المؤمنين قد يُخرجون من ديارهم، ثم يُمكن لهم. لوط أخرج، ثم نجا وأهلك الله قومه .
هذه سنة مطردة.
خاتمة: أنت في مشهد الختام

أيها المؤمن الذي قد يشعر أحيانًا أنك مغلوب، وأن أصحاب الباطل يطردونك من مجالك، ويحاصرونك
بوسائلهم:

انظر إلى نهاية قصة لوط .بدأ القوم بطرد آل لوط، وانتهوا بمطر من حجارة .ابداً أنت بالثبات على
الطهارة وإن طردوك، فستنتهي أنت بالنجاة وهم بالهلاك.

وانظر إلى امرأة لوط .كانت معه في البيت، لكنها لم تكن معه في القلب .اسأل نفسك: هل أنت مع
الله في قلبك أم أنك معلق بزينة الدنيا وأهلها؟ لا يكفي أن تكون في مجتمع صالح، بل لابد أن
تكون أنت صالحًا بنفسك.

وانظر إلى المطر الذي جاءهم .جاء بصورة ما كانوا يرجون، فإذا هو عذاب .ربما النعم التي تراها
اليوم هي استدراج، وربما البلاء الذي تخافه هو خير .لا تنظر إلى الصورة الظاهرة، بل انظر إلى ما
عند الله.

المقطع الخامس

أيها القلب الذي طال به السفر في قصص الماضين، أيها العقل الذي وقف على آثار ثمود ومدائن قوم لوط، حان الوقت لتلتقط أنفاسك، وتنظر إلى ما بعد هذه المشاهد. فبعد أن سرد الله علينا قصص الأنبياء مع أقوامهم، وبعد أن رأينا مكر الماكيرين ونجاة المؤمنين وهلاك الكافرين، يأتي التحول العظيم.

تأمل معي قوله تعالى:

{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ أَلَلَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: 59].

هذه الآية تمثل نقطة تحول كبرى في السورة. إنها لحظة يلتفت فيها الخطاب من حكاية الغائب إلى مخاطبة الحاضر، من سرد قصص الأمم السابقة إلى توجيه النبي ﷺ وأمته من بعده. إنها دعوة للتوقف والتفكير، وحمد الله على ما أنعم به، وتسليم على عباده المصطفين، ثم استفهام يزلزل العقل: أَلَلَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ؟

اولاً : دلالة الالتفات – لماذا انتقل الخطاب من الحكاية إلى التوجيه المباشر؟

هذا الالتفات في الأسلوب يحمل في طياته معاني عميقة:

١/ من الغائب إلى الحاضر – لمسة بيانية توظف القلب:

كان الخطاب في الآيات السابقة بصيغة الغائب: "ولقد أرسلنا"، "قالوا اطيرونا"، "فأنجيناه". ثم فجأة يأتي الأمر: قل. إنه تحول من السرد التاريخي إلى التوجيه المباشر. كأن الله يقول للنبي ﷺ ولأمته: هذه القصص التي سمعتموها ليست مجرد حكايات تسلى بها، بل هي دروس لكم، وعبر لتنبهوا بها، ورسالة موجهة إليكم أنتم.

٢/ استخلاص العبرة من التاريخ:

بعد أن سرد الله لنا كيف أهلك المفسدين ونجى المؤمنين، جاء الأمر بحمد الله على هذه النعم، والتسليم على عباده المصطفين. أي أن النظر في سنن الله في الأمم السابقة يجب أن يقودنا إلى شكر الله على نعمة الهداية، وإلى التسليم على من اصطفاهم الله من عباده.

٣/ ربط الماضي بالحاضر:

هذا الالتفات يعلمنا أن قصص القرآن ليست تاريخًا منقرضًا، بل هي حية تتجدد في كل زمان. فما حدث مع ثمود وقوم لوط يمكن أن يحدث مع أي أمة. والخطاب للنبي ﷺ يعني أن هذه الدروس موجهة له ولأمته ليأخذوا حذرهم.

ثانياً : "قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ" – الأمر بالحمد في موقف العبرة

دلالة الأمر "قل":

هو أمر إلهي للنبي ﷺ أن يقول هذه الكلمات، وفيه توجيه للأمة أن تقولها بعده. "قل" تفيد الإعلان والتبليغ، أي اجعل هذا الحمد معلناً، واجعل هذه الكلمات شعاراً لك ولأمتك.

"الْحَمْدُ لِلَّهِ":

الحمد هو الثناء على الله بصفات الكمال، مع المحبة والتعظيم. والحمد هنا جاء بعد سرد قصص الأمم السابقة، فما موقع هذا الحمد؟

· حمداً على النجاة: بعد أن رأينا كيف أهلك الله المفسدين، نحمده أن لم يجعلنا منهم، وأن أنقذنا مما حل بهم.

· حمدًا على الهداية: نحمده أن هداانا للإيمان، ولم يتركنا نتخبط في ظلمات الغواية كما تاهت الأمم السابقة.
· حمدًا على سننه العادلة: نحمده على أنه لا يظلم الناس شيئًا، وأنه يمهل ولا يهمل، وأن العاقبة للمتقين.
الللمسة البلاغية:

تقديم "قل" على "الحمد" يفيد التأكيد على أن هذا الحمد ليس مجرد شعور داخلي، بل هو إعلان وإظهار. و الحمد جاء بالألف واللام للاستغراق، أي جميع أنواع الحمد لله وحده.
ثالثًا: "وسلامٌ علىٰ عبادِ الذين اصطفى" - السلام على المصطفين
"سلام":

هو التحية والدعاء بالسلامة من كل آفة. وهو أيضًا اسم من أسماء الله، فالسلام هو تحية أهل الجنة.
"عباده الذين اصطفى":

المصطفون هم الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله لتبليغ رسالته. ويشمل أيضًا المؤمنين المخلصين الذين اتبعوهم بإحسان.

**ما دلالة هذا السلام بعد الحمد؟

· ربط النعمة بالشكر: الله أنعم علينا بإرسال هؤلاء المصطفين، فمن الواجب أن نسلم عليهم وندعو لهم.
· تقدير مكانة الأنبياء: السلام على الأنبياء هو إقرار بأنهم هم القدوة، وأن طريق النجاة هو طريقهم.
· الدعاء لهم بأن يسلموا من كل مكروه: كما أن الله سلمهم من مكر أقوامهم، نسأله أن يسلمهم في الدنيا والآخرة.

الللمسة البلاغية:

· عطف "سلام" على "الحمد" يدل على أن الحمد لله والسلام على المصطفين قرينان لا يفترقان. فمن حمد الله حق حمد، لا بد أن يوقر رسله ويسلم عليهم.
· "عباده" أضافهم إلى نفسه إضافة تشرية، ثم وصفهم بـ "اصطفى" أي اختارهم واجتباهم، فكانوا خير الخلق.

رابعا : "الله خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ" - الاستفهام التقريري الذي لا يحتاج إلى جواب

بعد أن أمر الله بالحمد والسلام، جاء هذا الاستفهام العظيم: الله خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ؟

الاستفهام للتقريع والتوبيخ:

هذا الاستفهام ليس عن علم، فالله يعلم أن لا خير فيمن يشركون. إنه استفهام إنكاري تقريعي، يدفع العقل البشري إلى الحكم بنفسه: الله الذي خلق السموات والأرض خير، أم هذه الأصنام التي لا تخلق شيئًا ولا تنفع و لا تضر؟

الللمسات البلاغية:

· تقديم اسم الجلالة "الله" في بداية الاستفهام، مع زيادة همزة الاستفهام التي تفيد التقرير، ثم وضع "أم" المتصلة التي تفيد المساواة في الاستفهام. وكأنه يقول: قارنوا بين الله وهذه الأصنام، ثم احكموا بأنفسكم.
· "خَيْرٌ" نكرة في سياق الإثبات، وهي للتفضيل، أي أيهما خير وأفضل وأحسن وأعظم؟ والجواب معلوم: لا خير

فيمن يشركون، والخير كله في الله.

• "أما يُشركون" - الإشراك هو وضع الشريك مع الله في العبادة. والآية لم تذكر "من" بل ذكرت "ما" (أما يشركون) للدلالة على أن هذه الأصنام لا تعقل ولا تسمع، فهي أموات لا حياة فيها، فكيف تسوى بالحي القيوم؟

*ما الذي تريد الآية أن تثيره في النفس؟

هذا السؤال يزلزل العقل: هل يعقل أن يسوي عاقل بين الله الذي خلق كل شيء، وبين حجر لا يسمع ولا يبصر؟ إنه سؤال يقود إلى الإيمان، ويدفع إلى ترك الشرك والرجوع إلى الله وحده.

خامساً: كيف يجتمع الحمد والسلام والاستفهام في آية واحدة؟

هذه الآية تجمع بين ثلاثة أركان في بناء الإيمان:

١/ الحمد لله - شكر النعمة:

نحمده على نعمة الخلق والهداية والإمهال والنجاة.

٢/ السلام على المصطفين - تقدير الهداة:

نسلم على الذين بلغوا الرسالة، وأرشدونا إلى الطريق المستقيم.

٣/ الاستفهام عن الشرك - تجديد التوحيد:

نسأل أنفسنا: أالله خير أم ما يشركون؟ لنجدد إيماننا، ونفرض عنا أي شبهة شرك.

وهذه الثلاثة تمثل منهجاً متكاملًا في العبودية: شكر المنعم، وتوقير رسله، وتجديد التوحيد.

سادساً: دروس وتوجيهات من الآية

١/ الحمد هو رد الفعل الإيماني على مشاهدة السنن الإلهية:

عندما ترى كيف أهلك الله الظالمين، وكيف نجا المؤمنين، لا تمر القصة مروراً عابراً. بل احمد الله أن نجاكم مما حل بهم، وسله الثبات على الحق.

٢/ السلام على المصطفين هو إعلان للولاء والانتماء:

من أراد النجاة، فعليه أن يوالى من اصطفاهم الله، ويقتدي بهم. التسليم عليهم هو إقرار بأنهم القدوة.

٣/ السؤال عن الخيرية يقود إلى اليقين:

الاستفهام الذي وضعه الله في القرآن هو أداة للتفكير. عندما تتوقف وتساءل: هل ما أشرك به الناس خير أم الله؟ سيتجلى لك اليقين أن الله هو الخير كله، وما سواه باطل.

٤/ الدعوة تبدأ بالحمد وتنتهي بالحجة:

هذه الآية تقدم نموذجاً للداعية: أن يبدأ بحمد الله، ثم يصلي على الأنبياء، ثم يطرح الأسئلة التي توظف العقول. وهذا أسلوب مؤثر في النفوس.

سابعاً: تطبيقات معاصرة للآية

١/ في حياتنا اليومية:

• عندما ترى مجتمعًا منحرفًا، أو تسمع بقصص الأمم السابقة، اجعل رد فعلك أولاً: الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيرًا من خلقه.

• اجعل السلام على النبي ﷺ دائمًا على لسانك، فهو شعارك وعلامة انتمائك.

• اسأل نفسك دائمًا: ما الذي أعبده حقًا؟ أأعبد الله وحده، أم أعبد المال والمنصب والشهوات؟ هذا هو السؤال الذي يغير المسار.

٢/ في تربية الأبناء:

• علمهم أن يرددوا الحمد لله في كل موقف، وربط حمدهم بالتفكير في نعم الله وسننه في الكون.

• علمهم أن السلام على الأنبياء والمصطفين هو جزء من دينهم، وأن محبتهم وتوقيرهم من الإيمان.

• درب عقولهم على السؤال النقدي: أيهما خير، الله أم هذه الأشياء التي ينشغل بها الناس؟

٣/ في الدعوة والإصلاح:

• الداعية يحتاج أن يبدأ بالحمد في خطابه، وأن يكثر من السلام على النبي ﷺ، فهذا يفتح القلوب.

• الأسلوب الاستفهامي الذي تطرحه الآية هو من أنجح أساليب الدعوة: اطرح الأسئلة التي تدفع الناس للتفكير، واترك العقول تحكم بنفسها.

ثامناً: المفاهيم المركزية للآية

١/ مفهوم الحمد كمنهج حياة:

الحمد ليس مجرد كلمة تقال، بل هو نظرة للحياة: أن ترى النعم فتقر بها، وأن ترى السنن فتشكر عليها، وأن ترى العبر فتستفيد منها.

٢/ مفهوم الاصطفاء والولاء:

الله اصطفى عباده، فمن واجبنا أن نواليهم، ونسلم عليهم، ونتخذهم قدوة.

٣/ مفهوم الموازنة بين الله والشرك:

الآية تضع القارئ أمام موازنة عقلية: قارن بين الله وما يشركون، وستصل إلى الحقيقة بلا عناء

٤/ مفهوم الالتفات في الخطاب القرآني:

التحول من الغائب إلى المخاطب هو تذكير بأن القصص السابقة ليست بعيدة عنا، بل نحن معنيون بها.

خاتمة: أنت المخاطب بهذا النداء

أيها المؤمن الذي طال تأمله في قصص الماضين، والآن يواجه إليه الخطاب مباشرة:

اسمع قول ربك: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ. اجعل الحمد لسانك في كل حين، واجعل شكر الله ديدنك. وقل: وَسَلَامٌ عَلَيَّ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى. سلم على نبيك، وعلى الأنبياء من قبله، وعلى كل من اصطفاهم الله من عباده. ثم اسأل نفسك وهذا السؤال يزلزل الأرض من تحتك: أَلَلَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ؟

فإن قلت في نفسك: الله خير، فقد أجبت السؤال. وإن ترددت، فاعلم أنك بحاجة إلى مراجعة إيمانك. وإن قلت: ما أشرك به الناس من مال ومنصب وشهوة هو خير، فأنت على غير هدى.

لا تكن كقوم ثمود طردوا نبيهم، ولا كقوم لوط سخطوا الطهارة. كن من عباد الله المصطفين، الذين يحمدون الله في السراء والضراء، ويسلمون على رسله، ويوحدون الله ولا يشركون به شيئاً.

المبحث الثاني

أيها العقل الذي خلق ليتفكر، أيها القلب الذي فطر ليتأمل، لنقف مع آية من أعظم آيات القرآن التي تخاطب عقلك قبل قلبك، وتدعوك إلى رحلة تأمل في هذا الكون الفسيح، لترى بعينيك، وتسمع بأذنيك، ثم تحكم بعقلك السليم: أمن هذا الخالق العظيم تستحيون أن تعبدوه، أم تشركون به من لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون؟

تأمل معي قوله تعالى:

{أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} [النمل: 60].

هذه الآية تمثل منهجاً قرآنياً فريداً في بناء اليقين. إنها لا تطلب منك أن تؤمن مقلداً، بل تدعوك إلى أن تنظر، وتتأمل، وتجرب، ثم تصل إلى الإيمان عن قناعة. إنها تضع يدك على أعظم الأدلة على وحدانية الله: خلقه للكون، وإنزاله للماء، وإخراجه به الحدائق البهيجة. ثم تترك عقلك ليحكم: أله مع الله؟ ثم تختتم بأن من يشركون بالله بعد هذا هم قوم يعدلون عن الحق، أي يجورون ويظلمون.

أولاً ۚ: "أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" – الاستفهام الذي يفتح أبواب العقل

دور السؤال في الدعوة – لماذا يكثر القرآن من الاستفهام؟

هذه الآية تبدأ بـ "أَمَّنْ" التي تفيد الاستفهام التقريري، أي: أمن هذا الذي خلق السموات والأرض خير أم آلهتكم؟ وهذه ليست المرة الأولى التي يستخدم فيها القرآن هذا الأسلوب. إنه أسلوب يخاطب العقل، ويدعوه إلى أن يكون فاعلاً ۚ في عملية الإيمان، لا مجرد متلقي سلبي.

أهمية السؤال في الدعوة:

١/ إيقاظ العقل من غفلته: السؤال يوقظ العقل، ويخرجه من حالة الجمود والتقليد. عندما يسألك القرآن: أمن خلق السموات والأرض؟ فإن عقلك يبدأ بالبحث عن الجواب، وهذه هي بداية الطريق إلى اليقين.

٢/ إشراك المخاطب في عملية الاستنتاج: القرآن لا يفرض عليك الإيمان جبراً، بل يضع أمامك الأدلة، ويترك لعقلك أن يحكم. هذا من أعظم مظاهر تكريم الإنسان.

٣/ تحويل المعرفة إلى يقين: المعرفة التي تأتي عن طريق السؤال والبحث أرسخ من المعرفة التي تأتي عن طريق التلقين. القرآن يريد لك يقيناً لا يتزعزع.

٤/ إقامة الحجة: عندما يصل الإنسان إلى الحق عن طريق تفكيره هو، فإن الحجة تقوم عليه بشكل أتم. لا يستطيع أن يقول: لم أكن أعلم.

أهمية المنهج التجريبي في البناء الفكري:

الآية تدعونا إلى منهج قائم على المشاهدة والتجربة. فهي تقول:

• انظر إلى السموات والأرض: من خلقها؟

• انظر إلى المطر: من أنزله؟

• انظر إلى الحدائق البهيجة: من أنبتها؟

هذا هو المنهج التجريبي: انظر إلى الظواهر، ثم ابحث عن سببها، ثم ستصل إلى أن الخالق هو الله وحده.

وهذا المنهج هو أساس البناء الفكري السليم. عندما يُربى الإنسان على هذا المنهج، يصبح لديه وعي نقدي، لا يقبل أي فكرة إلا بعد تمحيصها، ولا ينخدع بالدعوات الزائفة.

دوره في إعادة الوعي وتصحيح التصورات:

كثير من الانحرافات الفكرية تنشأ من غياب المنهج التجريبي. الناس قد يقبلون بأفكار دون أن يختبروها، أو يعبدون آلهة دون أن يسألوا: هل تستحق العبادة؟ القرآن يعيد الوعي بتعويد الإنسان على السؤال، والنظر، و التفكير. هذا هو الطريق إلى تصحيح التصورات: أن ترى بعينك، ثم تحكم بعقلك.

ثانياً: عرض النعم كأدلة على عظمة الخالق

الآية تعرض ثلاث نعم عظمي، كل واحدة منها آية على وحدانية الله وكمال قدرته:

النعمة الأولى: خلق السموات والأرض

"أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ"

تأمل في هذه الجملة. السموات والأرض هما أعظم ما نراه في الوجود. السموات بعلوها واتساعها وكواكبها ونجومها، والأرض ببساطها وجبالها وبحارها. من يستطيع أن يخلق هذا سوى الله؟ الآلهة التي يعبدونها من دون الله، هل خلقت شيئاً من ذلك؟

اللمسة البلاغية:

· تقديم "أمن" للاستفهام الذي يراد به التقرير والتعجب. كأنه يقول: تأملوا، أمن كان هذا شأنه خير أم من لا يخلق شيئاً؟

· ذكر "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" معاً، لأنهما أعظم المخلوقات المشهوددة، ولأن خلقهما دليل على القدرة العظيمة.

النعمة الثانية: إنزال الماء من السماء

"وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً"

هذا الماء الذي ينزل من السماء، لا يملكه أحد، ولا يستطيع أحد أن يمنعه. إنه رحمة للعباد، وحياة للأرض. تأمل كلمة "لكم": أنزله من أجلكم، لشربكم، وسقيا دوابكم، وري زرعكم. إنه إحسان خاص من الخالق إلى خلقه.

اللمسة البلاغية:

· ذكر "لكم" يلفت الانتباه إلى أن هذا الماء إنما نزل من أجلهم، ليشعروا بقيمة النعمة، وليعلموا أن المنعم هو الله وحده.

· تعبير "مِنَ السَّمَاءِ مَاءً" يفيد أن مصدر هذا الماء هو جهة العلو، وهو ما يجعله خارج قدرة البشر.

النعمة الثالثة: إنبات الحقائق ذات البهجة

"فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتَ بَهْجَةٍ"

هنا الالتفات من الغائب إلى المتكلم: "فَأَنْبَتْنَا" – بصيغة الجمع الدالة على العظمة. إنه إعلان أن الذي أنبت هذه الحقائق هو الله، وليس أحداً سواه.

"حَدَائِقَ" – جمع حديقة، وهي البستان المحاط بحائط. كل حديقة فيها من الجمال والتنوع ما يبهج النفس.

"دَاتَ بَهْجَةٍ" – البهجة هي الحسن والجمال الذي يسر الناظرين. هذه الحقائق ليست مجرد نباتات، بل هي

لوحة فنية بديعة، بألوانها الزاهية، وثمارها المختلفة، ورائحتها الزكية. إنها آية من آيات الجمال الإلهي.

"مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا"

هذه الجملة هي ذروة الإعجاز. تخبرك أنك لو اجتمعت أنت وجميع البشر، فلن تستطيع أن تنبت شجرة واحدة. أنت تستطيع أن تزرع البذرة، وتستطيع أن تسقيها، لكن الإنبات – أي خلق الحياة في تلك البذرة وإخراج الشجرة منها – ليس في قدرة بشر.

اللمسة البلاغية:

· "مَا كَانَ لَكُمْ" صيغة نفي تدل على استحالة الفعل. أي ليس في قدرتكم أبدًا أن تنبتوا شجرها.

· تأكيد العجز البشري بعد ذكر عظمة الخالق الإلهي، ليبشر الإنسان بضعفه، وليعلم أن من يعبد من دونه لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فكيف يملكون إنبات شجرة؟

ثالثًا: "أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ" – الاستفهام الذي لا يحتاج إلى جواب

بعد أن عرضت الآية هذه الأدلة القاطعة، جاء السؤال الحاسم: أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ؟

اللمسة البلاغية:

· همزة الاستفهام مع "إله" نكرة في سياق الإثبات، تفيد النفي. أي: لا إله مع الله.

· التعبير بقوله "مَعَ اللَّهِ" وليس "غير الله"، لأن "مع" تفيد المصاحبة، أي: هل هناك إله يصاحب الله في الخلق و التدبير؟ والجواب معلوم: لا.

· هذا السؤال هو التتويج المنطقي للأدلة السابقة: إذا كان الله وحده هو الخالق لهذا الكون، فكيف تشركون به غيره؟

بلاغة ترك الجواب:

القرآن لا يذكر الجواب هنا، لأن العقل السليم بعد هذه الأدلة لا يمكن إلا أن يقول: لا إله مع الله. ترك الجواب لإقرار العقل نفسه هو أبلغ من أن يذكره النص.

رابعًا: "بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ" – تشخيص الداء

بعد كل هذه الأدلة، يبقى فريق من الناس يصرون على الشرك. عنهم يقول الله: بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ.

معنى "يَعْدِلُونَ":

· يعدلون عن الحق إلى الباطل.

· يعدلون عن طريق العدل إلى طريق الجور.

· يجعلون لله عدلاً ونظيرًا.

اللمسة البلاغية:

· "بَلْ" للإضراب الانتقالي، أي: ليس الأمر أنهم لم يعرفوا، بل هم يعرفون ثم يعدلون عن الحق ظلمًا وعنادًا.

· وصفهم بأنهم "قَوْمٌ يَعْدِلُونَ" فيه ذم لهم، لأن العدول عن الحق بعد البيان هو من أعظم الذنوب.

الدروس المستفادة:

- ليس كل من يشرك بالله يفعل ذلك عن جهل، بل كثير منهم يعرفون الحق ثم يعدلون عنه بسبب الكبر أو اتباع الهوى أو المصالح الدنيوية.
- الداعية إذا رأى من لا يستجيب بعد وضوح الأدلة، فليعلم أن المشكلة ليست في ضعف الحجة، بل في مرض القلب.

خامساً: كيف يخاطب القرآن العقل لإقناعه؟

هذه الآية تمثل نموذجاً متكاملًا في الخطاب القرآني الموجه للعقل:

١/ الانطلاق من المشاهد المحسوسة:

القرآن لا يبدأ بمناقشات فلسفية مجردة، بل يبدأ بما يراه الإنسان بعينه: السموات، الأرض، المطر، الحقائق. هذه مشاهد يعيشها الإنسان كل يوم، ويمكنه أن يتأملها.

٢/ الانتقال من المشاهد إلى الدلالة:

بعد عرض المشاهد، يطرح السؤال: من فعل هذا؟ وهنا يبدأ العقل في العمل، ويربط بين المشاهد وبين خالقها.

٣/ التدرج في الاستدلال:

يبدأ بأعظم المخلوقات (السموات والأرض)، ثم ينتقل إلى ما هو أقرب للإنسان (الماء)، ثم إلى ما هو أكثر تفصيلاً (الحقائق). هذا التدرج يجعل الاستدلال ملموساً وسهل الفهم.

٤/ إشراك المخاطب في الحكم:

بعد عرض الأدلة، يترك القرآن للمخاطب أن يحكم: أله مع الله؟ لا يجيب عنه القرآن مباشرة، بل يجعله هو الذي يصل إلى النتيجة.

٥/ توجيه النقد إلى العقل نفسه:

إذا لم يصل المخاطب إلى الحق، فإن القرآن لا ييأس منه، بل يبين له أن المشكلة ليست في ضعف عقله، بل في ميله عن الحق.

سادساً: النعم التي يخاطب بها العقل كأدلة على عظمة الخالق

الآية تقدم لنا مجموعة من النعم التي تخاطب العقل من عدة زوايا:

١/ نعمة الخلق (الدلالة على القدرة):

خلق السموات والأرض دليل على قدرة لا حدود لها. من يستطيع أن يخلق هذا الكون الفسيح، بكل ما فيه من نظام ودقة، إلا الله؟

٢/ نعمة الإنزال (الدلالة على الرحمة):

المطر ليس مجرد ظاهرة طبيعية، بل هو رحمة تنزل من السماء لتحيي الأرض. من الذي ينزله في الوقت المناسب، وبالكمية المناسبة، إلا الله؟

٣/ نعمة الإنبات (الدلالة على الإحسان):

الحقائق ذات البهجة ليست ضرورية للحياة فقط، بل فيها جمال يبهج النفس. هذا يدل على أن الخالق ليس قادراً فقط، بل هو جميل يحب الجمال، ومحسن إلى عباده.

٤/ نعمة العجز البشري (الدلالة على التفرد):

عجز الإنسان عن إنبات الشجرة يثبت أن الخالق متفرد بفعله، لا شريك له.

٥/ نعمة التنوع (الدلالة على الحكمة):

الحدائق فيها أنواع مختلفة من الأشجار والثمار والألوان، وهذا يدل على حكمة الخالق وعلمه الواسع.

سابعاً: تطبيقات معاصرة للآية

١/ في بناء الوعي الفكري:

• علم أبنائك أن ينظروا إلى الكون بعين التساؤل. لا تكتف بأقول لهم: الله خلق السموات والأرض، بل خذ بأيديهم لبروا وبشاهدوا ويستنتجوا بأنفسهم.

• شجعهم على التفكير النقدي: اسألهم: من خلق هذا؟ كيف جاء هذا؟ لماذا هو بهذا الجمال؟

٢/ في مواجهة الإلحاد المعاصر:

• الإلحاد اليوم لا يواجه بالعاطفة فقط، بل بالمنهج التجريبي الذي يقدمه القرآن. ادع الملحد إلى أن يتأمل في السموات والأرض، وفي الماء الذي ينزل من السماء، وفي الحدائق البهيجة، ويسأل نفسه: كيف جاء كل هذا؟ هل جاء صدفة؟ أم من خالق حكيم؟

٣/ في الدعوة إلى الله:

• استخدم أسلوب السؤال في دعوتك. لا تلقن الناس الإيمان جبراً، بل اطرح الأسئلة التي توقظ عقولهم، واتركهم يصلون إلى النتائج بأنفسهم.

• اجعل حوارك مع الناس منطلقاً من المشاهد التي يرونها ويعيشونها. الحديث عن المطر والحدائق أقرب إلى نفوسهم من الحديث عن المجردات الفلسفية.

٤/ في التربية على الشكر:

• عندما ترى المطر، لا تمر عليه مروراً عابراً. قف وتأمل: هذه رحمة من الله، فاشكره عليها.

• عندما ترى حديقة ذات بهجة، لا تقل: هذه جميلة فقط. بل قل: سبحان الله، ما أعظم خالقها.

ثامناً: المفاهيم المركزية للآية

١/ مفهوم الاستدلال بالكون (الآيات الأفاقية):

الكون كله آيات تدل على خالقها. من نظر فيها بعين البصيرة، وصل إلى الإيمان.

٢/ مفهوم المنهج التجريبي في القرآن:

القرآن يدعو إلى النظر والتأمل والتجربة (إنبات الشجرة) كطريق إلى اليقين.

٣/ مفهوم العجز البشري:

الإنسان مهما بلغ من العلم والقدرة، يظل عاجزاً عن إنبات شجرة. هذا العجز يذكره بحدوده، ويبدله على أنه يحتاج إلى خالق.

٤/ مفهوم الجمال الإلهي (البهجة):

الله ليس خالقًا فقط، بل هو جميل، خلق الجمال ليبشر به قلوب عباده.

٥/ مفهوم العدول عن الحق:

العدول عن الحق بعد وضوح الأدلة هو ظلم من الإنسان لنفسه، وليس نقصًا في الحجة

خاتمة: أنت المدعو إلى النظر

أيها العقل الذي خلقه الله ليتفكر، انظر إلى السموات والأرض، انظر إلى المطر حين ينزل، انظر إلى الحقائق حين تزهو، ثم اسأل نفسك: من خلق هذا؟ من أنزله؟ من أنبته؟ إله مع الله؟

ثم اسأل نفسك مرة أخرى: كيف تعبد من لا يخلق شيئًا، وتترك عبادة من خلق كل شيء؟ كيف تسوي بين من بيده الضر والنفع، وبين من لا يملك لنفسه شيئًا؟

لا تكن من القوم الذين يعدلون عن الحق بعد أن تبين لهم. كن من الذين إذا رأوا آية الله اعتبروا، وإذا سمعوا حجة الله آمنوا، وإذا تأملوا في خلقه ازدادوا يقينًا.

المبحث الثالث

أيها القلب الذي يقف مذهولاً أمام عظمة هذا الكون، أيها العقل الذي يبحث عن الاستقرار في زلزلة من القلق والتهيب، لنقف مع آية تأخذ بيدك إلى حيث الطمأنينة الحقيقية. إنها آية تريك كيف أن الله جعل لهذا الكوكب الذي تعيش عليه قرارًا، وجعل لك فيه مسكنًا ثابتًا، وجعل لك من وسائل الحياة ما تستقر به نفسك.

تأمل معي قوله تعالى:

{أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رِوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النمل: 61].

هذه الآية تأتي استكمالاً للمنهج القرآني في عرض الأدلة الكونية على وحدانية الله. بعد أن تحدثت الآية السابقة عن خلق السموات والأرض وإنزال الماء وإنبات الحقائق، تأتي هذه الآية لتفصل لنا ما في الأرض من نعم تثبت استقرارها، وتجعلها صالحة للحياة. إنها آية تريك أن الأرض لم تخلق فوضى، بل جعلها الله مستقرًا لك، وجعل فيها من الأنهار والجبال والبحار ما يحفظ توازنها، ويجعل حياتك ممكنة.

أولاً: "أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا" - الاستقرار الذي نغفل عنه

"أَمَّنْ" - هذا الاستفهام التقريري يعود ليسأل: أمن فعل هذه الأفعال خير أم من تشركون به؟ والجواب يقرره العقل السليم.

"جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا" - الأرض ليست مجرد كتلة صخرية تدور في الفضاء. إنها جعلها الله قرارًا، أي مستقرًا ثابتًا لا يميل بمن عليها. تأمل في هذه الكلمة: القرار هو المكان الذي تستقر فيه، وتطمئن إليه، وتأوي إليه. لو كانت الأرض تتحرك بسرعة كبيرة كما هي في الحقيقة، أو لو كانت تضطرب وتزلزل باستمرار، لما استطاع الإنسان أن يعيش عليها، أو يبني عليها، أو يزرعها.

اللمسة البلاغية:

• وصف الأرض بـ "قرارًا" مع الإشارة إلى أن الحركة الحقيقية للأرض لا نشعر بها، فهذا من تمام النعمة والإحسان.

• تنكير "قرارًا" يفيد التعظيم، أي جعلها قرارًا عظيمًا، مستقرًا ثابتًا لا يميل.

ما الذي نشعر به عندما نتأمل هذه النعمة؟

تخيل أنك تعيش في سفينة في وسط بحر هائج، لا تستقر أبدًا. هذا ما كانت ستكون عليه الحياة لو لم يجعل الله الأرض قرارًا. ولكن الله جعلها ثابتة، فنسينا نحن أنفسنا أن هذه الثبات هو أعظم نعمة. نعمة أن تمشي على الأرض فلا تسقط، وأن تبني بيتًا فلا ينهار، وأن تنام ليلاً "فلا تقلق من أن الأرض ستضطرب بك. هذا هو القرار الذي نغفل عنه.

ثانياً: "وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا" – عروق الحياة في جسد الأرض

"خِلَالَهَا" – جمع خَلَل، وهو ما بين الشيئين من فجوة أو منفذ. أي جعل في متسع الأرض وفجواتها أنهارًا تجري.

"أنهارًا" – هذه الأنهار هي عروق الحياة التي تسقي الأرض، وتروي العطش، وتنعش الزرع، وتصل بين المدن، وتحمل الخير من مكان إلى آخر.

اللمسة البلاغية:

• استخدام كلمة "خلالها" يوحي بأن الأنهار تتخلل الأرض، وتخترقها من مكان إلى آخر، كما تخترق العروق جسم الإنسان.

• التعريف بـ "الأرض" ثم جعل الأنهار في خلالها يشير إلى أن هذه الأنهار جزء من نظام الأرض، وليست شيئًا غريبًا عنها.

ما أجمل أن نتأمل الأنهار!

إنها كالشرايين التي تضخ الحياة في جسد الأرض. انظر إلى نهر النيل، كيف كان شريان الحياة لمصر. انظر إلى دجلة والفرات، كيف أنشأت حضارات كبرى. هذه الأنهار لم تأت صدفة، بل جعلها الله في مواضعها بحكمة، لتكون رحمة للعباد.

ثالثاً: "وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي" – الجبال التي تثبت الأرض

"رَوَاسِي" – جمع راسية، وهي الجبال الثابتة التي ترسو الأرض بها. الجبال ليست مجرد زينة على وجه الأرض، بل لها وظيفة عظيمة: تثبيت الأرض ومنعها من الاضطراب.

اللمسة البلاغية:

• التعبير بـ "رواسي" من رسا يرسو، أي ثبت وقر. وهذا يلفت الانتباه إلى أن الجبال خلقت لتثبيت الأرض.

• تنكير "رواسي" يدل على أنها جبال عظيمة، ليست مجرد تلال صغيرة.

العلم الحديث يؤكد ما جاء في القرآن:

لطالما ظن الناس أن الجبال مجرد كتل صخرية على سطح الأرض. لكن العلم الحديث اكتشف أن للجبال جذورًا تمتد عميقًا في الأرض، وأنها تلعب دورًا في تثبيت القشرة الأرضية. هذا ما أشار إليه القرآن قبل أربعة عشر قرنًا: {وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي} .

ماذا لو لم تكن الجبال؟

لو لم تكن الجبال، لكانت الأرض تضطرب بمن عليها، ولما استقرت الحياة. الجبال هي مثبتات الأرض، وهي خزانات المياه، وهي التي تشكل المناخ وتنظم الرياح. كل هذا من رحمة الله.

رابعاً: "وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا" – الحد الفاصل بين الماء العذب والمالح

"بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ" – البحرين: البحر المالح والبحر العذب. بعض المفسرين قال: يعني بين البحرين المتجاورين،

كبحر الروم وبحر فارس، أو بين البحر العذب والمالح.

"حَاجِزًا" - حاجزًا يمنع اختلاطهما، فكل منهما يحافظ على خصائصه وطبيعته.

اللمسة البلاغية:

• استخدام كلمة "حاجزًا" تفيد المنع والفصل، وهي صيغة مبالغة تدل على قوة هذا الفاصل.

• التنكير للتعظيم: حاجزًا عظيمًا لا تدركه العيون، لكنه موجود يحفظ التوازن.

الإعجاز العلمي في الآية:

هذه الآية من أعظم الآيات التي تحدثت عن إعجاز القرآن العلمي. فقد اكتشف العلماء أن بين البحر العذب و البحر المالح منطقة فاصلة تسمى "البرزخ"، لا تسمح باختلاط الماءين، رغم التقائهما. كل بحر يحافظ على درجة ملوحته وكثافته. وهذا ما أشارت إليه آية أخرى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ} [الرحمن: 19-20].

ما دلالة هذا الحاجز؟

هذا الحاجز يدل على أن هذا الكون ليس عبثًا، بل هو بنظام دقيق يحفظ التوازن. من الذي وضع هذا الحاجز؟ من الذي خلق هذا النظام؟ إنه الله وحده.

خامسًا: تكرار الفعل "جَعَلَ" - دلالة على الحكمة والتدبير

تأمل كيف تكرر الفعل "جَعَلَ" في الآية أربع مرات:

• جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا

• وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا

• وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا

• وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا

ما دلالة هذا التكرار؟

١/ التوكيد على أن كل هذه النعم من الله وحده: كل فعل من هذه الأفعال هو فعل إلهي خالص، لا شريك له فيه.

٢/ التنوع في الإحسان: ليس إحسانًا واحدًا، بل إحسانات متعددة، كلها تدل على رحمة الله بعباده.

٣/ الانتقال من الأعظم إلى الأخص: بدأ بالأرض (أعظم ما يراه الإنسان)، ثم الأنهار (تفصيل لما في الأرض)، ثم الرواسي (ما يثبت الأرض)، ثم الحاجز بين البحرين (نظام دقيق). هذا التدرج يجعل الاستدلال أقوى.

٤/ فعل "جَعَلَ" يفيد التحويل والتكوين: أي جعل هذه الأشياء على هذه الصفة بحكمته، ولم تكن كذلك من قبل.

سادسًا: "أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ" - الاستفهام الذي يفضح الشرك

بعد عرض هذه الأدلة الأربعة، يأتي السؤال الحاسم: أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ؟

اللمسة البلاغية:

• الاستفهام للإنكار والنفي: هل هناك إله مع الله فعل هذه الأفعال؟ الجواب: لا.

• نكرة "إله" في سياق الإثبات تفيد النفي: لا إله مع الله.

• "مَعَ اللَّهِ" تشير إلى المصاحبة في الفعل، أي هل هناك إله يشارك الله في جعل الأرض قرارًا وجعل الأنهار و الرواسي والحاجز؟ لا.

لماذا تكرر هذا السؤال؟

هذا السؤال يتكرر في سورة النمل ليضرب على وتر العقل. كلما عرض القرآن دليلاً، طرح السؤال: أإله مع الله؟ ليرسخ في النفس أن لا إله إلا الله.

سابقاً: "بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" - الجهل هو العائق

بعد كل هذه الأدلة، يبقى أكثر الناس على شركهم. عنهم يقول الله: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

اللمسة البلاغية:

• "بَلْ" للإضراب الانتقالي، أي: ليس الأمر أنهم يجهلون وجود الأدلة، بل أكثرهم لا يعلمون دلالتها.

• "أَكْثَرُهُمْ" وليس "كلهم"، لأن منهم من يعلم ويعدل عن الحق عناداً.

• "لَا يَعْلَمُونَ" الجهل هنا هو جهل القلب لا جهل العقل. إنهم يعلمون هذه الظواهر، لكنهم لا يعلمون أن دلالتها على الخالق.

ما معنى أن أكثرهم لا يعلمون؟

• لا يعلمون قدرة الله.

• لا يعلمون حكمة الله.

• لا يعلمون أن هذه النعم تستحق الشكر.

• لا يعلمون أن من أنعم بهذه النعم يستحق العبادة.

الدروس:

• الكثرة ليست معياراً للحق. أكثر الناس قد يكونون على جهل.

• الجهل هو العائق الأكبر أمام الإيمان. إذا أزيل الجهل، انكشفت الحقيقة.

ثامناً: لمسات بيانية وبلاغية في الآية

١/ التنويع في أسلوب العرض:

الآية عرضت أربع نعم بأسلوب متجدد:

• الأرض: جعلها قراراً (نعمة ثبات واستقرار).

• الأنهار: جعلها خلالها (نعمة حياة وري).

• الرواسي: جعل لها رواسي (نعمة تثبيت وحماية).

• البحرين: جعل بينهما حاجزاً (نعمة نظام وتوازن).

٢ / التدرج من العام إلى الخاص:

بدأ بالأرض (العام)، ثم انتقل إلى تفاصيلها (الأنهار والجبال)، ثم إلى ما هو أكثر خصوصية (الحد الفاصل بين البحرين).

٣ / تكرار الفعل "جَعَلَ":

التكرار يفيد التأكيد، ويشير إلى أن كل هذه الأفعال مقصودة، وليست عبثًا.

٤ / الاستفهام التقريري "أَمَّنْ":

هذا الأسلوب يشرك المخاطب في الاستنتاج، ويجعله هو الذي يحكم.

٥ / الإضراب بـ "بَلْ" في الخاتمة:

للانتقال من الحديث عن الأدلة إلى الحديث عن حال المخاطبين، وبيان أن العائق هو الجهل.

تاسعًا: دروس وتوجيهات من الآية

١ / الاستقرار الحقيقي عند الله:

كما جعل الله الأرض قرارًا، فإن القرار الحقيقي للقلب يكون بذكر الله. قال تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}. من أراد الطمأنينة والاستقرار، فليجعل الله قرار قلبه.

٢ / التفكر في النعم عبادة:

هذه الآية تدعونا إلى التفكر في النعم التي نعيش فيها ونغفل عنها. كل شربة ماء، كل شجرة تثمر، كل جبل يثبت الأرض، كل بحر يحافظ على ملوحته - كلها آيات تدعونا إلى الشكر.

٣ / الكثرة لا تعني الحق:

"أكثرهم لا يعلمون" - لا تكن أسيرًا للأكثرية. الحق قد يكون مع القلة. المهم أن تكون مع الحق، ولو كنت وحدك.

٤ / الجهل علاج بالإيمان:

الجهل الذي أشارت إليه الآية هو جهل بالله. وعلاجه هو العلم بالله، والتفكر في آياته. فإذا علم الإنسان قدرة الله، وعلم حكمته، وعلم أنه هو المستحق للعبادة، زال هذا الجهل.

٥ / الإحسان الإلهي يستحق الشكر:

كل هذه النعم من إحسان الله. ومن إحسانه أن جعلها لنا. فهل نشكر؟ الشكر يكون باستعمال هذه النعم في طاعة الله، وعدم استخدامها في معصيته.

عاشرًا: تطبيقات معاصرة للآية

١ / في حياتنا اليومية:

• عندما تمشي على الأرض، تذكر أنها قرار من الله. اشكر الله على هذا النبات.

• عندما ترى نهرًا، تذكر أنه من نعم الله. لا تلوثه، ولا تهدر مائه.

• عندما ترى جبلًا، تذكر أنه مثبت للأرض. تفكر في عظمة خالقه.

• عندما ترى البحر، تذكر الحاجز بين العذب والمالح. تفكر في نظام الله الدقيق.

٢/ في التربية:

• علم أبناءك أن يتأملوا في هذه النعم. خذهم إلى الطبيعة، وأرهم الأنهار والجبال والبحار، واسألهم: من خلق هذا؟ من جعله بهذه الصفة؟

• ربههم على أن الشكر يكون بالفعل، وليس بالقول فقط. علمهم أن يحافظوا على البيئة، ولا يفسدوا في الأرض.

٣/ في الدعوة إلى الله:

• استخدم هذه الآية في حوارك مع غير المؤمنين. اسألهم: من جعل الأرض ثابتة؟ من جعل الأنهار تجري؟ من جعل الجبال تثبت الأرض؟ من جعل بين البحرين حاجزًا؟ ثم اترك عقولهم تحكم.

• العلم الحديث يؤكد هذه الحقائق، فاستخدمها كمدخل للحوار.

٤/ في بناء الوعي البيئي:

• هذه الآية تعلمنا أن الأرض أمانة في أيدينا. جعلها الله قرارًا لنا، فما لنا نفسدها؟ النهضة الحقيقية لا تكون بتدمير البيئة، بل بالحفاظ عليها كأمانة إلهية.

حادي عشر: المفاهيم المركزية للآية

١/ مفهوم الاستقرار (القرار):

أن الله جعل للإنسان موضع قدم في هذا الكون، وجعل له من الأرض ما يستقر عليه. هذا الاستقرار هو أساس أي حضارة.

٢/ مفهوم التوازن في الكون:

الأنهار والجبال والحاجز بين البحرين كلها عناصر تحافظ على توازن الأرض. هذا التوازن يدل على وجود خالق حكيم.

٣/ مفهوم الإحسان الإلهي:

كل هذه النعم ليست ضرورية للحياة فقط، بل فيها من الجمال والإحسان ما يبهج النفس. هذا يدل على أن الله محسن إلى عباده.

٤/ مفهوم الجهل الحقيقي:

الجهل ليس عدم المعرفة بالمشاهد، بل عدم معرفة دلالتها على الخالق. هذا الجهل هو الذي يوقع الناس في الشرك.

٥/ مفهوم المسؤولية تجاه الأرض:

من جعل الأرض قرارًا، سيسألنا: كيف تعاملتم مع هذا القرار؟ هل شكرتم؟ هل حافظتم؟ أم أفسدتم؟

خاتمة: أنت تعيش على قرار من الله

أيها الإنسان الذي يمشي على الأرض ويظن أنها مجرد تراب، أيها القلب الذي يلهيه الرقص خلف الدنيا عن التفكير في خالقها:

انظر إلى الأرض التي تمشي عليها. إنها ليست مجرد جماد. إنها قرار جعله الله لك، لتعيش عليه، وتبني عليه،

وتأوي إليه. انظر إلى الأنهار التي تجري، إنها عروق الحياة. انظر إلى الجبال الشامخة، إنها أوتاد الأرض. انظر إلى البحار، كيف لا يختلط العذب بالمالح.

ثم اسأل نفسك: من فعل هذا؟ أمن فعل هذا خير أم من تشركون به من الأصنام والأوثان؟ أإله مع الله؟ لا تكن ممن قال عنهم الله: **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**. كن من القلة التي تعلم، فتشكر، فتستقر في الدنيا والآخرة.

المبحث الرابع

آية التوحيد والتثبيت: رحلة إلى أعماق النفس البشرية

قال الله تعالى: **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**

تمهيد: مشهد افتتاحي

تخيل نفسك في لحظة انقطعت فيها كل الأسباب. ليل مظلم، وبحر لجي، أو مرض أفعدته الأطباء، أو ضيق سدت فيه كل المنافذ. من تنادي؟ من ترفع يديك إليه؟ في تلك اللحظة التي تسقط فيها كل الأقنعة، وتتساقط كل الوسائط، وتنكشف حقيقة قلبك—إلى من تتجه؟

هذه الآية تأخذك من يدك، وتغوص بك إلى أعماق تلك اللحظة. إنها ليست مجرد آية تتلى، بل هي مرآة تنظر فيها إلى فطرتك، وبوصلة تعيد ضبط قلبك، ورحلة تبدأ من قاع الاضطراب إلى قمة الاستخلاف.

أولاً: **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**

من هو المضطر؟ ولماذا خصه الله بالإجابة؟

المضطر هو الذي انقطعت به الحيل، وتقطعت به الأسباب، واحتترقت أمامه كل الجسور. هو الذي نزل به من الكرب ما لم يعد معه لأحد قدرة على كشفه. المضطر هو الإنسان في أصدق حالاته، حين يسقط عنه كل تزوير، وكل ادعاء، وكل شرك خفي أو جلي.

لماذا خص الله المضطر بالذكر؟

لأن المضطر هو الذي وصل إلى درجة من الصدق مع الله لا يصل إليها المترفون. الاضطراب يكشف الحقيقة: لا إله إلا الله. حين يطبق عليك الضيق، تنكشف لك أن كل من كنت ترجوهم ليسوا شيئاً. في تلك اللحظة، تنادي من لا شريك له، فتسمع: "البيك عبدي".

تأمل قيد "إذا دعاه": لم يقل "أمن يجيب المضطر" فقط، بل قيده بالدعاء. كأن الله يقول: المضطر قد يجيب نفسه بنفسه لو شاء، لكني أريد أن أسمع صوته، أريد أن يراني هو، أريد أن تكون بيني وبينه وصلة. الدعاء هنا ليس مجرد طلب، بل هو اعتراف بالعبودية، واعتراف بأن لا كاشف للضيق إلا أنت.

كيف أن هذا الدليل مأخوذ من المشرك نفسه؟

وهنا السر العجيب: المشرك نفسه—الذي يعبد الأصنام، والذي يجعل لله شركاء—حين تشتد به الكربة، وينقطع به الحبل، لا يلجأ إلى أصنامهم. في أعماق البحر، في شدة المرض، في لحظة الخطر المحقق—يرفع يديه إلى الله وحده.

تأمل هذه المفارقة: في الأزمات يعترف بتوحيد الربوبية، فإذا زالت الشدة عاد إلى الشرك. وكأن الأزمة كانت كاشفة لحقيقة قلبه، ثم يعود فيغطيها بغشاء الغفلة.

الآية هنا تدق على هذا التناقض: كيف تطلب الحوائج من غيره في الرخاء، وأنت تعلم أنه لا يجيبك إلا هو في الشدة؟ أليس هذا تناقضاً يفضح العقل قبل الشرع؟

دور الآية في ترسيخ توحيد الربوبية

هذه الآية تزرع في قلبك يقينًا لا يتزعزع: أن من بيده كشف الضر هو من بيده كل شيء. إنها تحول قلبك عن التعلق بالأسباب إلى التعلق بمسبب الأسباب. لا بأس أن تأخذ بالأسباب، لكن لا تعلق قلبك بها. المفاتيح كلها عنده.

ضعف البشر وقدرة الله المطلقة

الآية تذكرك بضعفك المطبق. أنت الذي لا تقدر على كشف ضر عن نفسك، فضلًا عن غيرك. أنت الذي لو أصابك مرض، وأغلق الأطباء أبوابهم، لم يبق لك إلا باب واحد. ذلك الباب هو الذي يفتحه الله حين لا يفتحه أحد. إنها تريحك من أوهم القوة الذاتية، وتضعك في موضعك الطبيعي: عبد ضعيف برب قوي.

الله يجيب المضطر ولو كان كافرًا

وهنا لطف عظيم: الله يجيب المضطر حتى لو كان كافرًا. لماذا؟ لأنه رب العالمين، ورحمته وسعت كل شيء، وعدله يقتضي أن من انقطع به الحبل، ولجأ إليه—ولو كان كافرًا—فإنه لا يرده خائبًا. فكيف إذا كان المضطر مؤمنًا؟ كيف إذا كان من أوليائه؟

الدروس والتوجيهات:

• لا تيأس من رحمة الله مهما بلغ ذنبك. باب الاضطرار مفتوح للجميع.

• لا تحقر دعاء أحد في الشدة، فقد يكون مضطرًا والله يجيب المضطر.

• اجعل من الشدة جسرًا إلى الله، لا منفذًا إلى اليأس.

ثانيًا: وَيَكْشِفُ السُّوءَ

لماذا قال "يكشف" ولم يقل "يرفع"؟

لأن السوء حين ينزل بك، يكون كالغطاء الثقيل الذي يغطي صدرك، ويجثم على روحك. "يكشف" توحى بأنه يزاحم هذا الغطاء برفق، ويرفعه عنك، وكأن السوء كان مجرد حجاب بينك وبين النور.

"الرفع" قد يكون مؤقتًا، أما "الكشف" ففيه معنى الإزالة والإبادة. كأن الله يقول: سأزيل عنك هذا الغطاء، لا سأرفعه قليلاً ثم أعيده.

الرسالة التي تحملها الآية

السوء قد يكون مرضًا ينهك الجسد، أو فقرًا ينهك النفس، أو همًا ينهك القلب، أو ظلمًا يثقل الروح. والله وحده يملك مفاتيح الكشف.

ما تعلمك إياه هذه الآية:

• لا تستهلك طاقتك في طرق الأبواب المغلقة. اذهب إلى مالك المفاتيح.

• كل سوء مهما عظم، تحت يد الله هو شيء يسير. كشفه عنده بلمح البصر.

• الأسباب التي تراها—الطبيب، المال، الناس—ليست هي الكاشفة. إنها مجرد ستائر، الكاشف هو الله.

تأمل: كم من مريض أتاه أعظم الأطباء فلم يشف، ثم شفي بأبسط الأدوية أو بلا دواء! ذلك لأن الكاشف هو الله. وهذا لا يعني ترك الأسباب، بل يعني عدم التعويل عليها.

ثالثًا: وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ

ما معنى الاستخلاف؟

ليس الاستخلاف مجرد استمرار النسل وتعاقب الأجيال. إنه أعمق من ذلك بكثير. الاستخلاف هنا هو تمكين الإنسان في الأرض، وتسهيل له عليها، وجعله نائبًا عن الله في عمارتها وإصلاحها.

أنت خليفة الله في أرضه. هذا تشریف عظيم، لكنه تكليف أعظم. الخليفة ليس مالكا، بل مسؤول. الأرض ملك لله، وأنت وكيل فيها. ستسأل عن كل ما استخلفت عليه.

ربط النعمة بالعمل

الآية تربط بين إجابة المظطر وكشف سوءه وبين جعلك خليفة في الأرض. كأنما تقول: بعد أن أنقذتك من الشدة، ورفعت عنك سوءه، جعلتك خليفة. إذن فالشكر على النجاة يكون بالقيام بمهمة الاستخلاف.

كيف نربط بين النعمة والعمل؟

• كل نعمة أنقذك الله بها من سوء هي أمانة تستوجب العمل.

• الاستخلاف يعني: عمر الأرض بالحق، وإقامة العدل، ونشر الخير.

• من أنجاه الله من غرق، أو مرض، أو فقر—ثم قصر في عمارة الأرض—كان قد ضيع جزءًا من شكر النعمة.

رابعًا: قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

لماذا وصف التذكر بالقليل؟

لأن طبع الإنسان الغفلة. تمر عليه الآيات والدلائل، ويمر عليه النجاة بعد الشدة، ثم سرعان ما ينساها. قلبه مثل صفحة تمحى سريعًا.

"قليلًا ما تذكرون" فيها عتاب لطيف، وفيه تحذير من أن الإنسان لا يتذكر إلا قليلًا من النعم، ولا يتذكر إلا قليلًا من الدروس. وأكثر وقته في غفلة.

ما هي الغفلة؟ وكيف تعالجها؟

الغفلة هي أن يكون القلب غائبًا عن الله، واللسان ذاكراً أو لا ذاكراً. إنها غياب الحضور. تعالجها:

• بالتفكير: التفكير في النعم والآلاء.

• بالتدبر: تدبر الآيات الكونية والقرآنية.

• بدعاء التذكر: "اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".

لماذا تحتاج الغفلة إلى علاج؟

لأن الغفلة هي أصل الانحراف. حين تغفل عن الله، تنسى أنه هو الذي أجابك في الشدة، فتبدأ تطلب الحوائج من غيره. حين تغفل، تنسى أنك خليفة، فتقصر في الأمانة. حين تغفل، تنسى أن سوءه يكشفه الله وحده، فتبدأ تطرق أبوابًا لا تفتح.

رحلة إلى أعماق النفس البشرية

هذه الآية تأخذك في رحلة وجودية:

تبدأ من قاع الاضطراب—أعمق نقطة في حياتك، حيث تنقطع كل الأسباب، وتتكشف الفطرة، وينقطع الرجاء إلا من الله. هناك، في تلك النقطة، تسمع: "أمن يجيب المضطر إذا دعاه".

ثم تنتقل إلى لحظة الكشف—حين يزاحم الله عنك السوء، فينفرج الصدر، ويزول الهم، وتنفس الروح. ثم تصل إلى قمة الاستخلاف—حين يجعلك الله خليفة في الأرض، بعد أن كنت مضطرًا محتاجًا، تصبح مكينًا مؤتمنًا.

ثم يهزك السؤال: "إله مع الله؟" كأنه يقول: بعد كل هذا، أتشرك معي أحدًا؟!

ثم ينبهك إلى علة انحرافك: "قليلاً ما تذكرون".

ليست مجرد كلمات، بل هي طوق نجاة، وقاعدة ذهبية في توحيد القصد والواجهة.

لماذا تسمى آية التوحيد والتثبيت؟

تسمى آية التوحيد لأنها تجمع أنواع التوحيد الثلاثة في آية واحدة:

• توحيد الربوبية: إجابة المضطر وكشف السوء فعل الربوبية.

• توحيد الألوهية: الدعاء والالتجاء إليه وحده.

• توحيد الأسماء والصفات: إثبات صفة الإجابة والكشف والاستخلاف.

وتسمى آية التثبيت لأنها تثبت قلبك على اليقين. كلما هزتك الأزمات، تذكرها فتثبت. كلما مال قلبك إلى غير الله، تذكرها فيعود.

أهم الدروس من الآية وكيف نطبقها في حياتنا

1. في مواجهة الأزمات: إلى من تلجأ؟

الآية تعيد تشكيل سلوكك في الأزمات. علمك ألا تلتفت يمينًا ولا شمالًا. لا تذهب إلى فلان لأنه كبير، ولا إلى فلان لأنه ذو جاه. اذهب إلى الله مباشرة.

التطبيق العملي: عندما تأزمت بك الأمور—مرض، ظلم، حاجة—اجعل أول خطوة لك هي الدعاء. ليس الدعاء كلمات ترددها، بل وقوف بين يديه، وإلحاح، واعتراف بالعجز، ثم الأخذ بالأسباب بعد ذلك.

2. غرس عزة النفس

عزة النفس الحقيقية أن لا تذلل لأحد غير الله. الآية تعلمك: من ذا الذي تذهب إليه ليكشف عنك السوء؟ إن ذهبت إلى مخلوق، أذلت نفسك لمن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا. لكن إذا توجهت إلى الله، حفظت عزتك، لأنك تطلب ممن لا يحتاج إلى وساطة.

3. بناء الإنسان المتوازن

المؤمن الذي يفهم هذه الآية لا يحطمه الفشل. لأنه يملك ركنًا شديدًا يركن إليه. فشل في عمل؟ تأزمت به الظروف؟ ضاقت به السبل؟ يعلم أن هناك من يجيب المضطر. هذا يجعله مرثًا نفسيًا، لا ينكسر، لأن جذوره ضاربة في السماء.

4. بناء المجتمع المتراحم

حين تعلم أن الله يجيب المضطر، تتعاطف مع المضطرين. المجتمع الذي يفهم هذه الآية يصبح مجتمعًا

متراحماً، يعرف أن من أعظم العبادات أن يكون سبباً في إجابة دعوة مضطر، أو في كشف سوء عن أحد.

5. بناء الحضارة

الآية تضع أسس الحضارة:

• السيادة لله: لا أحد يستأثر بالسلطان المطلق. كل خليفة مسؤول أمام الله.

• الاستخلاف مسؤولية: الإنسان خليفة، ليس متسلطاً. هذا يدفعه إلى الإتيان في العمل، لأن الخيانة في الاستخلاف عظيمة.

• عمارة الأرض شكر: من أنقذه الله من الاضطراب، ثم قصر في عمارة الأرض، كان قد ضيع شكر النعمة.

المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة الاضطراب: البوابة الإلهية

لماذا اختار الله لفظ "المضطر" تحديداً؟ لأن الاضطراب هو أعلى درجات الصدق. حين تضطر، تنكشف أمام الله بلا قناع، بلا رياء، بلا تكلف. الاضطراب يخلص النية، ويصفي القصد، ويكسر جدار الكبر.

الرسالة: لا تخف من لحظات الاضطراب. هي ليست عقاباً، بل هي أبواب تفتحها الرحمة لتدخل منها. الاضطراب هو التدريب الإلهي الذي يعدك للاستخلاف.

"يكشف السوء": أبعد من مجرد زوال الألم

كشف السوء ليس مجرد إزالة المرض أو الفقر. إنه إزالة للغشاوة التي كانت تحجب رؤيتك. كثير من الناس تزول عنهم الشدة، لكن تبقى عليهم غشاوة القلب. كشف السوء الحقيقي هو أن تكشف عن قلبك غشاوة الغفلة، فتري الحقيقة.

المحنة: دورة تدريبية للخلافة

تأمل الربط العجيب: إجابة المضطر + كشف السوء + جعلك خليفة. كأن الله يقول: هذه المحنة التي مررت بها هي تدريب لك. من لم يذق مرارة الاضطراب، لن يشعر بآلام المستضعفين حين يستخلفه الله في الأرض.

هذا هو السر: الله يعدك للخلافة بأن يمررك بمحطات الاضطراب، لتعرف ما يحتاجه من ستخلف عليهم. القائد الذي لم يعرف الجوع لا يفهم الجوع. الحاكم الذي لم يظلم لا يفهم المظلومين.

خلفاء الأرض: بين التشريف والتكليف

الاستخلاف تشريف بلا شك، لكنه تكليف عظيم. الخليفة ليس ملكاً مطلقاً، بل هو مسؤول. من فهم هذه المعنى، أتقن العمل، وعدل في الحكم، وأخلص في العبادة.

السؤال الذي يهز الأركان: أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ

هذا السؤال يعيد في الآية بعد كل وصف. إنه صدمة إيجابية للوعي. كأن الله يمسك بكتفك ويهزك: أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ؟! بعد أن رأيت من يجيبك في الشدة، ويكشف عنك السوء، ويجعلك خليفة—أنشرك معه أحداً؟!

هذا السؤال يعيد ضبط البوصلة. عندما تمر بأزمة، وتتجه إلى غير الله، تسمع هذا السؤال في أعماقك: أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ؟! كأنه يقول: الذي أجابك حين لا أحد يجيب، والذي كشف عنك السوء حين لا أحد يكشف، والذي جعلك خليفة بعد أن كنت مضطراً—أتركه وتذهب لغيره؟!

التطبيق العملي في مفاصل الحياة

- في لحظة الخوف: قل لنفسك: أمن يجيب المضطر إذا دعاه غير الله؟ لا أحد. فألى من أخاف؟
- في لحظة الحاجة: قل: أمن يكشف سوء غير الله؟ لا أحد. فلماذا أتوسل إلى غيره؟
- في لحظة النعمة: قل: أمن جعلني خليفة غير الله؟ لا أحد. فكيف أنساه وأشكر غيره؟
- في لحظة الضعف: قل: أإله مع الله؟ لا. فلماذا أتفت إلى غيره؟

رسالة التثبيت: أنت لست وحدك

الآية تحمل في طياتها رسالة تثبيت عميقة: أنت لست وحدك. في اللحظة التي يخونك فيها الجميع، وتتخلى عنك الأسباب، وتنقطع بك السبل—هناك من يجيب. في اللحظة التي يثقل سوء صدرك، ولا تجد من يخففه—هناك من يكشف. في اللحظة التي تظن أنك فقدت كل شيء—هناك من يجعلك خليفة.

القلب إذا علم أن الذي يجيبه حين يضطر هو الذي لا تخون له حبال، ثبت ولم يهتز.

ختام: كيف نعيش هذه الآية؟

لا تخرج من هذه الآية حتى تجعلها ملكة نفسية. كيف؟

1. تدرب على الاضطرار الاختياري: اجعل لك وردًا من الدعاء في جوف الليل، حيث لا يراك أحد إلا الله. تدرب على الصدق معه في الرخاء، ليكون معك في الشدة.
2. لا تتخذ من دون الله وكلاء: اجعل قلبك معلقًا بالله وحده. لا تجعل لأحد في نفسك مكانة تجعلك تذل له وتطلب منه ما لا يملك.
3. تذكر نعمة الكشف: كلما زال عنك سوء، تذكر أنه هو الكاشف. لا تنسبه إلى سبب. قل: اللهم لك الحمد، أنت كشفت السوء.
4. عش مسؤولية الاستخلاف: اعلم أن الله لم ينجك من الشدة لتغفو، بل ليستخلفك في الأرض. أتقن عملك، واعدل في حكمك، وانفع الناس بعلمك ومالك وجاهك.
5. كرر السؤال في نفسك: "أإله مع الله؟" كلما هممت بطلب حاجة من مخلوق، أو خفت من أحد، أو علقت قلبك بغير الله.

هذه الآية ليست للتلاوة فقط، بل للحياة. إنها دستورك في الأزمات، وبوصلة قلبك في الحيرة، وسندك حين لا سند، وملاذك حين لا ملاذ.

فهل آن الأوان لتجعلها رقيقة دربك؟

المبحث الخامس

آية الهداية في الظلمات: رحلة النور في قلب العتمة

قال الله تعالى: **أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ** ^٥ **أَلَيْهَ مَعِ اللّٰهُ** ^٦ **تَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**

تمهيد: مشهد من أعماق الظلمة

تخيل نفسك في ليل دامس، لا ترى فيه يدك ولا أنفك. البر من حولك وعورة، والطريق مجهول، والخطر محدد. أو تخيل نفسك في عرض البحر، تلاطمك الأمواج من كل جانب، الظلمة تطبق من فوقك ومن تحتك، و لا نجم يهتدي به، ولا ساحل يُرى. في تلك اللحظة—من الذي يهديك؟ من الذي ينقذك من الضياع إلى النجاة؟

ثم تأمل مشهداً آخر: جفاف يضرب الأرض، ونفوس تلهت، وأكباد تظماً، ثم تظهر في الأفق بشائر السحاب، وتهب الرياح تحمل معها الأمل—من الذي أرسلها؟ من الذي جعلها بشرى بين يدي رحمته؟

هذه الآية تأخذك في رحلة من الظلمة إلى النور، ومن الجفاء إلى الرحمة. إنها تريك يد الله في أصعب لحظات العجز البشري، وتدق في قلبك سؤالاً: "يغير مجرى حياتك: إله مع الله؟"

أولاً: "أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر"

لماذا جمع الظلمات؟

لم يقل "في ظلمة البر والبحر" بل قال "ظلمات". جمع الظلمات ليشمل أنواعاً متعددة من العتمة:

• ظلمة الليل: حيث يغيب النور البصري.

• ظلمة المكان: وعورة الطريق في البر، ومناهاة البحر.

• ظلمة الجهل: حين لا تعرف الاتجاه، ولا تميز الخطر من الأمان.

• ظلمة النفس: حين يغشاها الخوف والحيرة.

• ظلمة الأسباب: حين تنقطع بك الحيل، ولا ترى منفذاً.

كل هذه الظلمات تجتمع على رأس المسافر في لحظة الضيق، فلا يبقى له من نور إلا نور الهداية الإلهية.

من الذي يهدي في الظلمات؟

في البر، قد تهتدي بالنجوم، أو بالعلامات، أو بالخبرة. لكن في الظلمة المطبقة، حين تتشابه المعالم، وتخونك الخبرة، وتحتجب النجوم—من يهديك؟ إنه الله.

في البحر، حيث لا معالم، ولا طريق، ولا اتجاه، والرياح تعصف، والأمواج تتكاثر—من يهديك إلى الشاطئ؟ إنه الله.

اللمسة البيانية: تقديم الظلمات على البر والبحر، كأن الظلمات هي المسيطرة، والمكان مجرد وعاء لها. هذا يوحي بشدة العتمة وشدتها، وأن النجاة منها لا تكون إلا بقدره خارقة.

ماذا تعلمك هذه الآية عن حياتك؟

أنت أيضاً في رحلة دائمة في ظلمات البر والبحر:

• ظلمات الشبهات: تموج في عقلك أفكار متشابكة، لا تدري أين الحق.

• ظلمات الشهوات: تغشى قلبك فتراه يعشق ما يضره.

• ظلمات الأزمات: تضيق بك الدنيا فلا ترى مخرجاً.

الرسالة: كما أنه يهديك في ظلمات البر والبحر، فهو يهديك في ظلمات الشبهات والشهوات والمحن. نوره هو الذي يخترق كل عتمة.

ثانياً: "وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ"

تحول المشهد: من الضيق إلى الفرج

بعد أن كنت في ظلمات البر والبحر، تائهاً حائرًا، يتحول المشهد إلى لحظة ميلاد الأمل. الرياح تأتي بشرى—

ليست مجرد رياح، بل هي رسل مبشرون. بين يدي رحمته: أي أمام المطر الذي هو الرحمة.

لماذا خص الرياح بالذكر؟

لأن الرياح هي التي تحرك السحاب، وتسوقه، وتنشره. وهي التي تبشر القلوب اليابسة بأن رحمة الله قادمة.

اللمسة البيانية: "بُشْرًا"

جاءت نكرة للتعظيم والدلالة على أن هذه الرياح تحمل بشارة عظيمة. لم يقل "بشائر" وإنما "بشراً" للدلالة على الجنس الذي لا يوصف. إنها بشرى تملأ القلوب طمأنينة، والأجساد نشاطاً، والنفوس أملاً.

"بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ"

هذه صورة بديعة: الرحمة قادمة، والرياح تسبقها كأنها رسل استباقية. الرحمة هنا هي المطر الذي يحيي الأَرْضَ بعد موتها. وكأن الله يقول: قبل أن تصل الرحمة، أرسل إليك بشارتها لتستعد، ولتفتح قلبك، ولتتيقن أن الفرج قادم لا محالة.

من الذي يرسل الرياح؟

هل أنت من تتحكم في حركة الرياح؟ هل تستطيع أن تأتي برياح مبشرة في وقت الجذب؟ لا، إنه الله وحده. هو الذي يرسلها، وهو الذي يحبسها. هو الذي يجعلها عذاباً أو رحمة.

ما تعلمه هذه الآية:

• الفرج له علامات، والرياح المبشرة من أعظمها. فلا تيأس إذا رأيت بشائر الفرج تلوح.

• الرحمة لا تأتي فجأة، بل لها مقدمات. تعلم الصبر في فترة الترقب.

• الرياح ليست مجرد ظاهرة طبيعية، بل هي آية من آيات الله، ورسالة من رسائله.

ثالثاً: أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ

السؤال الذي يقطع الطريق على كل شرك

هذا السؤال يعود بعد كل وصف إلهي: بعد أن بين أنه الهادي في الظلمات، وبعد أن بين أنه مرسل الرياح المبشرات—يعود ليهزك: أَمَعَ اللَّهُ إِلَهُ آخَرَ يَفْعَلُ هَذِهِ الْأَفْعَالُ؟!

لماذا يتكرر السؤال؟

لأن الشرك ليس جهلاً فقط، بل هو غفلة وعادة وتقليد. فإله يكرر السؤال كأنه يوقظ القلب كل مرة: ألم تر أنه هو الذي يهديك؟ ألم تر أنه هو الذي يرسل الرياح؟ فكيف تشرك معه غيره؟!

تأثير هذا السؤال في النفس

هذا السؤال يخلق صدمة إيجابية للوعي. يضعك أمام تناقضك: أنت تعلم أنه لا أحد يفعل هذه الأشياء إلا الله، ومع ذلك تلتفت إلى غيره. يجعلك تستحي من نفسك. يجعلك تعيد حساباتك. يجعلك تقول: يا رب، كيف أشرك بك وأنا أعلم أنه لا هادي إلا أنت، ولا مرسل للرياح إلا أنت؟

رابعاً: تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

ختام الآية بتنزيه الله

بعد أن بين الأدلة، ووجه السؤال، يأتي الختام بتعظيم الله وتنزيهه. "تعالى" تعني تنزهه وارتفع. عما يشركون: أي

عن شركهم أن يكون معه إله آخر.

اللمسة البيانية:

· "تعالى" فعل ماضٍ، لكنه يفيد الدوام والثبات. أي هو متعال دائماً عما يشركون.

· "عما يشركون" شمل كل أنواع الشرك: الأصنام، والأوثان، والأشخاص، والأسباب التي جعلوها شركاء مع الله.

الرسالة:

الله أكبر من أن يحتاج إلى شريك. الله أعظم من أن يضاهاه بأحد. الله أجل من أن يشرك به غيره. هذا التنزيه هو غاية التوحيد، وهو الإقرار بأن الله متفرد بالربوبية والألوهية.

رحلة الهداية: من الظلمة إلى النور

هذه الآية تأخذك في رحلة وجودية أخرى:

تبدأ في قاع الظلمة—ظلمات البر والبحر، ظلمات الجهل والحيرة، ظلمات الخوف والضياع. هناك، في أشد لحظات العتمة، يظهر نور الهداية الإلهية: يهديك حيث لا هادي، ينقذك حيث لا منقذ.

ثم تنتقل إلى لحظة البشارة—الرياح تبدأ تهب، تلامس وجهك، تحرك السكون، وتحمل معها رائحة المطر. القلوب تتنفس، والنفوس ترتاح، والأرض تنتظر. هذه هي فترات الانتظار بين الضيق والفرج.

ثم يأتي السؤال الذي يهز الضمير: إله مع الله؟!

ثم الختام بتنزيه الله: تعالى الله عما يشركون.

ليست مجرد آية، بل هي رحلة النور في قلب العتمة، ورحلة الأمل في قلب اليأس.

لماذا تسمى آية الهداية والتسخير؟

تسمى آية الهداية لأنها تثبت أن الله هو الهادي وحده في مواضع الحيرة والضياع. وتسمى آية التسخير لأنها تثبت أن الله هو المسخر للرياح، الجاعل منها بشري بين يدي رحمته.

أهم الدروس والتوجيهات

1. في لحظات الحيرة والضياع: إلى من تلجأ؟

عندما تضيق بك السبل في حياتك، وتتشابه الأمور، ولا تدري أي طريق تسلك—تذكر هذه الآية. الذي هداك في ظلمات البر والبحر، هو الذي سيهديك في ظلمات حياتك. ادعه، وتوكل عليه، وسله أن ينيب لك الطريق.

التطبيق العملي: اجعل لك ورداً من دعاء "الهداية" في كل صباح ومساءً. قل: اللهم اهدني في ظلمات حيرتي كما تهدي التائه في ظلمات البر والبحر.

2. لا تيأس قبل هبوب رياح الفرج

الآية تعلمك أن الفرج له بشائر. قد تمر بفترة جفاف في حياتك—جفاف عاطفي، أو مهني، أو روحي—فلا تيأس. الرياح المبشرة قادمة، رحمة الله في الطريق. تعلم أن ترى البشائر، وأن تستعد للرحمة.

3. استشعار نعمة الهداية

أنت تمشي في الطرقات آمناً، تستخدم الخريطة، تقود سيارتك ليلاً—ألم تذكر أن الذي يهديك هو الله؟ لو شاء لأضلك في أول شارع. فلماذا لا تشكره؟ نعمة الهداية في السفر من أعظم النعم التي تغفل عنها.

4. استشعار نعمة المطر والرياح

عندما تهب الرياح، وتنزل المطر، تذكر أن هذا من رحمة الله. لا تمر عليك هذه النعم مروراً عابراً. قف متأملاً، واحمد الله، وادع أن يجعلها رحمة لا عذاباً.

5. تطهير القلب من الشرك الخفي

الآية تنبهك إلى شرك خفي: أن تعلق قلبك بالأسباب. "من يهديك؟" أيظن الإنسان أن جهاز الملاحة هو الذي يهديه؟ إنما الله هو الهادي، والجهاز سبب. "من يرسل الرياح؟" أيظن الإنسان أن الطقس هو الذي يرسلها؟ إنما الله هو المرسل. نظف قلبك من تعليق النتائج بالأسباب، واجعلها كلها بيد الله.

المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة الظلمات: لماذا خلق الله الظلمات؟

الظلمات ليست شراً مطلقاً. إنها بيئة تظهر فيها قدرة الله أعظم ظهور. في الظلمة، تعرف قيمة النور. في الحيرة، تعرف قيمة الهادي. في الجفاف، تعرف قيمة الرحمة.

الرسالة: لا تخف من الظلمات التي تمر بها في حياتك. إنها الفضاء الذي تظهر فيه يد الله. لو كنت دائماً في النور، لربما نسيت أن من أضاء لك النور هو الله. لكن في الظلمة، تنكشف حقيقة اعتمادك عليه.

الرياح المبشرة: علامات الفرج

علمني القرآن أن للفرج علامات. لا يأتي الفرج فجأة من فراغ، بل يسبقه رياح مبشرة. تعلم قراءة هذه العلامات:

• تحسن بسيط بعد تعقيد.

• شعور داخلي بالطمأنينة قبل تحقق الأمر.

• فتح أبواب صغيرة كانت مغلقة.

لا تستهن بالبشائر. هي رسائل من الله: "استعد، رحمتي قادمة".

بين الهداية والرحمة: علاقة متكاملة

الآية جمعت بين الهداية في الظلمات وإرسال الرياح بشراً بين يدي الرحمة. كأنما تقول: هدايتي لك في الشدة هي رحمتي بك. وهدايتي لك هي التي توصلك إلى رحمتي. فالهداية هي الطريق، والرحمة هي الغاية.

تطهير التوحيد: "تعالى الله عما يشركون"

كلما قرأت هذه الآية، اجعلها فرصة لتطهير توحيدك. اسأل نفسك:

• هل أشركت مع الله أحداً في الهداية؟ هل علق قلبك بشخص أو وسيلة؟

• هل أشركت مع الله أحداً في إرسال الرحمة؟ هل توقعت أن تأتيني النعم من غير الله؟

• هل فهمت أن الله متعال عن كل شرك؟ لا يحتاج إلى شريك في ملكه، ولا إلى معين في ربوبيته.

رسالة التثبيت: أنت لست تائهاً

في لحظات الحيرة التي تمر بها في حياتك—عندما لا تعرف أي قرار تتخذ، أو أي طريق تسلك—تذكر هذه الآية. الله هو الهادي. لم يتركك تائهاً. هو الذي سيهديك. أسأله الهداية، وتوكل عليه، وامض.

وفي لحظات الجفاف—عندما تشعر أن الحياة يبست في وجهك، وأن الأمل انقطع—تذكر الرياح المبشرة. رحمة الله في الطريق. لا تفقد الأمل. انتظر البشائر.

كيف نعيش هذه الآية؟

1. تأمل نعمة الهداية في كل سفر: قبل أن تخرج، قل: بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل. اشعر أن من يهديك هو الله.
2. تأمل نعمة الرياح والمطر: عندما ترى الرياح تهب، تذكر الآية. قل: اللهم اجعلها رياح رحمة لا رياح عذاب. عندما ينزل المطر، تذكر أن هذه رحمة الله، واشكره.
3. كرر السؤال في نفسك: "أله مع الله؟" كلما همت بطلب الهداية من غير الله، أو توقعت الرحمة من غير الله.
4. اختيم بالتنزيه: قل "تعالى الله عما يشركون" بخشوع، لتطهر قلبك من شوائب الشرك.
5. أنقذ غيرك من الظلمات: كما هداك الله، كن سببًا في هداية غيرك. دل الحائر، أرشد التائه، كن بشري رحمة لمن حولك.

خاتمة: آية تفتح لك الأبواب

هذه الآية ليست مجرد كلمات تمر على لسانك. هي مفتاح:

- مفتاح الهداية في حيرتك.
- مفتاح الأمل في يأسك.
- مفتاح التوحيد في قلبك.
- مفتاح البشارة في انتظارك.

فهل آن الأوان لتجعلها رقيقة حياتك؟

اللهم اهدنا في ظلمات البر والبحر، واجعل لنا من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، واجعل الرياح التي تهب علينا بشري رحمتك، وطهر قلوبنا من الشرك كله، إنك على كل شيء قدير

المبحث السادس

آية الغيب والبعث: رحلة بين المعلوم والمجهول

قال الله تعالى: قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلْ أَدَارِكْ عَلِمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۗ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۗ بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦)

تمهيد: مشهد الحجاب الرفيع

تأمل معي للحظة. أنت تمشي في حياتك، ترى أشياء، تعرف أشياء، تلمس أشياء. لكن هناك عالم آخر—عالم خفي، عالم الغيب—لا تراه، لا تلمسه، لا تعرف عنه إلا ما أخبرك به من خلق ذلك العالم. من يعلم ما سيحدث بعد ساعة؟ من يعلم ما في الأرحام؟ من يعلم متى تقوم الساعة؟ من يعلم ما تخفيه الصدور؟

ثم تأمل في مشهد آخر: الناس حولك يمضون في حياتهم، يضحكون، يعملون، يجمعون، يبنون—كأن الموت ليس آتياً، كأن البعث ليس واقعاً. إنهم في حيرة، في شك، في عمى. كأن هناك حجاباً رقيقاً يغطي أبصار قلوبهم فلا ترى ما هو آتٍ لا محالة.

هاتان الآيتان تأخذانك في رحلة إلى حدود المعرفة البشرية. إلى النقطة التي تقف عندها قدرة الإنسان عاجزة، وتبرز قدرة الله وحدها. ثم تنزل بك إلى أعماق النفس البشرية لتري كيف تتعامل مع أخطر حقيقة في الوجود: حقيقة البعث.

أولاً: الآية 65 – قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله

الأمر الإلهي: قل

تبدأ الآية بأمر: "قل". موجه للنبي صلى الله عليه وسلم، وكل من يتبعه. الله يأمر أن تعلن حقيقة كونية: أن علم الغيب مختص به وحده. ليس تردداً، ولا شكاً، ولا ترديداً—بل إعلاناً جازماً.

من في السماوات والأرض

هذا التعبير شامل لكل المخلوقات. الملائكة في السماوات لا يعلمون الغيب. الجن في الأرض لا يعلمون الغيب. الأنبياء لا يعلمون الغيب. البشر جميعاً لا يعلمون الغيب. حتى الذين يزعمون أنهم يعلمون الغيب—من عرافين وكهان ومشعوذين—هم كاذبون، أو ما يأتهم من شياطين يوحى إليهم بالكذب.

اللمسة البيانية:

"من في السماوات والأرض" صيغة تعميم كل ذي عقل. كأنما تقول: كل موجود عاقل في هذا الكون كله، لا يملك من علم الغيب شيئاً. لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا إنسان مهما أوتي من علم.

الغيب

الغيب: هو ما غاب عن الحواس، واستأثر الله بعلمه. أنواعه:

• الغيب المطلق: ما لا يعلمه إلا الله، مثل وقت الساعة، وما في الأرحام، وما سيحدث في المستقبل البعيد.

• الغيب النسبي: ما غاب عن شخص دون آخر، لكنه معلوم لغيره. وهذا ليس المقصود هنا. المقصود هو الغيب الذي استأثر الله بعلمه.

ما هي أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله؟

• وقت الساعة.

• ما في الأرحام (ذكر أم أنتى؟ شقي أم سعيد؟).

• ما سيحدث غداً.

• ما تخفيه الصدور من نيات.

• تفاصيل ما بعد الموت.

• أسماء الله الحسنى كاملة؟ لا يعلمها إلا هو.

إلا الله

الاستثناء هنا استثناء من النفي. كأنما يقول: لا أحد يعلم الغيب، البتة، أبداً، في أي زمان، في أي مكان—إلا الله وحده. هذا الاستثناء يثبت أن علم الغيب من خصائص الربوبية. من ادعى علم الغيب فقد ادعى مشاركة الله في صفة من خصائصه.

ما يعلمه هذا الجزء من الآية

1. حدود المعرفة البشرية:

الإنسان مهما أوتي من علم، فإن علمه محدود. لا يعلم ما سيحدث بعد لحظة. لا يعلم ما في قلبه غدًا. لا يعلم ما تخفيه الأقدار. هذا يضع الإنسان في موضعه الطبيعي: عبد يعلم قليلاً، والرب يعلم كل شيء.

2. تحصين العقل من الخرافة:

الآية تغلق باب كل من يدعي علم الغيب. العرافون، الكهان، من يزعمون معرفة المستقبل، من يقرؤون الطالع، من يتوقعون الأحداث—كلهم كذبة. لا يعلم الغيب إلا الله.

3. التوكل الحقيقي:

إذا كنت لا تعلم الغيب، فلا تتعلق بتقديرك للأمور. قد تظن شيئاً شراً وفيه خير، وقد تظن شيئاً خيراً وفيه شر. فتوكل على من يعلم الغيب كله.

ثانِبًا: وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ

وما يشعرون

بعد أن قرر أن علم الغيب لله وحده، يأتي بالتفصيل: "وما يشعرون أيان يبعثون". أيان: متى. يبعثون: أي متى يقومون من قبورهم للحساب.

الفرق بين العلم والشعور:

العلم: إدراك يقيني. الشعور: إدراك خفي، أو ظن، أو إحساس. الآية تقول: لا يعلمون متى البعث علمًا يقينيًا، ولا حتى يشعرون به—أي ليس عندهم أي إحساس أو ظن صحيح بوقته.

أيان يبعثون

هذا هو أعظم الغيب. كل الأنبياء سئلوا عن وقت الساعة، وكان جوابهم واحدًا: لا يعلمها إلا الله. حتى النبي صلى الله عليه وسلم، مع قربته من الله، كان لا يعلم متى تقوم الساعة. هذا من تمام عبوديته، ومن تمام إثبات أن علم الغيب لله وحده.

ما تعلمه هذه الجملة:

• لا تشغل نفسك بمعرفة وقت الساعة. شغلها بالاستعداد لها.

• الذي يعلم متى تبعث هو الذي يبعثك. فخذ حذرك.

ثالثًا: الآية 66 – بَلْ ادْرِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ

بل: الانتقال إلى حقيقة أعمق

"بل" حرف إضراب وانتقال. بعد أن ذكر أنهم لا يشعرون بوقت البعث، ينتقل إلى وصف حالهم مع أصل البعث نفسه. ليست المشكلة في الجهل بوقته فقط، بل المشكلة أعمق.

ادْرِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ

هذه قراءة مشهورة: "ادْرِكْ" من الإدراك، بمعنى تكامل وتلاحق. والمعنى: تكامل علمهم في الآخرة وتلاحق، حتى انتهى إلى أنه لا علم لهم بها. أو: تلاحق علمهم وتكامل في شأنها حتى وصلوا إلى حالة من الحيرة و الجهل التام.

قراءة أخرى: "أدرك" بمعنى انتهى علمهم إليها. والمعنى: انتهى علمهم إلى الآخرة، أي أنهم لا علم لهم بها، علمهم قاصر عنها.

المعنى العام:

مهما اجتهد هؤلاء في معرفة حقيقة الآخرة، ومهما تراكمت معلوماتهم وتكاملت ظنونهم—فإنهم في النهاية لا يصلون إلى علم يقيني بها. جهلهم بها مطبق.

ما تعلمه هذه الجملة

العقل البشري وحده لا يمكنه أن يدرك حقائق الآخرة. لا يمكنه أن يتصور الجنة والنار، لا يمكنه أن يتصور الحساب والميزان. لا بد من الوحي. هذا يعلمك أن تقف عند حدود عقلك، وأن تأخذ ما وراء ذلك من الوحي.

رابعاً: بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا

بل: إضراب آخر

الانتقال من حال إلى حال أشد. ليس فقط أن علمهم قاصر، بل هم في شك منها. الشك هو التردد بين النفي وإثبات. لا هم مؤمنون بها، ولا هم جازمون بانتفائها. هم في منطقة رمادية: شك.

ما هو الشك؟

الشك في الآخرة أنواع:

• شك في وجودها: هل هناك بعث أم لا؟

• شك في تفاصيلها: كيف ستكون؟

• شك في قدرة الله على إعادة الخلق.

• شك في عدالة الحساب.

ما تعلمه هذه الجملة:

الشك مرض. يمنعك من الاستعداد، يجعلك في حيرة، يضيع عليك الفرصة. الآخرة ليست محل شك. هي حق يقيني. فلماذا تشك؟ لأنك لم تتدبر، ولم تتفكر.

خامساً: بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ

بل: الإضراب الأشد

الانتقال من الشك إلى العمى. العمى هنا ليس عمى البصر، بل عمى البصيرة. إنهم لا يرونها. الحجاب على قلوبهم يمنعهم من رؤية الحق.

ما هو العمى؟

العمى عن الآخرة هو أعلى درجات الغفلة. إنهم:

• لا يتذكرونها.

• لا يتفكرون فيها.

• لا يعملون لها.

• كأنها غير موجودة في تصورهم.

الفرق بين الشك والعمى:

• الشاك: يعلم أن هناك احتمالاً ، لكنه متردد.

• الأعمى: لا يرى الآخرة أصلاً. كأنها ليست في قاموسه. لا تفكيره، ولا مشاعره، ولا أفعاله تتأثر بها.

لماذا كرر "بل" ثلاث مرات؟

هذا التكرار يفيد التدرج في الإنكار. كأن الله يصف حالهم في الآخرة فينزل بهم درجات:

• أولاً : لا علم لهم بها.

• ثانياً: هم في شك منها.

• ثالثاً: هم عنها عمون.

وهذا أسلوب بلاغي بديع، يظهر عظمة الجهل بالآخرة وشدته.

رحلة الغيب: من الجهل إلى العمى

هاتان الآيتان تأخذانك في رحلة إلى حدود المعرفة البشرية:

تبدأ بإعلان حقيقة كونية: لا يعلم الغيب إلا الله. أنت تقف على حافة المجهول. كل ما هو غيب عنك—لا سبيل لك إليه إلا أن يخبرك به من يعلمه.

ثم تنتقل إلى المثال الأكبر للغيب: البعث. الناس لا يعلمون متى يبعثون، ولا حتى يشعرون به.

ثم تنزل إلى أعماق حالهم مع الآخرة: علمهم بها متلاحق متكامل لكنه لا يصل—أي أنهم مهما بحثوا لن يصلوا إلى حقيقتها بالعقل وحده.

ثم تنتقل إلى الشك: هم في شك منها. لا جازمين بإثبات ولا جازمين بنفي.

ثم تنتهي إلى العمى: هم عنها عمون. كأنها غير موجودة في قاموسهم.

ليست مجرد آيات، بل هي تشخيص دقيق لحالة الإنسان مع الغيب، ومع أكبر حقيقة غيبية: الآخرة.

لماذا تسمى آية الغيب والبعث؟

تسمى آية الغيب لأنها تقرر أن علم الغيب من خصائص الله وحده. وتسمى آية البعث لأنها تتحدث عن جهل الناس بوقت البعث، وعن موقفهم من حقيقة البعث نفسها.

أهم الدروس والتوجيهات

1. اعرف حدودك: لا تعلم الغيب

أول درس في هذه الآيات: اعرف أنك لا تعلم الغيب. هذا يضعك في موضع التواضع. لا تدع علم ما سيحدث. لا تجزم بنتيجة قبل وقوعها. لا تقطع برأيك في المستقبل.

التطبيق العملي: عندما تقول "سأفعل كذا غداً"، قل "إن شاء الله". عندما تتحدث عن المستقبل، تذكر أنك لا تعلم الغيب. عندما تسمع من يدعي علم الغيب، اعلم أنه كاذب.

2. لا تشغل نفسك بوقت الساعة

كثير من الناس يهتمون بعلامات الساعة، ويبحثون في تفاصيلها، وينشغلون بحساب موعدها. الآية تقول: لا يعلمها إلا الله. لا تشغل نفسك بها. اشغل نفسك بالاستعداد لها.

التطبيق العملي: اجعل همك العمل للآخرة، لا معرفة متى تأتي. كل نفس قد يكون الأخير.

3. الآخرة: من العلم إلى اليقين

الآية تبين أن العقل وحده لا يصل إلى حقيقة الآخرة. لا بد من الوحي. فإذا أتاك الوحي، فلا تشك. ولا تكن ممن علمهم متلاحق لكنه لا يصل. اقبل ما جاء به الوحي، وسلم.

التطبيق العملي: اقرأ أوصاف الجنة والنار في القرآن والسنة. تأملها. اجعلها حاضرة في قلبك.

4. علاج الشك: بالعلم والتفكير

الشك في الآخرة مرض. علاجه:

· النظر في قدرة الله في البدء: من بدأ الخلق قادر على إعادته.

· النظر في حكمة الله: هل يعقل أن يخلق الإنسان عبثًا ثم لا يحاسبه؟

· النظر في الآيات الكونية: الموتى يحيون كل ربيع—فكيف يعجز الله عن إحيائهم يومًا؟

التطبيق العملي: كلما دخل عليك شك، تذكر هذه الأدلة. اقرأ آيات البعث. تذكر أن من قدر على البدء قادر على إعادة.

5. علاج العمى: بالذكر والتدبر

العمى عن الآخرة هو أخطر مرحلة. علاجه:

· ذكر الموت: لا تمر عليك ليلة إلا وتذكر أنك ميت.

· زيارة المقابر: تذكر أن هؤلاء كانوا مثلك.

· التفكير في النهاية: كل ما تعيشه الآن سينتهي.

التطبيق العملي: اجعل لك وردًا يوميًا من التفكير في الموت والآخرة. لا تغفل.

المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة الغيب: الأمان في عدم المعرفة

قد يظن الإنسان أن معرفة الغيب تريجه. لكن الحقيقة أن عدم معرفتك للغيب هو رحمة. لو كنت تعلم متى تموت، كيف ستعيش؟ لو كنت تعلم ما سيحدث غدًا، كيف ستتحمل؟ الجهل بالغيب هو من رحمة الله، ليترك لك مجالاً للعمل والأمل.

فلسفة الشك: عدو اليقين

الشك هو أسوأ ما يكون في أمر الآخرة. لأنه يمنعك من العمل الجاد. لو كنت تشك في وجود اختبار، هل ستذاكر له بجدية؟ الشك يجعلك تتراخى. فاعلم أن الآخرة حق يقين، فلا تشك.

فلسفة العمى: غياب الآخرة من الحساب

الأعمى عن الآخرة هو من غابت عنه تمامًا. لا يراها، لا يشعر بها، لا تترك أثرًا في حياته. هذا هو الخطر الحقيقي. أن تعيش حياتك كأن لا بعث ولا حساب. تعالج هذا بإدخال الآخرة في كل قرار: هذا العمل—ماذا سيكون في الآخرة؟ هذه الكلمة—ماذا سيكون في الآخرة؟ هذا المال—ماذا سيكون في الآخرة؟

رسالة التثبيت: أنت تعلم ما لا يعلمون

قد تشعر في بعض الأحيان بالوحدة. الناس من حولك لا يتذكرون الآخرة. هم في شك، هم في عَمَى. لكنك—أنت تعلم. أنت تعلم أن هناك بعثًا. أنت تعلم أن هناك حسابًا. أنت تعلم أن هناك جنة ونارًا. هذا العلم هو أعظم نعمة. لا تستصغره.

أنت تعلم الغيب الذي أخبرك به الله. لا تعلم كل الغيب، لكنك تعلم ما يكفي لتتهدي. وهذا كافٍ.

كيف نعيش هاتين الآيتين؟

1. في التعامل مع المستقبل:

كلما قلت: "سأفعل كذا غدًا"، تذكر أنك لا تعلم الغيب. قل: إن شاء الله. ليس مجرد عادة لفظية، بل شعور بأن الأمر كله بيد الله.

2. في التعامل مع مدعي علم الغيب:

إذا أتاك من يخبرك عن المستقبل، أو يقرأ لك الطالع، أو يتوقع لك أحداثًا—تذكر هذه الآية. قل: لا يعلم الغيب إلا الله. لا تذهب إليهم. لا تصدقهم.

3. في التفكير في الآخرة:

اجعل لنفسك وقتًا يوميًا—ولو دقائق—تأمل فيها في الآخرة. كيف سيكون يوم القيامة؟ كيف سأقف بين يدي الله؟ ماذا قدمت؟ هذا التفكير يخرجك من الشك والعمى.

4. في العمل للآخرة:

لا تكن ممن علمه متلاحق متكامل لكنه لا يصل. لا تكن ممن يعرفون ولا يعملون. اجعل علمك بالآخرة دافعًا للعمل.

5. في مواجهة الغفلة:

عندما ترى الناس مشغولين بالدنيا كأن لا آخرة، تذكر أنهم في شك أو عمى. لا تحسد هم على غفلتهم. ادع الله أن يبصرهم، واشكر الله أن أبصرك.

خاتمة: آية تحدد الموقف

هاتان الآيتان تحددان موقفك من أمرين عظيمين:

· موقفك من الغيب: اعتراف بالعجز، وتسليم لله وحده.

· موقفك من الآخرة: إيمان ويقين، وعمل واستعداد.

اللهم أنت علام الغيوب، لا يعلم الغيب إلا أنت. اللهم إنا نؤمن بالبعث والحساب والجنة والنار. اللهم أبصرنا بالآخرة حتى نراها كأنها أمامنا. اللهم لا تجعلنا في شك منها، ولا تجعلنا عنها من الغافلين العميين. اللهم اجعل الآخرة أكبر همنا، ومبلغ علمنا، وغاية سعينا. إنك على كل شيء قدير.

القسم الثاني

المبحث الأول

آية الإنكار والتكذيب: رحلة في أعماق النفس الجاحدة

قال الله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَأَبَاؤُنَا أُنُنًا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ
إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)

تمهيد: مشهد من داخل النفوس المكذبة

تخيل نفسك جالساً مع من ينكرون البعث. تسمع أصواتهم ممتلئة بالثقة، تعبيراتهم تفيض بالاستهزاء، يضحكون ساخرين: "أتتصورون أننا بعد أن نصير تراباً سنخرج أحياء؟! هذا ما يقوله الناس منذ قرون، وما هو إلا خرافات الأولين!"

في هاتين الآيتين، يفتح الله لنا نافذة لنرى ما يجري في قلوب الكافرين حين يواجهون خبر البعث. ليس الأمر مجرد تكذيب، بل هو حالة نفسية مركبة: استبعاد عقلي، واستهزاء، وتسويق، وتوارث للإنكار عبر الأجيال. إنه مشهد إنساني يتكرر في كل زمان: النفس التي تريد أن تنام في الغفلة تصرخ في وجه الحق: هذا مستحيل! هذه أساطير!

لكن وراء هذه الأصوات الجارحة، هناك أعماق مضطربة. هناك خوف من المواجهة. هناك رغبة في الهروب من المسؤولية. هناك نقس ثقيل يخاف من يوم الحساب.

الآيتان تضعانك أمام هذا المشهد لتتعلم: كيف يمارس الإنسان فنَّ إنكار الحق؟ وما الأسلحة التي يستخدمها لتبرير إعراضه؟ وكيف ترد أنت على هذه الشبهات في نفسك وفي غيرك؟

أولاً: الآية 67 – وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَأَبَاؤُنَا أُنُنًا لَمُخْرَجُونَ

وقال الذين كفروا: بداية المواجهة

الفعل "قال" في الماضي، لكنه حكاية لحال مستمرة. كل جيل من المكذبين يقول هذه المقالة. إنها لازمة التكذيب التي تتردد عبر الزمن. إنها صوت الجحود الذي يخرج من قلوب لا تريد أن تستيقظ.

"الذين كفروا" – ليسوا مجرد من لم يؤمنوا، بل هم الذين غطت أغشية الكفر قلوبهم فصارت لا تبصر. هم الذين اختاروا السخرية بدل التسليم.

أإذا كنا تراباً وأبأؤنا؟

هنا الاستهزاء الإنكاري، الذي يخرج من أعماق الاستبعاد. صيغته: "أإذا" بهمزة الاستهزاء و"إذا" الشرطية. كأنهم يقولون: أيعقل أننا بعد أن نصير تراباً، بل ونحن وأبأؤنا جميعاً نصير تراباً—نُخرج أحياء؟!

ما سر ذكر "وأبأؤنا"؟

هم لا يستبعدون أنفسهم فقط، بل يستبعدون آباءهم أيضاً. آبأؤهم الذين كانوا قبلهم، والذين ماتوا من زمن

بعيد. يستندون إلى أن القرون الماضية مضت ولم يُبعث أحد، فيظنون أن هذا دليل على استحالة البعث.

اللمسة البيانية:

لم يقولوا: "إذا كنا ترابًا نخرج؟" بل قالوا: "إذا كنا ترابًا وأباؤنا أئنا لمُخْرَجُونَ". جعلوا آباءهم معهم ليشعروا بالانتماء إلى سلسلة طويلة من الموتى. وكأنهم يقولون: لو كان البعث حقًا، لبعث آباؤنا قبلنا. هذه الحجة التي ترددها كل الأجيال الجاحدة.

أئنا لمُخْرَجُونَ

تكرير الهمزة واللام المؤكدة. إنهم يؤكدون استبعادهم بأسلوب يظهر العجب والاستهزاء. اللام في "لمُخْرَجُونَ" لام التوكيد، وهي مع همزة الاستفهام تعطي معنى: أتتحقق أننا لمخرجون؟! هذا مستحيل!

لماذا صيغة "مُخْرَجُونَ" وليس "مبعوثون"؟

"مُخْرَجُونَ" من الإخراج، وكأنهم يتصورون أنهم سيُسحبون من الأرض سحبًا. الصيغة تحمل معنى القسر و الظهور من باطن الأرض. هم يتعجبون من هذا الأمر: كيف يُستخرج من التراب من دفن فيه؟

التحليل النفسي للإنكار

ما يحدث في أعماقهم أعمق من مجرد استبعاد عقلي:

أولا: الهروب من المسؤولية

البعث يعني الحساب. الحساب يعني المساءلة. النفس التي تريد أن تعيش بلا قيود تخاف من هذا اليوم. فتبرر خوفها بالاستبعاد العقلي. تقول: هذا غير معقول! لتستريح من تبعات الإيمان.

ثانيًا: التعويل على الأغلبية

بذكر "وأباؤنا"، يشعرون أنهم في صف الأغلبية. كل من سبقهم لم يؤمن بالبعث—على حد زعمهم—فكيف يكون الحق مع قلة؟ هذا وهم كبير، لكنه يريح النفس.

ثالثًا: التعود على المادة

هم يرون أن الإنسان إذا مات تحلل واختلط بالتراب. يتصورون أن هذا التحلل نهاية القصة. لا يستطيعون أن يتصوروا قدرة تعيد تجميع ما تفرق. تخيلاتهم محدودة بما يرونه بأعينهم.

رابعًا: السخرية كآلية دفاع

صيغة الاستفهام الإنكاري تحمل نبرة السخرية. والسخرية هي سلاح الضعفاء الذين لا يملكون حجة. يسخرون ليظهروا أنهم أقوياء وواثقون، لكن وراء السخرية خوف واهتزاز.

ثانيًا: الآية 68 – لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ

يؤكدون أن هذا الوعد ليس جديدًا. إنه وعد قديم سمعوه هم وأباؤهم. اللام في "لقد" للتوكيد، والقسم المقدر. هم يقسمون أن هذا الوعد تكرر عبر الزمن ولم يحدث.

ما المغزى من ذكر آبائهم مرة أخرى؟

يريدون أن يقولوا: نحن لسنا أول من سمع هذا. آباؤنا سمعوه من قبلهم. ومرت القرون ولم يحدث شيء. فكيف نصدق نحن؟

هذه حجة تسويقية: التأجيل والتكرار يقتلان الجدية. عندما يسمع الإنسان شيئًا يتكرر ولا يحدث، يفقد الثقة فيه. هذا هو ما يفعله الشيطان مع بني آدم: يكرر لهم أن الوعد بالبعث قديم ولم يأت، فيستهينون به.

إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

هذا هو الخلاصة: ما هذا الوعد إلا أساطير الأولين. أي: حكايات قديمة مسطرة لا حقيقة لها. "أساطير" جمع أسطورة، وهي ما يُسطر من الكذب والخرافات.

اللمسة البيانية:

وضعوا "هذا" للإشارة إلى البعث الذي وعدوا به، ونفوا عنه الحقيقة بقولهم "إلا أساطير الأولين". الإحصار بـ "إلا" يفيد الحصر: ليس هذا إلا كلامًا مسطورًا لا حقيقة له. إنهم يقطعون بأن لا شيء وراءه.

لماذا قالوا "أساطير الأولين" تحديدًا؟

لأنهم أرادوا أن يربطوا الإيمان بالبعث بالقدم والخرافة. في تصورهم، كل ما هو قديم غير معاصر فقد عفا عليه الزمن. وهذا جهل منهم: الحق لا يتقادم. صدق الله لا يبلى.

التحليل النفسي لهذا الموقف

أولاً: التكرار يُضعف الاستجابة

النفس البشرية إذا تكرر عليها الخبر دون وقوع، تبدأ في الاستخفاف به. هذه سنة نفسية. المشركون قالوا: نحن وآباؤنا نُوعد بهذا منذ قرون ولم يحدث. فكيف نصدق؟ الله يرد عليهم بأن التأخير ليس إبطالا. هو يمتحن به الصبر.

ثانياً: نسب الحق إلى الخرافة

هذه أسهل طريقة لقتل الحق في النفوس: أن تصفه بأنه أساطير، وأن من جاء به عيِّت يتحدث بقصص الأولين. بهذا الأسلوب يحمي الإنسان نفسه من مواجهة الحق. لو قالوا: هذا كلام خطير علينا أن ننظر فيه—لأوجعهم. لكن وسمه بالأساطير يريحهم.

ثالثاً: التوارث في الإنكار

الآية تكشف أن الإنكار يمكن أن يتوارث. الأب ينكر، فينشأ الابن على الإنكار، فيظن أنه الحقيقة. هذا خطر عظيم. كثير من الناس يكفرون لأنهم ورثوا الكفر، لا لأنهم بحثوا.

رحلة الإنكار: كيف تتشكل عقلية الجحود؟

هاتان الآيتان تأخذانك في رحلة إلى قلب العقلية الجاحدة:

المرحلة الأولى: الاستبعاد

يبدأ الإنكار باستبعاد عقلي: كيف نخرج من التراب؟ يظنون أن ما تعجز قوتهم عنه تعجز قدرة الله عنه. ينسون أن من خلقهم من عدم قادر على إعادتهم من تراب.

المرحلة الثانية: الاستناد إلى التقليد

يضيفون: ليس نحن فقط، آباؤنا أيضاً. التقليد يمنحهم شعوراً بالأمان. كل من حولنا يقول هذا. فلنكن مثلهم.

المرحلة الثالثة: التسوية بالتقادم

يؤكدون: وعدنا نحن وآباؤنا من قبل. مضى زمن ولم يحدث. هذا يعطيهم شعوراً بأن الزمن أثبت خطأ الوعد.

المرحلة الرابعة: التسمية بالأساطير

في النهاية، يسمون الحق بالباطل. "أساطير الأولين" — كلمة تقتل كل جدية. يجعلون الإيمان بالبعث كحكايات قبل النوم لا قيمة لها.

هذه المراحل تمر في قلب كل من يريد أن يهرب من مواجهة الحق. تعرّف عليها لتجنبها في نفسك، ولتتفهمها في غيرك.

لماذا تسمى آية الإنكار والتسوية؟

تسمى آية الإنكار لأنها تحكي أسلوب الكافرين في إنكار البعث. وتسمى آية التسوية لأنها تكشف كيف يستخدمون تقادم الزمن كحجة لقتل الجدية.

أهم الدروس والتوجيهات

1. لا تستبعد قدرة الله بضعف عقلك

المشركون قالوا: كيف نخرج من التراب؟ هذا الاستبعاد ينم عن عجزهم عن تصور قدرة الله. لا تكن مثلك. إذا أخبرك الله بشيء، فأمن به حتى لو لم تستوعبه عقلك. عقل الإنسان محدود، وقدرة الله لا حدود لها.

التطبيق العملي: كلما استبعدت شيئاً أخبر الله به، قل: سبحان الله، أنت على كل شيء قدير. ربنا الذي خلق السماوات والأرض قادر على هذا.

2. لا تغتر بكثرة المكذابين

قالوا: نحن وأباؤنا. ظنوا أن كثرة المنكرين دليل على بطلان الحق. هذا غلط كبير. الحق لا يُعرف بكثرة أهله. قد يكون الحق مع فرد واحد. لا تتبع الأكثرية إذا كانت على باطل.

التطبيق العملي: عندما ترى الناس على أمر، اسأل: هل هذا حق أم مجرد تقليد؟ لا تكن إمعة تقول: إن أحسن الناس أحسنت.

3. التكرار لا يبطل الحق

قالوا: وعدنا هذا نحن وأباؤنا من قبل. وظنوا أن تكرار الوعد دون وقوعه يجعله باطلاً. هذا جهل. تأخير الوعد ليس إبطالاً. له الله يمهل ولا يهمل. تأخير البعث إلى وقت معلوم لا ينفي حقيقته.

التطبيق العملي: لا تستعجل على الله. إذا تأخرت الإجابة، لا تقل: وعود كاذبة. قل: لله حكمة في تأخيرها.

4. احذر من توارث الباطل

كثير من الناس يكفرون أو يضلون لأنهم ورثوا ذلك عن آبائهم. لا تجعل تقليد الآباء حجة لك. الحق لا يعرف بالوراثة. اسأل، ابحث، تفكر.

التطبيق العملي: لا تقل: وجدنا آباءنا على أمة. كل ما ورثته، اعرضه على الكتاب والسنة. ما وافق فخذ به، وما خالف فاتركه.

5. لا توصم الحق بالخرافة

هذه أخطر وسيلة لقتل الحق: أن يوصم بأنه أساطير الأولين. إذا سمعت من يصف الإيمان بالبعث أو أي ركن من أركان الدين بأنه خرافة، فاعلم أنه يستخدم سلاح الهروب. لا تنخدع. الحق ليس خرافة، والخرافات هي ما لا دليل عليه.

التطبيق العملي: حصّن نفسك بالعلم. إذا سمعت شبهة، ابحث عن ردها. لا تترك قلبك فريسة للتشكيك.

المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة الإنكار: الهروب من المواجهة

الإنكار ليس مشكلة عقلية فقط، بل مشكلة نفسية. النفس تعرف الحق في أعماقها، لكنها تنكره خوفاً من التكليف. عندما تسمع في نفسك صوتاً ينكر البعث أو الحساب، تذكر أنه صوت الخوف. واجهه بالصدق: أنت تخاف من الحساب، لكن الهروب من الإيمان لا يلغي الحساب.

فلسفة التقليد: وهم الأمان

التقليد يمنح شعوراً بالأمان. يقول الإنسان: لو كان ما أفعله خطأ، لما فعله كل هؤلاء. هذا وهم. الكثرة لا تصنع حقاً. كن شجاعاً في البحث عن الحق، حتى لو كنت وحدك.

فلسفة التسوية: قتل الجدية

الإنسان يميل إلى التسوية. يقول: سأفعل غداً. فلما يتكرر "غداً" يموت العمل. المشركون سَوَّفُوا الإيمان بالبعث حتى صار عندهم أسطورة. لا تسوّف. الآخرة قريبة. كل نفس قد يكون الأخير.

فلسفة الأساطير: تصنيف الحق

من أخطر الأسلحة النفسية: أن تصنف شيئاً على أنه قديم أو غير معاصر لتقتل جديته. كثير من الناس اليوم يصفون الإيمان بالله والبعث بأنه "تراث قديم" أو "أساطير الأولين". هذا تصنيف زائف. الحق لا يتقدم. صدق الله ثابت كالجبل.

رسالة التثبيت: أنت على الحق وإن كثر المنكرون

قد تشعر في بعض الأحيان بالغبرة. الناس من حولك يسخرون من إيمانك بالبعث، يصفونه بالخرافة، يقولون: هذا كلام لا يصدقه إلا السذج. لا تحزن. أنت لست وحدك. هذه الآيات تحكي نفس القصة منذ قرون. المكذبون يقولون نفس الكلمات. والحق يبقى رغم إنكارهم.

رسالة التثبيت: الذي خلقك من عدم، وأخرجك من بطن أمك لا تعلم شيئاً، قادر على أن يخرجك من التراب. لا تشغلك أصوات المنكرين عن يقين قلبك. الآخرة حق، والبعث حق، والحساب حق. والله غالب على أمره.

كيف نعيش هاتين الآيتين؟

1. في مواجهة الشبهات:

إذا سمعت من ينكر البعث بقوله: "كيف نخرج من التراب؟"، تذكر أن من خلق السماء والأرض قادر على ذلك. قل: الذي بدأ الخلق قادر على إعادته.

2. في مواجهة التقليد:

إذا قال قائل: "كل الناس لا يؤمنون بهذا"، تذكر أن الحق لا يُعرف بالأكثرية. قل: كثير من الناس يتبعون الظن، وقليل هم المؤمنون.

3. في مواجهة التسوية:

إذا قال قائل: "وعدنا بهذا ولم يحدث"، تذكر أن تأخير الله لحكمة. قل: إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار.

4. في مواجهة وصف الحق بالأساطير:

إذا قال قائل: "هذه أساطير الأولين"، تذكر أن هذا ما قاله الكفار للأنبياء. قل: بل هو الحق من ربكم.

5. في تثبيت نفسك:

اجعل لك ورداً من التفكير في قدرة الله على البعث. انظر إلى الأرض الميتة كيف تحيا. تذكر أن من أحيها بعد موتها قادر على إحياء الموتى. كل ربيع هو آية البعث.

خاتمة: آية المواجهة واليقين

هاتان الآيتان تعلمانك كيف تواجه إنكار الآخرين، وكيف تثبت نفسك على الحق. المكذبون لهم حججهم التي تكررت عبر الزمن، ولهم أساليبهم في الاستبعاد والتقليد والتسويق والتسمية. لكن الحق يبقى ثابتًا لا يتزعزع.

اللهم إنا نؤمن بالبعث بعد الموت. اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان. اللهم لا تجعلنا ممن يقولون: إذا كنا ترابًا إنا لمخرجون. واجعلنا ممن يقولون: آمنا بالله ورسوله. اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. إنك على كل شيء قدير.

إن وعد الله حق. فلا تغرنكم الحياة الدنيا. وكل شيء عنده بمقدار.

المبحث الثاني

آية السير والعاقبة: رحلة في سنن التاريخ وطمأنينة القلب

قال الله تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)

تمهيد: مشهد بين الأطلال والقلب

تخيل نفسك تقف على أطلال مدينة قديمة. بيوتها خاوية، أسوارها منهارة، سكون يخيم على المكان. ذات يوم ، كانت هذه المدينة تعج بالحياة، تسمع فيها أصوات البيع والشراء، ضحكات الأطفال، صخب الأسواق. كان سكانها أقوياء، بناءً، متكبرين. لكن شيئًا ما حدث. عقوبة نزلت، فأصبحوا عبرة لمن يعتبر.

الآن، أنت تقف هناك. تسمع نداء الله في أعماقك: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ. هذه الآية تدعوك لرحلتين في آن واحد: رحلة جسدية تخطو بها قدمك في الأرض، ورحلة قلبية تتأمل بها سنن الله في التاريخ.

ثم تأتي الآية الثانية كبسمة: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ. كأن الله يمسح على رأسك: لا تحزن على من كذبوا، لا تضق بما يمكرون. سنن الله تمضي، والله غالب على أمره.

هاتان الآيتان تمثلان محطة تحول في سورة النمل. بعد أن ساق الله الأدلة على التوحيد والبعث، بعد أن حكى إنكار المكذبين واستهزاءهم، يأتي هنا العلاج: أنت لست مسؤولاً عن هدايتهم، سنن الله في الأمم تمضي، لا تحزن ولا تضق.

أولاً : الآية 69 – قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ

قل: الأمر الإلهي

الآية تبدأ بأمر مباشر للنبي صلى الله عليه وسلم: "قل". لكنه أمر له ولأمته من بعده. أنت مأمور أن تقول للناس —ولنفسك أولاً— هذه الكلمات. ليست مجرد نصيحة، بل أمر إلهي: سيروا، انظروا، تعلموا.

سيروا في الأرض

لماذا أمر بالسير؟

لأن المشاهدة أقوى من السماع. لو أخبرك أحد عن عاقبة الظالمين، قد لا تؤثر فيك. لكن أن ترى بأمر عينيك مدائنهم خاوية، وقصورهم فارغة، وآثارهم محوطة—هذا يهز أعماقك. السير في الأرض يفتح البصيرة قبل البصر.

ما المقصود بالسير؟

• السير الجسدي: السفر والتنقل، ورؤية آثار الأمم السابقة.

• السير الفكري: دراسة التاريخ، والتأمل في سنن الأمم.

• السير القلبي: التفكير في عاقبة من كذبوا الرسل.

اللمسة البيانية:

"سيروا" فعل أمر، فيه إلزام. ليس رخصة، بل توجيه إلهي: اجعلوا من السفر منهجًا لكم. تعلموا من التاريخ. لا تكررُوا أخطاء من قبلكم.

فانظروا

الانتقال من السير إلى النظر. السير وسيلة، والنظر غاية. انظروا نظر تأمل وتدبر، لا نظر عابر. انظروا بعين قلوبكم. ما الذي حدث لهم؟ أين قوتهم؟ أين بناؤهم؟ أين ملكهم؟ لم يبق منهم شيء.

ما الذي تنظر إليه؟

• تنظر إلى آثارهم: قصورهم، مدائنهم، آثار عظمتهم.

- تنظر إلى عاقبتهم: كيف دمرهم الله.
- تنظر إلى سبب هلاكهم: كانوا مجرمين.

كيف كان عاقبة المجرمين

كيف: اسم استفهام يفيد التعجب والتفكر. انظروا كيف—أي بأي صورة—كانت عاقبتهم. هل نجوا؟ هل نفعهم مالهم؟ هل حماهم جنودهم؟ لا.

عاقبة: أي نهاية ونتيجة. كل بداية لها نهاية. بدأوا بقوة، انتهوا بضعف. بدأوا ببناء، انتهوا بهدم. بدأوا بكثرة، انتهوا بفناء.

المجرمين: وصف دقيق. لم يقل "الكافرين" فقط، بل "المجرمين". الإجرام هو تجاوز الحدود، والظلم، و الطغيان. هؤلاء جمعوا بين الكفر والإجرام. فكانت عاقبتهم الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة.

ما تعلمه هذه الآية

أولاً: التاريخ ليس مجرد قصص

التاريخ هو سجل سنن الله في خلقه. من يتعلم منه يسعد، ومن يتغافل عنه يشقى. الآية تحول التاريخ من مادة للمتعة إلى مادة للعبرة.

ثانياً: السفر عبادة

السفر في الأرض بنية الاعتبار عبادة. عندما تسافر، لا تكن مجرد سائح يلهو. كن متأملاً. أسأل: ما الذي حدث هنا؟ كيف كانت عاقبة أصحاب هذه الأرض؟

ثالثاً: سنة الاستخلاف والاستبدال

الآية تذكرك بسنة كونية: الله يستبدل الأمم. إذا أجرموا، أهلكهم، وجاء بآخرين. هذه السنة تمضي ولا تتوقف. لا تغتر بقوتك. كم من أمة كانت أقوى منك فذهبت.

رابعاً: العبرة بالعاقبة لا بالبداية

لا تنظروا كيف بدأوا، بل كيف انتهوا. بدأوا بقوة وعظمة، لكن النهاية كانت الخراب. فليحذر الذين يظلمون.

ثانيًا: الآية 70 – وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ

ولا تحزن عليهم

لماذا نهاه الله عن الحزن؟

النبى صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على هداية قومه. كان يحزن إذا كذبه، ويحزن إذا أعرضوا عن دعوته. كان يبذل جهده ويشق على نفسه من أجلهم. فجاءت الآية تطمئنه: لا تحزن عليهم.

ماذا يعني "لا تحزن عليهم"؟

• لا تحزن على إعراضهم عن الإيمان.

• لا تحزن على تكذيبهم لك.

• لا تحزن على ما فات من هدايتهم—فعلت ما عليك.

هل الحزن مذموم؟

ليس كل الحزن مذمومًا. النبى كان يحزن على قومه حزن شفقة ورحمة. لكن النهي هنا عن الحزن الذى يؤدي إلى الضيق، أو عن الحزن على من استحق العذاب، أو عن الحزن الذى يشغلك عن رسالتك.

ولا تكن في ضيقٍ مما يَمْكُرُونَ

الضيق: أشد من الحزن

الحزن فى القلب، والضيق فى الصدر. الضيق هو الانقباض، وضيق النفس، والشعور بالاختناق. الله يقول: لا تصل إلى هذا المستوى. لا تدع مكرهم يضييق صدرك.

ما هو المكر؟

المكر هو الكيد والخداع. المشركون كانوا يمكرون بالنبى صلى الله عليه وسلم: يدبرون المؤامرات، يخططون لقتله، يضعون العوائق فى طريقه. كل هذا كان يضييق صدره. فجاء الأمر: لا تكن فى ضيق.

اللمسة البيانية:

"تكن" من الكينونة، وهي أعم من مجرد الشعور. المعنى: لا توجد في حالة ضيق. لا تدع الضيق يسكنك. لا تجعله مكانًا تقيم فيه.

ما تعلمه هذه الآية

أولاً: أنت لست مسؤولاً عن هداية الناس

رسالتك أن تبلغ، وليست أن تهدي. الله يهدي من يشاء. لا تضع على نفسك ما لم يضعه الله عليك. إذا فعلت ما عليك، فلا تحزن على من لم يستجب.

ثانياً: لا تدع مكر الآخرين يضيق صدرك

الناس سيمكرون، سيكيدون، سيخططون. هذا طبيعة الصراع مع الباطل. لكن لا تدع ذلك يضيق صدرك. الله معك، وهو ناصرك. ومكرهم لا يحيق إلا بهم.

ثالثاً: طمأنينة القلب في التوكل

هذه الآية تعلمك كيف تصل إلى طمأنينة القلب. عندما تعلم أن الله هو الناصر، وأن سننه تمضي، وأن العاقبة للمتقين—لا تحزن ولا تضق.

رابعاً: الحزن والضيق ليسا من صفات المؤمن القوي

المؤمن القوي ليس من لا يشعر بالحزن، بل من لا يستسلم له. يشعر لكن لا يغرق. يحزن لكن لا يضيق. يتألم لكن لا ينكسر.

رحلة السير والعاقبة: من الأطلال إلى الطمأنينة

هاتان الآيتان تأخذانك في رحلة متكاملة:

المرحلة الأولى: الخروج من الذات

"سيروا في الأرض"—اخرج من ذاتك. لا تبقَ محصوراً في قوقعتك. انطلق، انظر، تعلم. السفر يوسع الأفق، ويحرر الفكر، ويفتح القلب.

المرحلة الثانية: النظر إلى الآخرين

"فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين"—انظر إلى من سبقوك. انظر إلى الظالمين أين انتهوا. هذا النظر يعطيك

درسًا: الظلم يزول، والباطل يضمحل، والله غالب على أمره.

المرحلة الثالثة: العودة إلى الذات

بعد أن رأيت سنن الله في الأمم السابقة، تعود إلى نفسك. ماذا يعني هذا بالنسبة لك؟ أن الله معك، وسنة النصر للمؤمنين تمضي.

المرحلة الرابعة: الطمأنينة

"لا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون"—هذه هي النتيجة. بعد أن رأيت العاقبة، وبعد أن علمت سنن الله، تطمئن. لا حزن، لا ضيق.

لماذا تسمى آية الاعتبار والطمأنينة؟

تسمى آية الاعتبار لأنها تأمر بالسير في الأرض للنظر في عاقبة المجرمين، والاعتبار بما حدث للأمم السابقة. وتسمى آية الطمأنينة لأنها تطمئن قلب النبي والمؤمنين، وتنههم عن الحزن والضيق.

اهم الدروس والتوجيهات

1. السفر للاعتبار: منهج قرآني

القرآن لا يأمر بالسفر للسياحة فقط، بل للاعتبار. اجعل من أسفارك فرصًا للتأمل. كل مدينة تزورها، كل أثر تراه، اسأل: من كانوا؟ ماذا فعلوا؟ كيف كانت عاقبتهم؟ هذا هو السفر القرآني.

التطبيق العملي: قبل أي سفر، اجعل نية الاعتبار. عند زيارة الآثار، تذكر سنن الله. تأمل كيف انتهى الظالمون.

2. التاريخ مدرسة لا تغلق

التاريخ ليس ماضيًا ميتًا. إنه حاضر ناطق. سنن الله لا تتغير. الذين ظلموا قبل اليوم هلكوا، والذين يظلمون اليوم سيهلكون. تعلم من التاريخ لتنجو.

التطبيق العملي: اقرأ التاريخ—تاريخ الأمم، تاريخ الأنبياء، تاريخ الظالمين—بقصد الاعتبار، لا بقصد المتعة فقط.

3. لا تحزن على إعراض الناس

قد تدعو الناس إلى الخير، وقد تبذل جهدك، فلا يستجيبون. لا تحزن. أنت فعلت ما عليك. الهداية بيد الله. الحزن لن يفيدهم، وسيضرّك.

التطبيق العملي: عندما لا يستجيب الناس لدعوتك، قل: حسبي الله، فعلت ما عليك، والباقي على الله. لا تحمل همّ هدايتهم.

4. لا تضق بمكر الماكرين

الناس سيمكرون، سيكيدون، سيتآمرون. لا تدع هذا يضيق صدرك. مكرهم لا يحيق إلا بهم. الله ناصرك، وهو معك. ثق بوعده.

التطبيق العملي: عندما تواجه مكرًا من أحد، تذكر هذه الآية. قل: لا تكن في ضيق. أنت تخطط، والله يخطط، وهو خير الماكرين.

5. طمأنينة القلب في سنن الله

عندما تعلم أن الله لا يهمل، وأن العاقبة للمتقين، تطمئن. لا حاجة للحزن، لا حاجة للضيق. الأمور تسير وفق سنن الله. ثق بها.

التطبيق العملي: ردد في نفسك: سنن الله لا تتغير. الظلم لا يدوم. الحق لا يضيع. والله ناصر عباده.

المفاهيم العملية الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة السير: الحركة تفتح البصيرة

الإنسان إذا بقي في مكانه، ضاقت عليه الرؤية. السفر يوسع الأفق. يجعلك ترى أن هناك عوالم أخرى، وتجارب أخرى، وعبيرًا أخرى. لا تحبس نفسك. تحرك، وانظر، وتعلم.

فلسفة النظر: العين ترى، القلب يعتبر

النظر المجرد لا يكفي. كثير من الناس يرون الآثار ولا يعتبرون. النظر الذي أمر الله به هو نظر التأمل والتفكير. اجعل عين قلبك مفتوحة مع عين رأسك.

فلسفة العاقبة: البدايات لا تضمن النهايات

قد تبدأ قويًا، لكن العبرة بالنهاية. المجرمون بدأوا بقوة وعظمة، وانتهوا بخراب. لا تغتر بقوتك. انظر كيف كانت عاقبة من سبقوك.

فلسفة عدم الحزن: تخفيف الحمل النفسي

المؤمن قد يحمل هم الدعوة وهم الناس. لكن الله يخفف عنه: لا تحزن. أنت لست مسؤولاً عن النتائج. هذا التخفيف يريح النفس ويطمئن القلب.

فلسفة عدم الضيق: مواجهة المؤامرات بثبات

المؤمن سيواجه مؤامرات. لكن لا تدعها تضيق صدرك. ثق بأن الله معك. ثق بأن مكرهم لا يضرك. هذه الثقة تعطيك ثباتًا وقوة.

رسالة التثبيت: أنت على الحق، والسنة معك

قد تشعر في بعض الأحيان أن الباطل ينتصر، وأن المجرمين ينجحون، وأن المؤمنين يُخذلون. هذه الآيات تثبتك: انظر إلى عاقبة المجرمين. قد يمهلون، لكن لا يهملون. سنة الله لا تتغير. العاقبة للمتقين.

وقد تشعر بالحزن على من أعرضوا عن الحق، أو بالضيق مما يخططون. هذه الآيات تمسح على قلبك: لا تحزن، لا تضق. أنت أديت الرسالة، والباقي على الله.

رسالة التثبيت: الله معك. سنه تمضي. ونصره آت. فلا حزن، ولا ضيق.

كيف نعيش هاتين الآيتين؟

1. في السفر:

اجعل من سفرك رحلة اعتبار. قبل أن تسافر، تذكر الآية. انظر إلى آثار من سبقوك. اسأل: كيف كانت عاقبتهم؟ تعلم من أخطائهم. اشكر الله أن نجاكم مما ابتلاهم.

2. في الدعوة:

عندما تدعو أحدًا إلى الله فلا يستجيب، تذكر: لا تحزن عليه. فعلت ما عليك. ادع له بالهداية، ولا تحمل همّه. الهداية بيد الله.

3. في مواجهة المؤامرات:

عندما يمكر بك الناس، تذكر: لا تكن في ضيق مما يمكرون. ثق بأن الله معك. مكرهم لا يضرک. أنت على الحق، والله ناصرک.

4. في لحظات الإحباط:

عندما تشعر أن الظلم يطول، والباطل ينتشر، تذكر: انظر كيف كانت عاقبة المجرمين. قد يمهلون، لكن النهاية معروفة. العاقبة للمتقين.

5. في التربية:

ربّ نفسك ومن تحت يدك على الاعتبار. اجعل لهم رحلات إلى أماكن فيها عبر. اقرأ لهم قصص الأمم السابقة. علمهم أن التاريخ مدرسة لا تغلق.

خاتمة: آية تفتح الأفق وتطمئن القلب

هاتان الآيتان تجمعان بين الحركة والطمأنينة. الأولى تأمرك بالخروج، والنظر، والاعتبار. الثانية تطمئن قلبك: لا تحزن، لا تضق.

إنهما تعلمانك أن الدين ليس انكفاءً على الذات، بل حركة في الأرض، وتأمل في التاريخ. وفي الوقت نفسه، ليس قلقاً وحزناً، بل طمأنينة ويقين.

المبحث الثاني

إن سنن الله لا تتغير. والعاقبة للمتقين. والله غالب على أمره. فلا تحزن، ولا تضيق

آية الاستعجال والتسويق: رحلة في أعماق النفس المستعجلة

قال الله تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ

تمهيد: مشهد المستعجلين على الله

تخيل نفسك تقف أمام مشهد يتكرر في كل زمان. تأتي أنت—أو أي مؤمن—تتحدث عن يوم القيامة، عن البعث، عن الحساب، عن العذاب الذي ينتظر الظالمين. فجأة، يقاطعك أحدهم بنبرة ساخرة، أو متحديّة، أو مستفهمة باستخفاف: "متى هذا الوعد؟! إن كنت صادقاً فقل لنا متى؟!"

في عينيه بريق التحدي. على شفثيه ابتسامة الاستهزاء. في صوته نبرة: "ها أنت ذا تتوعدنا، فأين ما تعدنا به؟"

هذه الآية تصور لنا هذا المشبد الإنساني العميق. ليس مجرد استفهام عن وقت، بل هو موقف نفسي مركب: استعجال، وإنكار، وتحذ، واستهزاء، وهروب من مواجهة الحقيقة.

إنها تكشف عن طبيعة الإنسان الذي يريد أن يختبر الله، أو يريد أن يبرر إعراضه بالقول: "لو كان هذا حقًا، لحدث الآن!" إنه يخلط بين سرعة البشر وسنن الله، بين عجلة المخلوق وحكمة الخالق.

الآية تأخذك في رحلة إلى أعماق هذه النفس المستعجلة، ثم تفتح لك نافذة على سنن الله في الأمم، وتبين لك الفرق بين توقيت البشر وتوقيت رب البشر.

اولا : وَيَقُولُونَ

فعل مضارع يدل على الاستمرار

الآية تبدأ بـ "ويقولون" بصيغة المضارع. هذا يدل على أن هذا القول ليس حدثًا منفردًا، بل هو حالة متكررة، عادة مستمرة. كلما جاءهم وعد بالبعث أو العذاب، قالوا هذه المقالة. هي لازمتهم، وستظل لازمة لكل جيل من المكذبين.

من هم "يقولون"؟

الضمير يعود على الذين كفروا، الذين حكى الله عنهم في الآيات السابقة. هم الذين أنكروا البعث، وقالوا عن القرآن إنه أساطير الأولين. الآن هم ينتقلون إلى مرحلة التحدي: طلب تعجيل العذاب.

القول ليس مجرد كلام

هذا القول ليس مجرد استفهام عابر. إنه يحمل:

• التكذيب: كأنهم يقولون: هذا الوعد لن يحدث.

• الاستهزاء: يسخرون من المؤمنين الذين يتوعدونهم.

• التحدي: يطلبون العذاب على سبيل التحدي والإمعان في الكفر.

• التسوييف: يريدون أن يقولوا: إذا تأخر، فهو دليل على بطلانه.

ثانياً: متى هذا الوعدُ

متى: أداة استفهام عن الزمان

يختارون "متى" للسؤال عن الزمان. هم لا يسألون عن حقيقة الوعد، بل عن وقته. كأنهم يسلمون جدلاً بأن هناك وعداً، لكنهم يتحدثون في توقيته. وكأنهم يقولون: إن كنتم صادقين في أن هناك عذاباً، فأتوا به الآن.

اللمسة البيانية:

"متى" هنا استفهام إنكاري، يحمل معنى الاستبعاد والاستعجال. ليست استفهاماً حقيقياً لطلب العلم، بل هو تعجيز وتحدي. وكأنهم يقولون: هاتوا وقت العذاب إن كنتم صادقين.

هذا الوعدُ

الإشارة بـ "هذا" تحقير وتقريب. يشيرون إلى الوعد وكأنه شيء حاضر أمامهم، لكن بنية الاستهزاء. الإشارة للقريب توحى بأنهم يتعاملون معه كأمر مزعج يريدون دفعه.

ما هو الوعد المقصود؟

الوعد هنا هو وعد الله بالعذاب والانتقام من المشركين، أو وعد البعث والقيامة. في سياق السورة، هو الوعيد الذي تكرر في الآيات السابقة: أن الله سينتقم من المجرمين، وأن العاقبة لهم سوء.

ثالثاً: إن كنتم صادقين

الشرط الذي يكشف النية

هذا الشرط يظهر حقيقة ما في قلوبهم. إنهم لا يؤمنون أصلاً. يقولون: "إن كنتم صادقين" – أي إن كنتم على حق فيما تقولون – فأخبرونا بالوقت.

اللمسة البيانية:

جاء الشرط بـ "إن" التي تفيد الشك. كأنهم يشككون في صدق المؤمنين. هم لا يقولون: "أخبرنا متى الوعد"، بل يعلقون طلبهم بشرط الصدق الذي لا يعترفون به. إنه أسلوب تهكم: إن كنتم صادقين – ونحن نعلم أنكم لستم صادقين – فأخبرونا.

هذا الشرط يكشف عن:

- التكذيب المسبق: هم لا ينتظرون إجابة حقيقية.
- الاستعلاء: يتعاملون مع المؤمنين وكأنهم في موقف قوة.
- المماطلة: يريدون أن يقولوا: ما دامت الإجابة غير موجودة، فدعواكم باطلة.

التحليل النفسي للسؤال متى؟

هذا السؤال الذي يكرره المكذبون عبر العصور يحمل في طياته أعماقا نفسية:

أولا: الاستعجال الطبيعي

الإنسان بطبيعته يستعجل. يريد رؤية النتائج فوراً. يحب أن يختبر ما يُوعده به. عندما يُخبر بحدث مستقبلي، يتوق إلى رؤيته. هذه فطرة، لكنها عندما تواجه غيباً لا تعلم وقته، تتحول إلى أداة للإنكار.

ثانياً: التحدي لله ولرسله

وراء السؤال تحد خفي: "أين قدرة الله التي تتحدثون عنها؟ أين عذابه؟ إن كنتم صادقين فليأتنا به الآن". هذا التحدي هو قمة التمرد. إنه كقول فرعون: فأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ.

ثالثاً: الهروب من المسؤولية

إذا استطاع أن يجعل المؤمنين في موقف دفاع، أو أن يظهر أن وعدهم متأخر، فهذا يريحه. يبرر لنفسه الاستمرار في الغي: "لو كان هناك عذاب لجاؤ الآن. تأخيره دليل على عدم وجوده".

رابعاً: التلبیس على الناس

هذا السؤال يؤثر على الضعفاء. عندما يرى البسطاء أن العذاب لم يأت مع كثرة الوعيد، قد يتساءلون: أكانوا صادقين؟ المكذبون يستخدمون هذا السؤال لزرع الشك في قلوب المؤمنين الضعفاء

المبحث الرابع.

سنن الله في الاستعجال والتأخير

هذه الآية تأتي في سياق يرد على هذا التحدي. في الآيات التالية (72-75)، سيرد الله عليهم بأن العذاب قريب، وأنهم يستعجلون بينما هم في غفلة، وأن الله لا يخلف الميعاد.

لماذا يؤخر الله العذاب؟

- للإمهال: ربما يتوبون، أو يخرج من أصلابهم مؤمنون.
- للابتلاء: ليختبر صبر المؤمنين وثباتهم.

• لإقامة الحجة: كلما تأخر العذاب، زادت حجة الله عليهم.

• لحكمة يعلمها: الله لا يؤخر شيئاً إلا لحكمة بالغة.

الفرق بين عجلة البشر وحكمة الله

الإنسان يريد النتائج فوراً. الله يدبر الأمر بحكمة. تأخير العذاب ليس إبطالا ً له، تماماً كما أن تأخير الإجابة ليس إبطالا ً للدعاء. هذه حقيقة يجب أن تستقر في القلب.

العلاقات بالآيات السابقة

الآية 71 تأتي بعد أن أمر الله النبي أن يقول للمشركين: سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين (69)، ثم طمأنه: ولما تحزن عليهم ولما تكن في ضيق مما يمكرون (70).

الآن يأتي دور المشركين ليقولوا: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟" كأنهم يقولون: أنتم تأمروننا بالسير و النظر في عاقبة المجرمين السابقين، ونحن نقول: متى سيأتي عذابنا إن كنتم صادقين؟

إنها معادلة قديمة: المؤمنون يتوعدون بالعذاب، والمكذبون يستعجلونه. والمؤمنون مطمئنون بأن سنن الله تمضي، والمكذبون يظنون أن التأخير إبطال.

**لماذا تسمى آية الاستعجال والتحدي؟

تسمى آية الاستعجال لأن المشركين يستعجلون العذاب. وتسمى آية التحدي لأنهم يتحدون المؤمنين بأن يأتيوا بالعذاب إن كانوا صادقين. وهي تعبر عن موقف إنساني متكرر في كل زمان: من ينكر الحق يتحدى أهله بأن يأتيوا بالعذاب الذي يتوعدون به.

اهم الدروس والتوجيهات

1. لا تستعجل على الله

أول درس في هذه الآية: لا تكن ممن يستعجلون وعد الله. قد يبطن عليك الفرج، وقد تتأخر الإجابة، وقد لا ترى العذاب يقع على الظالمين في زمنك. هذا لا يعني أن الله غير قادر، أو أن وعده غير صادق. الله يمهّل ولا يهمل.

التطبيق العملي: إذا تأخرت الإجابة أو تأخر النصر، قل: لله حكمة في تأخيره. لا تجعل التأخير سبباً في الشك.

2. لا تكن كالمكذابين في تحديهم

المكذبون يسألون "متى" على سبيل التحدي والاستهزاء. لا تكن مثلك. لا تسأل الله على سبيل التحدي. ولا

تسأل على سبيل الاستعجال الذي يخرج عن الأدب.

التطبيق العملي: إذا دعوت الله، اسأل بتأدب. لا تقل: متى تستجيب؟ بل قل: اللهم إنك على كل شيء قدير، وأنت الحكيم في تقديرك.

3. تعلم أن تأخير العذاب رحمة

تأخير العذاب عن الظالمين قد يكون رحمة بهم، لعله يتوبون. وقد يكون ابتلاء للمؤمنين ليثبتوا على الإيمان. فـ لا تستعجل هلاكهم.

التطبيق العملي: عندما ترى ظالماً يمهل، تذكر أن الله يمهل ولا يهمل. لا تحسد ظالماً على إمهاله، فقد يكون ذلك استدراجاً له.

4. لا تجعل استعجال الناس يزعزع يقينك

قد يقول لك الناس: أين ما تعدون به؟ متى يحدث؟ لا تدع هذه الأسئلة تزعزع يقينك. وعد الله حق، وسننه تمضي، والعاقبة للمتقين.

التطبيق العملي: حصّن إيمانك بتذكر سنن الله. انظر إلى الأمم السابقة: هل استعجلوا أم أهلكوا في وقت معلوم؟

5. ثق بأن الله لا يخلف الميعاد

الوعد الإلهي ليس كوعد البشر. البشر قد يخلفون، والله لا يخلف. قد يختلف التوقيت عن توقعاتك، لكنه لا يتأخر عن الوقت الذي قدره الله.

التطبيق العملي: ردد في نفسك: إن الله لا يخلف الميعاد. وعد الله حق. كل شيء عنده بأجل معلوم.

المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة الاستعجال: بين عجلة البشر وحكمة الله

الإنسان بطبيعته مستعجل. يريد أن يرى الثمار فوراً. هذه العجلة قد تكون دافعاً للعمل، لكنها قد تكون أيضاً آفة في الإيمان. تعلم أن ترى حكمة التأخير. ثق بأن الله يعلم ما لا تعلم.

فلسفة التحدي: امتحان القلوب

المكذبون يتحدون المؤمنين: "متى هذا الوعد؟" هذا التحدي هو امتحان للمؤمنين: هل يثبتون أم يهتزون؟ هل يثقون بوعد الله أم يشكون؟ اجعل من هذا التحدي فرصة لتثبيت إيمانك.

فلسفة التأخير: سنة الابتلاء

التأخير سنة كونية. الله يؤخر العذاب عن الظالمين ليزدادوا إثماً، أو لعلمهم يتوبون. ويؤخر النصر عن المؤمنين ليمحصهم وليثبتهم. لا تستعجل. كل شيء في وقته أجمل.

فلسفة الصدق: المؤمن لا يحتاج إلى برهان فوري

المشركون قالوا: "إن كنتم صادقين". أرادوا اختبار صدق المؤمنين بتعجيل العذاب. لكن الصدق لا يقاس بسرعة وقوع الوعد. المؤمن صادق في إيمانه، ولو تأخر العذاب ألف عام.

رسالة التثبيت : الوعد قريب وإن بدا بعيداً

قد تشعر في بعض الأحيان أن وعد الله يتأخر. الظلم يطول، والباطل ينتشر، والعذاب الذي توعد الله به الظالمين لا يأتي. تذكر: التأخير ليس إبطالاً. سنن الله لا تتغير. كل شيء عنده بأجل معلوم. وقد يوجه إليك السؤال: "متى هذا الوعد؟" لا تحرج. قل: الله أعلم بوقته. أنا أؤمن به، وأعلم أنه آتٍ لا محالة. لا يشترط إيماني أن أعرف الوقت.

رسالة التثبيت: وعد الله حق. إن تأخر في ظنك، فهو في علم الله في وقته المحدد. ثق بالله. ولا تجعل استعجال الناس يسرق يقينك.

كيف نعيش هذه الآية ؟

1. في انتظار الفرج:

عندما تمر بأزمة وتستعجل الفرج، تذكر هذه الآية. لا تكن ممن يقولون: متى الفرج؟ بل قل: اللهم إني واثق بوعدك، وأعلم أن فرجك قريب، وأنت على كل شيء قدير.

2. في مواجهة الظلم:

عندما ترى ظالماً ولا ترى عقوبته سريعاً، تذكر هذه الآية. لا تستعجل هلاكه. قد يمهل لحكمة. ثق بأن الله سينصف المظلومين في وقته.

3. في مواجهة المستعجلين:

عندما يسألك الناس: متى يحدث كذا؟ متى يأتي النصر؟ متى يظهر الحق؟ لا تحرج. قل: الله أعلم بوقته. وأنا أعلم أنه آتٍ لا محالة.

4. في الدعوة إلى الله:

عندما يدعو الناس إلى الإيمان، قد يواجهون بسؤال المستعجلين: متى يحدث ما تعدون به؟ علمهم أن الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن الإيمان لا يتوقف على معرفة الوقت.

5. في تربية النفس:

ربّ نفسك على الصبر وعدم الاستعجال. علمها أن خير الأمور أوقاتها، وأن تأخير الله ليس إهمالاً، بل هو حكمة وابتلاء.

خاتمة: آية تصبر القلب وتثبت اليقين

هذه الآية تعلمك أن موقف المستعجلين المتحدين ليس جديداً. كل الأمم السابقة قالوا لأنبيائهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. وهذا لا يبطل الحق. الحق ثابت، والوعد صادق، والله لا يخلف الميعاد.

اللهم إنا نؤمن بوعدك، ونثق بصدقك، ونعلم أنك لا تخلف الميعاد. اللهم لا تجعلنا ممن يستعجلون قدرك، أو يتحدون وعيدك. اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان، وأعدنا من الاستعجال الذي يزعزع اليقين. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. إنك على كل شيء قدير.

المبحث الخامس

آية القريب والفضل: رحلة بين عجلة البشر وكرم الله

قال الله تعالى: قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣)

تمهيد: مشهد الردف القريب

تخيل مشهدًا يتكرر في كل زمان. أناس يتحدثون الله ورسله، يستهزئون بوعد العذاب، يقولون بكل ثقة: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟" وهم في قمة غفلتهم، لا يشعرون أن العذاب قد يكون أقرب إليهم من أنفاسهم.

ثم تأتي الصاعقة الإلهية: **قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ.**

كأن الله يقول: أنتم تستعجلون العذاب كأنه شيء بعيد، لكنه قد يكون ملتصقًا بظهوركم، قد يكون خلفكم مباشرة، قد يكون عند أعناقكم. أنتم تطلبونه مستبعدين، وهو يطاردكم من خلفكم.

ثم تأتي الآية الغانية كرؤية أعمق: **وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ فَضِّلْ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ.**

كأن الله يفسر لماذا لم ينزل العذاب عليهم فورًا: ليس عاجزًا، بل فضلًا. لو أراد الله لأهلكهم في لحظة. لكن فضله يمنع، ورحمته تسبق غضبه. ومع ذلك، أكثر الناس لا يشكرون على هذا الفضل.

هاتان الآيتان تحملان سرًا عظيمًا: العلاقة بين عجلة البشر وكرم الله. الناس يستعجلون العقوبة، والله يمهل بفضلهم. الناس يجهلون النعمة التي في الإمهال، والله يذكرهم بها.

اولا : الآية 72 – **قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**

قل: الأمر الإلهي بالرد

بعد أن حكى عنهم قولهم: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين"، يأمر الله نبيه أن يرد عليهم. الرد ليس بتحديد وقت، بل بتغيير زاوية النظر. لا يخبرهم متى سيأتي العذاب، بل يخبرهم أنه قد يكون قريبًا جدًا.

عَسَىٰ: أسلوب الرجاء والإمكان

"عسى" من الله واجبة. عندما يقول الله "عسى"، فهي ليست ترددًا، بل تحقيق. إنها أسلوب يفيد القرب و التحقيق. كأن الله يقول: قريبًا جدًا، بل ربما يكون قد حان.

اللمسة البيانية:

استخدام "عسى" مع الله يفيد معنى التحقيق مع تلطف. كأن الله يريد أن يقول: لا تستعجلوا، ما تطلبونه قد يكون قريبًا منكم أكثر مما تتصورون.

أن يكونَ رَدِفَ لَكُمْ

الردف: ما يردف، أي ما يتبع ويأتي من الخلف

الردف في اللغة: هو ما يكون خلف الراكب، والترادف هو التتابع. رَدِفَ لَكُمْ: أي تبعكم ولحق بكم. العذاب الذي تستعجلونه ليس أمامكم فقط، بل هو خلفكم، يطاردكم، قد يكون قد لحق بكم دون أن تشعرُوا.

الصورة البيانية:

صورة بديعة. أنتم تبحثون عن العذاب في الأفق البعيد، وهو خلفكم، عند ظهوركم، يلاحقكم. كأن العذاب قد نزل بكم بالفعل، لكنكم في غفلة عنه.

أنواع الردف:

- قد يكون الردف عذابًا عاجلاً في الدنيا: قتلًا، أو هزيمة، أو جوعًا، أو خوفًا.
- قد يكون الردف هو الموت: أجل كل إنسان هو عذابه الأصغر.
- قد يكون الردف هو يوم القيامة: وهو قريب وإن بدا بعيدًا.

بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجَلُونَ

بعض: أي جزء منه، وليس كله

لا يخبرهم أن العذاب كله سيأتي فجأة، بل أن بعضه قد يكون قد ردفهم. ربما بعض العذاب الذي تستعجلونه قد نزل بكم دون أن تشعرُوا.

تستعجلون: صيغة المضارع تدل على الاستمرار

أنتم في حالة استعجال دائم. كلما تأخر العذاب، ازداد استعجالكم. وهذا الاستعجال نفسه يزيدكم غفلة.

ما تعلمه هذه الآية

أولاً: العذاب أقرب مما تتصورون

المكذبون يظنون العذاب بعيدًا. الآية تقول: بل هو قريب جدًا. قد يكون الموت، وقد يكون عقوبة دنيوية، وقد

تكون القيامة. لا تغتروا بالتمديد.

ثانيًا: الاستعجال لا يعجل شيئًا

استعجالهم العذاب لم يجعله يأتي أسرع. وقد يكون استعجالهم هو ما جعلهم لا يرون أن العذاب قد جاء به الفعل. الغافل لا يرى العذاب حتى ينزل به.

ثالثًا: التهديد بأسلوب الرجاء

استخدام "عسى" في التهديد من أعجب أساليب البلاغة. كأن الله يهددهم بأسلوب رقيق، لعلهم يتنبهون. هذا من لطف الله بعباده.

ثانيًا: الآية 73 – وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ

الفضل: الإحسان الزائد عن الواجب

الفضل هو العطاء من غير استحقاق. الله ذو فضل على الناس. كل ما يعطيهم ليس استحقاقًا، بل فضلًا. وجودهم فضل، صحتهم فضل، رزقهم فضل، إمهالهم فضل.

لماذا قال "على الناس" وليس "عليهم"؟

ليعم الفضل جميع الناس. المؤمن والكافر، البار والفاجر. الجميع تحت فضل الله. الكافر يأكل من رزق الله، ويعيش في أمان الله، ويتمتع بنعم الله. هذا كله فضل.

اللام في "لذو فضل" للتوكيد

تأكيد على أن ربك—يا محمد—ذو فضل عظيم. هذا ليس رأيًا، بل حقيقة ثابتة. فضل الله شامل، واسع، لا ينقطع.

وَكَانَ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ

أكثرهم: وليس كلهم

هناك قلة تشكر. لكن الأكثر لا يشكرون. هذه طبيعة البشر: الغفلة والتقصير في الشكر هي السمة الغالبة.

لا يشكرون: ثلاثة أنواع من عدم الشكر

• عدم الاعتراف: لا يعترفون أن النعم من الله.

• عدم الذكر: يغفلون عن تذكر المنعم.

• عدم الاستخدام: يستخدمون النعم في معصية الله.

ما العلاقة بين الآيتين؟

الآية الأولى: العذاب قريب. الآية الثانية: الفضل هو ما يؤخر العذاب. أنتم تستعجلون العذاب، وربكم يمهل بفضله. أنتم تطلبون العقوبة، وهو يمد في عمركم برحمته.

رحله القريب والفضل : من الاستعجال إلى الشكر

هاتان الآيتان تأخذانك في رحلة إلى قلب العلاقة بين الإنسان وربه:

المرحلة الأولى: الاستعجال

الإنسان يستعجل العقوبة على أعدائه، أو يستعجل النصر لنفسه، أو يستعجل ظهور الحق. هذه عجلة طبيعية، لكنها قد تصبح آفة.

المرحلة الثانية: القرب

ما تستعجله قد يكون أقرب مما تتصور. العذاب الذي تطلب نزوله على الظالمين قد يكون قد ردفهم. النصر الذي تنتظره قد يكون عند بابك. لا تحكم بتأخر شيء قد جاء.

المرحلة الثالثة: الفضل

تأخر العذاب ليس عجزًا، بل فضلًا. الله يمهل ليتوبوا، أو ليخرج من أصلاهم مؤمنين، أو ليزيد حسنات الصابرين. الفضل هو الذي يمسه العذاب.

المرحلة الرابعة: قلة الشكر

مع كل هذا الفضل، أكثر الناس لا يشكرون. لا يشكرون على الإمهال، ولا على النعم، ولا على الرحمة. هذا هو الجحود الذي يستحق العذاب.

**لماذا تسمى آية القريب والفضل؟

تسمى آية القريب لأنها تخبر أن العذاب الذي يستعجله المكذبون قد يكون ردفهم—أي قريبًا جدًا. وتسمى آية الفضل لأنها تذكر أن إمهال الله للناس هو من فضله عليهم، لا من عجزه.

**أهم الدروس والتوجيهات

1. ما تستعجله قد يكون أقرب مما تظن

أنت تدعو الله، وتستعجل الإجابة. أنت تنتظر النصر، وتستعجله. أنت تخاف العذاب على الظالمين، وتستعجله. تذكر: ما تستعجله قد يكون قد ردك. قد تكون الإجابة عند بابك. قد يكون النصر في الغد. قد يكون العذاب قد نزل بالظالمين دون أن تراه.

التطبيق العملي: لا تيأس من قرب الإجابة. لا تظن أن تأخيرها إبطال لها. ربما هي أقرب مما تتصور.

2. فضل الله هو ما يؤخر العذاب

عندما ترى ظالمًا يمهل، لا تقل: أين عذاب الله؟ تذكر: هذا إمهال من فضل الله. قد يكون ليتوب، أو ليستدرجه، أو ليزيد إثمه فيعاقب أشد. لا تستعجل على الله.

التطبيق العملي: عندما ترى ظلمًا، ادعُ على الظالم، لكن لا تستعجل هلاكه. ثق بأن الله يمهل لحكمة.

3. الفضل شامل حتى للكافرين

الله يرزق الكافر، ويصحح بدنه، ويعطيه المال والولد. هذا كله فضل. لا تحسد الكافر على نعمة. تذكر أن فضل الله واسع، لكن شكرهم قليل.

التطبيق العملي: إذا رأيت كافرًا في نعمة، تذكر أن هذه نعمة من الله له في الدنيا. لا تغتر بنعمته، فالحساب في الآخرة.

4. أكثر الناس لا يشكرون

هذه حقيقة كونية. لا تنتظر أن يشركك الناس على معروفك، كما أن أكثرهم لا يشكرون الله. تعامل مع هذا الواقع بلا استغراب.

التطبيق العملي: إذا أحسنت إلى أحد فلم يشكرك، لا تحزن. هذه طبيعة أكثر الناس. اجعل إحسانك لله، فشكره لك مضمون.

5. كن من القلة الشاكرة

الآية تقول: أكثرهم لا يشكرون. كن أنت من القلة التي تشكر. اشكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة. اشكره على الإمهال والرحمة.

التطبيق العملي: اجعل شكر الله لسانك وحالك. احمد الله في السراء والضراء. اشكره على النعم التي تراها و التي لا تراها.

**المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة "عسى": الأمل في قرب الفرج

"عسى" من الله تعني التحقيق. عندما تمر بأزمة وتستعجل الفرج، تذكر أن الله قال "عسى" لعباده. هذه "عسى" تحمل معنى القرب. لا تفقد الأمل. الفرج قد يكون خلف ظهرك.

فلسفة "الردف": ما يطارذك قد يكون الخير

الردف في الأصل هو ما يتبعك. قد يكون العذاب الذي تطلبه قد تبعك. لكن أيضًا، قد يكون الخير الذي تنتظره قد تبعك. الإجابة قد تكون ردًا لك دون أن تشعر. انظر خلفك، قد تجد ما تبحث عنه.

فلسفة "الفضل": الإمهال نعمة لا نقمة

كثير من الناس يظنون أن تأخير العذاب هو إهمال من الله. هذا خطأ. الإمهال هو فضل. لو شاء الله لأهلك الظالمين في لحظة. لكن فضله يمنع. قدر هذا الفضل.

فلسفة "لا يشكرون": التعامل مع الجحود

أكثر الناس لا يشكرون. هذه حقيقة. لا تجعل جحودهم يمنحك من الإحسان. أحسن لله، فالله شكور. لا تنتظر

شكر الناس، فغالهم لا يشكرون.

رسالة التثبيت: فضل الله أوسع من استعجالك

قد تشعر أحياناً أن الله يمهل الظالمين كثيراً. قد تسأل: متى يأتي النصر؟ متى ينزل العذاب على من ظلموني؟ تذكر هذه الآيات: ما تستعجله قد يكون ردفاً لك. وقد يكون تأخيره فضلاً من الله.

قد لا ترى العذاب يقع على الظالمين في زمنك، لكن هذا لا يعني أنه لن يقع. وقد تراه في صورة لا تتوقعها. وقد يكون الموت نفسه هو العذاب الأكبر.

رسالة التثبيت: الله ذو فضل على الناس. فضله هو ما يؤخر العذاب. ورحمته هي ما تمد في الأعمار. ثق بأن الله لا يظلم مثقال ذرة. وإنما يمهل لحكمة.

**كيف نعيش هاتين الآيتين؟

1. في انتظار الفرج:

عندما تستعجل الفرج، تذكر: "عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون". قد يكون الفرج أقرب مما تظن. لا تيأس. انتظر بثقة.

2. في مواجهة الظلم:

عندما ترى ظالماً وتمهل عقوبته، تذكر: "ربك ل ذو فضل على الناس". هذا الإمهال ليس عجزاً، بل فضل. ثق بأن الله سينصف.

3. في التعامل مع الناس:

عندما تحسن إلى أحد فلا يشكرك، تذكر: "أكثرهم لا يشكرون". لا تحزن. اجعل إحسانك لله.

4. في شكر النعم:

كن من القلة الشاكرة. كل صباح ومساءً، احمد الله على فضله. احمده على الإمهال، وعلى النعم، وعلى الرحمة.

5. في الدعاء:

عندما تدعو الله، لا تقل: متى تستجيب؟ بل قل: اللهم إني واثق بفضلك، وأعلم أن ما تستعجله قد يكون أقرب مما أظن. اللهم إني أحمذك على إمهالك وفضلك.

**خاتمة: آية تعلم الصبر والشكر

هاتان الآيتان تجمعان بين الصبر والشكر. الأولى تعلمك ألا تستعجل، وأن ما تطلبه قد يكون أقرب مما تظن. الثانية تعلمك أن تشكر على فضل الله في الإمهال والرحمة.

وإن ربك لذو فضل على الناس. ولكن أكثرهم لا يشكرون. فكن أنت من القلة الشاكرة

المبحث السادس

آية علم الغيب والكتاب المبين: رحلة بين خفايا الصدور ودقائق الوجود

قال الله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥)

تمهيد: مشهد الخفايا والستائر

تخيل نفسك في غرفة مظلمة. حولك أناس، كل واحد يحمل في صدره أسرارًا. واحد يخفي حقدًا، وآخر يخفي حبًا، وثالث يخفي خطة، ورابع يخفي ندمًا. الوجوه مبتسمة، والكلمات لطيفة، لكن الصدور تعج بما لا يُقال. من يعلم ما تخفيه هذه الصدور؟ من يطلع على ما يدور في أعماقهم؟

ثم ارفع بصرك إلى السماء. تخيل كل ما هو غائب عن عينيك: ما في باطن الأرض، وما في أقطار السماء، وما في أعماق البحار، وما في غدٍ من أحداث، وما في قلوب الناس من نوايا. كل هذا الغائب، أين هو؟ هل هو تائه؟ هل هو منسي؟ هل هو خارج عن الضبط؟

هاتان الآيتان تفتحان أمامك مشهدين متلازمين:

• المشهد الأول: غيب الصدور. ما تخفيه النفوس من أسرار، وما تظهره من أقوال وأفعال. الله يعلمه كله.

• المشهد الثاني: غيب الكون. كل غائبة في السماوات والأرض، مهما دقت، ومهما خفيت، مسجلة في كتاب مبين.

إنهما تريانك أن لا شيء يضيع. لا خافية في صدرك تضيع، ولا غائبة في الوجود تهمل. كل شيء محسوب، وكل شيء مسطور، والله على كل شيء رقيب.

اولا : الآية 74 – وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ

إنّ ولام التوكيد: تأكيد بعد تأكيد

الآية تبدأ بتأكيدات متتالية: "إن" للتوكيد، واللام في "ليعلم" للتوكيد. لماذا هذا التأكيد؟ لأن ما سيأتي بعدها عظيم: علم الله بما تخفي الصدور. الناس قد يخفون أسرارهم، وقد يظنون أن أحداً لا يعلمها. الله يؤكد أنه يعلمها، بل يعلمها علماً كاملاً لا يشوبه جهل ولا نسيان.

ربك: إضافة تشريف

لم يقل "الله"، بل قال "ربك" – إضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فيها تشريف للنبي، وفيها تذكير بأن الله هو المرابي، الذي يربي عباده بعلمه ورعايته. والذي يعلم خفايا الصدور هو الذي يربيك ويتولاك.

مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ

الإخفاء: فعل القلب

الإخفاء هو ما تكتمه النفس، ولا تظهره للناس. الصدور هي موضع الأسرار. الله يعلم ما في الصدور من:

• نيات: ما يقصدونه من خير أو شر.

• معتقدات: ما يعتقدونه في قلوبهم من كفر أو إيمان.

• مشاعر: ما يخفونه من حقد أو حب أو حسد.

• خطط: ما يدبرونه في خفاء.

اللمسة البيانية:

"تخفي صُدُورُهُمْ" – أسند الإخفاء إلى الصدور، لأن الصدر هو وعاء الأسرار. والمضارع "تخفي" يدل على الاستمرار. هم في حالة إخفاء دائم. كل يوم يخفون أشياء جديدة. والله يعلمها كلها.

وَمَا يُعْلِنُونَ

الإعلان: فعل الجوارح

بعد الإخفاء، يأتي الإعلان. ما يظهرونه بألسنتهم، وما يفعلونه بأيديهم، وما يبدو على وجوههم. الله يعلم هذا أيضاً.

لماذا جمع بين الإخفاء والإعلان؟

لأن الناس قد يظنون أن الله يعلم ما يعلنون فقط. الآية تؤكد أنه يعلم الخفي والظاهر. لا يغيب عنه شيء. السر والعلن عنده سواء.

ما تعلمه هذه الآية

أولاً: لا تخف شيئاً تظن أن الله لا يراه

قد يخفي الإنسان في صدره حقداً، أو حسداً، أو خيانة. قد يظن أن أحداً لا يعلم. لكن الله يعلم. هذا يجب أن يردعك. لا تخف ما يسخط الله، فستجده يوم القيامة أمامك.

ثانياً: تزكية النفس تبدأ من معرفة مراقبة الله

عندما تستقر في قلبك حقيقة أن الله يعلم ما تخفي صدرك، تبدأ في مراقبته. تمنع نفسك من إخفاء السوء. تطهر قلبك من الخباثت. هذه هي أعلى درجات الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه.

ثالثاً: المكذبون لن يفلتوا

المكذبون الذين تحدوا النبي واستعجلوا العذاب، يظنون أنهم بمكرهم وخبثهم سيفلتون. الآية تقول: الله يعلم ما تخفي صدورهم. لا يفلتون. كل خبيثة في صدورهم مسجلة.

رابعاً: الطمأنينة للمؤمن

المؤمن قد يتأذى من مكر الناس وكيدهم. هذه الآية تطمئنه: الله يعلم ما يخفونه. لا يضيع حقاك. لا يخفى عليه ظلمهم. وهو المجازي.

ثانياً: الآية 75 – وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ

"ما من": أسلوب النفي العام

"ما" نافية، و"من" زائدة للتوكيد. هذا الأسلوب يفيد نفي كل شيء. كأنه يقول: لا توجد أي غائبة في السماوات والأرض، مهما كانت، إلا وهي مسجلة.

الغائبة: كل ما غاب

الغائبة مصدر بمعنى اسم المفعول، أو صفة بمعنى الشيء الغائب. وكل ما غاب عن أعين البشر فهو غائبة. أنواع الغائبة:

- ما غاب في السماوات: من كواكب وأجرام وأحداث.
- ما غاب في الأرض: من معادن وكنوز وأموات.
- ما غاب في الزمن: من ماضٍ ومستقبل.
- ما غاب في الصدور: من نيات وأسرار – وهذا ما ذكر في الآية السابقة.

اللمسة البيانية:

استخدام "غائبة" – صيغة مفرد مؤنث – يفيد العموم. كل غائبة، مهما كثرت، داخلية تحت هذا النفي.

في السماء والأرض

تغطية كل الوجود

السماء والأرض هما كل الوجود المرئي وغير المرئي. ما في السماوات من عوالم عليا، وما في الأرض من عوالم سفلى. كل ما فيهما من غائب – الله أحاط به علمًا.

إلا في كتاب مبین

الاستثناء: لا يخرج شيء عن العلم

"إلا" تفيد الحصر. كل غائبة في الكون لا تخرج عن كونها مسجلة في كتاب مبین.

الكتاب المبین: ما هو؟

• لوح محفوظ: الكتاب الذي كتب فيه كل شيء قبل أن يكون.

• علم الله الأزلي: إحاطته بكل شيء.
• السجل الإلهي: الذي تسجل فيه الأعمال والأقوال والنيات.

المبين: الواضح البين

"مبين" صفة للكتاب، أي أنه واضح لا لبس فيه، بين لكل من أراد الاطلاع. ليس كتابًا مشوهًا أو مبهمًا. هو كتاب واضح، مسطور، محفوظ.

ما تعلمه هذه الآية

أولا : لا شيء يضيع

كل شيء مسجل. كل نية، كل خاطرة، كل عمل صغير أو كبير. لا شيء يضيع. هذا يذكرك بأن الله لن يضيع حقه، ولن يهمل عمله.

ثانيًا: الدقة الإلهية

الآية تعلمك أن الله لا يغفل عن شيء. لا غائبة في الكون إلا وهي في كتاب مبين. هذا يهيبك أن تأخذ حياتك بجدية. كل خطوة، كل كلمة، كل فكرة - مسجلة.

ثالثًا: الرقيب العظيم

أنت أمام رقيب عظيم. لا تخف شيئًا عن الله. لا تغب عن علمه. لا تحسب أن شيئًا يخفى عليه. هذا يردعك عن المعصية، ويحفزك على الطاعة.

رابعًا: الطمأنينة في ضبط الكون

عندما تعلم أن كل شيء في كتاب مبين، تطمئن. ليس هناك فوضى. ليس هناك إهمال. الكون كله مضبوط. كل شيء بمقدار. وهذا يريح قلبك.

***رحلة الخفايا والغائبات: من الصدر إلى الكون

هاتان الآيتان تأخذانك في رحلة متكاملة من غيب الصدر إلى غيب الكون:

المرحلة الأولى: غيب الصدر

تبدأ بما هو أقرب إليك: صدرك. ما تخفيه. ما تكتمه. ما لا يطلع عليه أحد. الله يعلمه. هذا هو أول مستوى: أن تعلم أن الله مطلع على خفاياك.

المرحلة الثانية: غيب الكون

ثم تنتقل إلى غيب الكون كله. كل ما غاب عنك في السماوات والأرض. كل ما هو بعيد. كل ما هو خفي. الله يعلمه. وهذا هو المستوى الثاني: أن تعلم أن الله محيط بكل شيء.

المرحلة الثالثة: الكتاب المبين

ثم تصل إلى أن كل هذا الغيب - غيب الصدور وغيب الكون - مسجل في كتاب مبين. ليس مجرد علم، بل تسجيل. ليس مجرد إحاطة، بل ضبط. وهذا هو المستوى الثالث: أن تعلم أن كل شيء محصى.

***لماذا تسمى آية علم الغيب والكتاب المبين؟

تسمى آية علم الغيب لأنها تثبت أن الله يعلم ما تخفي الصدور. وتسمى آية الكتاب المبين لأنها تثبت أن كل غائبة في الكون مسجلة في كتاب واضح محفوظ. وهما معاً يؤسسان لعقيدة الرقابة الإلهية الشاملة.

**أهم الدروس والتوجيهات

1. راجع ما تخفيه في صدرك

كل يوم، اجلس مع نفسك. ما الذي تخفيه في صدرك؟ حقداً على أحد؟ حسداً لنعمة؟ خطة خبيثة؟ نية سيئة؟ تذكر: الله يعلم ما تخفي صدرك. لا تجعل صدرك وعاءاً للشر. طهره.

التطبيق العملي: اجعل لك وقتاً يومياً لمراجعة القلب. اسأل نفسك: ما الذي أخفيه؟ هل هو مما يرضي الله؟ إن كان لا يرضيه، فاخله من صدرك.

2. استحضر مراقبة الله في كل لحظة

أعلى درجات الإيمان أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. استحضر أن الله يعلم ما تخفي صدرك. هذا الاستحضر يمنعك من المعصية، ويحفزك على الطاعة.

التطبيق العملي: قبل أن تفعل شيئاً، تذكر: الله يعلم ما أخفي. هل سأفعل هذا وأنا أعلم أنه يراني؟

3. لا تظن أن شيئًا يضيع.

قد تخفى عن الناس نياتك الحسنة، وقد لا يرون أعمالك الصالحة. قد لا يشكرونك، وقد لا يعترفون بفضلك. تذكر: كل شيء في كتاب مبین. لا يضيع عند الله شيء.

التطبيق العملي: إذا أحسنت إلى أحد فلم يشكرك، لا تحزن. عملك مسجل عند الله. إذا أخلصت في عملك فلم يره الناس، لا تهمل. الله يراه وسيجزيك.

4. احذر من إخفاء السوء.

قد تظن أنك تخفي نفاقك، أو تخفي كفرك، أو تخفي خبثك. تذكر: الله يعلم ما تخفي صدرك. لا ينفك إخفاؤك عن الناس إذا كان الله يعلمه.

التطبيق العملي: لا تكن منافقًا. لا تخف في صدرك ما يخالف ما تظهر. اجعل سرك وعلتك واحدًا لله.

5. الكتاب المبین: رصيدك عند الله.

كل عمل تعلمه، كل كلمة تقولها، كل نية تخفيها – كلها في كتاب مبین. هذا الكتاب هو رصيدك عند الله. إما أن يكون رصيد حسنات، وإما أن يكون رصيد سيئات.

التطبيق العملي: اجعل همك أن يكون رصيدك في الكتاب المبین مليئًا بالحسنات. لا تمر عليك لحظة إلا وتعمل فيها ما يكتب لك خيرًا.

**المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة "ما تخفي صدورهم": سر القوة النفسية

عندما تعلم أن الله يعلم خفاياك، تتحرر من قلق التصنع. لا تحتاج أن تخفي شيئًا عن الله. لا تحتاج أن تتظاهر أمامه. هذا يريحك. أنت أمام من يعلم حقيقتك، ويقبلك معها، ويرحمك، ويساعدك على التغيير.

فلسفة "الغائبة": لا شيء مهمل

الغائبة هي ما غاب عنك. قد تغيب عنك أشياء كثيرة. قد تخاف مما هو غائب. قد تقلق مما لا تراه. هذه الآية تطمئنك: كل غائبة في كتاب مبين. ليس هناك شيء خارج الضبط. ثق بأن الله ضابط كل شيء.

فلسفة "الكتاب المبين": المسؤولية الكاملة

الكتاب المبين يعني أن كل شيء مسجل. هذا يضعك في موقع المسؤولية الكاملة. لا يمكنك أن تقول: لم أفعل، أو لم أعلم. كل شيء مسجل. أنت مسؤول عن كل خاطرة، كل كلمة، كل فعل. هذه المسؤولية ترفع من جديتك في الحياة.

**رسالة التثبيت: أنت مراقب ولكنك مرعيّ

قد تشعر أحيانًا بالرهبة من أن الله يعلم كل ما تخفيه. تخاف أن يكون في صدرك ما لا يرضيه. هذه الآية تذكرك: إن ربك لذو فضل على الناس. نعم، يعلم خفاياك. لكنه أيضًا ربك. يربيك. يراكم. يغفر لك. فلا تيأس من رحمته.

رسالة التثبيت: الله يعلم ما تخفي صدرك. يعلم زلاتك. يعلم هفواتك. لكنه أيضًا يعلم توبتك. يعلم ندمك. يعلم رجوعك إليه. وهو الذي كتب على نفسه الرحمة. فاطمئن.

***كيف نعيش هاتين الآيتين؟

1. في مراجعة القلب:

اجعل كل يوم مراجعة لقلبك. ما الذي أخفيته اليوم؟ هل كان خيرًا أم شرًا؟ إن كان خيرًا، فاحمد الله. وإن كان شرًا، فتاب إليه. تذكر أن الله يعلم.

2. في الإخلاص:

عندما تعمل عملاً صالحًا، تذكر: الله يعلم ما أخفي. لا تحتاج أن يراك الناس. الله يراك وهو كاف. أخلص العمل له.

3. في التعامل مع الناس:

عندما تخفي عن الناس شيئًا، تذكر: الله يعلم. لا تخف ما يسخط الله. ولا تخف ما يضر غيرك. اخف ما يرضي الله.

4. في الشدائد:

عندما تمر بأزمة، وتغيب عنك الأسباب، تذكر: كل غائبة في كتاب مبين. لا شيء خارج عن علم الله. ثق بأن الله يدبر أمرك.

5. في التوبة:

عندما تذنّب، وتخفي ذنبك عن الناس، تذكر: الله يعلم ما تخفي صدرك. لكنه أيضًا يقبل التوبة. تب إليه. أظهر ندمك له. فهو الذي يعلم ويعفو.

**خاتمة: آية الرقابة والطمأنينة

هاتان الآيتان تجمعان بين الرقابة والطمأنينة. الأولى: الله يعلم ما تخفي صدورهم. هذه رقابة تردع عن الشر. الثانية: كل غائبة في كتاب مبين. هذه طمأنينة بأن كل شيء مضبوط، لا فوضى، لا إهمال.

القسم الثالث

المبحث الأول

آية القضاء والهدى والرحمة: رحلة في كمال الكتاب الإلهي

قال الله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨)

تمهيد: مشهد الكتاب الذي يفصل الخصومات

تخيل معي مشهدًا عظيمًا. بنو إسرائيل—أمة الأنبياء والكتب—تفرقت بهم السبل. كل فريق يدعي أنه على الحق، وكل طائفة تزعم أنها وحدها التي تملك الحقيقة. اختلافاتهم امتدت في العقائد، في الشرائع، في تأويل الكتب، في تحديد القبلة، في صفات الله، في مصير الأنبياء. قرون من الجدل والعناد، وكل فريق يرى أن الآخر ضال.

ثم نزل هذا القرآن. كتاب جديد، في أمة جديدة، بلغة جديدة. لكنه—بأعجوبة—جاء ليقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون. جاء ليحسم الجدل الذي استمر قرونًا. جاء ليكون الفيصل بينهم فيما تنازعوا.

ثم تتسع الرؤية: هذا القرآن ليس فقط لبني إسرائيل. إنه هدى ورحمة للمؤمنين. لكل من آمن به من أي أمة، ومن أي زمان. هو النور الذي يضيء الطريق، والرحمة التي تمشح الجراح.

ثم تتوج الآيات بحقيقة كونية: إن ربك يقضي بينهم بحكمه. وهو العزيز الذي لا يغالب، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. يوم القيامة سيفصل بينهم جميعًا. وحكمه هو الحق المطلق.

هذه الآيات الثلاث تأخذك في رحلة عظيمة: من قصة القرآن مع بني إسرائيل، إلى رسالته العالمية للمؤمنين، إلى الحكم الإلهي النهائي بين جميع الخلائق. إنها تربك عظمة هذا الكتاب، وكمال هذه الرسالة، وعدالة هذا الرب.

أولا ٧٦: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

الإشارة إلى القرآن بـ "هذا"

الله ينزل القرآن، ثم يشير إليه بـ "هذا". كأنه يضعه أمام أعينهم، ويقول: انظروا إلى هذا الكتاب. إنه ليس كغيره. إنه الكتاب الفاصل.

القرآن: اسم لكتاب الله

القرآن اسم لكتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. اسمه يدل على جمعه لمعاني الكتب السابقة، وعلى تلاوته التي لا تنقطع.

يَقْصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ

القص: التتبع والبيان

القص في اللغة: هو تتبع الشيء والكشف عنه. القصص القرآني ليس مجرد سرد، بل هو بيان للحقائق، وكشف لما خفي.

بنو إسرائيل: الأمة السابقة

لماذا خص بني إسرائيل؟ لأنهم أمة الكتاب. لديهم توراة وإنجيل. لديهم تراث نبوي. لديهم تاريخ طويل من الاختلاف. القرآن جاء ليصحح لهم ما حرفوا، وليبين لهم ما خفى عليهم.

أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

أكثر: وليس كل شيء

القرآن يقص عليهم أكثر الذي يختلفون فيه، وليس كل شيء. بعض الاختلافات كانت قضايا فرعية لا تتعلق بأصول الدين. لكن أكثرها—أي معظمها—جاء القرآن ليبين الحق فيها.

الذي هم فيه يختلفون

الاختلاف بين بني إسرائيل كان عظيمًا. اختلفوا في:

. صفات الله: هل له جسم؟ هل يرى؟ اليهود وقعوا في التجسيم.

- الأنبياء: هل يعصمون؟ هل يخطئون؟
- الشرائع: أحكام التوراة التي حرّفوها.
- المسيح: هل هو ابن الله؟ هل هو نبي؟
- القبلة: أين يتجهون في الصلاة؟
- المصير: الجنة والنار، من يدخلها؟

القرآن جاء ليبين الحق في كل هذه القضايا.

ما تعلمه هذه الآية

أولاً: القرآن هو الحكم بين المختلفين

عندما تختلف الناس في أمور الدين، القرآن هو الفيصل. ليس رأي فلان، ولا تراث فلان. القرآن يقص الحق. ارجع إليه تجد الجواب.

ثانياً: القرآن صحح ما حرّف

بنو إسرائيل حرفوا كتبهم. القرآن جاء مصدقاً لما بين يديه، ومهيماً عليه. يصدق ما وافق الحق، ويبيّن ما حرفوه. هذا من عظمة القرآن.

ثالثاً: الاختلاف ليس جديداً

بنو إسرائيل اختلفوا قبلنا. الاختلاف سنة بشرية. لكن الله لم يتركهم بلا بيان. أنزل القرآن ليقطع الاختلاف. ف الحمد لله أن جعل لنا كتاباً يفصل الخصومات.

رابعاً: أكثر الاختلافات لها إجابة في القرآن

إذا بحثت عن أكثر القضايا التي يختلف فيها الناس اليوم، ستجد أن القرآن قد أشار إليها أو أصل لها أو قرر فيها. القرآن ليس مجرد كتاب عبادة، بل هو كتاب حل للخلافات.

ثانياً: الآية 77 – وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ

وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً

الهدى: البصيرة والدليل

الهدى هو الإرشاد إلى الطريق المستقيم. القرآن يهدي المؤمنين إلى:

- معرفة الله: أسماؤه وصفاته.
- معرفة الطريق: كيف يعبدون الله.
- معرفة الغيب: ما بعد الموت.
- معرفة الحياة: كيف يعيشون في الدنيا.

الرحمة: العطف والإحسان

القرآن رحمة للمؤمنين. يرحمهم من:

- الضلال: يخرجهم من الظلمات إلى النور.
- العذاب: يهديهم إلى ما ينجيهم.
- القسوة: يلين قلوبهم.
- الوحدة: يجمع كلمتهم.

اللمسة البيانية:

جمع الهدى والرحمة معًا. الهدى هو العلم، والرحمة هي العمل. الهدى يبين الطريق، والرحمة تعين على سلوكه. القرآن يهديك ويرحمك في آن واحد.

لِلْمُؤْمِنِينَ

تخصيص المؤمنين بالهدى والرحمة

القرآن هدى ورحمة للمؤمنين خاصة. أما الكافرون، فهو عليهم عمى وحسرة. ليس لأن القرآن ناقص، بل لأنهم لم ينتفعوا به. الشمس تنير لمن فتح عينيه، وتحرق لمن أغمضها.

لماذا خص المؤمنين؟

لأنهم هم الذين آمنوا به، واتبعوه، واستجابوا له. فكان لهم هدى في قلوبهم، ورحمة في حياتهم. أما غيرهم، فلم ينتفعوا.

**ما تعلمه هذه الآية

أولا : القرآن نعمة عظيمة للمؤمن

إذا كنت مؤمناً، فاعلم أن القرآن هو أعظم نعمة أنعم الله بها عليك. يهديك في حيرتك، ويرحمك في ضعفك. لا تغفل عن شكره.

ثانياً: الهدى يسبق الرحمة

القرآن يهديك أولاً ، ثم يرحمك. الهدى هو الطريق، والرحمة هي العون على السير. لا تطلب الرحمة قبل الهدى. اتبع الهدى تجد الرحمة.

ثالثاً: الإيمان شرط الانتفاع

القرآن مفتوح للجميع، لكن الانتفاع به مشروط بالإيمان. المؤمن يجد فيه الهدى والرحمة. والكافر يجد فيه حجة عليه. اجعل إيمانك قوياً لتنتفع بالقرآن.

رابعاً: القرآن دستور الحياة

الهدى والرحمة في القرآن ليسا للعبادة فقط، بل للحياة كلها. في القرآن هدى لاقتصادك، وهدى لعلاقاتك، وهدى لتربيتك، وهدى لسياساتك. اقرأه لتجده.

ثالثاً: الآية 78 – إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ

ربك: الإضافة إلى النبي تشریف وتثبيت

الله يخاطب نبيه: إن ربك—الذي رباكم ونصركم—هو الذي سيقضي بينهم. فيه تثبيت للنبي، وفيها تذكير بأن الله هو الحكم.

يقضي بينهم: الفصل النهائي

القضاء هنا هو الفصل النهائي. في الدنيا، القرآن يقص عليهم الحق. لكن الاختلاف قد يستمر رغم البيان. فالله سيقضي بينهم يوم القيامة بحكمه العادل.

من هم "بينهم"؟

بين بني إسرائيل الذين اختلفوا. وبين المؤمنين والكافرين. وبين جميع الخلائق. يوم القيامة، يحسم الله كل خ

لاف.

بحكمه

بحكمه: عدله وعلمه

حكم الله هو الحق المطلق. لا ظلم فيه، ولا جور. يحكم بعلمه الذي لا يخطئ، وعدله الذي لا يميل.

اللمسة البيانية:

الباء في "بحكمه" للاستعانة أو المصاحبة. أي يقضي بينهم ملتبسًا بحكمه، أو مستعينًا بحكمه. حكمه هو الأداة التي يقضي بها.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ

العزیز: الذي لا يغالب

العزیز هو القوي الذي لا يقهر، والمنيع الذي لا يُنال. لا أحد يستطيع أن يعترض على حكمه، أو يرد قضاءه. هو العزیز الذي إذا حكم، نفذ حكمه.

العلیم: الذي لا يخفى عليه شيء

العلیم هو المحيط بكل شيء. يعلم ما في صدورهم. يعلم ما أسروا وما أعلنوا. يعلم من كان محققًا ومن كان مبطلًا. فلا يحتاج إلى بينة، ولا إلى شاهد.

الجمع بين العزة والعلم

العزیز لا يغالب، والعلیم لا يجهل. فحكمه نافذ لا يرد، وصائب لا يخطئ. هذا هو الحكم المطلق الذي لا يُستأنف عليه، ولا يُطعن فيه.

ما تعلمه هذه الآية

أولا: لا تعجل على حكم الله

الناس يختلفون، وقد يطول الاختلاف. لا تحزن. إن ربك سيقضي بينهم بحكمه. يوم القيامة سينكشف كل شيء.

ثانيًا: حكم الله عادل لا ظلم فيه

قد تشعر أحيانًا أن الظالمين يفلتون. تذكر: الله يقضي بينهم بحكمه. وهو العزيز العليم. لا يفلت ظالم، ولا يضيع حق.

ثالثًا: العزة والعلم صفتان متلازمتان

عزة الله ليست عزة جاهل، بل عزة عليم. يعلم كل شيء، ثم يحكم. فلا يظلم أحدًا، ولا يفوته شيء.

رابعًا: تثبيت النبي والمؤمنين

الآية تثبت النبي: لا تحزن على اختلافهم. إن ربك سيقضي بينهم. وتثبت المؤمنين: لا تحزنوا على ظلم الظالمين. الحكم لله يوم الدين.

****رحلة القرآن والحكم: من القص إلى القضاء**

هذه الآيات الثلاث تأخذك في رحلة متكاملة من وظيفة القرآن في الدنيا إلى حكم الله في الآخرة:

المرحلة الأولى: قص القرآن (الآية 76)

القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر ما اختلفوا فيه. هذه وظيفته في الدنيا: أن يكون الفيصل، والمبين، و المصحح.

المرحلة الثانية: هدى ورحمة القرآن (الآية 77)

القرآن ليس فقط قاصًا للأخبار، بل هو هدى ورحمة للمؤمنين. يهدي قلوبهم، ويرحم ضعفهم. هذه هي ثمرة الإيمان به.

المرحلة الثالثة: حكم الله النهائي (الآية 78)

رغم وضوح القرآن، قد يصر المكذبون على خلافهم. هنا يأتي دور الله: سيقضي بينهم بحكمه يوم القيامة. وهو العزيز العليم.

****لماذا تسمى آيات القضاء والهدى والرحمة؟**

تسمى آيات القضاء لأنها تثبت أن القرآن يقص الحق، وأن الله يقضي بين الخلائق. وتسمى آيات الهدى والرحمة لأنها تثبت أن القرآن هدى ورحمة للمؤمنين. وهي معًا تثبت كمال القرآن وعدالة الله.

****أهم الدروس والتوجيهات**

1. اجعل القرآن هو الحكم بينك وبين المختلفين.

عندما تختلف مع أحد في أمر ديني، لا تحتكم إلى رأيك، ولا إلى رأيه. احتكموا إلى القرآن. إنه يقص الحق.

فإذا وجدت فيه ما يقطع الخلاف، فاستجب له.

التطبيق العملي: في أي خلاف ديني، ابحث في القرآن أولاً . اجعله هو الفيصل. لا تعصب لرأي، ولا لتقليد.

2.القرآن ليس قصصًا فقط، بل هدى ورحمة

لا تتعامل مع القرآن ككتاب قصص فقط. هو هدى ورحمة. اقرأه لتسترشد به. اقرأه لتجد رحمة لقلبك. اقرأه ليغير حياتك.

التطبيق العملي: عند قراءة القرآن، اسأل نفسك: ما الهدى في هذه الآية؟ ما الرحمة التي أجدها؟ لا تمر عليها مرورًا عابرًا.

3.الإيمان شرط الانتفاع بالقرآن

القرآن هدى ورحمة للمؤمنين. لا يمكن أن تنتفع به دون إيمان. إيمانك بالله، وبالرسول، وبالكتاب، هو الذي يفتح قلبك لتلقي هداه ورحمته.

التطبيق العملي: جدد إيمانك كل يوم. اجعل قلبك مفتوحًا للقرآن. لا تقراه وأنت غافل.

4.لا تعجل على حكم الله

قد تشعر أحيانًا أن الظالمين ينتصرون، وأن الحق لا يظهر. تذكر: إن ربك يقضي بينهم بحكمه. يوم القيامة سينصفك الله. فلا تعجل.

التطبيق العملي: عندما تظلم، قل: حسبي الله. سيقضي بيني وبينهم بحكمه. لا تشغل نفسك بالانتقام.

5.ثق بأن حكم الله عادل لا يرد

الله هو العزيز العليم. حكمه لا يُرد، وعلمه لا يخطئ. فلا تخف من ظلم الخلق. الحكم لله يوم الدين. وهو

العزیز الذی لا یغالب.

التطبیق العملي: إذا شعرت بالخوف من ظالم، تذكر: الله عزیز. لا یقدر أحد علی رد حکمه. ثق به.

***المفاهیم العملية: الانتقال من الفهم إلی التمکین النفسي

فلسفة "یقص": القرآن یكشف ما خفي

القص فی القرآن لیس مجرد حکایة. هو كشف لما خفي عن الناس. یخبرک بما جرى بین بني إسرائيل من اختلا فات، ویبین لك الحق فیها. هذا یعطیک یقینًا بأن القرآن من عند الله، لأنه یعلم ما لا تعلم.

فلسفة "هدی ورحمة": القرآن یبصر ویطمئن

الهدی یبصرک بالطریق. الرحمة تطمئن قلبک أثناء السیر. القرآن لا یترکک فی حیرة، ولا یترکک وحدک. یتهدیک ویرحمک. هذا هو أعظم ما یحتاجه الإنسان فی حیاته.

فلسفة "یقضي بینهم": تأجیل الحکم إلی الوقت المناسب

لیس کل خلاف یُحسم فی دنیا. بعض الأمور تترك لیوم القیامة. هذا لا یعني إهمالا ، بل یعني أن هناك وقتًا لكل شیء. ثق بأن الله سیقضي بینهم فی الوقت الذی یلیق بحکمه.

فلسفة "العزیز العلیم": الأمان من ظلم الحکم

أن تحکم بین الناس، وأنت عزیز لا تغلب، وعلیم لا تجهل—هذا هو الحکم المثالی. حکم الله هو هذا. فلا تخف من ظلم أحد. فالله هو الحکم الأعلى، وهو العزیز العلیم.

**رسالة التثبیت: القرآن كاف، والله ناصر

قد تمر فی حیاتک بخلافات مع الناس—فی الدین، فی الحقوق، فی المواقف. قد تشعر أنك وحدک، وأن الحقیقة لا تظهر. تذكر هذه الآیات: القرآن یقص الحق. اقرأه تجد الهدی والرحمة. والله سیقضي بینهم بحکمه. فلا تحزن، ولا تخف.

رسالة التثبیت: القرآن كاف لیكون هداک ورحمتک. والله كاف لیكون حکمک وناصرک. لا تلتفت إلی من یختلفون، ولا تخف من ظلمهم. إن ربک یقضي بینهم بحکمه. وهو العزیز العلیم.

**کیف نعیش هذه الآیات؟

1. فی القراءة:

عندما تقرأ القرآن، استشعر أنه يقص الحق. لا تقرأه كقص للتسلية. اقرأه لتستبين الحق فيما تختلف فيه.

2. في الاختلاف:

عندما تختلف مع أحد، ارجع إلى القرآن. لا ترجع إلى الأهواء، ولا إلى التقليد. القرآن هو الفيصل.

3. في الاسترشاد:

اسأل القرآن كل يوم: ما هداك لي اليوم؟ ما رحمتك التي أريد أن أنالها؟ اجعل القرآن مرشدك.

4. في الظلم:

عندما تظلم، تذكر: الله سيقضي بيني وبينهم. لا تحاول أن تنتقم بنفسك. ثق بحكم الله.

5. في القوة:

عندما تخاف من ظالم، تذكر: الله عزيز. لا أحد يغلبه. ثق بأنه سينصرك.

**خاتمة: آية تثبت القرآن وتطمئن القلب

هذه الآيات الثلاث تجمع بين عظمة القرآن وعدالة الله. القرآن يقص الحق، ويهدي المؤمنين، ويرحمهم. والله يقضي بين الخلائق بحكمه العزيز العليم. هذا هو دين الله: كتاب يهدي، ورب يقضي.

المبحث الثاني

نختم هذه السلسلة النورانية من سورة النمل بالوصول إلى "مقام الاستقرار" و"ذروة اليقين". فبعد أن طوّقت بنا الآيات في أعماق النفس (الاضطرار)، وآفاق الكون (الهداية والرزق)، وحدود المعرفة (الغيب)، تأتي الآية 79 لتضع لقلبك "المرساة" التي لا تهتز أمام أمواج الحياة.

يقول الله تعالى: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ}.

1. تحليل فقرات الآية ودلالاتها البيانية والبلاغية

(فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)

* اللمسة البيانية: بدأت الآية بحرف "الفاء" (الفاء الفصيحة)، وهي تأتي هنا كـ "نتيجة حتمية" لكل ما سبق. كأن المعنى: "بما أن الله هو الذي يجيب مضطرك، ويهديك في ظلماتك، ويرزقك من سمائك وأرضك، ويعلم غيبك.. فـ ليس أمامك إلا أن تتوكل عليه وحده".

* الدلالة الوجدانية: التوكل ليس استسلاماً سلبياً، بل هو "تفويض القوة". هو أن تضع ثقلك كله على ركن شديد. الفعل جاء بصيغة الأمر (توكل) ليكون دستوراً يومياً للحركة والحياة.

(إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ)

* اللمسة البلاغية: استخدام "إن" المؤكدة، ووصف الحق بـ "المبين" (أي الظاهر الواضح الذي لا غبار عليه).

* الرسالة: هذا هو "وقود التوكل". لا يمكن لإنسان أن يتوكل حق التوكل وهو شك في طريقه. الله يطمئن قلبك: "ما دمت متبعاً لمنهجى، فأنت لست على حق فحسب، بل على حق أبلج يطرد الظلام".

2. لماذا هي آية "الحسم والسكينة"؟

* الحسم: لأنها تقطع التردد. الإنسان المتردد لا يبني حضارة، والقلب المتذبذب لا يغير واقعاً. الآية تحسم وجهتك: "وجهتك الله، ومنهجك الحق".

* السكينة: هي الثمرة الطبيعية للتوكل. عندما تدرك أنك مؤيد بالحق المبين، تسكن جوارحك من القلق، ويبرد لهيب خوفك من المستقبل.

3. التوكل وبناء "الإنسان والمجتمع والحضارة" (التنمية والبناء)

هذه الآية هي المحرك "التوريبي" لمنظومة التنمية التي تتبناها:

* بناء الإنسان (الشجاعة والمبادرة):

* الإنسان "المتوكل" هو إنسان "مبادر". هو لا يخشى الفشل لأنه يعلم أن عليه السعي (باعتباره خليفة) وعلى الله النتائج.

* التوكل يمنحك "الحصانة النفسية" ضد الإحباط. إذا تعذرت، تقول: "حسبي الله"، وتنهض من جديد لأنك "على الحق".

* بناء المجتمع (التماسك والريادة):

* المجتمع الذي شعاره "التوكل" هو مجتمع يرفض التبعية المهينة لغير الله. هو مجتمع يثق بقدراته المستمدة من توفيقه تعالى.

* عندما يجتمع "الحق المبين" مع "التوكل الصادق"، يولد مجتمع قيادي يقود الأمم بالعدل لا بالسيطرة.

* الحضارة الإسلامية (الاستدامة والقوة):

* الحضارة التي تقوم على "الحق" هي حضارة أخلاقية. والحضارة التي تقوم على "التوكل" هي حضارة قوية عسكرياً وعلمياً واقتصادياً؛ لأنها لا تهاب الصعاب وتعتبر التحديات مجرد "اختبارات يقين".

4. الدروس العملية والمفاهيم التطبيقية (كيف نعيشها؟)

* مفهوم "الحق المبين" في عملك: بصفتك باحثاً أو قانونياً أو بانياً، اجعل معيارك هو "الحق". لا تداهن ولا تضلل، فالحق هو الذي يمنحك مشروعية التوكل.

* علاج التردد: في حياتك العملية، ادرس الأسباب (كما في آية 63)، ثم اتخذ القرار وفوض الأمر (كما في آية

79). هذا هو التوازن الحضاري.

* التوكل كطاقة بناء: لا تجعل التوكل كلمة باللسان، بل اجعله "حالة قلبية" تدفعك للعمل في أصعب الظروف، يقيناً بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

رسالة تخاطب أعماقك (كن أنت المخاطب)

أيها الساعي في دروب الحياة.. يا من أثقلت كاهله المسؤوليات:

تخيل أن ملك الملوك يقول لك الآن بصفة خاصة: "لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ، لا تخشَ كيد كائد ولا تدبير حاقد.. توكل عليّ أنا، فأنا الذي خلقتك واستخلفتك. أنت لست على باهن أو وهم، أنت على الحق المبين".

هل تشعر بهذا المدد الذي يسري في عروقك؟ هل تبخرت مخاوفك؟

قم الآن.. بقلب "المضطر" الذي أجيب، وبعقل "المهتدي" الذي استبصر، وبيان "المستخلف" الذي عزم. ابن نفسك، وأصلح مجتمعك، وساهم في نهضة حضارتك.. وأنت تردد بيقين: "حسبي الله ونعم الوكيل"

المبحث الثالث

.تصل بنا الرحلة في سورة النمل إلى محطة "التشخيص النفسي والدعوي"؛ فبعد أن وضع الله في يدك مرسة التوكل في الآية السابقة، يأتي الآن ليوضح لك طبيعة "المتلقي" وعوائق الاستجابة، لكي لا يستهلك "الخليقة" طاقته في محاولة إحياء من اختار الموت المعنوي لنفسه، بل يركز جهده على "القلب الحي".

يقول الله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَوَلَّا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ ^ط إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ}.

1. تحليل فقرات الآيات ودلالاتها البيانية والبلاغية

(إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ)

* اللمسة البلاغية: استعارة تمثيلية مذهلة؛ حيث شبه الكافر أو المعاند بـ "الميت". الميت تعطلت حواسه عن إدراك عالم الأحياء، وكذلك المعاند تعطلت بصيرته عن إدراك أنوار الوحي.

* الدلالة الوجدانية: الحياة في المنظور القرآني ليست "نفساً يتردد"، بل هي "استجابة للحق". من انغلق قلبه تماماً عن رؤية آيات الله (آية 62-64) فقد دخل في حالة "موت شعوري"، والخطاب هنا يحركك من لوم نفسك إذا لم يستجب لك البعض.

(وَلَّا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ)

* اللمسة البيانية: لم يكتف بوصفهم بـ "الصمم" (وهو عجز الأذن)، بل أضاف "إذا ولّوا مُدْبِرِينَ". الأصم قد يفهم بالإشارة إذا واجهك، لكنه إذا أعطاك ظهره وولى مدبراً، فقد انقطعت كل سبل التواصل معه.

* الرسالة: هناك نوع من الناس يمارس "الإعراض النشط"؛ فهو يهرب من الحقيقة عمداً لكي لا تصله.

(وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ)

* الدلالة: العمى هنا هو "عمى القلب" (فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور). الآية تؤكد أن الهداية "توفيق إلهي" يسبقه "استعداد بشري".

(إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ)

* اللمسة البلاغية: أسلوب حصر (إن... إلخ). السماع الحقيقي هو "سماع الاستجابة".

* المفهوم العملي: "المسلمون" هنا هم المستسلمون للحق، المنقادون للفطرة، الذين إذا رأوا برهاناً (آية 64) خضعوا له. هؤلاء هم مادة بناء الحضارة.

2. لماذا هي آيات "التوجيه والفرز"؟

* التوجيه: توجه القائد أو المصلح أو "ال خليفة" إلى أين يضع جهده. لا تستهلك طاقتك في "الصياح" عند القبور (الموتى معنوياً)، بل ابحث عن "الأحياء" لتبني معهم.

* الفرز: تفرز المجتمع إلى فئات؛ لتدرك أن العائق أمام التنمية ليس دائماً "نقص الموارد"، بل أحياناً يكون "موت القلوب" وعناد العقول.

3. دور هذه المفاهيم في بناء "الإنسان والمجتمع والحضارة"

* بناء الإنسان (الوعي والفاعلية):

* الإنسان الذي يقرأ هذه الآيات يحرص أن يكون "حيّاً، سميعاً، بصيراً". يخشى على نفسه من "موت القلب" الذي يأتي من كثرة الإعراض عن الحق.

* تعلمك الآية "أدب الاستماع"؛ فالإنسان المتحضر هو من يفتح منافذ روحه لاستقبال الحقيقة، لا من يولي مدبراً.

* بناء المجتمع (انتقاء الكفاءات):

* في مشروع "التنمية والبناء"، المجتمع الناجح هو الذي يضع "الأحياء" (أصحاب العقول المتفتحة و المبادرة) في المقدمة.

* مواجهة "الجهل النشط" (الصمم والعمى الاختياري) في المجتمع من خلال التعليم والتوعية لإحياء القلوب الميتة.

* الحضارة الإسلامية (فلسفة الرسالة):

* الحضارة الإسلامية حضارة "إقناع لا إكراه". "إن تُسمعْ إلّا مَنْ يُؤْمِنُ"؛ أي أننا نقدم الحق، فمن استجاب فقد أحيا نفسه، ومن أعرض فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. هذا يبيّن حضارة تقوم على "الحرية الواعية" و المسؤولية الشخصية.

4. الدروس والمفاهيم العملية) التطبيق في حياتنا)

* فن التواصل: لا تلوم الآخرين دائماً على عدم الفهم، فربما هم في حالة "صمم نفسي". اختر الوقت والمناطق "الحبة" في نفوسهم لتخاطبهم.

* إدارة الطاقة النفسية: كقائد أو مربٍ أو قانوني، لا تحترق من أجل من قرر "الإدبار". وفر احتراقك لمن يملك "بقية من حياة" ليثمر جهدك.

* التطبيق الحضاري: التنمية تبدأ من "إسماع" الناس آيات الله في الكون والنفس (كما في الآيات السابقة 62-65). فإذا تحولت هذه المعارف إلى "إيمان" ثم "إسلام" (عمل وانقياد)، ولدت الحضارة.

رسالة تخاطب وجدانك (كأنك الموحى إليه)

أيها "المستخلف" الساعي للإصلاح.. لا يحزنك إعراض من أعرض، ولا برود من جمد.

الله يقول لك: "لقد قمت بواجبك، وأسمعت من به حياة. فلا تنشغل بمحاولة إحياء من اختار العدم، بل انشغل بتزكية من أقبل إليك بقلب سليم".

كن أنت "السميع البصير"؛ لا تغلق عينيك عن برهان، ولا أذنيك عن نصيحة. اجعل قلبك "مؤمنًا" (مصدقًا) وجوارحك "مسلمة" (عاملة)، لتكون أنت اللبنة الحية في بناء صرح الإسلام الشامخ.

هنا ندرك أن التوكل (آية 79) يتطلب وعياً بطبيعة الناس (آية 80-81)، لتمضي في طريق البناء برؤية واضحة ويقين راسخ.

المبحث الرابع

نصل الآن إلى واحدة من أكثر آيات سورة النمل إثارة للرهبنة والتدبر، وهي الآية التي تنقلنا من "عالم التوجيه والبيان" إلى "عالم الفصل والإنذار". فبعد أن شخصت الآيات السابقة (80-81) حالة "الموت المعنوي" و الصدود عن الحق، تأتي الآية 82 لتعلن اللحظة التي تنتهي فيها فرصة البيان البشري، ويبدأ فيها "البيان الإجازي الحاسم".

يقول الله تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ}.

1. تحليل فقرات الآية ودلالاتها البيانية والبلاغية

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ}

* اللمسة البيانية: "وقوع القول" تعبير بليغ عن حلول الوعد الإلهي بالعقوبة أو اقتراب الساعة حين لا ينفع نفساً إيمانها. هو اللحظة التي "تجب" فيها الكلمة الإلهية لفصل القضاء بعد استنفاد كل سبل الهداية البشرية.

* الدلالة الوجدانية: هي لحظة "إغلاق الملفات". عندما يطغى الصمم والعمى (كما في الآيات السابقة) وتفسد الفطرة، تأتي هذه اللحظة الفاصلة التي تنهي زمن الاختيار لتبدأ زمن الاضطرار.

{أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ}

* اللمسة البلاغية: هنا قمة المفارقة؛ فبينما كان الأنبياء (أرقى البشر عقولاً) يكلمونهم فلا يستجيبون، يُخرج الله لهم "دابة" (كائن غير ناطق أصلاً) لتكلمهم.

* الرسالة: هذا "إذلال معرفي" للمتكبرين. مَنْ لم يستمع لقول الوحي بلسان البشر، سيُجبر على الاستماع لقول الحق بلسان دابة من الأرض. إنها "آية خارقة" تأتي من عالم الطين لتشهد على فساد عالم الروح.

{أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ}

* الدلالة: "عدم اليقين" هو أصل العلة. لم يقل "لا يؤمنون" بل قال "لا يوقنون"؛ واليقين هو استقرار العلم في القلب وتصديقه بالعمل. الآية توضح أن المشكلة ليست في "نقص الأدلة" (فقد مررنا بآيات الرزق والكون و الغيب)، بل في "مرض القلوب" الذي يمنعها من الوصول لدرجة اليقين.

2. لماذا هي آية "الحسم والإنذار النهائي"؟

تسمى بذلك لأنها تضع الإنسان أمام الحقيقة العارية:

* الحسم: لا مجال للمراوغة بعد خروج الدابة.

* الإنذار: هي دعوة مبطنة لكل ذي قلب حي: "لا تنتظر حتى يقع القول وتخرج الدابة لتوقن، بل أوقن بآيات الله المبثوثة حولك الآن وأنت في زمن الاختيار".

3. "الدابة" وبناء "الإنسان والمجتمع والحضارة" (التنمية والبناء)

* بناء الإنسان (اليقظة المعرفية):

* تحذر الآية الإنسان من "التبليد القلبي". بناء الإنسان يبدأ من "تفعيل اليقين". الإنسان اليقظ هو من يرى الله في "البعوضة" وفي "المجرة"، فلا يحتاج لـ "دابة" لتوقظه.

* اليقين هو المحرك الفعلي للتنمية؛ فمن يوقن بالحساب يتقن العمل، ومن يوقن بالرزق (آية 64) يبدع في البناء.

* بناء المجتمع (مواجهة الفساد الفكري):

* المجتمع الذي يصل لحالة "عدم اليقين" الجمعي بآيات الله وبقيم الحق، هو مجتمع يتهالك داخلياً وينتظر "وقوع القول".

* دور المصلحين (الخلفاء) هو بث اليقين والقيم في عروق المجتمع لتأخير "وقوع القول" وتحويله لمجتمع بصير ومسمع (عكس آية 80).

* الحضارة الإسلامية (الارتباط بالمبدأ والمنتهى):

* الحضارة الإسلامية حضارة "غائية"؛ تؤمن أن لهذا الوجود نهاية وحساباً. هذا الإيمان يمنعها من الطغيان المادي الذي يعمي عن آيات الله.

* الوعي بـ "الساعة" وعلاماتها (كالدابة) يجعل التنمية متوازنة بين عمارة الدنيا والعمل للأخرة.

4. الدروس والمفاهيم العملية (التطبيق في حياتنا)

* صناعة اليقين: لا تتعامل مع آيات الله في الكون (الرياح، المطر، خلقك) كعادات رتيبة. ابحث عن "البرهان" في كل تفصيلا ليرتفع يقينك.

* استثمار زمن الاختيار: نحن الآن نعيش في زمن "البيان البشري" والوحي المسطور. التطبيق العملي هو المسارعة للبناء والإصلاح قبل أن "يقع القول" وتتعطل آلات العمل.

* الرسالة الحضارية: إن لم يستجب الناس لخطاب العقل والروح، فسنن الكون (الدابة هنا رمز للقدر الإلهي النافذ) ستحسم الأمر. فكن أنت صوت العقل والروح في مجتمعك.

رسالة تخاطب وجدانك (كأنك الموحى إليه)

أيها "المستخلف" في أرض الله..

انظر حولك، هل ترى كيف تتحدث الذرات والمجرات بلسان الحال عن عظمة الخالق؟ لا تنتظر "دابة الأرض" لتخبرك بما تعرفه فطرتك سلفاً.

الله يقول لك: "اجعل يقينك دافعك، ولا تكن من الذين غفلوا حتى دهمهم الأمر. أنت تملك الآن اللسان الناطق، والعقل الباحث، والوحي الهادي.. فلا تترك الأرض لغيرك يعبت بها، وكن ممن يوقنون بآياتي في كل لمحة ونفس".

بهذا الختام، تكتمل سلسلة سورة النمل التي بدأت بالاضطرار (النداء الخفي) وانتهت بوقوع القول (النداء الجلي)، لتبني فيك إنساناً متصلاً بـ الله، واعياً بالكون، وموقناً بالمصير.

المبحث الخامس

تصل بنا سورة النمل في هذه الآيات الثلاث إلى "المشهد الختامي" للمسار الذي بدأناه؛ فبعد أن عرضت الآيات السابقة أدلة التوحيد في الكون والنفوس، ثم حذرت من غياب اليقين وظهور "الدابة" كآية حاسمة، تأتي الآيات 83 و84 و85 لتصور "لحظة الحساب الكبرى"، حيث يتحول الاستخلاف إلى "مساءلة"، ويتحول العناد إلى

"صمت مطبق".

يقول الله تعالى: (وَيَوْمَ تَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْتَبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ).

1. تحليل فقرات الآيات ودلالاتها البيانية والبلاغية

(وَيَوْمَ تَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْتَبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ)

* اللمسة البيانية: "الفوج" جماعة تندفع بقوة، و"يوزعون" تعني يُحبسون ويُجمع أولهم على آخرهم بنظام صارم كالجند.

* الدلالة الوجدانية: تصوير مشهد الحشر هنا يوحي بالهيبة والرهبة؛ مَنْ استكبر في الدنيا عن الانقياد للحق (آية 81)، يُساق اليوم قسراً وجبراً. هذا "النظام الصارم" في الحشر يقابل "الفوضى الأخلاقية" التي عاشوها بتكذيب الآيات.

(قَالَ أَكذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

* اللمسة البلاغية: استفهام توبيخي وتقريري يزلزل الكيان. العبارة المحورية هنا هي "ولم تحيطوا بها علماً؛ أي أن تكذيبكم لم يكن عن بحث علمي أو دليل، بل كان عن "جهل مركب" وتسرع واستعلاء.

* الرسالة: الله يسأل عن "العلم" (النظرية) وعن "العمل" (التطبيق). هل كذبتهم بجهل؟ وماذا كانت نتيجة هذا التكذيب في سلوككم العملي؟

(وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ)

* الدلالة: "وقع القول" هنا هو تنفيذ الحكم النهائي. والسبب هو "بما ظلموا"؛ فالظلم (سواء ظلم النفس بالشرك أو ظلم الخلق) هو العائق الأكبر عن الحقيقة.

* اللمسة الوجدانية: "فهم لا ينطقون"؛ صمت رهيب يعقب الحجّة الدامغة. الخصم الذي كان يجادل بالباطل في الدنيا، يخرس اليوم أمام جلال الحق.

2. لماذا هي آيات "المواجهة والمسؤولية"؟

* المواجهة: لأنها تضع الإنسان وجهاً لوجه أمام عواقب اختياراته الفكرية والعملية.

* المسؤولية: تؤكد أن الإنسان "محاسب" على ما أحاط به علمه وما لم يحط، وعلى ما قدمت يداه من عمل.

3. دور هذه المفاهيم في بناء "الإنسان والمجتمع والحضارة"

* بناء الإنسان (النزاهة العلمية والعملية):

* تحذر الآية الإنسان من "التسرع في الحكم". بناء الإنسان يبدأ من "الإحاطة بالعلم"؛ لا ترفض فكرة ولا تكذب بأية قبل أن تدرسها بعمق.

* تغرس في الإنسان "رقابة ذاتية"؛ فكل عمل تقوم به سيُسأل عنه (أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

* بناء المجتمع (العدل والشفافية):

* المجتمع الذي يخشى "وقوع القول" بظلمه، هو مجتمع يحرص على إقامة العدل وتجنب الظلم (بما ظلموا).

* محاربة "ثقافة التكذيب" الجاهلة في المجتمع، واستبدالها بثقافة "البحث والبرهان" (آية 64).

* الحضارة الإسلامية (التنمية الهادفة):

* الحضارة التي تؤمن بالحشر والحساب هي حضارة "مسؤولة". هي لا تبني لمجرد التفاخر، بل تبني بناءً يُسأل عنه أصحابه يوم القيامة بالخير.

* الرابط بين العلم والعمل في الآية هو سر النهضة الحضارية؛ فالعلم بلا عمل ضلال، والعمل بلا علم تيه.

4. الدروس والمفاهيم العملية (التطبيق في حياتنا)

* منهجية التثبت: قبل أن تنقد فكرة أو ترفض مشروعاً، أسأل نفسك: هل "أحطت به علماً"؟ النزاهة العلمية هي صفة "ال خليفة" الحق.

* تجويد العمل: في كل خطوة في "تنمية وبناء" مجتمعك، تذكر السؤال القادم: (أماذا كنتم تعملون). اجعل إجابتك هي "الإتقان".

* اجتناب الظلم: الظلم هو "معطل الحضارات" والسبب في خرس الألسن يوم القيامة. كن منصفاً في قانونك، في حكمك، وفي تعاملك.

رسالة تخاطب وجدانك (كأنه الموحى إليه)

أيها الإنسان.. يا من سخر الله له الرياح والرزق والكون..

تخيل تلك اللحظة التي تقف فيها أمام "خالق العظمة"، لا حجاب بينك وبينه، ويسألك عن "آياته" التي مرت بك كل يوم؛ في نبات الأرض، وفي شروق الشمس، وفي ضيق صدرك وفرجه. هل كنت ممن "أحاطوا بها علماً" فأيقنوا؟ أم ممن "كذبوا" فخسروا؟

الله يقول لك: "لا تجعل ظلمك لنفسك أو لغيرك يحجبك عن نوري. أحي قلبك بالعلم قبل أن يقع القول، واجعل عملك شاهداً لك لا عليك. أنت الآن في زمن الكلام والعمل.. فاعمل لتنتطق بالحق غدًا حين يصمت الظالمون".

بهذا التحليل، نكتمل معالم "الرؤية الكلية"؛ من اضطرار العبد في الأرض، إلى وقوفه بين يدي رب العالمين، ليكون بناء الإنسان والحضارة رحلة تبدأ باليقين وتنتهي بالفوز المبين.

المبحث السادس

آية الليل والنهار: رحلة في أعماق النعمة الغافلة

قال الله تعالى: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

تمهيد: مشهد النعمة التي ننام عنها

تأمل معي هذه اللحظة. أنت الآن—في أي وقت من الليل أو النهار—تقرأ هذه الكلمات. هل تذكر آخر مرة وقفت فيها متأملاً ً هذا التعاقب العجيب؟ الليل يأتي فيغطيك بجناحيه، فتستلقي على فراشك، تسلم جسدك المتعب إلى سكون عميق، عيناك تغمضان، عضلاتك تسترخي، عقلك يهدأ. ثم يأتي النهار، فتنتفح عيناك كأنما فتحت لك أبواب الحياة من جديد، ترى الأشياء، تميز الألوان، تسير في طرقاتك، تعمل، تسعى.

هذا التعاقب—الذي يحدث كل يوم دون أن تدفع فيه ثمناً—هل هو مجرد ظاهرة طبيعية؟ أم أنه آية من آيات الله، تنتظر من ينظر إليها بعين البصيرة؟

الآية تقف بك أمام هذه النعمة التي تغفل عنها القلوب. تضع إصبعها على أكبر آية في حياتك اليومية: الليل و النهار. ثم تسأل سؤالاً يهز أعماقك: ألم يَرَوْا؟ — ألم ينظروا؟ ألم يتفكروا؟ ألم يعتبروا؟

إنها تفتح عينيك على نعمة تمضي عليك كل يوم دون أن تشعر بها. تريد أن تخرجك من غفلتك، وتجعلك ترى ما تراه عينك لكن لا تبصره بصيرتك.

اولا : ألم يَرَوْا

الاستفهام التقريري الذي يوقظ الغافل

تبدأ الآية باستفهام: ألم يَرَوْا. هذا استفهام توبيخي تقريري. معناه: ألم ينظروا بعيونهم؟ ألم يشهدوا هذه الظاهرة العظيمة التي تتكرر أمامهم كل يوم؟

اللمسة البيانية:

الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ. كأن الله يقول: كيف يغفلون عن هذه الآية وهي واضحة كالشمس؟ كيف يكفرون مع أنهم يرون كل يوم أعظم دليل على قدرتي ورحمتي؟

الفرق بين الرؤية البصرية والرؤية البصيرة:

"يروا" هنا تعني النظر بالعين. لكن السياق يفيد أنهم يرون بأعينهم لكن لا يبصرون بقلوبهم. فالله يذكرهم: ألم تروا بعيونكم هذا المشهد؟ فكيف لا تعتبرون؟

من هم "الذين لم يروا"؟

الخطاب موجه للمشركين الذين أنكروا التوحيد والبعث. رغم أنهم يعيشون في هذا النظام الدقيق من الليل و النهار، ويستفيدون منه كل يوم، إلا أنهم لم ينظروا إليه بعين الاعتبار. مر عليهم آلاف المرات، ولم يتفكروا فيه ولو مرة.

ثانيا : أتا جعلنا الليلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ

جعلنا: الفعل الإلهي المباشر

لم يقل "خلقنا" فقط، بل قال "جعلنا". الجعل يتضمن معنى الخلق والتسخير والتكليف. الله لم يخلق الليل فقط، بل جعله لأجلهم، وجعله مناسباً لحاجتهم.

اللمسة البيانية:

"جعلنا" فيها إشعار بأن هذه النعمة مقصودة، ليست عبثاً. الله جعلها لكم، لتحقيق حاجة فطرية فيكم.

الليل: مملكة السكون

لماذا خص الليل بالسكون؟

الليل هو وقت الراحة الطبيعية. الظلام يحفز إفراز هرمون الميلاتونين الذي يدعو إلى النوم. الهدوء يغطي الكون، والحرارة تنخفض، والحركة تتباطأ. كل شيء في الكون يستريح.

لَيْسَكُنُوا فِيهِ: السكون الحسي والنفسي

• السكون الحسي: يستريح الجسد من عناء الحركة والعمل.

• السكون النفسي: تهدأ الأعصاب، وتستقر النفوس، وينقطع عنك ضجيج النهار.

• السكون الروحي: يمكنك أن تخلو إلى نفسك، وتذكر ربك، وتدعوه في هدوء الليل.

اللمسة البيانية:

"ليسكنوا" بصيغة المضارع، للدلالة على التجدد والاستمرار. كل ليلة تكرر هذه النعمة. كل ليلة تحتاج إلى السكون. والله يمدك به.

ما تعلمه هذه الجملة

أولاً: الله يلبي حاجة فطرية

أنت تحتاج إلى السكون. جسدك لا يحتمل الحركة المستمرة. عقلك لا يحتمل التفكير المتواصل. الله جعل الليل ليسكنك. هذه نعمة تتناسب مع فطرتك.

ثانياً: السكون من نعم الله العظيمة

نحن نقدر الحركة، وننسى قيمة السكون. لكن الحركة بلا سكون تقتل. السكون هو الذي يعيد شحن طاقتك. اشكر الله على الليل الذي يجدد حياتك.

ثالثاً: الليل ليس عقاباً بل رحمة

بعض الناس يظنون أن الليل ظلّمة مخيفة. لكن الآية تذكره أن الليل جعل ليُسكنوا فيه. إنه رحمة، لا نقمة. امتنان.

ثالثاً : وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا

النهار: مملكة البصيرة

بعد الليل الذي جعله للسكون، يأتي النهار مبصراً. النهار ليس مجرد وقت، بل هو حالة من الإبصار والوضوح.

مبصراً: صيغة مبالغة

"مبصراً" اسم فاعل من أبصر. صيغته تفيد الإضاءة الكاملة. النهار يجعل كل شيء مبصراً—أي مرئياً واضحاً. لا غموض فيه، لا إبهام.

اللمسات البيانية العجيبة

المقابلة بين الليل والنهار:

• الليل: جعله ليُسكنوا فيه — راحة وسكون.

• النهار: جعله مبصراً — حركة وبصيرة.

اختلاف الصياغة:

في الليل قال "ليُسكنوا فيه"، وفي النهار قال "مبصراً". لأن الليل يُسكن فيه، والنهار يُبصر به. هذا الاختلاف في الأسلوب يدل على دقة التعبير القرآني.

النهار: وقت الإبصار المزدوج

النهار مبصر من وجهين:

• إبصار العين: ترى فيه الأشياء، تميز الألوان، تعرف الطريق، تتفادى المخاطر.

• إبصار البصيرة: فيه تسعى إلى الرزق، وتطلب العلم، وتعمل الصالحات، وتنظر في آيات الله.

ما تعلمه هذه الجملة

أولاً : النهار نعمة للإبصار

لو كان الليل دائماً، لعميت العيون. النهار هو الذي يمكنك من الرؤية والعمل. هذه نعمة لا تقدر بثمن.

ثانياً: النهار وقت السعي

الليل للسكون، والنهار للسعي. هذا التوازن هو نظام الحياة. لا تجعل ليك نهاراً، ولا نهارك ليلاً .

ثالثاً: البصيرة تحتاج إلى نور

كما أن العين تحتاج إلى نور النهار لتبصر، كذلك البصيرة تحتاج إلى نور الوحي لتبصر. النهار الحقيقي هو نور القرآن.

رابعاً : إن في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

إن في ذلك

الإشارة إلى ما سبق

"ذلك" يعود إلى جعل الليل والنهار بهذه الصفة. الإشارة للبعيد تفيد التعظيم. كأنه يقول: هذا النظام البديع—الليل سكوناً، والنهار إبصاراً—فيه آيات عظيمة.

لآيات

آيات: جمع آية، وهي العلامة الدالة

الليل والنهار ليسا مجرد زمان، بل هما آيات—علامات تدل على:

· قدرة الله: من نظم هذا التعاقب الدقيق؟

· حكمة الله: لماذا جعلهما مختلفين في الوظيفة؟

· رحمة الله: لماذا جعلهما مناسبين لحاجة البشر؟

• وحدانية الله: من يملك هذا النظام غيره؟

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

تخصيص الانتفاع بالمؤمنين

الآيات موجودة للجميع، لكن الانتفاع بها خاص بالمؤمنين. المؤمنون هم الذين:

• يرون العلامات فيعتبرون.

• يتفكرون فيتذكرون.

• يشكرون فيزدادون.

اللمسة البيانية:

لم يقل "لقوم يعلمون" بل "يؤمنون". لأن مجرد العلم لا يكفي. قد تعلم أن الليل والنهار من آيات الله، لكنك لا تؤمن. الإيمان هو الذي يحول العلم إلى عمل وشكر.

ما تعلمه هذه الجملة

أولاً: الليل والنهار آيات لا تنقطع

كل يوم يمر، تمر معه آية جديدة. الليل يأتي آية، والنهار يأتي آية. لا تنقطع الآيات عنك أبداً. فلماذا تغفل؟

ثانياً: الإيمان هو مفتاح رؤية الآيات

الآيات موجودة، لكن لا يراها إلا المؤمن. الكافر يمر عليها مروراً أعمى. المؤمن يقف عندها متأملاً. ازداد إيماناً تزداد رؤية.

ثالثاً: التفكير في الليل والنهار عبادة

التفكير في خلق الله عبادة عظيمة. قم في جوف الليل، انظر إلى السماء، تأمل كيف يغطيكَ الظلام. في النهار، انظر إلى الشمس كيف تضيء الكون. هذه تأملات تزيدك إيماناً.

**رحلة الليل والنهار: من الغفلة إلى الشكر

هذه الآية تأخذك في رحلة من الغفلة إلى اليقين:

المرحلة الأولى: السؤال الذي يوقظ

"ألم يروا" – سؤال يهز غفلتك. هل رأيت حقاً هذه النعمة؟ هل تذكرت أن الليل والنهار من عند الله؟

المرحلة الثانية: رؤية النعمة في الليل

تتأمل الليل: كيف جاء بالسكون بعد عناء النهار. كيف أرخى سدوله فاستراح الجسد، وهدأت النفس، واستعدت للغد. هنا تدرك أنها نعمة.

المرحلة الثالثة: رؤية النعمة في النهار

تتأمل النهار: كيف جاء مبصراً، فانفتحت عينك على العالم، وبدأت تسعى وتعمل وتبصر. هنا تدرك أنها نعمة أخرى.

المرحلة الرابعة: الإيمان الذي يرى الآيات

بعد التأمل، تصل إلى الإيمان. ترى أن هذه ليست ظواهر عابرة، بل هي آيات من خالق حكيم رحيم. فتشكره، وتزداد إيماناً.

***لماذا تسمى آية الليل والنهار؟

تسمى آية الليل والنهار لأنها تلفت النظر إلى أعظم آية كونية في حياة الإنسان اليومية. وتسمى آية السكون وإبصاراً لأنها تذكر بالحكمة من اختلاف الليل والنهار. وهي دعوة إلى التفكر والشكر.

***أهم الدروس والتوجيهات

1. استشعر نعمة الليل

في كل ليلة، قبل أن تنام، تذكر: الله جعل هذا الليل ليسكنك. جسدك المتعب، أعصابك المنهكة، عقلك المثقل – كلها تحتاج إلى هذا السكون. لا تنم كالبهائم. نم متذكراً للنعمة.

التطبيق العملي: قبل النوم، قل: الحمد لله الذي جعل الليل ليسكنني، وأراحني فيه. نم على شكر.

2. استشعر نعمة النهار

عندما تفتح عينيك في الصباح، تذكر: الله جعل هذا النهار مبصرًا. ترى به الأشياء، وتسعى فيه إلى رزقك. لا تستيقظ كالغافلين. استيقظ شاكراً.

التطبيق العملي: عند الاستيقاظ، قل: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور. وتذكر أن النهار نعمة جديدة.

3. وازن بين الليل والنهار

الليل للسكون، والنهار للحركة. لا تعكسهما. لا تجعل ليلك كله سهراً، ولا نهارك كله نومًا. هذا النظام الإلهي يحفظ صحتك وحياتك.

التطبيق العملي: نظم وقتك وفق نظام الليل والنهار. نام في الليل، وتحرك في النهار. لا تخالف فطرتك.

4. اجعل من الليل والنهار آيات تزداد بها إيماناً

كل يوم، توقف لحظة. انظر إلى الليل كيف يأتي. انظر إلى النهار كيف يشرق. تأمل. تفكر. هذه التأملات تزيد إيمانك.

التطبيق العملي: اجعل لك وقتاً في اليوم—ولو دقائق—تأمل فيها في الليل والنهار. انظر إليهما بعين البصيرة.

5. كن من القوم الذين يؤمنون

الآية خصت الانتفاع بالمؤمنين. كن أنت منهم. ازدد إيماناً، تزدد رؤية للآيات. وازدد شكراً، تزدد نعمًا.

التطبيق العملي: كلما رأيت آية—في الليل أو النهار—قل: آمنت بالله. وازدد يقيناً.

**المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة "ليسكنوا فيه": السكون قوة وليس ضعفًا

الثقافة المعاصرة تمجد الحركة المستمرة. لكن الآية تعلمك أن السكون قوة. السكون يعيد شحن الطاقة. السكون يهدئ الأعصاب. السكون يصقي الذهن. لا تخف من السكون. إنه نعمة.

فلسفة "مبصرًا": النور يجعلك ترى

كما أن النهار يجعلك ترى الأشياء بعينك، كذلك نور الإيمان يجعلك ترى الحقائق ببصيرتك. اطلب النورين: نور الشمس لتبصر دنياك، ونور القرآن لتبصر دينك.

فلسفة "آيات": كل شيء في الكون يتحدث

الليل والنهار آيات. الشمس والقمر آيات. الجبال والبحار آيات. الكون كله يتحدث عن خالقه. لا تحتاج إلى معجزة خاصة. كل ما تراه معجزة. افتح عينيك.

فلسفة "لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ": الإيمان يغير الرؤية

المؤمن يرى ما لا يراه الكافر. يرى الليل رحمة، والكافر يراه ظلمة. يرى النهار نعمة، والكافر يراه عبثًا. الإيمان يغير نظرتك لكل شيء.

**رسالة التثبيت: أنت غارق في النعمة

قد تمر بك أيام تشعر فيها بأن الحياة صعبة، والنعم قليلة. تذكر هذه الآية. أنت غارق في نعم لا تحصى. الليل والنهار—هذان وحدهم نعمة لا تقدر بثمن. لو أنفقت كل ما تملك لشراء ليلة تسكن فيها، لما استطعت. لكن الله يعطيك إياها مجانًا كل يوم.

رسالة التثبيت: كل ليلة تمر، هي نعمة جديدة. كل نهار يأتي، هو رحمة متجددة. لا تغفل. انظر حولك. اشكر. تستمر النعم.

**كيف نعيش هذه الآية؟

1. في الليل:

عندما يحل الليل، لا تعشه غافلاً. تذكر: الله جعله ليسكنك. نم مبكرًا إن استطعت. نم على ذكر الله. نم وأنت شاكر.

2. في النهار:

عندما يشرق النهار، لا تبدأ يومك غافلاً. تذكر: الله جعله مبصراً. استقبله بالصلاة والشكر. انطلق إلى عملك وأنت متذكر النعمة.

3. في التعب:

عندما تشعر بالتعب، تذكر أن الليل قادم. ستنام وتستريح. لا تيأس. السكون في الطريق.

4. في الظلام:

عندما تخاف من الظلام، تذكر أن الليل جعل للسكون، لا للخوف. أنت في رعاية الله. اطمئن.

5. في النور:

عندما تبصر النهار، تذكر أن هذه النعمة تستحق الشكر. استخدم نهارك في طاعة الله. لا تضيعه.

**خاتمة: آية تفتح عينيك على النعمة

هذه الآية من أعظم آيات القرآن في تذكير الإنسان بنعم الله اليومية. الليل والنهار—نعمة تمر بك كل يوم، وأنت في غفلة عنها. الآية توقظك: ألم تروا؟ انظروا. تأملوا. اشكروا.

القسم الرابع

المبحث الأول

آية النفخ في الصور: رحلة إلى هول المشهد الأخير

قال الله تعالى: وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۗ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ (٨٧)

تمهيد: مشهد الصورة التي تنتهي عندها كل الصور

تخيل معي هذا المشهد الذي يوقف القلب في مكانه، وتنقطع عنده الأنفاس، وتصمت عندها الأصوات. أنت تعيش حياتك العادية. الشمس تشرق، والناس يمشون، والأسواق تعج، والضحكات تملو. ثم فجأة—بدون مقدمات، بدون إنذار—يُسمع صوت لا يشبه أي صوت سمعته البشرية. صوت ينفخ في الصور. صوت البوق الذي ينتهي عنده كل شيء.

ماذا سيحدث في تلك اللحظة؟ سيفزع من في السماوات ومن في الأرض. الملائكة المقربون يفزعون. الأنبياء المرسلون يفزعون. البشر جميعاً يفزعون. حتى الجبال تنفتت، والبحار تضطرم. لا أحد يبقى واقفاً على قدميه. لا أحد يحتفظ برباطة جأشه. فزع واحد شامل يعم كل الوجود.

ثم—في لحظة أخرى—يرى كل إنسان نفسه قد أتى إلى الله داخراً. ذليلاً. خاضعاً. لا حيلة له، ولا قوة، ولا شفيع، ولا نصير. المظاهر كلها سقطت. الحجب كلها انكشفت. ويبقى الله وحده—الواحد القهار.

هذه الآية تأخذك في رحلة إلى مشهد النفخة الأولى—النفخة التي تفزع كل شيء. إنها تريد أن تخرجك من غفلتك، وتذكرك أن هناك يوماً لا بد أت. يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

اولاً: وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ

ويوم: الإشارة إلى يوم عظيم

الآية تبدأ بـ "ويوم" - كلمة تحمل في طياتها هول ما سيأتي. "يوم" نكرة في سياق الإضافة إلى الفعل العظيم، وهذا يفيد التعظيم والتفخيم. إنه يوم لا يشبه أي يوم. يوم تنقلب فيه الموازين، وتتغير فيه الأحوال.

ينفخ في الصور

الصور: ما هو؟

الصور في اللغة هو القرن الذي ينفخ فيه. وهو البوق الذي جاءت به السنة النبوية أن إسرافيل عليه السلام هو الموكل بالنفخ فيه. الصور ليس آلة موسيقية عادية. إنه خلق عظيم خلقه الله، ووضعه في فم إسرافيل، ينتظر الأمر الإلهي لينفخ فيه.

النفخات: كم مرة؟

السنة النبوية تبين أن هناك نفختين:

- النفخة الأولى: نفخة الفزع. وهي التي تتحدث عنها هذه الآية. عندها يفزع من في السماوات والأرض.
- النفخة الثانية: نفخة الصعق. يموت فيها كل شيء بإذن الله.
- النفخة الثالثة: نفخة البعث. يحيي الله فيها الموتى ليقوموا للحساب.

اللمسة البيانية:

"ينفخ" بصيغة المضارع، للدلالة على أن هذا الحدث آتٍ لا محالة. هو في علم الله كأنه وقع. وهذا التعبير يضعه أمام عينيك كأنك تراه الآن.

ما تعلمه هذه الجملة

أولا : لا تغتر بالحياة

أنت تعيش في دنيا تشغلك. لكن هناك يوماً عظيماً قادم. يوم ينفخ في الصور. لا تنسه. لا تغفل عنه.

ثانياً: كل شيء له نهاية

هذا الصوت سينهي كل شيء. كل ما تراه من قصور ومدائن ومال وجاه، سينتهي في لحظة. لا تتعلق بشيء زائل.

ثالثًا: استعد قبل أن ينفخ

النفخة تأتي بغتة. لا إنذار. لا فرصة للاستعداد بعدها. استعد الآن. العمل الآن.

ثانيًا: ففزع مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

الفزع: رعب لا يوصف

الفزع في اللغة: هو الخوف الشديد الذي يفاجئ الإنسان فيفقد معه رباطة جأشه. ليس خوفًا عاديًا. هو رعب يملأ القلوب، ويجعل النفوس تخرج من الجسد.

مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ: كل شيء يفزع

• الملائكة: وهم أقوى الخلق، وأقربهم إلى الله، يفزعون.

• الأنبياء: وهم أصفياء الله، يفزعون.

• البشر: كلهم يفزعون.

• الجن: يفزعون.

• الحيوانات: تفزع.

• الكون كله: يفزع.

اللمسة البيانية:

تكرار "مَنْ" للتأكيد على الشمول. كل من في السماوات وكل من في الأرض. لا يستثنى أحد. حتى من قد تظنهم في منأى عن الخوف، يفزعون.

إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ

الاستثناء: من الذي لا يفزع؟

هذا الاستثناء هو من رحمة الله. هناك من يشاء الله ألا يفزعوا. من هم؟

• الشهداء عند ربهم يرزقون: قد استثناهم الله من فزع النفخة الأولى.

• بعض الأنبياء والصديقين: ممن شاء الله أن يطمئن قلوبهم.

• الله سبحانه وتعالى: لا يفزع، فهو القهار الذي لا يخاف.

لماذا استثنى الله من شاء؟

هذا من فضل الله ورحمته. يختص برحمته من يشاء. قد يكون الاستثناء تكريمًا لأولئك الذين عاشوا حياتهم في خوف من الله، فأمنهم الله في ذلك اليوم.

ما تعلمه هذه الجملة

أولاً: الفزع شامل لكن رحمة الله أوسع

الخوف يومئذ عظيم. لكن هناك من تشمله رحمة الله فلا يفزع. اسأل الله أن تكون منهم.

ثانياً: الأمان يوم القيامة لمن آمن في الدنيا

من عاش في خوف من الله في الدنيا، أمّنه الله يوم الخوف الأكبر. من خاف الله في الدنيا، لا يخاف يوم القيامة.

ثالثاً: لا تغتر بأحد

الملائكة يفزعون. الأنبياء يفزعون. لا تغتر بقرب أحد. المنجي يومئذ هو فضل الله ورحمته.

رابعاً: وكلُّ أتوّه داخرين

وكلُّ الشمول بعد الفزع

بعد الفزع، تأتي لحظة الحضور. كل مخلوق—من في السماوات ومن في الأرض—يأتي إلى الله. لا يتخلف أحد. لا يبقى أحد في مكانه.

أتوّه: المجيء الإلهي

من هو "الهاء" في "أتوه"؟

الهاء تعود على الله. يأتون إلى الله. ليس إلى مكان، بل إلى موقف الحساب. يأتون قهراً، لا اختياراً. يأتون طوعاً أو كرهاً، لكنهم يأتون.

اللمسة البيانية:

"أتوه" بصيغة الماضي، للدلالة على التحقق والوقوع. هذا الحدث كأنه قد وقع في علم الله. والقرآن يضعه أمام عينيك كأنه حاضر.

داخرين: صفة الذل والخضوع

الداخر: من أتى ذليلاً خاضعاً

الداخر هو الذليل الصاغر. الذي انكسرت كبريأؤه، وارتفع عنه العجب والتكبر. في الدنيا كانوا يتكبرون، وكانوا يظنون أنهم لا يخطئون. يوم القيامة يأتون داخرين.

أحوال الداخرين:

- تنكسر الأبصار: لا يرفعون رؤوسهم.
- تخشع الأصوات: لا ينطقون إلا بأذن.
- تسقط الحجج: لا يعتلون، لا يجادلون.
- تظهر الحقائق: كل شيء انكشف.

اللمسة البيانية:

"داخرين" حال منصوبة، تصور هيئتهم وهم يأتون إلى الله. منظر الذل والانكسار يملأ المشهد. لا عزيز يومئذ إلا الله. لا قوي إلا الله.

ما تعلمه هذه الجملة

أولا: كلنا سنقف أمام الله

لا مهرب. لا مناص. كلنا سنأتي إلى الله. كلنا سنقف بين يديه. فماذا أعددت لهذا اليوم؟

ثانياً: الكبرياء تزول يومئذ

من تكبر في الدنيا، يأتي يوم القيامة داخراً. لا يبقى له كبرياء. كل عزة زائلة إلا عزة الله. فلا تتكبر على عباد الله.

ثالثاً: الذل الحقيقي ذل يوم القيامة

الذل في الدنيا قد يكون رفعة. والذل يوم القيامة هو الذل الحقيقي. اختر أن تذلل لله في الدنيا، لتكون عزيزاً في الآخرة.

**رحلة الفرع والحضور: من الهول إلى الذل

هذه الآية تأخذك في رحلة إلى لحظات النهاية الكبرى:

المرحلة الأولى: النفخة

يسمع الصوت. لا صوت أعظم منه. صوت ينفخ في الصور. الكون كله يصمت لهذا الصوت.

المرحلة الثانية: الفرع

الفرع يمالأ كل شيء. الملائكة تفرع. الأنبياء يفرعون. البشر يفرعون. لا أحد يبقى صامداً. إلا من شاء الله.

المرحلة الثالثة: الحضور

بعد الفرع، يأتي الحضور. كل خلق الله يأتون إليه. من السماوات ومن الأرض. لا يتخلف أحد. الجمع الأعظم.

المرحلة الرابعة: الذل

يأتون داخرين. الذل يكسوهم. الكبرياء ذهبت. العزة ذهبت. المظاهر ذهبت. يبقى الله وحده العزيز الجبار.

**لماذا تسمى آية النفخة والجزع؟

تسمى آية النفخة لأنها تتحدث عن النفخ في الصور. وتسمى آية الفرع لأنها تصور فرع الخلائق يومئذ. وتسمى آية الدخول لأنها تصور مجيء الناس داخرين إلى الله.

**أهم الدروس والتوجيهات

1. لا تغفل عن اليوم العظيم

قد تشغلك الحياة. قد تنسى الآخرة. هذه الآية تذكرك: هناك يوم ينفخ في الصور. يوم لا بد آت. اجعله في حسابك.

التطبيق العملي: اجعل لك ذكرى للموت والقيامة كل يوم. تذكر أن النفخة قادمة.

2. استعد للنفخة قبل أن تأتي

بعد النفخة لا مجال للاستعداد. الاستعداد قبلها. الآن. اغتنم الفرصة.

التطبيق العملي: كل يوم، اسأل نفسك: لو نفخ في الصور اليوم، هل سأكون مستعداً؟

3. كن ممن يشملهم استثناء الله

"إلا من شاء الله" - هذه رحمة. اسأل الله أن تكون ممن يشملهم استثناءه. اسأله أن لا تفرع يوم يفرع الناس.
التطبيق العملي: ادع الله دائماً: اللهم أمني يوم الفرع الأكبر.

4. تواضع في الدنيا لتكون عزيزاً في الآخرة

المتكبرون في الدنيا يأتون يوم القيامة داخرين. المتواضعون لله في الدنيا يرفعون يوم القيامة. اختر التواضع.

التطبيق العملي: كلما شعرت بالكبرياء، تذكر أنك ستأتي يوم القيامة داخراً إن تكبرت. تواضع لله.

5. لا تغتر بقرب أحد

الملائكة يفرعون. الأنبياء يفرعون. لا تغتر بقرب أحد. المنجي هو فضل الله وحده. اسأل الله أن يتفضل عليك.
التطبيق العملي: لا تتكل على شفاعته أحد دون أن تعمل. اعمل لنفسك، واسأل الله القبول.

**المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة "ينفخ في الصور": النهاية التي تنسى

الإنسان يعيش وكأن الحياة لا نهاية لها. يخطط لسنوات، ويبني للمستقبل، وينسى أن هناك نهاية مفاجئة. النفخة تذكرك أن كل شيء له نهاية. خطط للدنيا، لكن لا تنس الآخرة.

فلسفة "فزع": الخوف الذي يمحو الأمن

كل أمن في الدنيا زائل. أمنك بمالك، ببيتك، بعائلتك، بجاهك - كل هذا يزول يوم النفخة. الأمن الحقيقي هو أمن الله. اسأله أن يؤمنك.

فلسفة "إلا من شاء الله": رحمة تسبق الغضب

حتى في أشد لحظات الهول، تظهر رحمة الله. استثناء "من شاء الله" هو باب رحمة مفتوح. تعلق بهذا الباب.

فلسفة "داخرين": زوال كل كبرياء

كل كبرياء في الدنيا سيزول. كل عزة بغير الله ستتحول إلى ذل. لا تبني عزة على غير الله. عزة المؤمن بالله، لا بالناس.

**رسالة التثبيت: الاستعداد الآن

قد تشعر أن النفخة بعيدة. قد تشغلك الدنيا عنها. لكنها أقرب مما تتصور. قد تأتي في أي لحظة. الاستعداد الآن هو الفرق بين من يفرع ومن يأمن.

رسالة التثبيت: لا تضيع وقتك. لا تؤجل التوبة. لا تنس الآخرة. النفخة قادمة. والفرع شامل. ورحمة الله واسعة. فكن من الذين شملتهم الرحمة.

****كيف نعيش هذه الآية؟**

1. في ذكر الموت:

اجعل لك وردًا يوميًا من تذكر الموت والقيامة. تذكر أن هناك يومًا ينفخ في الصور. هذا التذكر يوقظك من الغفلة.

2. في التواضع:

كلما شعرت بالكبر، تذكر أنك ستأتي يوم القيامة داخرًا. تواضع لله، تتجنب ذل يوم القيامة.

3. في الدعاء:

ادعُ الله دائمًا: اللهم أمني يوم الفزع الأكبر. اللهم لا تفزعني يوم يفزع الناس. اللهم اجعلني ممن شملهم استثناءً.

4. في العمل:

لا تؤجل العمل للأخرة. النفخة قد تأتي الآن. اعمل اليوم كما لو أنه آخر يوم في عمرك.

5. في التعلق بالله:

لا تتعلق بأحد. لا تتعلق بمال، ولا بجاه، ولا ببشر. تعلق بالله وحده. فهو المنجي يوم لا منجي.

****خاتمة: آية تذكرك باليوم الذي لا بد آتٍ**

هذه الآية من أعظم الآيات التي تذكر الإنسان بيوم القيامة. تصور لك المشهد بهولته: النفخة، والفزع، والحضور، والذل. إنها تريد أن تخرجك من غفلتك، وتذكرك أن هناك يومًا ستقف فيه بين يدي الله

المبحث الثاني.

آية الجبال والسحاب: رحلة من الثبات إلى الذوبان

قال الله تعالى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۗ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)

تمهيد: مشهد الجبال التي تسيير

تأمل معي هذا المشهد الذي يقلب كل ما استقر في عقلك. أنت ترى الجبال—هذه الرواسي الشامخة، التي اعتدت أن تراها ثابتة لا تتحرك، كأنها مسمرة في الأرض منذ الأزل. تقف أمامها فتشعر بالثبات والاستقرار. لكن في ذلك اليوم العظيم—يوم تنفخ في الصور—ينقلب كل شيء. تنظر إلى الجبال فتحسبها جامدة ثابتة كما تعودت، لكنها في الحقيقة تمر مر السحاب.

هذه ليست مجرد صورة بيانية بديعة. إنها حقيقة كونية ستكشف لنا يوم القيامة. الجبال التي نراها صخرًا صلدًا لا يتزحزح، ستتحرك كأنها قطع من القطن تطير بها الرياح. ستذوب كما يذوب الملح في الماء. ستتفتت كما يتفتت الرمل. ثم تصير هباءً منثورًا.

والأعجب من ذلك: أنت تراها فلا تصدق ما تراها. تحسبها جامدة، وهي تمر مر السحاب. الخداع البصري يكتمل. القلوب ترى الجبال جامدة، والعين لا تدرك أنها في حركة سريعة. إنه مشهد يختلط فيه الإدراك بالذهول، وتتداخل فيه الحقيقة بالمنظر.

ثم تأتي خاتمة الآية: صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ. هذا الذي يحدث—هذا الذوبان، هذه الحركة، هذا

التفتت—هو صنع الله. ليس عبثًا، ليس فوضى. إنه إتقان. إتقان في الخلق الأول، وإتقان في الإعادة. ثم الختم: إنه خبير بما تفعلون. وهو يعلم ما تفعلون، وسيجازيكم عليه.

هذه الآية تأخذك في رحلة من ثبات الدنيا إلى ذوبانها. من الأمان الزائف إلى اليقين المطلق. من النظر السطحي إلى البصيرة العميقة. إنها تريك أن كل ما تراه ثابتًا سيزول. وكل ما تحسبه جامدًا سيمر. وأن الله هو وحده الباقي بعد فناء كل شيء.

اولا : وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ

وترى: أنت ترى بعينيك

الآية تخاطب كل من يقرؤها. "وترى" بضمير المخاطب—أنت يا إنسان، في ذلك اليوم العظيم، ستري الجبال بعين رأسك. ليس خبرًا تسمعه، ولا مشهدًا يخطر ببالك. بل رؤية عين حقيقية. فهل تستعد لمشاهدة هذا المشهد؟

اللمسة البيانية:

"وترى" بصيغة المضارع، للدلالة على أن هذا المشهد سيحدث لا محالة. وهو ماضٍ في علم الله، لكنه حاضر في تلاوته.

الجبال: أعمدة الأرض

الجبال في القرآن لها مكانة خاصة. جعلها الله أوتادًا للأرض، تثبتها من أن تميد بكم. هي رموز الثبات والقوة. الناس تغتر بها، وتظن أن ما هو أقوى منها لا يمكن أن يزول. لكن يوم القيامة، هذا الثابت الأقوى يزول.

اللمسة البيانية:

تعريف الجبال بالألف واللام يفيد العموم والاستغراق. كل الجبال—مهما عظمت، ومهما شامت—ستمر مر السحاب. جبال الدنيا كلها: طور سيناء، أحد، لبنان، الهيمالايا—كلها تزول في لحظة.

تحسبها جامدة

تحسبها: الحساب الذي يخدع

الحساب هو الظن الذي يخالطه الشك. أنت ترى الجبال فتظنها جامدة. ظنك هذا مبني على ما تراه عينك. لكن الحقيقة غير ما يراه البصر. العين تخدعك، والمشهد يخادعك.

جامدة: الثابت الذي لا يتحرك

الجمود هو السكون وعدم الحركة. أنت تراها ثابتة لا تتزحزح. وهذا هو ما اعتدت عليه في دنياك. لكن في ذلك اليوم، يختل هذا الاعتياد.

اللمسة البيانية:

"تحسبها جامدة" في موضع الحال من الجبال. كأن المشهد هكذا: ترى الجبال في حالة تشبه الثبات عند ظنك، لكنها في الحقيقة في حالة حركة. هذا الخداع البصري هو جزء من هول المشهد.

وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ

وهي تمر: الحقيقة المخالفة للظن

بينما أنت تحسبها جامدة، هي في الحقيقة تمر. الحركة خفية سريعة، كحركة السحاب التي تراها بعينك لكن لا تشعر بسرعتها إلا إذا ركزت.

مر السحاب: السرعة الهائلة

السحاب يمر بسرعة قد لا تشعر بها إذا كنت غافلاً. لكنه يقطع المسافات الشاسعة في دقائق. كذلك الجبال يوم القيامة، تمر بسرعة مذهلة.

ما المقصود بمرور الجبال؟

• تذوب كما يذوب الرصاص.

• تتفتت كما يتفتت الرمل.

• تصير هباءً منثوراً.

• تسير كسير السحاب، ثم تختفي.

اللمسة البيانية:

"مرَّ السحاب" تشبيه بديع. السحاب يمر دون أن يشعر به الناظر لبطئه الظاهري وسرعته الحقيقية. كذلك الجبال. وهذا التشبيه يجعل المشهد أقرب إلى الفهم.

ما تعلمه هذه الجملة

أولاً: لا تغتر بالثبات

أقوى ما في الدنيا-الجبال-تزلزل. فكيف بك أنت؟ كيف بمالك؟ كيف بجاهك؟ لا تتعلق بشيء زائل.

ثانياً: الظن قد يخدع

عينك قد تخدعك. ما تراه ثابتاً قد يكون في حركة. لذلك لا تعتمد على ظنك فقط. اطلب اليقين.

ثالثاً: قوة الله لا حدود لها

الذي يحرك الجبال كالسحاب هو الله. لا شيء يعجزه. فاطمئن: من يحرك الجبال قادر على أن يفرج كربك.

رابعاً: يوم القيامة يوم انقلاب الموازين

كل ما استقر في عقلك عن الثبات والحركة ينقلب. الجبال الجامدة تسيير. الأشياء الثابتة تتحرك. فلا تقس الآخرة على الدنيا.

ثانياً: صنَعَ اللهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ

صنَعَ اللهُ

صنع: الإتقان في الخلق

"صنع" من الصنَع، وهو عمل الشيء بإتقان وحكمة. وهي منصوبة على المفعول المطلق لفعل محذوف. تقديره: صنع الله ذلك صنْعاً. أي: هذا الذي ترونه من ذوبان الجبال وسيرها هو صنع الله.

اللمسة البيانية:

نصب "صنع" على المفعول المطلق للتعظيم والتفخيم. كأنه يقول: انظروا إلى هذا الصنع العجيب. كيف يدبر الله خلقه. وكيف يتقن كل شيء.

الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ

أَتَقَنَّ: الإحكام والإحسان

الإتقان هو إعطاء كل شيء حقه من الإحكام والإحسان. الله أتقن كل شيء. خلق السماء فأتقنها. خلق الأرض فأتقنها. خلق الجبال فأتقن خلقها. ثم إذا أراد إزالتها، يتقن إزالتها أيضاً.

كل شيء: الشمول

أنتن كل شيء. لا يخرج شيء عن إتقانه. صغيره وكبيره، ظاهره وباطنه، خلقه وإعدامه، إحيائه وإماتته. كل شيء في خلقه متقن.

ما تعلمه هذه الجملة

أولا : كل شيء في الكون صنع الله

الجال التي تراها، والسحاب الذي يمر، والكون كله— هو صنع الله. هذا الصنع متقن محكم. فلا عبث في الكون.

ثانياً: الإتقان صفة الله

الله متقن لكل شيء. لا يخلق شيئاً عبثاً. لا يخلق خلا . كل شيء في موضعه. هذا يريح قلبك: أنت في كون متقن.

ثالثاً: الإتقان في الخلق والإتقان في الإعدام

كما أنتن خلق الجبال، أنتن إزالتها. كل شيء في وقته وحكمته. فلا تستعجل. ما تراه من زوال قوى ليس عبثاً، بل هو صنع متقن.

رابعاً: الإتقان يجب أن يكون صفة المؤمن

الله متقن. ويحب المتقنين. أنتن عملك، وأنتن عبادتك، وأنتن علاقاتك. كن عبداً متقناً كما أن ربك متقن.

ثالثاً: إنه خبير بما تفعلون

خبير: العلم بدقائق الأمور

الخبير هو الذي يعلم بواطن الأمور وخبايها. ليس مجرد عالم، بل عالم بدقائق ما يفعلون. يعلم السر وأخفى. يعلم ما أسررتم وما أعلنتم. يعلم ما في قلوبكم من نيات وما في جوارحك من أعمال.

بما تفعلون

تفعلون: شمول الأعمال

ما تفعلونه في دنياكم من خير وشر. ما تفعلونه من إيمان وكفر. ما تفعلونه من طاعة ومعصية. الله خبير به كله. لا يخفى عليه شيء.

الربط بين الجبال والأعمال

لماذا جاء ذكر خبريته بأعمالهم بعد ذكر زوال الجبال؟ لأن المشهد العظيم من زوال الجبال يذكرهم أن الله قادر على كل شيء. وهو مع قدرته خبير بأعمالكم. وسيجازيكم عليها. فلا تغفروا بقدرته على إزالة الجبال،

فسيحاسبكم على أعمالكم.

ما تعلمه هذه الجملة

أولاً : الله يعلم أعمالك

لا تخف شيئاً. لا تظن أن عملاً يخفى عليه. كل حركة، كل سكنة، كل لفظة، كل نظرة—الله خبير بها.

ثانياً: الجزاء على العمل

بما أن الله خبير بما تفعلون، فسيجازيكم بما كنتم تعملون. فليعمل عامل على قدر علمه بالجزاء.

ثالثاً: لا تغتر بقدره الله على الإزالة

قد ترى زوال الجبال فتعرف قدرة الله. لكن لا تجعل هذه المعرفة تغرك. ف الله خبير بما تفعل، وسيحاسبك.

رابعاً: الخبرة الإلهية مصدر للطمأنينة للمؤمن

المؤمن يطمئن أن الله خبير بما يفعل. لا يضيع عمله. كل خير يفعله، كل صدقة يتصدق بها، كل صلاة يصلحها—
الله خبير بها وسيجزيه عليها.

**رحلة الجبال والسحاب: من الثبات إلى اليقين

هذه الآية تأخذك في رحلة من الثبات الظاهري إلى اليقين الحقيقي:

المرحلة الأولى: رؤية الجبال

تبدأ بالمنظر المألوف: الجبال الثابتة. أنت تراها، وتظنها جامدة. هذا هو ما اعتدت عليه. هذه هي الدنيا: ثبات وهمي.

المرحلة الثانية: انكشاف الحقيقة

تكتشف أن الجبال تمرر السحاب. الثبات الذي كنت تحسبه زال. الحقيقة غير الظاهر. هذا هو يوم القيامة: انكشاف كل حقيقة.

المرحلة الثالثة: الإتيان الإلهي

هذا الذي حدث—من خلق ثم إزالة—هو صنع الله المتقن. كل شيء بحكمة. هذا يذكرك بعظمة الخالق.

المرحلة الرابعة: الخبرة والجزاء

وبما أن الله خبير بما تفعلون، فليكن عملكم على قدر علمكم بهذا اليوم.

****لماذا تسمى آية الجبال والسحاب؟**

تسمى آية الجبال والسحاب لأنها تصور مشهدًا بديعًا من مشاهد يوم القيامة: الجبال الثابتة تمر مر السحاب. وتسمى آية الإتيان لأنها تذكر أن كل شيء في الكون متقن صنعًا. وتسمى آية الخبير لأنها تذكر أن الله خبير بأعمال العباد.

****أهم الدروس والتوجيهات**

1. لا تغتر بقوة أي شيء في الدنيا.

الجبال هي أقوى ما تراه في الدنيا. وهي تزول. فكيف بمالك؟ كيف بجاهك؟ كيف بمنصبك؟ كيف بجسمك القوي؟ كل شيء زائل.

التطبيق العملي: لا تعلق قلبك بأي شيء في الدنيا. كل ما فيها زائل. اجعل تعلقك بالله الباقي.

2. ظنك قد يخدعك.

قد تظن أنك على حق، وأن ما تفعله صواب. قد تظن أنك قوي، وأنت لن تسقط. قد تظن أن الدنيا ثابتة. كل هذه الظنون قد تخدعك. اطلب اليقين.

التطبيق العملي: لا تكتف بالظن. اسأل، وتأكد، وثبت. واسأل الله اليقين.

3. انظر إلى صنع الله لتزداد إيمانًا.

انظر إلى الجبال كيف خلقت، كيف أتقنت. انظر إلى السحاب كيف يسير، كيف يسخره الله. انظر إلى كل شيء في الكون. إنه صنع الله المتقن. هذه النظرية تزيدك إيمانًا.

التطبيق العملي: تأمل في خلق الله. انظر إلى الجبال والسحاب والمطر والنجوم. كلها آيات تزيد إيمانًا.

4. أتقن عملك كما أتقن الله خلقه.

الله متقن. ويحب المتقنين. لا تقدم عملاً إلا بإتقان. لا تصل صلاة إلا بإتقان. لا تؤدي عملاً إلا بإتقان.

التطبيق العملي: اجعل الإتقان شعارك. كل عمل تقوم به، أتقنه كأنك تقدمه لله.

5. اعلم أن الله خبير بك.

في كل لحظة، الله يعلم ما تفعل. يعلم ما تخفي في صدرك. يعلم ما تسر وما تعلن. هذا العلم يجب أن يردعك عن المعصية، ويحفزك على الطاعة.

التطبيق العملي: استحضر مراقبة الله في كل عمل. قل: الله خبير بما أفعل. سأفعل ما يرضيه.

****المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي**

فلسفة "تحسبها جامدة": وهم الثبات

الإنسان يحسب أن الدنيا ثابتة. يحسب أن صحته ثابتة، أن ماله ثابت، أن أهله ثابتون. هذا وهم. كل شيء يمر. لا تتخدد بالثبات الظاهري. الدنيا كلها تمر كمر السحاب.

فلسفة "وهي تمر": الحقيقة خلف الظاهر

الحقيقة غير الظاهر. الجبال تمر وأنت تحسبها جامدة. كذلك كثير من الحقائق في حياتك قد تخفى عليك. لا تعجل بالحكم. اسأل الله أن يريك الحق حقًا.

فلسفة "صنع الله": الكون متقن

الكون الذي تعيش فيه ليس فوضويًا. إنه صنع الله المتقن. كل شيء في موضعه. كل شيء بمقدار. هذه المعرفة تريح قلبك. لا قلق. لا فوضى. كل شيء في يد متقن.

فلسفة "خبير بما تفعلون": المسؤولية الكاملة

لما كان الله خبيرًا بما تفعل، فأنت مسؤول مسؤولية كاملة. لا يمكنك أن تقول: لم أفعل. لا يمكنك أن تقول: لم أعلم. هو يعلم. وهو خبير. فاحذر.

****رسالة التثبيت: الثبات الحقيقي ثبات الله**

قد تهتز الدنيا من حولك. قد تزول الجبال. قد ينهار كل ما كنت تظنه ثابتًا. لكن هناك ثابتًا لا يزول: الله. هو الباقي. هو القيوم الذي لا يموت. فاجعل تعلقك به. اجعل سندك إليه. الثبات الحقيقي هو الثبات على دين الله.

رسالة التثبيت: كل شيء زائل. الجبال تزول. الأرض تزول. السماء تزول. لكن وجه ربك ذي الجلال والإكرام يبقى. فاجعل قلبك معلقًا بمن لا يزول.

****كيف نعيش هذه الآية؟**

1. في تأمل الجبال:

عندما ترى الجبال، تذكر أنها ستزول يوم القيامة. لا تغتر بعظمتها. تأملها بعين البصيرة. انظر كيف خلقها الله بإتقان.

2. في تأمل السحاب:

عندما ترى السحاب يمر، تذكر أن الجبال ستمر مثله. تذكر أن كل شيء زائل. لا تتعلق بالدنيا.

3. في العمل:

أتقن كل عمل تقوم به. تذكر أن الله يحب الإتقان. لا تقدم عملاً ناقصاً.

4. في المراقبة:

استحضر أن الله خبير بما تفعل. في كل لحظة، في كل عمل، في كل كلمة. هذا الاستحضر يمنعك من الزلل.

5. في اليقين:

لا تكتف بالظن. اطلب اليقين. اسأل الله أن يرزقك يقيناً يثبت قلبك.

**خاتمة: آية تذكر بزوال كل شيء وثبات الله

هذه الآية من أعظم آيات القرآن في تذكير الإنسان بزوال الدنيا. الجبال—أثبت ما في الأرض—تزول كالسحاب. فكيف بما هو دونها؟ إنها تريد أن تخرجك من غفلة الثبات، وتذكرك أن كل شيء زائل إلا وجهه.

المبحث الثالث.

آية الحسنه والسيئة: رحلة بين الأمان والفرع

قال الله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ قَرْعِ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ
وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تَجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)

تمهيد: مشهد الميزان الذي لا يظلم

تخيل معي هذا المشهد الذي يقسم الناس قسمين لا ثالث لهما. يوم عظيم، تنفخ فيه الصور، وتزول فيه الجبال كالسحاب، وتفزع الخلائق فزعاً لا يعلم مداه إلا الله. في ذلك اليوم، يأتي الناس إلى ربهم صفوفًا. كل إنسان يحمل في يده رصيده—رصيد الحسنات ورصيد السيئات.

ثم يبدأ العرض. قسم من الناس يأتون بالحسنات. في وجوههم نور، وفي قلوبهم طمأنينة. هم من آمنوا وعملوا

الصالحات. فإذا بهم يفاجئون بالخير العظيم: الحسنة الواحدة تضاعف أضعافاً كثيرة. وأكثر من ذلك، هم من فزع يومئذ آمنون. النفخة التي أفضت كل شيء، هم في أمان منها. الفزع الأكبر لا يمسه.

وقسم آخر يأتون بالسيئات. هؤلاء الذين عاشوا حياتهم يكذبون الذنوب، ويكذبون بالحق، ويتكبرون على آيات الله. فإذا بهم يكفون على وجوههم في النار. وجوههم التي رفعوها في الدنيا تكب في النار. وجوههم التي استكبروا بها تذلل. ثم يسمعون السؤال الذي لا يحتاج إلى جواب: هل تجزؤون إلا ما كنتم تعملون؟

هاتان الآيتان تمثلان فصل الخطاب في قصة الإنسان. كل شيء انتهى. الستائر رفعت. الحساب بدأ. والنتيجة واضحة: هناك فريق في الأمن، وفريق في العذاب. لا مجال للشفاعة بلا إذن. لا مجال للاعتذار بعد فوات الأوان. فقط العمل هو الذي يتكلم.

اولا: الآية 89 – مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعِ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ

من جاء: الشرط الذي يفتح باب الأمل

"من" شرطية، تفيد العموم. كل من يأتي بالحسنة—أي من أي أمة، في أي زمان، بأي عمل صالح—له هذا الجزاء. الباب مفتوح. الرحمة واسعة. لا تيأس.

الحسنة: ما هي؟

الحسنة في هذا السياق تشمل:

- الإيمان بالله وتوحيده: أعظم الحسنات.
- العمل الصالح: من صلاة وزكاة وصيام وحج.
- الأخلاق الفاضلة: صدق، أمانة، عدل، إحسان.
- كل خير تقدمه للخلق.

اللمسة البيانية:

"جاء بالحسنة" تعبير بديع. كأن الحسنة شيء يحمله الإنسان، ويأتي به إلى الله يوم القيامة. هذا التعبير يجعل العمل الصالح كياناً قائماً بذاته، يبقى لصاحبه بعد موته.

فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا

خير منها: المضاعفة بلا حدود

كل حسنة عملها الإنسان في الدنيا، يجدها يوم القيامة خيرًا منها. كيف؟

- مضاعفة الحسنات: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.
- الثواب لا يقتصر على العدد فقط، بل على جودة الثواب. ثواب الله خير من عمل الإنسان.
- قد يثاب على الحسنة الواحدة بالجنة—وهذا خير منها بلا مقارنة.

اللمسة البيانية:

"خير منها" وليس "أكثر منها". الخيرية تشمل الكمية والكيفية. ثواب الله خير من عمل العبد من كل وجه. وهذا من فضله وكرمه.

وَهُمْ مِّنْ فِرْعٍ يَوْمَئِذٍ مُّثْنُونَ

من فزع يومئذ آمنون: الأمان في يوم الفزع

هذه هي البشارة العظمى. يوم يفزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، هؤلاء الذين جاءوا به الحسنة هم من الفزع آمنون. لا يخافون. لا يفزعون. لا يرتعبون.

ما هو الفزع الذي أمنوا منه؟

- فزع النفخة الأولى: أمنوا من رعبها.
- فزع الموقف: لا خوف عليهم يوم يقوم الناس لرب العالمين.
- فزع الحساب: لا يخافون من ظلم أو نسيان.
- فزع الصراط: يعبرون كالبرق الخاطف.

لماذا أمنوا؟

لأنهم آمنوا في الدنيا، فأمنهم الله في الآخرة. لأنهم خافوا الله في الدنيا، فأمنهم الله يوم الخوف الأكبر. لأنهم عملوا الحسنات، فكانت نورًا أمامهم.

ما تعلمه هذه الآية

أولاً : الحسنة ليست مجرد عمل، بل هي استثمار

كل حسنة تعملها هي استثمار في يوم الفزع. تضعها في رصيدك، لتأمن بها يوم يخاف الناس. لا تبخل على نفسك.

ثانياً: الأمان يوم القيامة ثمنه الإيمان والعمل

لا أمان بلا إيمان. لا أمان بلا عمل. من أراد الأمان يوم الفزع، فليعمل الحسنات اليوم.

ثالثاً: خير من الحسنة هو ثواب الله

لا تحتقر حسنة صغيرة. قد تكون عند الله خيراً من الدنيا وما فيها. الله يضاعف لمن يشاء.

رابعاً: الفزع الأكبر لا يمس المؤمنين

المؤمنون في موقف القيامة في أمان. لا يخافون. لا يحزنون. هذا هو الجزاء لمن آمن وعمل صالحاً.

ثانياً: الآية 90 – وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ

من جاء بالسيئة: المقابل الآخر

بعد الحديث عن أهل الحسنات، يأتي الحديث عن أهل السيئات. التقسيم واضح. لا ثالث لهما. كل إنسان إما من هؤلاء أو من هؤلاء. فاختر لنفسك.

السيئة: ما هي؟

• الشرك بالله: أعظم السيئات.

• الذنوب والمعاصي: ما يغضب الله.

• الظلم للخلق: أكل أموال الناس، قتل النفس، الزنا، وغيرها.

• كل قول وفعل لا يرضي الله.

فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ

كبت: الطرح على الوجه

"كبت" من الكب، وهو الطرح والقلب على الوجه. ليس مجرد إلقاء في النار، بل كب على الوجه. وهذا أشد أنواع العذاب وأذلها.

الوجوه: أشرف الأعضاء

الوجه هو أشرف ما في الإنسان. فيه العينان والأنف والفم. به يتعرف الناس. به يتجمل. في الدنيا كانوا يرفعون وجوههم تكبراً واستعلاءً. في الآخرة تكبُّ وجوههم في النار.

في النار: دار العذاب

النار هي المصير. ليس عذاباً ثم خروجاً، بل هم فيها خالدون أبداً. هذا لمن جاء بالسيئة العظمى—الشرك. أما أصحاب الكبائر من المؤمنين، فمصيرهم إلى الجنة بعد التطهير.

اللمسة البيانية:

"كبت وجوههم" صورة مرعبة. الوجه الذي كان يشرق في الدنيا بالعزة، يصبح في النار مطروحاً مذلولاً. النار تأكل ما كان يعتز به.

هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

السؤال الذي لا يحتاج إلى جواب

هذا سؤال تقريرى. معناه: لا تجزون إلا ما كنتم تعملون. إنه سؤال يذكرهم بأن هذا العدل المطلق. أنتم عملتم السيئات، فجزيتم عليها. ليس ظلماً، بل عدلاً.

مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ: الجزاء من جنس العمل

جزاء السيئة سيئة مثلها. جزاء الكبائر نل. جزاء الإجرام نار. جزاء الإعراض عن الله نار. أنتم عملتم، فأنتم تجزون.

اللمسة البيانية:

جاء السؤال بصيغة الاستفهام للتوبيخ والتقريع. كأنه يقول لهم: أنظلمون؟ أتستنكرون؟ أنتم عملتم، فأنتم تجزون.

ما تعلمه هذه الآية

أولاً: الوجه هو وعاء الكرامة والذل

من رفع وجهه في الدنيا بالتكبر على الله، كبه الله في النار على وجهه. من خفض وجهه لله في الدنيا بالعبادة، رفع الله وجهه يوم القيامة.

ثانياً: الجزاء من جنس العمل

كما عملت، تجزى. إن أردت الأمان يوم الفزع، فاعمل الحسنات. إن أردت العذاب، فاستمر في السيئات. الخيار لك.

ثالثاً: عدل الله مطلق

لا ظلم في الجزاء. كل إنسان يجازى بما عمل. لا يحمل أحد وزر أحد. ولا يؤاخذ أحد بغير ذنب.

رابعاً: السؤال التوبيخي يفضح النفس

"هل تجزون إلا ما كنتم تعملون؟" هذا السؤال يفضح كل عذر. لا عذر يومئذ. لا حجة. العمل هو الذي يتكلم.

**رحلة الفريقين: من الدنيا إلى المصير

هاتان الآيتان تأخذانك في رحلة مقارنة بين فريقين:

المرحلة الأولى: في الدنيا

فريق عمل الحسنات، وفريق عمل السيئات. كل يعمل على شاكلته.

المرحلة الثانية: يوم العرض

فريق يأتي بالحسنات، وفريق يأتي بالسيئات. كل يحمل ما عمل.

المرحلة الثالثة: الجزاء

فريق يجد خيراً مما عمل، ويأمن من الفزع. وفريق يكب على وجهه في النار.

المرحلة الرابعة: التذكير

فريق يبشر بالأمان. وفريق يسمع سؤال التوبيخ: هل تجزون إلا ما كنتم تعملون؟

**لماذا تسمى آية الحسنه والسيئة؟

تسمى آية الحسنه والسيئة لأنها تفرق بين الفريقين وتحدد مصير كل منهما. وتسمى آية الأمان والفرع لأنها تذكر أن المؤمنين آمنون من فرع يومئذ. وتسمى آية الجزاء لأنها تؤكد أن الجزاء من جنس العمل.

**أهم الدروس والتوجيهات

1. استثمر في الحسنات

كل لحظة في حياتك هي فرصة لاستثمار. كل حسنة تعملها هي أمان لك يوم الفرع. لا تضيع وقتك. لا تؤخر العمل الصالح.

التطبيق العملي: اجعل لك هدفاً يومياً في العمل الصالح. صلاة، صدقة، ذكر، قراءة قرآن، إحسان إلى الناس. كلها حسنات.

2. لا تحتقر حسنة صغيرة

قد تحتقر الحسنه الصغيره. لكنها عند الله قد تكون خيراً من الدنيا وما فيها. لا تدري أي حسنة تكون سبباً في نجاتك.

التطبيق العملي: لا تستهن بأي عمل صالح. ابتسامه في وجه أخيك، كلمة طيبة، إماطة أذى عن الطريق—كلها حسنات.

3. احذر السيئة وإن صغرت

كما أن الحسنه الصغيره قد تكون عظيمه عند الله، كذلك السيئة الصغيره قد تكون سبباً في هلاكك. لا تحتقر السيئة.

التطبيق العملي: إذا أذنبت، بادر بالتوبة. لا تستصغر الذنب. الذنب الصغير قد يكبر بالاستمرار.

4. اطلب الأمان من الفزع الأكبر

يوم القيامة يوم فزع عظيم. لا أمان فيه إلا لمن آمن وعمل صالحًا. ادعُ الله أن يؤمنك يوم الفزع.

التطبيق العملي: ادعُ دائمًا: اللهم آمين يوم الفزع الأكبر. اللهم اجعلني من الذين هم من فزع يومئذ آمنون.

5. تذكر أن الجزاء من جنس العمل

كل ما تفعله سترد إليك. إن أحسنت، أحسن إليك. إن أسأت، جوزيت بإساءتك. فاختر ما ترضاه لنفسك.

التطبيق العملي: قبل أن تفعل شيئًا، اسأل نفسك: هل أَرْضَى أن أجازى بهذا يوم القيامة؟ إن لم ترض، فلا تفعله.

**المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة "جاء بالحسنة": العمل يسبق الجزاء

لا جزاء بلا عمل. لا أمان بلا سعي. لا تنتظر النجاة وأنت نائم. قم، واعمل، واجتهد. ثم انتظر فضل الله.

فلسفة "خير منها": كرم الله لا حدود له

قد تعمل عملاً صغيراً، فيعطيك الله عليه خيراً لا يتناسب مع عملك. هذا هو الكرم الإلهي. لا تحسب أن عملك يساوي ثوابه. ثواب الله أكبر.

فلسفة "آمنون": الأمان ثمنه الإيمان

من يريد الأمان في الآخرة، فليؤمن في الدنيا. الإيمان هو الذي يملأ القلب طمأنينة في الدنيا والآخرة.

فلسفة "كبت وجوههم": الذل لمن استكبر

الوجه هو عنوان الكرامة. من استكبر في الدنيا على عباد الله، أذله الله يوم القيامة. فمن أراد العزة، فليذل لله.

فلسفة "هل تجزون إلا ما كنتم تعملون": عدل الله المطلق

لا ظلم في ملك الله. كل إنسان يجازى بما كسب. لا يظلم ربك أحداً. هذا العدل يطمئن المظلوم، ويرهب الظالم.

**رسالة التثبيت: أنت من تختار مصيرك

قد تشعر أحياناً أن الأمور خارجة عن إرادتك، وأن المصير محتوم. هذه الآيات تذكرك أن لك يدًا في مصيرك. أنت من تختار أن تكون من أصحاب الحسنات أو من أصحاب السيئات. أنت من تقرر أن تكون من الأمنين أو من المكبوبين في النار. اختر اليوم. اختر الآن.

رسالة التثبيت: كل لحظة تمر هي فرصة لتختار. اختر الحسنات. اختر الأمان. اختر الجنة. فالله كريم، يضاعف الحسنات، ويستر السيئات، ويقبل التوبة. فلا تيأس.

**كيف نعيش هاتين الآيتين؟

1. في العمل الصالح:

كل عمل تعلمه، استحضر أنه سيكون "حسنة" تأتي بها يوم القيامة. أتقنه، وأخلص فيه، واستكثر منه.

2. في التوبة:

إذا وقعت في سيئة، بادر بالتوبة. لا تتركها في رصيدك. امحها بالتوبة والحسنات.

3. في الأمان:

ادع الله دائماً أن يجعلك من الأمنين يوم الفزع. لا تغتر بقوتك، ولا بعملك. اسأل الله الأمان.

4. في التواضع:

لا ترفع وجهك على عباد الله. من تواضع لله رفعه. من تكبر خفضه الله.

5. في الاستعداد:

عش كل يوم كأنه يوم العرض. ماذا قدمت اليوم من حسنات؟ ماذا اجتنبت من سيئات؟ هذا الاستعداد يغير حياتك.

****خاتمة: آية تضعك أمام الخيار الأبدي**

هاتان الآيتان تضعانك أمام الخيار الأكبر في حياتك. لا خيار ثالث. إما أن تكون من أصحاب الحسنات، فتجد الخير والأمان. وإما أن تكون من أصحاب السيئات، فتذل وتكب في النار.

المبحث الرابع

آية الأمر بالعبادة والاستمسك بالقرآن: رحلة إلى هوية المؤمن ورسالته

قال الله تعالى: **إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ** ^ط **وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** (٩١) **وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ** ^ط **فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ** ^ط **وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ** (٩٢)

تمهيد: مشهد النبي الذي يعلن هويته

تخيل معي هذا المشهد العظيم. النبي صلى الله عليه وسلم يقف في مكة—بلدته التي أحبها، ومسقط رأسه، ومهد نبوته. قومه يضغطون عليه، يعرضون عليه الصفقات، يطلبون منه أن يمس عن آلهتهم، أن يدعهم وشأنهم، أن يخفف من حدة دعوته. في مقابل ذلك، يعرضون عليه الملك والمال والزعامة.

لكنه يقف في قرارة نفسه، ويعلنها كلمة لا تحتل التأويل: **إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ.**

هذه ليست مجرد إجابة على طلب. هذه هي الهوية. هذا هو المنهج. هذا هو الخط الفاصل بين الحق والباطل. أنا لا أعبد آلهتكم. لا أتبع أهواءكم. لا أخضع لضغوطكم. أنا أمرت أن أعبد رب هذه البلد—الرب الذي خلقها وحرمها وجعلها آمنة. وهو رب كل شيء. وأمرت أن أكون من المسلمين—المنقادين الخاضعين لله وحده.

ثم يأتي الأمر الثاني: **وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ.** ليس فقط أن أعبد، بل أن أتلا القرآن. أن أبلغه، أن أظهره، أن أعلنه. ثم يحدد مسؤولية الدعوة: من اهتدى فلنفسه. ومن ضل فقل: **إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ.** أنا بلغت. أنا أدت الرسالة. أما الهداية فبيد الله.

هاتان الآيتان تمثلان لحظة حاسمة في حياة النبي. إنها إعلان الهوية. وتتعبت للمنهج. وتحديد للمسؤولية. إنها تعلم كل مؤمن كيف يكون موقفه في وجه الضغوط، وكيف يحدد هويته، وكيف يؤدي رسالته دون أن يحمل ما لا يطيق.

اولاً: الآية 91 – إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ^ط **وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**

إِنَّمَا أَمْرُهُ

إنما: الحصر والقصر

"إنما" أداة حصر. تقدمها على الخبر يفيد أن النبي ليس له أمر آخر. ليس مأموراً بمرضاتهم. ليس مأموراً بالتنازل عن دينه. هو مأمور بأمر واحد فقط: عبادة الله.

أمرت: التكليف الإلهي

النبي لم يأت من تلقاء نفسه. لم يختار هذا الدين بناءً على هواه. إنه مأمور. هذا الأمر هو مصدر قوته. ليس رأيًا يقبل النقاش، بل وحي لا يحتمل التفاوض.

اللمسة البيانية:

"أمرت" بصيغة الماضي، تدل على أن الأمر قد وقع وتم. ليس أمرًا جديدًا، بل هو الثابت الذي يمشي عليه.

أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ

أعبد: العبودية الخالصة

العبادة هي الغاية من الخلق. هي معنى الوجود. النبي يؤكد أنه مأمور بهذه العبودية. ليس عبادة مَنْ؟ لا ألهتكم. لا أوثانكم. بل رب هذه البلد.

رب هذه البلد: مكة المكرمة

الله لم يقل "رب مكة" بل "رب هذه البلد". الإشارة إلى مكة بالاسم "البلد" فيه تعظيم. مكة هي بلد الله الحرام. هي أعظم بقاع الأرض. وهي مسقط رأس النبي. فهو يعبد رب هذه البلد المقدسة.

اللمسة البيانية:

"هذه البلد" إشارة إلى القريب، للدلالة على حضورها في قلبه. كأن مكة أمام عينيه، وهو يعلن أنه يعبد ربها.

الَّذِي حَرَّمَهَا

حرمها: التشريف الإلهي

الله هو الذي حرّم مكة. جعلها أمًّا. جعلها حرامًا لا يسفك فيها دم، ولا يُعضد فيها شجر، ولا يُنقر فيها صيد. هذا التحريم من الله وحده. ليس من أحد من البشر.

الربط بين العبادة والتحريم

كأن الله يقول: أنا الذي حرّمت هذه البلد، فكيف تعبدون فيها غيري؟ أنا صاحب الحرمة، فكيف تشركون بي؟

وله كل شيء

وله كل شيء: توسيع الأفق

بعد أن ذكر رب هذه البلد، وسع الرؤية: له كل شيء. ليس فقط مكة. ليس فقط الحرم. بل السماوات والأرض وما بينهما. كل شيء في ملكه. كل شيء تحت قهره. فكيف تعبد الأصنام؟

اللمسة البيانية:

جملة "وله كل شيء" بعد ذكر رب البلد، للانتقال من الخاص إلى العام. من رب الحرم إلى رب الكون كله.

وأمرت أن أكون من المسلمين

من المسلمين: الانتماء إلى أمة الإيمان

لم يقل "أكون مسلمًا" بل "من المسلمين". هذا يفيد الانتماء إلى الجماعة المؤمنة. الإسلام ليس فردية. هو أمة. النبي يأمر بأن يكون من هذه الأمة—أمة الخاضعين لله.

المسلمين: المستسلمين لله

المسلم هو المنقاد الخاضع. الذي استسلم لله طوعًا. ليس فيه عناد، ولا استكبار، ولا إعراض. النبي يعلن هذا الاستسلام لله وحده.

ما تعلمه هذه الآية

أولا: العباداة لله وحده

هذا هو جوهر الرسالة. لا تعبد إلا الله. لا تخضع إلا له. لا تذلل إلا له. هذا هو الذي أمر به الله. لا تنازل فيه. لا تفاوض عليه.

التطبيق العملي: اجعل شعارك: "إنما أمرت أن أعبد ربي". لا تترك أحدًا يصرفك عن عبادته.

ثانياً: الاستسلام لله وحده

أن تكون من المسلمين يعني أن تستسلم لله في كل شيء. لا تستسلم لضغوط الناس. لا تخضع لأهوائهم. خضوعك لله وحده.

التطبيق العملي: إذا ضغط عليك الناس لترك شيء من دينك، تذكر: أمرت أن أكون من المسلمين. لا أكون من المنافقين المترددين.

ثالثاً: رب البلد الحرام هو رب كل شيء

لا تظن أن عبادة الله مقصورة على الحرم. هو رب الحرم ورب كل شيء. عبادته في كل مكان. في البيت، في العمل، في السفر. كل مكان هو مسجد إذا أردت.

التطبيق العملي: لا تجعل عبادتك مقصورة على المسجد. عش عبوديتك لله في كل لحظة، في كل مكان.

رابعاً: القدوة في الثبات

النبي صلى الله عليه وسلم وقف في وجه قومه وأعلن هذه الكلمات. هو قدوتك في الثبات على الحق. إذا تعرضت لضغوط، تذكر موقفه.

ثانياً: الآية 92 – وَأَنْ أْتَلُوا الْقُرْآنَ ^ط فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ^ط وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ

وَأَنْ أْتَلُوا الْقُرْآنَ

أتلو: التلاوة والبلاغ

بعد الأمر بالعبادة، يأتي الأمر بتلاوة القرآن. التلاوة هنا ليست مجرد قراءة للنفس، بل هي البلاغ والدعوة. النبي مأمور أن يتلو القرآن على الناس، يبلغهم إياه، يوضحه لهم.

القرآن: الرسالة والمنهج

القرآن هو دستور النبي. به يعبد الله. به يدعو الناس. به يبين الحق. تلاوته هي وظيفته الأساسية.

الربط بين العبادة والتلاوة

لا يمكن أن تكون عابداً لله دون أن تتلو كتابه. العبادة والتلاوة وجهان لعملة واحدة. العبادة تربية، والتلاوة بلاغ.

فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ

من اهتدى: الفريق الأول

من اهتدى بالقرآن، وآمن به، واتبع ما فيه—فهذا الهدى له. نفعه يعود عليه. هو الذي سينجو. هو الذي سيسعد.

يهتدي لنفسه: الهدى نفع ذاتي

الهدى ليس نفعاً للرسول، ولا للدعاة. هو نفع للعبد نفسه. الذي يهتدي، إنما يهدي نفسه. يملأها نوراً، ويبعدها عن النار.

اللمسة البيانية:

تأكيد "إنما" يفيد الحصر. هدى المهتدي لا يعود إلا عليه. لا يضيف إلى الله شيئاً، ولا ينقص من الرسول شيئاً.

وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ

من ضل: الفريق الآخر

من ضل عن الهدى، وأعرض عن القرآن، واستمر في غيه—فهذا قد أضر نفسه. الرسول لا يحمل وزر ضلاله.

قل: الأمر الإلهي

النبي مأمور أن يقول هذه الكلمة. ليست رأياً، بل أمراً. يقولها بثبات، دون اعتذار، دون تردد.

إنما أنا من المنذرين: تحديد المسؤولية

المنذر هو الذي يخطر الناس بالخطر، ويحذرهم من العاقبة. دور النبي هو الإنذار. ليس دور الإكراه. ليس دور الجبر. ليس دور هداية القلوب.

ما معنى "من المنذرين"؟

• أنا أنذر فقط. لا أجبر.

• أنا أبلغ فقط. لا أهدي.

• أنا أحذر فقط. لا أملك قلوبكم.

اللمسة البيانية:

"من المنذرين" بصيغة الجمع، ليشعر النبي أنه ليس وحده. هناك سلسلة من المنذرين قبله. نوح، هود، صالح، شعيب، موسى، عيسى—كلهم أنذروا، وكلهم بلغوا، وكلهم قالوا: لا تحملوا علينا ما لم تفعلوا.

ما تعلمه هذه الآية

أولاً: تلاوة القرآن هي وظيفتك

لست مأمورًا فقط بالعبادة. أنت مأمور أيضًا بتلاوة القرآن. أن تتعلمه، وأن تعلمه. أن تقرأه، وأن تبلغه. لا تكن مسلمًا صامتًا. كن مسلمًا يتلو كتاب ربه.

التطبيق العملي: اجعل للقرآن وردًا يوميًا. اقرأه، وافهمه، وبلغه لمن حولك.

ثانيًا: لا تحمل نفسك ما لا تطيق

أنت منذر، لست مسيطرًا. ليس عليك هداية الناس. ليس عليك إجبارهم. عليك البلاغ، وعليهم الاستجابة.

التطبيق العملي: إذا دعوت أحدًا إلى الله فلم يستجب، لا تحزن. أنت أديت دورك. الهداية بيد الله.

ثالثًا: الهدى نفع ذاتي، والضلال ضرر ذاتي

من اهتدى، فإنما يهدي نفسه. ومن ضل، فإنما يضر نفسه. لا ينتفع بك أحد إلا إذا اهتدى بنفسه. ولا يضرك أحد إلا إذا أضلت نفسك.

التطبيق العملي: لا تنتظر أن يهدي الناس أحدًا. كن أنت الذي تطلب الهدى لنفسك. وكن سببًا في هداية غيرك، لكن لا تعلق قلبك بنتائج ذلك.

رابعًا: الثبات على المبدأ

النبي لم يقل: "إن شئتم تركت لكم" أو "إن شئتم خفت". بل قال: أمرت بكذا، وأنا من المسلمين، وأنا أتلو القرآن. هذا ثبات. هذا نموذج.

التطبيق العملي: لا تتنازل عن مبادئك مهما كانت الضغوط. كن ثابتًا كما كان النبي.

****رحلة الهوية والرسالة: من العبادة إلى البلاغ**

هاتان الآيتان تأخذانك في رحلة لتحديد هويتك ورسالتك:

المرحلة الأولى: العبادة الخالصة

تبدأ بتحديد من تعبد: رب هذه البلد، الذي له كل شيء. هذا هو محور حياتك. كل شيء يدور حول هذه العبودية.

المرحلة الثانية: الانتماء إلى أمة الإسلام

تعلن أنك من المسلمين. لست فردًا شاذًا. أنت جزء من أمة تمتد عبر الزمان والمكان. أمة الخاضعين لله.

المرحلة الثالثة: تلاوة القرآن

وظيفتك أن تتلو القرآن. أن تتعلمه وتعلمه. أن تكون حاملًا لرسالته.

المرحلة الرابعة: تحديد المسؤولية

أنت منذر، لست مسيطرًا. بلغت، وهدى الله من يشاء. فلا تحزن، ولا تضق.

*****لماذا تسمى آية الأمر بالعبادة والتلاوة؟**

تسمى آية الأمر بالعبادة لأن النبي يعلن فيها أنه أمر بعبادة الله وحده. وتسمى آية التلاوة لأنه أمر بتلاوة القرآن. وتسمى آية تحديد المسؤولية لأنه يبين أن الهدى بيد الله، وهو مجرد منذر.

****أهم الدروس والتوجيهات**

1. اعرف هويتك: أنت عبد لله وحده

هويتك ليست في قبيلتك، ولا في جنسيتك، ولا في منصبك. هويتك هي العبودية لله. هذه الهوية يجب أن تظهر في كل شأن من شؤونك.

التطبيق العملي: كلما سئلت: من أنت؟ فليكن جوابك: أنا عبد الله. هذه الهوية تعلو على كل هوية.

2. كن من المسلمين لا من المترددين

الإسلام ليس مجرد اسم. إنه استسلام كامل لله. كن من الذين استسلموا لله ظاهرًا وباطنًا. لا تكن من الذين يتنازلون عن دينهم عند أول ضغط.

التطبيق العملي: إذا تعارض أمر الله مع أمر الناس، اختر أمر الله. كن مسلمًا حقًا.

3. اجعل القرآن رفيق حياتك

تلاوة القرآن ليست للعبادة فقط. هي للهداية، وللدعوة، وللحياة. اجعل القرآن منهجك. اقرأه يوميًا. حاول أن تختمه في كل شهر. تفكر في آياته.

التطبيق العملي: حدد وقتًا يوميًا للقرآن. لا يمر عليك يوم دون أن تقرأ وردًا منه.

4. لا تحمل هم هداية الناس

قد تدعو أقرب الناس إليك فلا يستجيبون. لا تحزن. لبس عليك هدايتهم. عليك البلاغ. ادع، وبلغ، واترك النتائج لله.

التطبيق العملي: إذا شعرت بالإحباط لأن دعوتك لم تؤثر، تذكر: إنما أنا من المنذرين. ليس عليّ إلا البلاغ.

5. استمر في الرسالة مهما كانت النتائج

النبي استمر في الدعوة رغم أن أكثر قومه كذبوه. لم يتوقف لأن النتائج لم تكن كما يريد. استمر أنت أيضًا. لا تتوقف. لا تيأس.

التطبيق العملي: لا تجعل عدم الاستجابة يثبط همته. استمر في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

**المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة "أمرت": الطمأنينة في التكليف

عندما تعلم أن ما تفعله هو أمر من الله، تطمئن. لا تحتاج إلى موافقة الناس. لا تحتاج إلى تأييدهم. أنت مأمور، وأنت منفذ. هذه الطمأنينة تعطيك قوة لا تهتز.

فلسفة "رب هذه البلد": الحضور الإلهي في كل مكان

الله هو رب مكة، وهو رب بلدك. هو رب الحرم، وهو رب بيتك. لا تحتاج إلى مكان خاص لتعبد الله. هو معك أينما كنت. فاعبده.

فلسفة "من المسلمين": الانتماء الذي لا ينقطع

أن تكون من المسلمين يعني أنك لست وحدك. هناك أمة كاملة تسير معك. هناك إخوة لك في كل بقاع الأرض. هذا الانتماء يعطيك قوة.

فلسفة "أتلو القرآن": الكلمة التي تغير العالم

تلاوة القرآن ليست قراءة صامتة. إنها رسالة تعلن. إنها كلمة تصل إلى القلوب. إنها نور يخترق الظلمات. كن حاملاً لهذه الكلمة.

فلسفة "من المنذرين": راحة النفس في تحديد المسؤولية

عندما تعلم أن دورك هو الإنذار فقط، ترتاح. لا تحمل هم الاستجابة. لا تحمل هم النتائج. أنت بلغت. والباقي على الله.

**رسالة التثبيت: أنت على طريق الأنبياء

قد تشعر في بعض الأحيان بالوحدة، وأن الناس لا يستجيبون لدعوتك. تذكر أنك لست وحدك. كل الأنبياء مروا بهذه المرحلة. كلهم قالوا: إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ. كلهم بلغوا ثم تركوا النتائج لله.

رسالة التثبيت: استمر. لا تتوقف. أنت على طريق الأنبياء. أنت مأمور بالعبادة والتلاوة. أما النتائج فبيد الله. فثق به.

**كيف نعيش هاتين الآيتين؟

1. في العبادة:

اجعل عبادتك لله خالصة. لا تشرك به أحداً. لا ترائي. لا تسمع. اجعل قلبك لله وحده.

2. في الدعوة:

ادع إلى الله بالحكمة. بلغ القرآن. لا تمل. لا تيأس. ولا تحمل هم النتائج.

3. في الثبات:

إذا ضغط عليك الناس، تذكر: "إنما أمرت أن أعبد ربي". لا تتنازل. لا تتردد. كن ثابتاً.

4. في القراءة:

اجعل للقرآن ورداً يومياً. لا تهجره. اقرأه بتدبير. حاول أن تفهمه. اجعله نوراً في حياتك.

5. في التعامل مع النتائج:

إذا لم تستجب دعوتك، لا تحزن. قل: حسبي الله. أنا بلغت. والهداية بيده. هذا يريح قلبك.

خاتمة: آية تحدد هويتك وتحرك

هاتان الآيتان تحددان هويتك الحقيقية: أنت عبد لله. وتحركانك من التعلق بنتائج الدعوة: أنت منذر، لست مسيطراً. إنها تضعك على الطريق الصحيح: تعبد الله، وتتلو كتابه، وتدعو إليه، ثم تترك النتائج له.

اخيراً

آية التسبيح وإظهار الآيات: رحلة الختام التي لا تنتهي

قال الله تعالى: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

تمهيد: مشهد الختام الذي يفتح الأفاق

تأمل معي هذا المشهد الأخير من سورة النمل. السورة التي بدأت بالطاء والسين—حروف تنفس عظيمة، وتنتهي بهذه الكلمات التي تجمع بين الشكر والوعد والوعيد. إنها لحظة وداع سورة كاملة، لكنها ليست وداعاً عادياً. إنها تترك في قلبك بذرة تنتظر أن تنمو، وتضع في روحك نوراً ينتظر أن يشع.

أنت الآن تقف على مشارف نهاية سورة. مررت بآيات التوحيد التي هزت كيائك، وآيات البعث التي أيقظت غفلتك، وآيات الجبال التي أزالَت ثباتك الوهمي، وآيات الحسنة والسيئة التي وضعتك أمام الخيار الأبدي. والآيات، تأتي الخاتمة.

تأمرك الآية أن تقول: الحمد لله. ليس حمداً عابراً، بل حمداً يليق بمن أنزل هذه السورة، وبمن خلق هذا الكون، وبمن يدبر هذا الوجود. ثم تعدك بوعد عظيم: سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا. آياته في الأفاق، وآياته في الأنفس، ستظهر لكم، وستتجلى لكم، وستعرفونها معرفة لا لبس فيها.

ثم تختم بجملته تهز الضمير: وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. ربك ليس بغافل. ليس بساه. ليس بمن يغفل عن حركة في الكون، ولا عن خاطرة في قلب، ولا عن عمل في جارحة. هو الرقيب، هو الحفيظ، هو المحصي.

هذه الآية الخاتمة ليست نهاية، بل هي بداية جديدة. إنها تضعك في موقف المتأمل المنتظر، الذي يملأ قلبه الحمد، وتتطلع عيناه إلى آيات الله، ويستحضر في كل لحظة أن ربه ليس بغافل عما يعمل.

أولاً : وَقَلِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَقَلِّ: الأمر الإلهي بالحمد

تبدأ الخاتمة بأمر: "قل". ليس مجرد تلاوة، بل أمر مباشر من الله لنبيه، ولكل من يقرأ هذه الآية. قل بلسانك، وبقلبك، وبحياتك: الحمد لله.

اللمسة البيانية:

الأمر "قل" في خاتمة السورة له دلالة عميقة. بعد كل ما مررت به من آيات—من بداية السورة إلى نهايتها— يأمرك الله أن تقف وتقول: الحمد لله. وكأنه يقول: بعد كل هذه الآيات، بعد كل هذه البيئات، لا يبقى إلا الحمد.

الْحَمْدُ لِلَّهِ: معنى الحمد

الحمد: الثناء بالجميل

الحمد هو الثناء على الله بصفات الكمال، والاعتراف بنعمه، والرضا بقضائه. الحمد لله على كل شيء. على النعم الظاهرة والباطنة. على النعم التي نعرفها والتي لا نعرفها.

لماذا الحمد في الختام؟

- حمداً على نعمة القرآن: الذي أنزل هذه السورة العظيمة.
- حمداً على نعمة الهداية: التي وفقك لتقرأ وتفهم.
- حمداً على نعمة الإمهال: أن الله لم يعاجلك بالعذاب.
- حمداً على نعمة الوعد: أنه سيريك آياته.
- حمداً على كل شيء: لأن كل شيء من عنده، وكل شيء بخير.

أولاً : الحمد هو ختام كل أمر

مهما مررت به من تجارب، مهما واجهت من تحديات، اجعل ختامها الحمد لله. الحمد في السراء والضراء. الحمد في النجاح والفشل. الحمد في كل حال.

التطبيق العملي: اجعل الحمد لله هو آخر كلمة تخرج من فمك في كل أمر. أنه صلاتك بالحمد. أنه قراءتك بـ الحمد. أنه يومك بالحمد.

ثانياً: الحمد عبادة اللسان والقلب

الحمد ليس مجرد كلمات ترددها. هو عبادة تشمل اللسان بالذكر، والقلب بالخشوع، والجوارح بالطاعة. احمد الله بلسانك، وبقلبك، وبحياتك.

التطبيق العملي: كلما قلت "الحمد لله"، اشعر بمعناها. اشعر أنك تتني على ربك بكل ما هو أهل له.

ثالثاً: الحمد يفتح أبواب الخير

من أكثر من الحمد، فتح الله له أبواب الخير. الحمد يجلب النعم، ويدفع النقم، ويثبت القلوب.

ثانياً : سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا

سَيُرِيكُمْ: وعد إلهي مؤكد

"سيربكم" بالسین الدالة على الاستقبال القريب. هذا وعد من الله بأنه سيربي عباده آياته. ليس ربما، ولا عسى، بل سيربكم—حتماً، لا محالة.

من المخاطب؟

المخاطب هم الكفار الذين أنكروا الآيات، والمؤمنون الذين ينتظرون المزيد من اليقين. كلهم سيرون آيات الله.

آياته: ما هي الآيات التي سيربها؟

الآيات في هذه الجملة تشمل:

أولاً : آيات في الأفاق

• الشمس والقمر والنجوم: تسخر بأمره.

- الليل والنهار: يتعاقبان بحكمة.
- المطر والنبات: تحيا بهما الأرض.
- الجبال والبحار: تشهد بعظمته.

ثانياً: آيات في الأنفس

- خلق الإنسان: من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى خلق آخر.
- اختلاف الألوان والألسنة: آية من آياته.
- النوم واليقظة: موت أصغر وبعث أصغر.
- ما في الصدور من أسرار: ستتكشف يوم القيامة.

ثالثاً: آيات في التاريخ

- هلاك الأمم السابقة: لمن تأخر وعظهم.
- نصر المؤمنين: في مواقع كثيرة.
- خذلان الكافرين: في الدنيا قبل الآخرة.

رابعاً: آيات في المستقبل

- ما سيحدث للنبي وأمته: من نصر وتمكين.
- ما سيحدث للمكذابين: من عذاب عاجل أو أجل.
- يوم القيامة: أكبر آية يرونها.

خامساً: آيات في القرآن

- الآيات التي تتلى عليهم: كل آية هي علامة.
- الإعجاز القرآني: الذي سيبقى على مر الزمان.

فَتَعْرِقُونَهَا

تعرفونها: المعرفة بعد الرؤية

سيرونها، ثم سيعرفونها معرفة لا شك فيها. المعرفة هنا هي العلم اليقيني الذي لا يخالطه شك. في الدنيا، يعرف بعض الناس بعض الآيات. وفي الآخرة، سيعرفون كل شيء معرفة لا تنفع.

اللمسة البيانية:

"فتعرفونها" بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب. أي سيرونها ثم في الحال يعرفونها. لا تأخير. لا لبس. الرؤية تؤدي إلى المعرفة اليقينية.

ما تعلمه هذه الجملة

أولا : انتظر آيات الله

الله وعد أن يريك آياته. لا تستعجل. لا تيأس. آياته ستأتي. إما في الدنيا، وإما في الآخرة. انتظرها بثقة.

التطبيق العملي: عش حياتك بانتظار آيات الله. كل يوم قد يحمل آية جديدة. انظر حولك بعين المتأمل.

ثانياً: المعرفة تأتي بعد الرؤية

بعض الناس لا يعرفون حتى يرون. سيرون آيات الله في الدنيا أو في الآخرة، ثم يعرفون. لا تكن منهم. اعرف قبل أن ترى.

التطبيق العملي: استبق المعرفة بالإيمان. لا تنتظر حتى ترى لتؤمن. آمن لتكون من الذين يعرفون قبل أن يروا.

ثالثاً: الآيات كثيرة لكن القلوب غافلة

آيات الله موجودة في كل مكان. لكن القلوب الغافلة لا تراها. اسأل الله أن يريك آياته بعين البصيرة.

التطبيق العملي: اجعل لك وقتاً يومياً تتأمل فيه في آيات الله. في السماء، في الأرض، في نفسك.

ثالثاً : وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ

ما ربك بغافل: نفي مطلق للغفلة

"ما" نافية، و"بغافل" منصوب على خبر "ما". المعنى: ربك ليس بغافل أبدًا. لا يغفل عن شيء. لا يغفل عن ظالم ، ولا عن مظلوم. لا يغفل عن صغير، ولا عن كبير.

الغفلة: السهو والنسيان

الغفلة هي أن يغيب عن الإنسان شيء لانشغاله بغيره. الله منزه عن الغفلة. لا يشغله شأن عن شأن. لا يغفل عن حركة نملة في ظلمات الليل.

ربك: الإضافة للتشريف والتريبة

"ربك" مضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فيه تشريف له، وفيه تذكير بأن الله هو المربي الذي يرفع عبادته.

عَمَّا تَعْمَلُونَ

تعملون: شمول الأعمال

كل ما تعملون—صغيره وكبيره، سره وعلنه، ما في قلوبكم وما في جوارحك—الله ليس بغافل عنه.

اللمسة البيانية:

"تعملون" بصيغة المضارع، للدلالة على التجدد والاستمرار. أنتم في حالة عمل مستمر. والله في حالة إحاطة مستمرة.

ما تعلمه هذه الجملة

أولا : الله رقيب عليك في كل لحظة

لا تظن أن أحدًا لا يراك. لا تظن أن ذنبًا يخفى على الله. الله ليس بغافل. يراك حيث لا يراك أحد. فاحذر.

التطبيق العملي: استحضِر مراقبة الله في كل عمل. قل: الله يراني. الله ليس بغافل عما أعمل.

ثانياً: لا تخف من ظلم الناس

إذا ظلمك أحد، فلا تخف. ربك ليس بغافل عما يعملون. سيجزيهم على ظلمهم. لا تحتاج إلى الانتقام بنفسك.

التطبيق العملي: إذا ظلمت، قل: حسبي الله. ربك ليس بغافل عما يعملون. ثق أن الله سينصفك.

ثالثاً: لا تغتر بإمهال الله

قد يمهل الله الظالم، ولا يعاجله بالعقوبة. لا تغتر. هذا الإمهال ليس غفلة. الله يمهل لحكمة. لكنه لا يمهمل.

التطبيق العملي: إذا رأيت ظالماً يمهمل، لا تقل: الله غافل عنه. قل: الله يمهل لحكمة. وسيجزيه.

رابعاً: العمل محفوظ وسيجزي عليه

كل عمل تعلمه محفوظ عند الله. لا يضيع. سواء كان خيراً أو شراً. ستراه يوم القيامة. فاعمل ما يسرك أن تراه.

التطبيق العملي: قبل أن تعمل، تذكر أن عملك مسجل. اسأل نفسك: هل أريد أن أرى هذا العمل يوم القيامة؟

**دلالة اختتام السورة بهذه الآية

لماذا اختتمت سورة النمل بهذه الآية؟

أولاً: التكامل مع بداية السورة

سورة النمل بدأت بالطاء والسين—حروف تدل على عظمة القرآن—وتحدثت عن القرآن أنه هدى وبشرى للمؤمنين. وختمت بالأمر بالحمد والوعد بإظهار الآيات. فكأن السورة بدأت بالكتاب، وختمت بالشكر على الكتاب والوعد بمزيد من الآيات.

ثانياً: جمع مقاصد السورة

سورة النمل تحدثت عن:

• التوحيد: في آيات كثيرة.

• البعث: والرد على منكره.

• قصص الأنبياء: موسى، سليمان، صالح، لوط.

• موقف المشركين من القرآن.

• مشاهد القيامة.

هذه الآية الخاتمة جمعت كل هذه المقاصد في ثلاث جمل:

• الحمد لله: شكرًا على كل هذه النعم، وعلى الهداية.

• سيربكم آياته: إشارة إلى أن ما ذكر في السورة من آيات هو بعض ما سيرون.

• وما ربك بغافل عما تعملون: تذكير بأن الله محيط بكل شيء، وسيجازي كل عامل بعمله.

ثالثًا: الانتقال من الدنيا إلى الآخرة

السورة تحدثت عن الدنيا وما فيها من آيات، وعن يوم القيامة وما فيه من أهوال. الآية الخاتمة تجمع بين الحمد في الدنيا، والوعد بالآيات في المستقبل، والتذكير بالمراقبة التي تستمر إلى يوم الدين.

رابعًا: التثبيت للنبي والمؤمنين

في ختام السورة، يثبت الله نبيه والمؤمنين: أنتم على حق. وآيات الله ستظهر. والله ليس بغافل عما يعمل المكذبون. فلا تحزنوا، ولا تضيقوا.

خامسًا: الدعوة إلى اليقظة والمراقبة

الآية الخاتمة تضع المؤمن في حالة من اليقظة الدائمة. الحمد لله على ما أنعم. وانتظار آيات الله في كل لحظة. واستحضار أن الله رقيب على كل عمل.

**رحلة الختام: من الحمد إلى الرقابة

هذه الآية الخاتمة تأخذك في رحلة متكاملة:

المرحلة الأولى: الحمد

تبدأ بالحمد. تشكر الله على كل شيء. على السورة التي قرأتها، على الهداية التي نلتها، على النعم التي تحيط بك.

المرحلة الثانية: الانتظار

تنتظر آيات الله. بعين متطلعة، وقلب واثق. تعلم أن الله سيريك آياته في الافاق وفي الأنفس. تنتظرها بفرح.

المرحلة الثالثة: المعرفة

عندما ترى الآيات، تعرفها. تعرف أن الله هو الذي أرسلها. تعرف أن الحق مع الله. تعرف أن الوعد صدق.

المرحلة الرابعة: المراقبة

وتستمر في حياتك مستحضراً أن ربك ليس بغافل عما تعمل. هذا الاستحضار يمنعك من المعصية، ويدفعك إلى الطاعة.

***أهم الدروس والتوجيهات

1. اجعل الحمد لله ختام كل أمر

كل أمر تنتهي منه—قراءة، صلاة، عمل، يوم—اختمه بالحمد لله. هذا يعلمك الشكر، ويبارك لك فيما أنجزت.

التطبيق العملي: اجعل الحمد لله هو آخر كلمة في كل مجلس، وفي كل عمل، وفي كل يوم.

2. انتظر آيات الله بثقة

لا تيأس إذا تأخرت الآيات. الله وعد أن يريكها. انتظرها بثقة. وانظر حولك، فالآيات كثيرة.

التطبيق العملي: انظر إلى كل حدث في حياتك على أنه آية من آيات الله. ماذا يريد الله أن يعلمك إياه؟

3. اعرف قبل أن ترى

لا تكن ممن لا يعرفون حتى يرون. اعرف الآن. آمن الآن. قبل أن تأتي الآيات التي تجعلك تعرف كرهاً.

التطبيق العملي: ازدد علماً بالله. ازدد معرفة بآياته. لا تنتظر حتى ترى لتؤمن.

4. استحضّر مراقبة الله

في كل لحظة، تذكر أن الله ليس بغافل عما تعمل. هذا الاستحضار هو أعلى درجات الإيمان. اجعله ملكة نفسية.

التطبيق العملي: قبل كل عمل، قل في نفسك: الله يراني. الله ليس بغافل عما أعمل.

5. لا تخف من غفلة الناس عنك

الناس قد يغفلون عنك، قد ينسونك، قد لا يرون عملك. لكن الله ليس بغافل. عملك عنده محفوظ. وهذا يكفيك.

التطبيق العملي: لا تبحث عن شكر الناس. ابحث عن شكر الله. فهو الذي لا يغفل عن عملك.

***المفاهيم العملية: الانتقال من الفهم إلى التمكين النفسي

فلسفة "الحمد لله": الشكر قبل الرؤية

المؤمن يحمّد الله قبل أن يرى الآيات، وبعد أن يراها. حمده ليس مبنياً على الرؤية فقط، بل على الثقة و اليقين. هذا هو الإيمان: أن تحمد على ما لم تره كما تحمد على ما رأيت.

فلسفة "سيريكم آياته": الانتظار الواثق

المؤمن يعيش في حالة انتظار واثق. لا ييأس. لا يتعجل. يعلم أن آيات الله ستأتي في وقتها. هذا الانتظار يريح قلبه، ويثبت يقينه.

فلسفة "فتعرفونها": المعرفة الحتمية

كل إنسان سيعرف آيات الله يوماً. إما في الدنيا فيؤمن، وإما في الآخرة فيندم. لا مهرب من المعرفة. المهم

متى تعرف، وكيف تعرف.

فلسفة "ما ربك بغافل": الأمان في علم الله

المؤمن يطمئن أن الله يعلم كل شيء. لا يضيع عمله. لا يفوته جزاؤه. هذا الأمان يحرره من الخوف من الناس.

*رسالة التثبيت: الحمد والانتظار والمراقبة

هذه الآية الخاتمة تترك مع ثلاث وصايا عظيمة:

· احمد الله: على كل شيء، في كل وقت.

· انتظر آياته: بعين متطلعة، وقلب واثق.

· استحضر رقابته: في كل لحظة، وفي كل عمل.

رسالة التثبيت: أنت في بداية رحلة، لا في نهايتها. الحمد لله يفتحها، وآيات الله تملؤها، ومراقبة الله تحرسها. فامض على هذه الطريق، وأنت تعلم أن ربك معك، لا يغفل عنك، وسيريك آياته، وستعرفها.

**كيف نعيش هذه الآية الخاتمة؟

1. في ختام كل عبادة:

بعد كل صلاة، بعد كل قراءة، بعد كل عمل صالح، قل: الحمد لله. اشعر أنك تشكر الله على التوفيق.

2. في ختام كل يوم:

قبل أن تنام، تذكر: ربك ليس بغافل عما عملت اليوم. استغفر لسيئاتك، واحمد الله على حسناتك.

3. في مواجهة الشدائد:

عندما تمر بأزمة، تذكر: سيريكم آياته. هذه الشدة قد تكون آية تسبق فرجًا. انتظر.

4. في مواجهة الظلم:

عندما تظلم، تذكر: وما ربك بغافل عما يعملون. الظالمون ليسوا خارجين عن علم الله. ثق بأنه سينصفك.

5. في كل لحظة:

عش حياتك مستحضراً أن الله معك، يراك، لا يغفل عنك. هذه المعرفة تغير كل شيء.

*خاتمة السورة: نهاية ليست نهاية

ها نحن نصل إلى نهاية سورة النمل. سورة بدأت بالطاء والسين، وتحدثت عن عظمة القرآن، وسارت بنا في رحلة من التوحيد إلى البعث، من قصص الأنبياء إلى مشاهد القيامة. والآن تختتم بهذه الآية التي تجمع الحمد والوعد والوعيد.

ليست هذه نهاية، بل بداية. بداية لحياة تمتلئ بالحمد لله. بداية لعيون تتطلع إلى آيات الله في كل مكان. بداية لقلوب تستحضر أن ربها ليس بغافل عما تعمل.

اهم المراجع

لقد اعتمدت في هذا التحليل على نخبة من أمهات كتب التفسير المعتمدة في التراث الإسلامي، والتي تمثل مناهج متعددة ومتكاملة لفهم النص القرآني.

قائمة المراجع والمصادر الرئيسية

1. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت. 310هـ). يُعتبر "أم التفاسير" وأساسها، ويتميز بجمعه للأقوال المختلفة عن الصحابة والتابعين مع تحليلها وترجيح بعضها.
2. تفسير ابن كثير لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت. 774هـ). تفسير يُعنى بالقرآن بالقرآن ثم بالسنة النبوية، ثم بأقوال الصحابة والتابعين، مع عناية باللغة والنحو والقراءات.
3. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت. 671هـ). تفسير يهتم بشكل خاص بآيات الأحكام الشرعية، مستعرضاً أقوال الفقهاء والأدلة، مع شرح للمعاني اللغوية والقراءات.
4. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت. 1376هـ). تفسير يتميز بسهولة العبارة ووضوح المعنى، مركزاً على الجانب التربوي والإيماني والمعنى الإجمالي للآيات.
5. تفسير البغوي (معالم التنزيل) لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت. 516هـ). تفسير يُعنى بتفسير القرآن بالآثر، ويعتبر من أهم كتب التفسير بالمأثور، مع شرح للمفردات اللغوية وأسباب النزول.
6. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت. 1393هـ). تفسير عصري يهتم بالجانب البلاغي، والمقاصدي، والأبعاد العقلية والاجتماعية للنص القرآني.
7. تفسير وهبة الزحيلي (ت. 1436هـ). تفسير معاصر يربط بين الأصالة والمعاصرة، ويجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، مع عرض للأسباب والمعاني الإجمالية والتحليلية.
8. موسوعة التفسير من موقع الدرر السنية. موسوعة إلكترونية شاملة تجمع أقوال كبار المفسرين في تفسير آيات، وتصنفها بشكل منظم
9. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) - فخر الدين الرازي
10. تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي (ت. 1371هـ): يربط بين التفسير والعلوم العصرية.
11. في ظلال القرآن - سيد قطب (ت. 1386هـ): تفسير أدبي تربوي يركز على التصور الإيماني والحركة و البناء.
12. الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي (ت. 1402هـ): تفسير فلسفي اجتماعي، يعتني به التحليل العقلي والروائي.

ثانياً المراجع والمصادر في مختلف المجالات

المصادر اللغوية

- معاني القرآن للفراء والأخفش
- مقاييس اللغة لابن فارس
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم لمساعد الطيار

- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي
- الصحاح للجوهري
- الكشاف عن حقائق التنزيل - الزمخشري
- التبيان في إعراب القرآن - أبو البقاء العكبري
- جواهر البلاغة - السيد الهاشمي
- البلاغة القرآنية - أحمد درويش و عزة جدوع.
- الأساس في تحليل المفردات (مثل: الفرق بين {يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} و"يُصَلُّونَ") • تتبع الجذور اللغوية للمصطلحات القرآنية وفهم معانيها العميقة
- المصادر التجويدية:-

- التمهيد في علم التجويد لابن الجزري
- التحديد في الإتيان والتجويد لأبي عمرو الداني
- المقدمة الجزرية لابن الجزري
- المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية
- نور البيان والتحفة للأطفال للمبتدئين
- تحليل الأحكام التجويدية (مثل: إظهار، إدغام، مد) في كلمات مثل {طس} و{يُوقِنُونَ} • تفسير الأثر النفسي والبلاغي لأحكام التلاوة وعلاقتها بمعاني الآيات
- أحكام التلاوة والتجويد المبسرة - د. عماد علي جمعة

المصادر التربوية

- التفسير التربوي للقرآن الكريم لأنور الباز (3 مجلدات، 1845 صفحة)
- في ظلال القرآن لسيد قطب • أخلاق النبي ﷺ والتربية الإسلامية لابن القيم
- التربية في القرآن الكريم د. عبدالرحمن الحازمي
- استنباط القيم التربوية كالانضباط والمسؤولية من صفات المؤمنين
- تحويل الآيات إلى أهداف سلوكية قابلة للتطبيق في الواقع العملي
- المصادر التنموية
- أصول المباحث التنموية في القرآن الكريم
- التنمية البشرية في القرآن الكريم
- التنمية المستدامة في ضوء القرآن الكريم (جامعة بروناي)
- استخلاص نظريات التخطيط والتنمية من قصص الأنبياء (مثل نظام جيش سليمان)
- ربط آيات الإعجاز العلمي والتنظيمي بمعايير التقدم الحضاري المعاصرة

التنمية البشرية من منظور إسلامي - أشرف محمد دوابه: يربط مفاهيم التنمية الذاتية بالقيم والأخلاق الإسلامية.

• المنظور الإسلامي للتنمية البشرية - أسامة عبد المجيد العاني: يقدم إطاراً شاملاً للتنمية البشرية المستدامة.

• أصول المباحث التنموية في القرآن الكريم: يستخلص نظريات التخطيط والتنمية من القصص القرآني (خاصة قصة سليمان وسبأ).

• أصول المباحث التنموية في القرآن الكريم

• ربط الآيات بمفاهيم التنمية والتخطيط (كالنظام والإتقان في قصة سليمان)، وتوظيفها في وضع نظريات للإدارة والقيادة والتقدم الحضاري.

مصادر التزكية

• إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

• مدارج السالكين لابن القيم

• تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن)

• الفوائد لابن القيم

• الوايل الصيب لابن القيم

• بناء التحليل النفسي والإيماني (مثل: الفرق بين هدى وبشرى، وحال من جحدوا واستيقنت أنفسهم) • تفسير آيات الأخلاق والأحوال القلبية

• القرآن وعلم النفس - محمد عثمان نجاتي

التفسير الموضوعي لسورة النمل (دراسات متعددة): تتناول جوانب نفسية في قصة الهدد وملكة سبأ.

• علم النفس في القرآن والسنة - د. سميح عاطف الزين • تحليل الحالات النفسية للشخصيات القرآنية (ك) الخوف والطمأنينة)، وربط الآيات بعلاج الأمراض القلبية، وبناء التصور الإسلامي للنفس البشرية

مراجع الإعجاز العلمي

• الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - جامعة المدينة العالمية

• الإعجاز العلمي في القرآن - لبيب بيضون

• الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة - د. يوسف الحاج أحمد

• موسوعة الإعجاز العلمي - يوسف الحاج أحمد

المعجزة والإعجاز في سورة النمل - عبد الحميد محمود طهماز: كتاب متخصص في الإعجاز العلمي في السورة، دراسة مفصلة.

• لمسات إعجازية في بيوت النمل - (الجزيرة نت) و(مصادر أخرى) تتناول الإعجاز في تسمية "مساكن" وتركيب النمل.

• شخصية الحشرات في القرآن - عماد عبد الفتاح: يدرس النظام والحياة الاجتماعية للحشرات من منظور

قرآني

• الاستشهاد ببعض أوجه الإعجاز العلمي في الآيات، خاصة المتعلقة بالكون وخلق الإنسان، كدليل على صدق القرآن وربطه بالحقائق العلمية الثابتة.

مصادر التربية وأساليبها

• التربية في القرآن الكريم - عبد الحلیم إبراهيم العبد اللطيف

من أساليب التربية في القرآن الكريم - زينب بشارة يوسف: يحلل الأساليب التربوية كالتركاز، ضرب المثل، و المواجهة بالحوار.

• التربية الإسلامية من خلال القرآن الكريم • استخلاص المناهج والأساليب التربوية من القصص القرآني (كأسلوب التكرار، ضرب الأمثال، المواجهة بالحوار)، وتطبيقها في بناء الشخصية وتعديل السلوك.

المصادر الحضارية والسياسية

• النصوص السياسية في القرآن الكريم مصدرًا للحضارة الإسلامية - يدرس قصة سليمان وبلقيس كنموذج للحكم والحضارة.

• الأبعاد السياسية لقصة نبي الله سليمان عليه السلام - تحلل الجوانب القيادية والدبلوماسية في القصة.

• المرأة القيادية في القرآن الكريم (سورة النمل أنموذجًا) - دراسة تطبيقية حول صفات القيادة في شخصية بلقيس.

المراجع العامة والأكاديمية

• تقويم السلوك الإنساني في ضوء القصص القرآني (سورة النمل نموذجًا) - دراسة تربوية نفسية تحلل القيم السلوكية.

• طرائق التدريس المستنبطة من سورة النمل - بحث تربوي يطبق أساليب السورة في التعليم.

• الإعجاز الإعلامي في القصص القرآني (دراسة تطبيقية على سورة النمل) - تحلل الجوانب الإعلامية والبلاغية في القصة.

• آليات الإقناع في قصة بلقيس في سورة النمل - دراسة بلاغية نفسية حول عناصر الإقناع

المواقع الإلكترونية •

موقع التفسير (altafsir.com): يضم أكثر من 150 تفسيراً، وترجمات بـ 24 لغة

• موسوعة التفسير من الدرر السنية

• التفسير التفاعلي (read.tafsir.one)

• الجامع التاريخي لتفسير القرآن (tafasir.online) • الباحث القرآني (tafsir.app)

• المصادر الأساسية للوصول إلى التفاسير الأصلية والمراجع المعتمدة أثناء التحليل .

• جامع التفاسير (quranpedia.net)

• المكتبة الشاملة (shamela.ws)

• مركز تفسير للدراسات القرآنية (tafsir.net)

المركز العالمي للدراسات القرآنية (greatafsirs.com) - موقع متخصص في عرض التفاسير العظيمة.

• موقع الألوكة (alukah.net) - شبكة علمية تضم آلاف الدراسات والأبحاث القرآنية.

• موقع إسلام ويب (islamweb.net) - يضم تفاسير ومقالات وخطب.

• موقع طريق الإسلام (ar.islamway.net) - منصة للدروس والمحاضرات الصوتية والمرئية.

• موقع النابلسي (nabulsi.com) - يضم تفاسير ودروساً للدكتور محمد راتب النابلسي.

• مصادر فيديو (يوتيوب) - مقاطع ودروس تفصيلية من علماء مثل: الشيخ المنتصر الكتاني، د. علي جمعة، وغيرهم.

• المصادر الأساسية للوصول إلى التفاسير الأصلية والمراجع المعتمدة إلكترونياً، وتوفير أدوات بحث متقدمة ونسخاً موثقة لأهمها الكتب.

هذه هي أبرز المصادر التي شكلت البنية الأساسية للتحليل.

المحامي احمد عبد الرزاق مريوش العامري